منبر الإسلام

العدد الحادى عشر

السنة ٢٦ • ذو القعدة ١٣٨٨ • يناير ١٩٦٩

الثمن ١٠ قروش

مع العدد هدية

تفسير سورتى آل عمران والنساء

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها

المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية

في غرة

كل شهر

عربي

العدد الحادى عشر - السنة ٢٦

ذو القعدة ١٣٨٨

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ"

صدق الله العظيم

من محتويات العـــدد

* صفحة من كتاب دعاء الثورة ·· للسيد حسين الشـــافعى
* حديث مع السيد سفير افغانستان بالقاهرة ··
* السنة النبوية الشريفة ··
* الانسان والقرآن والملائكة ·· الاستاذ أحمـــد حسين
* انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحـــافظون ·· فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
* قاض عظيم ·· الدكتور أحمد الحوفى
* سبيل الله ·· فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
* الاعجاز التشريعى فى القرآن المستشار على علـى منصـــور
* من الأشباه والنظائر فى القرآن الكـــريم ·· الاستاذ عبد العزيز سيد الأهـل
* براعة الاستهلال فى فواتح ســـور القرآن ·· فضيلة الشيخ عبد الغنى الراجحى
* ذو القعدة شهر الفتح ·· فضيلة الشيخ محمود احمد هاشم
* بين يدى الحج الى بيت الله الحرام ·· فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى
* اسرار الحج ومقاصده ·· فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت
* المجتمع الاسلامى ومشكلات المال ·· الدكتـــور احمد شلبى
* درجة الجهاد فى الاسلام ·· فضيلة الشيـــخ محمد الطاهر زاهر
* القرآن حياة وعصمة ·· فضيـــلة الشيخ عبد الحميد بخيت
* أبطال وشهداء ···· الأستاذ أحمـــد وافى
* بنو اسرائيل فى ميزان القرآن ·· الاستـــاذ البهى الخـــولى
* دور المرأة فى الدفاع المدنى ·· فضيلة الشيخ عبد الله المشد
* دور المرأة فى النضال العربى ·· فضـــيلة الشيخ محمد زكريا البرديسى
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ·· الدكتـــوره عنايات الطحاوى
* الحافظ الأمين (قصة العدد) ·· للاستـــاذ الكبير على احمد باكثير

الاشـــتراكات عن ســـنة

١٠٠ قرش فى الجمهورية العربية المتحدة

٨٠ قرشا للعـــمال والطـــلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

الاشتراكات تدفع مقدما

العنـــوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير بالقاهرة

تليفون ٢٨١٥٦

صفحة من كتاب دعاء الثورة

للسيد حسين الشافعى

ديننا إيمان وقوة وحربنا جهاد وشهادة

فى بدء ثورتنا الناصرية ، كانت الدعوة اليهـا تنطلق من كل منبر ، وكانت أعلاها وأعزها وأكرمها منابر بيوت الله ، وبين عمار هذه المساجد ٠٠

فى السادس عشر من رمضان ١٣٧٢ ـ ٢٩مايو ١٩٥٣ ٠٠ وكانت صلاة الجمعة فى ذلك اليـوم مذاعة من مسجد السيد أحمد البدوى بطنطا ، وكان خطيب الجمعة يومها السيد حسين الشافعى وكان موضوعها الايمان والعمل والحرية ٠٠ونقتطف من تلك الخطبة هذه الفقرات ٠

(فلنتدبر أنفسنا ياقوم ٠٠ لنعرف قدر أنفسنا ٠٠ وان مقياس هذا القدر العظيم هو الروح التى نفخها فينا الله ـ عندما كان آدم من صلصال ـ فربطنا سبحانه اليه ، وأباح لنا الاتصـال به ، والشكوى اليه وحده ، وجعل لنا الدعاء وعليه الاجابة ٠ ولكن قبول الشكوى واستجابة الدعـاء تتوقفان على قوة الصلة بينك وبين ربك ٠ وتـأتى قوة الصلة بما يقدم الانسان من عمل يطهر به نفسه ويزكيها ويرفعها ويقربها من ربها ٠٠ ليأخذ الانسان مكانه وما يستحق من تكريم ٠

ويكون ضعف الصلة التى أعيذكم منها ، حين يجهل الانسان نفسه ، وينحدر الى عنصره المادى ، ويعود الى الطين مجردا من الروح ، لاقدر لهولامكان عند ربه ٠٠ لقد اتبع هواه ، فكان أمره فرطا ٠٠

هذا هو شأن الانسان حين يخرج عن أمر ربه ، ويعرض عن ذكره ، ان له معيشة ضنكا ، ويحشر يوم القيامة أعمى ٠٠

أيها المسلمون ٠٠ وكذلك شأن الأمم ، اذاتنكرت للمعروف واستباحت المنكر ، انها لابد منحـدرة فى ميزان الانسانية ، وانها لابد فاقدة ما أراد الله لها من تكريم ٠٠

وهكذا كنا ٠٠ لولا أن تدارك الله مصر برحمته فهيأ لها من بنيها من صرخـوا فى وجه الظلم ، وغضبوا لكرامة الانسان فى هذا البلد ، فثاروا من أجل الحق ، وتنادوا بالجهاد ، متمثلين قـول الصحابة فى غزوة الخندق :

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ما بقينا أبدا

أيها المواطنون ٠٠ هل نسيتم قول الله فى أمتكم، (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ؟٠٠

لقد وجدناكم على حال غير هذه الحال ؟٠

وجدناكم أمة حائرة بين حاكم ضـال عن مسئوليته ، وعالم منطو على علمه ، ولم يغب عنا السبب ٠٠ انه والله الاستعمار ٠٠ لقـد ادرك الاستعمار ان الاسلام دين القوة ٠٠ قوة معنوية يستمدها المسلم من الايمان بدينه ، تساندهـا قوة مادية تسخر لها الدولة كل امكانياتهـا من مال وعتاد وكفايات ٠٠ وهاتان القوتان ، قـوة الايمان وقوة الاستعداد ، تحتاجان دائما الى اتحاد بين القوة المعنوية المتمثلة فى الأزهر الشريف منارة العلم والحضارة ، وبين القوة المادية التى تتمثل فى مختلف نواحى النشاط والاستعداد والبنـاء ٠٠ ولكن الاستعمار قاتله الله ، حرص على فصـل

القوتين ، فعزل الأزهر عن الحياة ، وأقام وصاية على التعليم ، حتى ينشأ جيل من الناس يفكر بطريقة ترضى المستعمر ، ويكون من هؤلاء حكام للبلاد هم أجهل العباد بأمر الدين ، حتى رأى بعضهم فى الدين تأخرا ، والتمسك به رجعية ٠٠ فانكمش العلماء والناس فى حاجة الى نور الايمان وطغى الحكام بغير وازع من الضمير ، وضاع الناس بين عالم يحبس علمه عن الناس ، وحاكم ضال منحرف عن الطريق ، ومع ذلك يجد من العلماء من يشيد بصلاحه وتقواه ٠

وهكذا اطمأن المستعمر الى النتيجة التى وصل اليها فهى تساعد على بقائه ٠٠ لقد انفصلت القوة المادية عن القوة المعنوية ٠٠ وذلك يطيل من عمر الظلم والاستعباد ٠

لقد توفر العلماء على دراسة الدين حتى أصبح صناعتهم ، وأصبح لايحق فى نظرهم ان ينافسهم فى الدين مجتهد ٠ ولم ير المستعمر بأسا من بقائهم على هذه الحال ، فليس فى وجودهم ضرر ، ماداموا مستخدمين عند السلطة ٠٠ وهكذا ضاع الحق فى بلد ضل حكامه ، واستضعف علماؤه ، وأصبح الانسان فى هذا البلد مزعزع العقيدة ، يتنازعه الدين تارة ، ويفقده الايمان ظلم الحاكم تارة أخرى ٠٠

نعم هكذا كنا ٠٠ فنهضنا من نومنا مذعورين من هذه الحال التى وصلنا اليها ٠٠ صحونا ٠٠٠ انبعثنا لنتدبر أمرنا ، ونعرف قدر أنفسنا ونسعى الى تصحيح الصحيح ، باتحاد القوتين : القوة الروحية والقوة المادية ٠ قمنا لندعوكم وندعو أنفسنا بأن الحرية حق لا يأتى الا بهذه القوة المزدوجة ، وان القول لايغنى عن العمل ، وانالايمان لايكون الا بالمبادىء ٠ نعم ، لقد آن الآوان لكى نعلم ان ديننا ايمان وقوة ، وتاريخنا فتح وحضارة ، وشرعنا دين ودنيا ، وحربنا جهاد وشهادة وزعامتنا أمانة وقيادة ٠

أيها المسلمون ٠٠ علينا أن نتدبر هذه المعانى التى فطن اليها المستعمر وأحس فيها بداية النهاية فتركت له فى الرأس صداعا ، وفى العصب اضطرابا ، عندما رأى تقارب قوتى الشعب المادية والروحية ، فشاهد الضابط يعتلى المنبر ، والعالم يطلق المدفع ، والفدائيين ينفرون بعد صلاة الفجر الى نسف معسكرات الاستعمار ٠٠ حتى يرحل ٠

وهكذا تجمعت كل عناصر الأمة على الحق ، يوم بدأت مصر تعرف قيمة نفسها ، يوم بدأ الانسان الحر يعرف كرامته التى منحها الله له)

حديث مع سفير أفغانستان في القاهرة

السيد محمد موسى شفيق

في هذا الحديث يتحدث سيادة السفير عن زيارات الوفد الاسلامي وأثر الزيارات على العلاقات بين بلاد العالم الاسلامي .. كما تحدث عن علماء الاسلام في أفغانستان .. وعن موقف أفغانستان من أزمة الشرق الأوسط ؛ وأخيرا تحدث سيادته عن مشروعات دعم التعاون بين أفغانستان وبلاد العالم العربي والافريقي .

وسفير أفغانستان حصل على دبلوم القانون الدولى من أمريكا وكولمبيا وهافارد وبموجبه اشتغل بعلوم القانون . فاشتغل استاذا للقانون الدولى فى كلية الحقوق بافغانستان كما اشتغل فى تنظيم الأمور التشريعية وكان عضوا فى لجنة الدستور وسكرتيرا عاما للمجلس الوطنى الكبير الذى أقر الدستور الأخير . ومستشارا لوزارة الخارجية . واشترك فى عدة مؤتمرات فى الأمم المتحدة وجنيف وفى بلاد أخرى ثم عمل سفيرا متجولا .. ثم سفيرا مقيما فى الجمهورية العربية المتحدة ..

الوفد الاسلامى فى أفغانستان :

قال السيد السفير فى بداية حديثه ..

من عدة سنوات يقوم الأستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بزيارات لبلاد اسلامية كثيرة للتعرف عليها من قرب ولبحث المشاكل المشتركة بين البلاد الاسلامية .. لذلك وجهت الدعوة الى سيادته لزيارة أفغانستان لتكون جزءا من سلسلة زياراته لبلاد العالم الاسلامى

وسيبحث هناك مع المسئولين كل مايهم البلدين والبلاد الاسلامية عامة .. وأعتقد أن زيارة وفد الجمهورية العربية المتحدة الاسلامى لأفغانستان ستكون نتيجتها التفاهم الأكبر والتعاون الأوفر بين البلدين .

علماء الاسلام فى أفغانستان .

ثم قال :

تقع أفغانستان فى منطقة من العالم تعنى بالعلوم الاسلامية منذ القرن الأول واكثر أفغانستان أئمة فى الدين الاسلامى واساتذة فى اللغة العربية ومرجعا فى فهم التفسير والحديث وحل مشكلاتهما وقد نبغ عدد غير قليل من الأفغانيين نبوغا خارقا وأصبح ذكرهم خالدا فى سجل التاريخ الاسلامى واللغة العربية وآدابها ـ فقد نبغ فى (خراسان) امامان جليلان من أئمة الفقه الاسلامى هما الامام أبو حنيفة النعمان من (كابل) والامام أحمد بن حنبل من سبستان (سجستان) كما نبغ فيها محدثان كبيران هما الامام البخارى والامام الترمذى . ومن أعلام اللغة العربية الزمخشرى والتفتازانى . ومن أعلام الفلسفة الفارابى وابن سينا . ومن أعلام التصوف شيخ الاسلام عبد الله الانصارى وأبو يزيد البسطامى وجلال الدين الرومى ومن أعلام الجبر الخوارزمى ومن أعلام الكيمياء جابر بن حيان . وكان أبو الريحان البيرونى من أنبغ العلماء فى ميادين التاريخ والجغرافيا والفلك والفلسفة والجبر والرياضة .

وهكذا نجد أن الافغانيين قد خلفوا تراثا ضخما فى الفقة والتفسير والحديث والكلام واللغة وعلوم البلاغة والتاريخ والجغرافيا والفلك والجبر . منذ أقدم العصور وحتى الآن يعتنون بالعلوم الاسلامية ويوجد لدينا العديد من المؤلفات والمدارس فى هذا المجال .. وافغانستان ١٠٠ ٪ مسلمين ولا نجد فيها الا عدة آلاف من غير المسلمين ، فالاعتناء بالعلوم الاسلامية شىء طبيعى والكتب الاسلامية التى تدرس الآن فى معاهدنا وجامعاتنا ألفت فى افغانستان وكان جمال الدين الأفغانى صورة صادقة للتعاون الوثيق السياسى والثقافى الذى كان قائما بين الأفغان والعرب وقد نجحت ثوراته الفكرية والسياسية فى مصر أولا ثم امتدت وانتشرت الى العالم العربى والاسلامى بعد ذلك .

افغانستان وأزمة الشرق الاوسط :

وقال :

أعتقد أن هذه الأزمة خلقتها اسرائيل بعدوانها الأول على الأراضى العربية فى فلسطين وبعدوانها الأخير على أراضى الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا . وأعتقد أن هذا العدوان لا على العرب فحسب بل على المسلمين جميعا فى كل بقاع العالم لأن أرض فلسطين هى أولا أرض اسلامية يعيش فيها المسلمون ثم هى تحتوى على المقدسات الاسلامية التى يجب استخلاصها من أيدى الغاصبين ..

أما عن حل الأزمة فكما تعرفون أصدرت الامم المتحدة قرارا فى شأنه منذ عام مضى وتأبى اسرائيل تنفيذه والانسحاب من الأراضى العربية التى احتلتها وأعتقد أنه بعد أن يقدم يارنج تقريره الى يوثانت السكرتير العام فان مجلس الامن سيقرر ماذا يجب أن يفعله لتنفيذ القرار الذى أصدره فى نوفمبر ١٦٩٧ .

أما أفغانستان فقد كانت ولاتزال تؤيد حق الشعب الفلسطينى فى استعادة أراضيه وتعتبر اسرائيل كيان مصطنع ومفروض بالقوة على قلب العالم العربى والاسلامى .

ومن واجب العرب أولا جمع كلمتهم واتخاذ خطوات موحدة لارغام اسرائيل على الالتزام بهذا القرار .. ورجال المقاومة تعقد عليهم الآمال فى تحرير فلسطين لأنهم أحق بتحرير بلادهم) .

ومن المعروف ان افغانستان من الدول التى جاهدت لاصدار قرار نوفمبر ١٩٦٧ وطالبت اسرائيل بالانسحاب بدون شروط . وقد قيد الشعب الأفغانى اسمه فى كتائب التطوع لتحرير فلسطين وجمعت الأموال لارسالها لأسر اللاجئين . وقد كنت فى هذه الفترة فى أفغانستان ورأيت النساء الأفغانيات يتبرعن بحليهن ؛ واعتقد أن العالم الآن قد بدأ فى فهم القضية الفلسطينية أكثر مما كان .

وفى نهاية الحديث قال :

انني شخصيا أعتقد أن سفارتنا فى القاهرة يجب أن تكون أكثر من مجرد تمثيل رسمى أو رمزى .. فنحن نشترك مع اخواننا فى الجمهورية العربية المتحدة فى الدين والثقافة والأمانى والمشاكل وفى طرق الحل . لذلك يجب أن نتعرف أكثر على بعضنا وان نستفيد من تجارب كل منا . لذلك اعتزمت الاتصال الأكثر بالمسئولين وبأفراد الشعب وبالصحافة لبحث مختلف الأمور .. وهناك مجالات كثيرة نستطيع أن نستفيد منها فمثلا مشروع تنظيم الأسرة .. أنا حاليا مشغول بدراسة مايحدث فى مصر حول هذا المشروع لأن مشكلتنا واحدة. وفى المستقبل يجب أن نستفيد من التجارب التى مرت بها مصر .. فيجب أن نعرف كيف تغلبت مصر على هذه المشكلة وكيف واجهت بعض الآراء الموجودة فى هذا الصدد مابين تحريم وتحليل .. حتى يمكننا بعد ذلك تطبيق نفس الحلول .. هذا؛ وسوف أجعل سفارتنا فى القاهرة مركز اتصال مع العالم العربى وسننشىء علاقات مع دول أفريقيا الشمالية العربية من هنا . وبما أن القاهرة هى المركز الوحيد لسفارتنا بالنسبة لافريقيا كلها . لذلك أود أن انتهز هذه الفرصة فأعرف افريقيا على بلدى وبالعكس .. وأقوم باتصالات تكون نتيجتها مزيدا من التعارف والتعاون بين أفغانستان والشعوب الافريقية .

وكل هذا يتطلب نوعا من النشاط الصحفى لذلك أنوى أن أصدر مجلة من السفارة الأفغانية بالاضافة الى نشر بعض الكتب أيضا عن تاريخ أفغانستان وعلاقاتها بالدول العربية كما أريد نشر كتاب يتضمن مواقف أفغانستان من القضايا العربية مثل قضية فلسطين .. والعدوان الأخير ...

وستحتفل السفارة بذكرى جمال الدين الأفغانى كما اتفقت مع الاستاذ محمد توفيق عويضه عند مقابلتى له قبل سفره .. ووافق سيادته ونشرت صحف القاهرة أن هيئات أفغانستان والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ستشترك فى احياء ذكرى جمال الدين الأفغانى وأعتقد أن تنظيم معرض من آثاره وماكتب عنه سيكون موضع التنفيذ . كما سنسمى أحد الشوارع الرئيسية فى مصر باسمه .

هذا وبين أفغانستان ومصر اتفاق صداقة أفغانية عربية منذ عام ١٩٣١ .. واتفاق تبادل تجارى واتفاق تبادل خدمات الطيران المدنى واتفاق ثقافى ينص على عمل برنامج تنفيذى كل سنتين يتم بموجبه التبادل الثقافى بين البلدين .

محمد صلى الله عليه و سلم

السنة النبوية الشريفة

الباب الثالث

من الجهر بالدعوة إلى وفاة أبي طالب وخديجة

مقاطعة كنانة وقريش

عن أسامة بن زيد قال :

(قلت : يارسول الله أين تنزل غدا ؟ – فى حجته – قال : (وهل ترك لنا عقيل منزلا) ! ثم قال : (نحن نازلون غدا ان شاء الله بخيف بنى كنانة) – يعنى المحصب حيث قاسمت قريش الى الكفر – وذلك أن بنى كنانة حالفت«١» (قريشا على بنى هاشم الا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، ولايؤووهم ثم قال عند ذلك : (لايرث الكافر المسلم ولاالمسلم الكافر) قال الزهرى : والخيف الوادى ٠

رواه أحمد واللفظ له : ورواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والشافعى

(١) من أنواع الايذاء التى عمداليها المشركون ليوقفوا تيار الدعوة وليقتلوها فى مهدها ، هذه المعاهدة التى عقـدوها فيما بينهم ، وقرروا فيها مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ليرغمـوهم على التخلى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد امتدت هذه المقاطعة ثلاث سنين بذلت قريش فيها كل ما تستطيع من التشديد على بنى عبد المطلب ، حتى أن التجار من غير أهل مكة كانوا اذا قدموا اليها بالطعام ، حالت قريش بينهم وبين بنى عبد المطلب حتى لا يبيعوهم شيئا من الطعام . وقد عانى بنـو عبد المطلب من ذلك ما هو فوق احتمال البشر . ولكن الاذى – كما قدمنا – اذا اشتد ولد فى نفوس المنصفين الشفقة والعطف ، فان بعضهم فكر فى نقض هذه الصحيفة الظالمة ، ووضعوا الخطة الكفيلة بنقضها ، حتى تم لهم ما أرادوا .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الشـعب الذى كانوا محصورين فيه ، ولم يتأثر رسول الله صلى الله عليـه وسلم بهذا ، بل انه لم يتأثر حينما ظن أن عمه أبا طالب سيتخلى عن نصرته ، وانه سيقابل قومه بمفرده . وذلك أن قريشا لما أنذرت أبا طالب بمنازلته مع ابن أخيه ان لم يكفه ، بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخى ، ان قومك قد جاءونى ، فقالوا لى كذا وكذا ، فأبق على وعلى نفسك ، ولاتحملنى من الأمر ما لا أطيق . فظن عليه السلام أنه قد بدا لعمـه فيه بداء (رأى) وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته . فقـال : (يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته) ، ثم استعبر باكيا وانصرف فلما ولى ناداه عمه فقال له : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا .

لبني هاشم وبني عبد المطلب

والبيهقي في السنن الكبرى (الفتح الرباني ج٢٠ ص ٢٣٣)

رحمة النبي عليه السلام بقومه مع تعنتهم في طلب الآيات

عن ابن عباس قال :

(قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك ٠قال : (وتفعلون) ؟ : قالوا نعم ٠ قال : فدعا ٠ فآتاه جبريل فقال : ان ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول : ان شئت أصبح لهم الصفا ذهبا ، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا اعذبه احدا من (١) العالمين ٠

وان شئت فتحت لهم ابواب التوبة والرحمة) ٠قال: (بل باب التوبة والرحمة)

رواه احمد واللفظ له ٠ ورواه البزار بنحوه ورواه الحاكم في مستدركه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم (الفتح الرباني ج٢٠ص ٢٢٢)

أمر النبي عليه السلام اصحابه بالهجرة الى الحبشة فرارا بدينهم

عن عبدالله بن عتبه ، عن ابن مسعود قال : (بعثنا رسول صلى الله عليه وسلم الى النجاشي

---

(١) وهذه سنة الله في خلقه . أن من طلب آية فاجيب ثم كفر عذبه الله . كما حصل حينما طلب الحواريون أن تنزل عليهم مائدة من السماء ، فقال تعالى : (قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) .

ونحن نحوا من ثمانين(١) رجلا فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر (٢) وعبد الله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى ، فأتوا النجاشي • وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : ان نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا ، قال: فأين هم ، قالوا: هم في أرضك فابعث اليهم ، فبعث اليهم ، فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم ، فاتبعوه • فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ،قال: انا لا نسجد الا لله عز وجل • قال : وماذاك ؟ قال : ان الله عز وجل بعث الينا رسوله صلى الله عليه وسلم وأمرنا الا نسجد لأحد الا لله عزوجل،وأمرنا بالصلاة والزكاة • قال عمرو بن العاص : فانهم يخالفونك في عيسى بن مريم قال ماتقولون في عيسى بن مريم وامه ، قالوا : نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه القاها الى العذراء (٣) البتول

التى لم يمسها بشر ولم يفرضها (٤) ولد •• قالا: فرفع عودا من الأرض ، ثم قال : يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان فوالله ما يزيدون على الذى يقول فيه ما يسوى هذا ، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده • أشهد انه رسول الله ، فانه الذى نجد فى الأنجيل ، وانه الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما انا فيه من الملك لآتين حتى أكون انا احمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الأخرين فردت اليهما ! ثم تعجل عبدالله ابن مسعود حتى ادرك بدرا (٥) ، وزعم ان النبى صلى الله عليه وسلم استغفر (٦) له حين بلغه موته) رواه أحمد واللفظ له واورده الهيثمى وقال : رواه الطبرانى (الفتح الربانى ج٢٠ ص ٢٢٤)

---

(١) قال فى المواهب اللدنية ان النبى صلى الله عليه وسلم اذن لأصحابه فى الهجرة الى الحبشة ، وكان ذلك سنة خمس من النبوة، فهاجر اليها ناس منهم من هاجر وحده ، ومنهم من هاجر بأهله . وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة. ولا منافاة بين هذا وبين حديث الباب حيث جاء فيه أنهم كانوا ثمانين رجلا، وذلك أن أول دفعة كانت كما قال صاحب المواهب . ثم تتابع المسلمون حتى بلغوا نحوا من ثمانين رجلا .

(٢) جعفر : هو ابن أبى طالب (٣) العذراء البتول:العذراء البكر، البتول المنقطعة عن الرجال

(٤) ولم يفرضها ولد : فرض أى عز . والمراد لم يؤثر فيها ولد قبل المسيح .

(٥) يعنى أن ابن مسعود ترك الحبشة الى المدينة وشهد غزوة بدر

(٦) أى استغفر النبى صلى الله عليه وسلم ، وصلى بأصحابه صلاة الجنازة على النجاشى ، حين بلغه موته ، وهى الصلاة على الغائب .

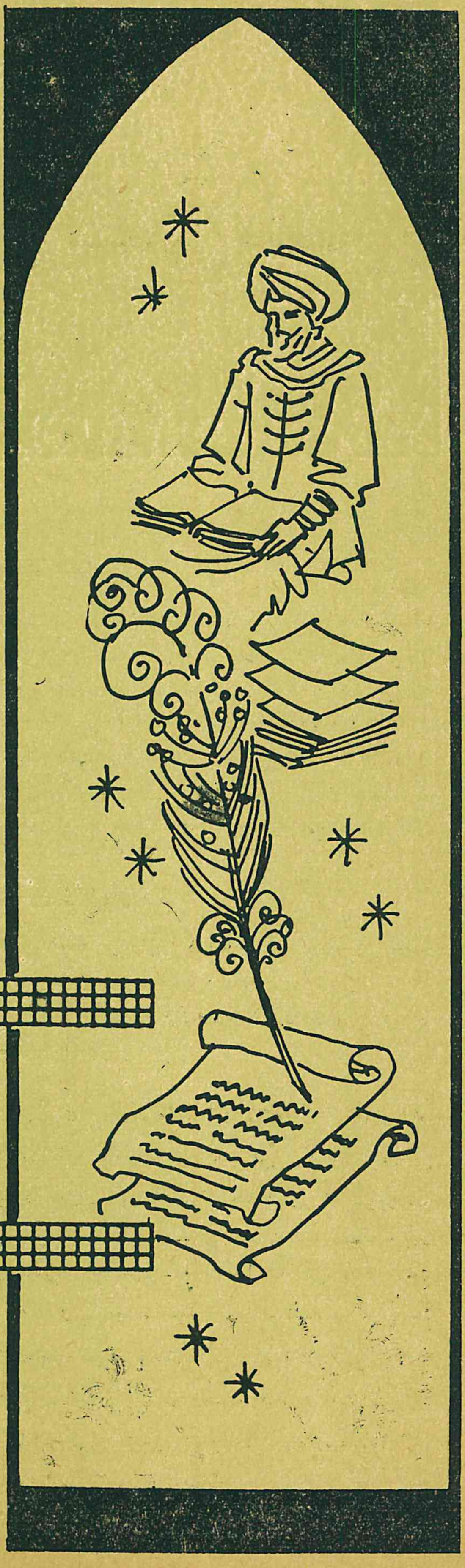

التشريع - الفقه - الأبحاث

الدراسات الصوفية فى الإسلام

الإنسان والقرآن

سورة والتين

بسم الله الرحمن الرحيم

*** والتين والزيتون .**
*** وطور سينين .**
*** وهذا البلد الأمين .**
*** لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم .**
*** ثم رددناه أسفل سافلين .**
*** الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم .**
*** أجر غير ممنون .**
*** فما يكذبك بعد بالدين**
*** اليس الله بأحكم الحاكمين .**

سورة مكية :

المقرر فى المصحف الذى بين يدينا ان هذه السورة مكية وبذلك يقول جمهرة المفسرين ، ولكن القرطبى يحكى عن ابن عباس وقتادة ، انها مدنية . وروى مالك وشعبة عن البراء بن عازب ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى سفره فى احدى الركعتين بالتين والزيتون . فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه . (أخرجه الجماعة)

والتين والزيتون :

يقسم الله عز وجل ، شأنه فى كثير من السور التى عرضناها حتى الآن ، بالتين والزيتون ، للفت الأنظار الى أسرارهما ، وكيف يدلان بعجيب خلقتهما على عظمة الخالق .

والتين والزيتون هما هاتان الثمرتان المعروفتان المشهورتان ، ولكن بعض المفسرين قالوا ان هذين اللفظين قد أريد بهما ، منابت التين والزيتون فى دمشق ، وبيت المقدس على التعاقب وزاد البعض الأمر تخصيصا ، فقالوا أن التين هو مسجد دمشق ، والزيتون مسجد بيت المقدس . وقالوا انهما أسماء جبال ومناطق فى هذا القطر أو ذاك . ومن هذا الرأى الامام محمد عبده الذى يرى أن القسم بالتين والزيتون يكون غير مفهوم اذا كان المقصود به الثمرتان المعروفتان .

والملائكة

الأستاذ أحمد حسين

ونحن لسنا من هذا الراى ، ونرى أن المقصود بالآية هو الزيتون الذى نأكل ، والتين الذى نتفكه به .

فقد احتفل القرآن الكريم بالزيتون وشجرته فذكر الزيتون أكثر من مرة على اعتباره من نعم الله :

﴿ وجنات من اعناب والزيتون والرمان (الانعام ٩٩)

كما وصف شجرة الزيتون فانها مباركة وتحدث عن منتوجها من الدهن :

﴿ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (النور ٣٥)

﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء ، تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (المؤمنين ٢٠)

أما بالنسبة للتين فقد حدثنا أبو ذر ، على ما نقل القرطبى وابن كثير وجمهرة المفسرين ، أنه اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم سلة من تين فقال : كلوا وأكل منه . ثم قال : لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم (أى بغير نواة) فكلوها ، فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ولقد عنى اطباء المسلمين القدامى بتقصى

فوائد هذه الثمار وسائر منتجات الأرض ، ولكن مما يؤسف له أن أطباء المسلمين المعاصرين ، قد توقفوا عن هذه المباحث بالكلية ، فى انتظار ما يقوله لهم عنها أطباء العالم ، كما هو الشأن بالنسبة لعسل النحل الذى قرر القرآن أن فيه شفاء للناس ، ولا حديث اليوم للاطباء المعالجين فى الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، الا فوائد عسل النحل فى علاج الكثير من الأمراض .

وطور سينين

الطور اسم للجبل الذى تم الاتصال فوقه بين سيدنا موسى وبين الله عز وجل ، والقائم فى شبه جزيرة سيناء ، المصرية ، وقد ورد ذكره فى القرآن عشر مرات .

وقيل ان « سينين » معناها الحسن أو المبارك وقال مقاتل « سينين » معناها كل جبل فيه شجر مثمر فهو « سينين ، وسيناء » بلغة النبط . وأيا كان الأمر ، فان الله عز وجل يقسم بهذا الموقع لاظهار خطر شأنه .

وهذا البلد الأمين :

البلد : مكة المكرمة . الأمين بمعنى الآمن :

﴿ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا (ابراهيم ٣٥)

والذين فسروا التين والزيتون على أنهما أسماء أمكنة ومواقع ، قالوا ان الله يقسم بمواقع الأديان الأربعة دين ابراهيم فى الشام حيث منابت التين ودين عيسى فى فلسطين حيث منابت الزيتون ، ودين موسى فى طور سينين ، ودين سيدنا محمد وهو الاسلام فى مكة المكرمة .

لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم :

الانسان : أى جنس الانسان .

التقويم : التعديل . أحسن تقويم أى فى أحسن اعتدال وأفضل قوام .

هذا ما يقول به بعض المفسرين ، فيحصرون أفضلية الانسان فى كونه يقف معتدلا على قدميه ، فى الوقت الذى تنكب فيه الحيوانات على وجهها ، سواء كانت تسير على أربع أو اثنتين .

وعندنا أن الآية عامة وشاملة فى تفوق الانسان على سائر الكائنات من كل النواحى ، ليس فقط من حيث وقوفه على قدميه ، فان أى مدرب للحيوانات فى العصر الحديث يجعلها تسير على قدمين ، فى كثير من الأحيان . فتفوق الانسان ، وأنه خلق فى أحسن تقويم ليس لأن قده معتدل ، ولكن لأنه زود بالعقل والارادة وحرية الاختيار .

وليس هناك ما يكشف عن معنى خلق الانسان فى أحسن تقويم ، الا قصة خلق آدم أى الانسان ، كما فصلها القرآن ، فالله قد خلقه بيديه من بين سائر الكائنات وهو قد نفخ فيه من روحه ، وهو قد أراده ليكون خليفته فى الكون ، وقد أمر الملائكة أن تسجد له ، واقرأ قوله تعالى :

❊ قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى (ص ٧٥)

❊ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون ❊ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ❊ قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ❊ قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ❊ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٠ ـ ٣٤ البقرة) .

سيد الكائنات :

وهكذا أصبح الانسان هو سيد الكائنات باعتباره خليفة الله فى الأرض ، والمنطوى على النفحة الالهية وبهذه النفحة الالهية حقق الانسان ويحقق ، وسوف يحقق المعجزات والآيات العلمية الباهرة .

ونحن المؤمنين لايدهشنا ، فضلا عن أن يذهلنا ، أن يدور انسان حول القمر ، وأن يهبط عليه ، وأن يصل الى ماوراء ذلك من الكواكب ، فنحن نؤمن أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام قد أسرى به وعرج الى السماء فقابل من قابل وتحدث مع من تحدث ، وشهد من الخلائق مالم نر حتى الآن ، أو نعرف ، فالصعود الى السماء والعودة منها ، وأنها تغص بالكائنات ، ليس غريبا عنا ولا هو من المحالات ، وانما ينذهل الماديون ، الكافرون الجاحدون ، الذين طالما نددوا بالمؤمنين تطلعهم الى السماء ، وأنكروا الاسراء والمعراج وأمثاله من معتقدات الايمان ، وطالبونا أن نقلع عن التحدث عن السماء ، وأن نخلد الى أمنا الأرض ، وهاهى ذى الحوادث تجرى بسرعة لتثبت عقيدة المؤمنين ، وأن سيكون للانسان حياة خارج هذا الكوكب الأرضى ، ونواميس غير النواميس ، وعوالم وأحياء وكائنات غير الذى عرفه الماديون حتى الآن .

وصدق القرآن الكريم وهو يقول عن الانسان أنه سيد الكائنات ، وأن الشمس والقمر وبقية النجوم والكواكب مسخرات لنفعه ، وشحذ قدرته وزيادة علمه :

❊ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (ابراهيم ٣٢ـ٣٣)

فليصعد الانسان اذن الى القمر هذا العام أو فى الأعوام القادمة ، وليتخذ من القمر محطة أرصاد جوية ، أو يستخرج منه من المعادن ماينفعه ، أو ليجعل منه منطلقا الى بقية الكواكب ، فقد سخره الله لخدمة الانسان بل ان كل ما فى السموات والأرض ، تحت تصرف الانسان والانتفاع به :

وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه (الجاثية ١٣)

واستعلاء الانسان على بقية الكائنات هو النتيجة الطبيعية لاحتماله المسئولية ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » (الأحزاب ٧٢)

قضيتان :

وكون الانسان قد خلق فى أحسن تقويم من شأنه أن يدحض قضيتين كلتاهما من نتاج التفكير المادى وانكار الألوهية .

أما القضية الأولى فهى ادعاء الدارونية أن الانسان هو ثمرة النشوء والارتقاء وأنه تطور من الحيوانية ومن القردة على وجه التحديد .

ولقد ناقشنا هذه القضية بالتفصيل فى كتابنا الطاقة الانسانية ، وقلنا ان ما جعل الانسان انسانا هو اختصاصه بالعقل ، ولقد استطاع علماء الحياة أن يتتبعوا تطور الحياة فى غير عناء مذ كانت خلية واحدة ، حتى أصبحت حيوانا راقيا ، ولكنهم وقفوا عاجزين عن ادراك كنه العقل ، وأنه يمكن أن يكون ثمرة التطور ، فاكتفوا بالقول أنه حدث فى هذا الأمر وثبة وحلقة مفقودة ، وهكذا ظل سر العقل وبالتالى الانسان مستعصيا ، وانتهينا من بحثنا المستفيض ، الى أن الانسان وقد زود بالعقل فقد ولد كاملا .

وفى كتابنا « انسانيات » تحدثنا عن الطفولة وكيف أنها تمثل الكمال الانسانى ، حيث يتساوى كل الأطفال فى القدرات والطاقات والاستعداد للتعلم والتفوق والنبوغ ، والعيش مع الآخرين فى محبة وتعاون وسلام ، وأن البيئة من ناحية ، واغفال التربية الحقة من ناحية أخرى ، هى التى تنحرف بالانسان ، وبعقليته وقدرته ومزاجه وميوله فتنحدر به الى مانعرف ونرى .

وفى ذلك يقول الصادق الأمين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه

قداسة النفس البشرية :

أما القضية الثانية التى يشيرها خلق الانسان فى أحسن تقويم ، فهو قداسة النفس البشرية ، كل نفس ، وحق الانسان ، كل انسان فى الحياة والحرية والكرامة ، والعمل على اشباع رغباته ، وتطوير ملكاته وقدراته ، شريطة أن لايعتدى على حق أى انسان آخر فى الاستمتاع بهذا الحق . ويبلغ القرآن الذروة بقوله :

« من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » (المائدة ٣٢)

وقياسا على ذلك ، فان من يهدر كرامة انسان بغير حق فقد أهدر كرامة الناس جميعا ، ومن قيد حرية انسان بغير حق ، فقد قيد حرية الناس جميعا ، وقد كان ذلك هو الأساس ، الذى جعل عمر بن الخطاب ينتصف لشاب قبطى ضعيف شكا اليه عسف ابن عمرو بن العاص حاكم مصر ، ثم قال قولته الشهيرة المدوية : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

ذلك تفسير **« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين »**

السفل نقيض العلو

*** فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها (هود٨٢)**

يقول عدد من المفسرين فى معنى هذه الآية ، أن المقصود بها هو انتكاس الانسان فى الشيخوخة عندما يرد الى أرذل العمر ، عندما تتحول قوته الى ضعف ، وعقله الى خرف ، ويفقد السمع والبصر وينحنى ظهره ، ويعود الى الطفولة الأولى .

وينقض هذا التفسير من اساسه الآية التالية التى تستثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

فان المؤمنين كغير المؤمنين ، يمتد بهم العمر ويردون الى ارذله ، وتتحول قوتهم الى ضعف ، ولا يمكن أن يكونوا هم الذين يوصفون بأنهم فى «أسفل سافلين » وانما الأصح أن يقال فى تفسير الآية : ان هذا الانسان الذى خلقه فى احسن تقويم ، قد يفسد طبعه ، وتسوء فطرته ، ويكفر ويجحد ، ويفسق ، ويسرق ويقتل ، ويطغى ويتجبر ، فهذا هو الانسان الذى يصبح فى أسفل سافلين ، ان لم يكن فى الدنيا ، ففى الآخرة عندما يلقى فى جهنم وبئس المصير ، ويصبح مستقره حسب نص تعبير القرآن ((**فى الدرك الأسفل من النار**))

الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون .

غير ممنون : أى غير مقطوع .

وهذا الاستثناء من مصير الانسان السىء ، أشبه بسياق سورة العصر ، حيث تقول :

*** والعصر ان الانسان لفى خسر * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .**

ولقد شرحنا الايمان والعمل الصالح فى تفسيرنا لهذه السورة ، فليرجع اليه من أراد التفصيل . والايمان بالله يصبح ايمانا بالحق والعدل والاحسان والرحمة ، وسرعان ماينعكس الايمان الى أعمال خيرة بناءة مبدعة .

فهؤلاء المؤمنون القائمون بصالح الأعمال ، هم الدليل على كون الانسان قد خلق فى أحسن تقويم وهؤلاء يحظون فى الدنيا بالعزة والكرامة ، وفى الآخرة هم من الناجين .

فما يكذبك بعد بالدين

الدين : البعث والحساب والجزاء

والمعنى ، فما الذى يكذبك أيها الانسان الذى خلقك الله فى أحسن تقويم ، وجعلك خليفته فى الأرض ، وسخر لك مافى السموات والأرض جميعا ، ما الذى يكذبك بوحدانية الله ، وقدرته ، وعدله **أليس الله بأحكم الحاكمين**

أى أليس الله الخالق ، هو الحق وهو العدل ، وهو الحاكم الذى لايجوز عليه أن يظلم أحدا مثقال ذرة ، والحق أن الايمان بالبعث والحساب والعقاب هو النتيجة الحتمية للايمان باله عادل حكيم ، فانه يقع فى الدنيا من الأحداث مايبدو فى الظاهر متناقضا مع العدل والحكمة والرحمة ، وليس يسوى الايمان بحياة بعد الموت ، تصحح فيها الأوضاع ، وتقام موازين العدل ، وينصف فيها للمظلومين ، ويعوض المحرومون ، مايثبت العقيدة والايمان برب العالمين .

بلى وأنا على ذلك من الشاهدين

روى الترمذى عن أبى هريرة أنه قال : من قرأ سورة والتين ، فقرأ ((أليس الله بأحكم الحاكمين)) فليقل ((بلى وأنا على ذلك من الشاهدين))

اللهم اننا جميعا من الشاهدين . والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

*** انا أنزلناه فى ليلة القدر .**

*** وما أدراك ما ليلة القدر .**

*** ليلة القدر خير من ألف شهر .**

*** تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر .**

*** سلام هى حتى مطلع الفجر .**

سورة مكية :

الذى فى المصاحف بين أيدينا أن السورة مكية ، ويقول جمهرة المفسرين أنها مكية ، والبعض يقول عنها ((مختلف عليها)) ولكن القرطبى يقول لنا :

وهى مدنية عند اكثر المفسرين ، ذكره الثعالبى وحكى الماوردى عكسه .

وأما نحن فلنا المكتوب فى المصحف ، ونحن نراها بأسلوب السور المكية أشبه ، ونكرر القول أن كل السور كتاب الله لافارق بين أن تكون مكية أو مدنية أو نزلت فى غير ذلك من الموقعين .

انا أنزلناه في ليلة القدر

القدر : أى العظم والشرف ، جاء فى القرآن الكريم ماقدروا الله حق قدره .

والضمير فى أنزلناه يعود الى القرآن الكريم :

ـ آلر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور (ابراهيم ١)

ـ وبالحق انزلناه وبالحق نزل (الاسراء ١٠٥)

ـ انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين (الدخان ٣)

وقد نقل عن ابن عباس قوله فى تفسير هذه الآية ، أن جبريل عليه السلام ، قد نزل بالقرآن جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ، الى بيت العزة ، وأملاه جبريل على السفرة ، ثم كان جبريل ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما (أى مجزأ)

ولكن الشعبى يقول : ان معنى انا أنزلناه فى ليلة القدر ، أى أننا ابتدأنا انزاله فى ليلة القدر .

ونحن نأخذ بهذا الرأى ، فان نزول القرآن لأول مرة على سيدنا محمد فى غار حراء بآيات « **اقرأ باسم ربك الذى خلق** » هو الحدث العظيم الحقيق بالتكريم والتخليد .

وما أدراك ما ليلة القدر

يتساءل القرآن بأسلوبه البلاغى ، سؤال العارف لتنبيه الأذهان الى خطورة ما يسأل عنه : وما أدراك ما ليلة القدر ، أى ما أعلمك بليلة القدر ، وعظم مكانتها .

يقول الفراء : كل مافى القرآن من قوله تعالى : وما أدراك فقد أدراه ، وما كان من قوله : وما يدريك ، فلم يدره

ليلة القدر خير من ألف شهر

أجاب الله عز وجل عن التساؤل عن عظمة ليلة القدر ، بأنها خير من ألف شهر ليس منها ليلة القدر .

وكان يجدر بالمفسرين أن يقفوا بأفضلية الليلة عند نص القرآن ، ولكنهم راحوا يشرقون ويغربون ، فمن قائل أن بعض بنى اسرائيل قد عبدوا الله الف شهر ، وان بعض المجاهدين فى سبيل الله ، قد جاهدوا جهادا متصلا لمدة ألف شهر ، وقال آخرون ان سليمان حكم خمسمائة شهر وأن ملك ذى القرنين استمر خمسمائة شهر ، فجاءت ليلة القدر بمجموع حكم الرجلين . وذهب البعض الى أن الألف شهر هى مقدار حكم بنى أمية ، وانهم حسبوا هذه المدة فوجدوها ألف شهر لاتنقص يوما ولا تزيد يوما ، واستندوا فى هذا التفسير الى حديث نسبوه الى رسول الله ، وقد وصف الترمذى هذا الحديث بانه غريب ، أما ابن كثير فقد وصفه بانه حديث منكر جدا ، فحكم بنى أمية قد دام ٩٢ سنة أى أكثر من ألف شهر ، وليس معقولا ولا مقبولا أن تفضل ليلة القدر لتفوقها على حكم فاسد وان دام ألف سنة لا ألف شهر

الألف شهر تعنى الأفضلية المطلقة

وأحسن ما طالعنا فى تفسير ألف شهر ، القول بأن معناها الأفضلية المطلقة على كل الدهر وقد جرى القرآن فى ذلك على اسلوب العرب الذين كانوا يذكرون الألف على أنه غاية الأشياء ، وقد جاء فى القرآن الكريم ما يعزز هذا النظر ، وذلك فى قوله : **ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة (البقرة ٩٦)**

وذلك كناية عن رغبة المشرك أن يحيا ابدا الدهر وغاية القول أن ليلة القدر ، ليلة عظيمة الشرف والاعتبار ، ففيها أنزل القرآن الكريم ، وقد بين فى غير موضع خطورتها وأهميتها وفضلها على باقى الزمان .

* حم والكتاب المبين * انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم

* أمرا من عندنا انا كنا مرسلين * رحمة من ربك انه هو السميع العليم * رب السماوات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين (الدخان - ١)

تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر والمعنى أنه فى هذه الليلة المباركة التى تعلو على الأيام تنزل الملائكة والروح الى الأرض بالخير والمسرة والسلام ، يؤمنون على دعاء الناس ، ويحفونهم بالرحمات والبركات .

الملائكة

والملائكة هم بعض خلق الله عز وجل ، الذين احتجبوا عن أنظار البشر ، وقد ذكروا فى القرآن ٦٨ مرة باعتبارهم القوة التى تنفذ ارادة الله عز وجل فى تصريف الكون ، والحياة والموت .

* ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم (الأنفال ٥٠)

* الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (٥، الحج)

* وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين - الزمر ٧٥

* وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة (المدثر ٣١)

* هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور (الاحزاب ٤٣)

ايمان بالغيب

والايمان بالملائكة هو جزء من الايمان بالله ،فمن يكفر بهم فقد مرق من الدين

* ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (النساء ١٣٦)

فلنؤمن بالملائكة كجزء من ايماننا بالله ، ثم لنقف عند هذا القدر ، فلا نحاول أن نتصور الملائكة فضلا عن ان نصفهم ، فالقرآن يندد بالذين يتقولون على الملائكة ، وهو يقرر ان كل ما يتصل بالملائكة هو من شئون الله التى يجب أن تترك لعلمه :

* وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم ويسألون (الزخرف ١٩)

* اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها (الأحزاب ٩)

* وما يعلم جنود ربك الا هو وماهى الا ذكرى للبشر (المدثر ٣١)

الروح

ذكرت كلمة الروح معطوفة على الملائكة فى هذه الآية وقد اختلف المفسرون فى معنى المقصود من الروح ، فقال البعض ان الروح هو جبريل عليه السلام واستدلوا بقوله تعالى :

* نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين (الشعراء ١٩٣)

وقيل بل ان الروح فى معنى هذه الآية (الرحمة) ينزل بها جبريل مع الملائكة هذه الليلة :

* ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده (أى بالرحمة) (النحل ٢)

وقال آخرون (الروح) صنف خاص من الملائكة وقال مقاتل انهم أشرف الملائكة وأقربهم الى الله عز وجل وقد جاء ذكر الروح فى القرآن أكثر من عشرين مرة باستعمالات مختلفة :

* وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا (الشورى ٥٢)

كما ذكرت كلمة الروح مضافة الى كلمة القدس

* وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس (البقرة ٨٧)

فدل ذلك على أن الروح كالملائكة من الغيب الذى يجب أن تؤمن به ايماننا بالله ، وأن لانحاول أن نخوض فى كنهه فهو من خصائص الالوهية

* (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (الشورى ١١)

❊ لاتدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير •

سلام هى حتى مطلع الفجر

أى خير هى وأمان من الأذى والسوء طول الليل حتى يطلع الفجر •

التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان

وليلة القدر هى أحدى ليالى رمضان بلا جدال أو شبهة لنص القرآن الكريم على أن نزول القرآن كان فى رمضان •

❊ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان (البقرة ١٨٥)

ولقد ذكرنا فى تفسير سورة العلق كيف فجأ الوحى سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام وهو يتحنث فى غار حراء ، وكيف فزع رسول الله صلوات الله عليه ، وما فتىء الوحى يدعوه للقراءة وهو يرد قائلا ما أنا بقارىء ، أى لا اعرف القراءة ، الى أن قال له الوحى :

❊ اقرأ باسم ربك الذى خلق •• الآيات

وكما أن ليلة القدر كانت فى رمضان بلاجدال أو شبهة فهى احدى الليالى ، ولم تكن نهارا لقول القرآن الكريم :

❊ انا انزلناه فى ليلة مباركة

فهى احدى ليالى رمضان ، ومع ذلك فقد ذهب البعض الى أنها قد تكون أى ليلة من ليالى السنة ، كما قال البعض أنها كانت قبل سيدنا محمد فى عهد من سبقه من الانبياء وقال آخرون انها رفعت بعد وفاة رسول الله • وكل هذه أقوال بغير دليل ولنا ما نص عليه القرآن من أنها احدى ليالى رمضان التى نزل فيها القرآن أول ما نزل •

وقد دار بحث طويل حول أى ليالى رمضان، فقال البعض ان كل ليالى الشهر موضعا لها ،وجعلها البعض فى أوائل الشهر ، وقد استوعب ابن كثير فى تفسيره كل هذه الأقاويل •

ولكن أثبت هذه الأقوال هو ماجاء فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر •

وفى الصحيحين أيضا عن عائشة عن رسول الله تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان • وقد اقتضت الحكمة الالهية ابهام موعد ليلة القدر لتعم العبادة جميع الشهر ابتغاء لها ويكون الاجتهاد فى العشر الأواخر اكثر وأكثر • وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ،واعتكف ازواجه من بعده •

الدعاء فى ليلة القدر

ولقد قيل بصدد ليلة القدر وعن شكل السماء فيها ، والطاقة التى تفتح فيها ، أقاويل وصفها الامام الشيخ محمد عبده بأنها لاتليق بعقول الأطفال فضلا عن الراشدين من الرجال •

ولنا الثابت عن رسول الله ، وهو مارواه الامام أحمد والترمذى والنسائى ، وابن ماجة ، من أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله أرأيت ان علمت أى ليلة هى ليلة القدر فماذا أقول فيها قال قولى فيها : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى • وفى الصحيحين عن أبى هريرة : من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له الله ما تقدم من ذنبه •

موسيقى روحية

وانى لأشهد أنى ماتلوت هذه السورة مذ كنت صبيا صغيرا أحفظ القرآن لأول مرة فى الكتاب ، حتى هذه الأيام التى أوفيت فيها على الستين ، الا وامتلات نفسى برنين روحى يبعثه جرس الكلمات واشعاعات الصورة التى تصفها السورة ، حتى اذا ما وصلت الى (سلام هى حتى مطلع الفجر) أحسست بذروة النشوة ، وكأنى اسبح فى بحر من الضياء والبهاء والسلام • انها موسيقى الروح فتعالوا نستمتع بها معا فنرتل السورة الكريمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

❊ أنا انزلناه فى ليلة القدر

❊ وما ادراك ماليلة القدر

❊ ليلة القدر خير من ألف شهر

❊ تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر

❊ سلام هى حتى مطلع الفجر

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

رويدكم ايها الأدعياء
التى تحاول تحطيم شم
الجبال الراسيات فلا تعود
إلا بهشيم تذروها الواهيات

علم السادة الذين تتبعوا سلسلة المقالات التى نشرت فى هذه المجلة ،من أول شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٨ - الى الآن - وعددها ثمانى مقالات متتابعات ، جوابا لسؤال عن صحة دعوى نسخ آية « وأن ليس للانسان الا ما سعى » ٠

وأثبتنا فيها بالدليل القاطع من الكتاب ، والسنة الصحيحة عدم صحة هذه الدعوى ، بعد ما أبطلنا كل ما استدل به القائل بانتفاع الانسان فى الآخرة بعمل غيره ٠

والآن نقول ٠٠ بقى أن يقال : انه ورد فى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، ما هو صريح فى انتفاع المؤمن بدعاء أخيه المؤمن ، وبدعاء الملائكة له ٠٠ وبدعاء الأنبياء أيضا ، وكذا جاء فى السنة الصحيحة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أجاز أن يحج المؤمن عن أخيه المؤمن ، والدعاء والحج ليسا من عمل المدعو له ، ولا المحجوج عنه ، فماذا تقولون فى ذلك اذا قلتم بعموم « وان ليس للانسان الا ما سعى » ؟

ولبيان ذلك على وجه يدفع الشك ، ويطمئن القلب فى هذا الموضوع الذى أشكل على الكثير ، رأينا أن نستعرض ما قاله رجال عرفوا بدقة البحث ، والتحرى عن الصواب ، من القدامى والمحدثين ٠٠ فنقول ٠٠

قال المرحوم صاحب تفسير المنار - غفر الله له - فى جزء ٨ عند تفسيره لقوله تعالى :

« ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى » آية ١٦٤ من سورة الأنعام

بعد ما ذكر ما قيل من خلافات فى هذا الموضوع قال وقد أصاب الامام أحمد فى حصره حجية الاجماع الشرعى باجماع الصحابة - رضى الله عنهم - فما روى فى الآثار من شذوذ أفراد فهو لا يعتد به ، لأن عمل الجماعة هو السنة ، لقوله - صلى الله عليه وسلم - :

« عليكم بالجماعة ، فانما يأكل الذئب من الغنم الشاة القاصية » ، أى المنفردة .

فعمل الجماعة أقوى فى معرفة الحق من مجرد الأقوال ، لأن الأقوال تحتمل الخطأ والتأويل ، فليحذر كل عاقل من الاغترار بما يطلع عليه من الآراء التى حمل عليها بعض المصنفين فى التفسير ، والفقه ، قوله تعالى :

« وأن ليس للانسان الا ما سعى » ..

فحرفوا الكلم عن مواضعه ، تارة بالتأويلات السخيفة ، وأخرى بدعوى النسخ الباطلة، وتارة بدعوى أن هذه الآية التى نحن بصدد شرحها .. « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . وآية « وأن ليس للانسان الا ما سعى » وهى آيه ٣٩ من سورة النجم من شريعة ابراهيم وموسى - عليهما السلام - لا من شريعتنا ، وتارة بتخصيصهما بالكفار دون المسلمين وقد غفل هؤلاء عن كون مضمون الآيتين من قواعد الدين ، وأصول الاسلام الثابتة على لسان جميع الرسل ، فضلا عن أن هذا المضمون مؤيدا بآيات كثيرة ، جاءت بلفظها ومعناها ، وهى كل الآيات الناطقة بأن كل الناس لا يجزون فى الآخرة الا بما كانوا يعملون .

فمما جاء مثل آية الأنعام المتقدمة : آية ١٨ من سورة فاطر « ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى الى أن قال : « ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه » ، ومما جاء نظير آية النجم قوله تعالى « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » آية ٤٦ من سورة فصلت ، ومما جاء مطابقا لآية النجم، قوله تعالى : « فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون » آية ٥٤ من سورة يس .

فانظر كيف تراه سبحانه جاء فى كل من الآيتين بأداة الحصر ، وهى « الا » التى اختارها الله سبحانه للدلالة على توحيده فى كلمة التوحيد المشهورة ، وهى « لا اله الا الله » وهذه الجملة هى أساس أركان الدين كله .

أما هؤلاء المقلدون من المتأخرين ، فسبب غفلتهم وتأويلهم المتكلف : أنهم يحاولون تصحيح كل ما فشا من البدع بين أقوامهم ، مع أنهم ليسوا من أهل النظر فى الدليل .

ولو كان هؤلاء المقلدون بلا بصيرة ، هم وحدهم الذين جوزوا للناس اهداء عبادتهم للموتى لكان الأمر سهل الازالة ، ولكن تابعهم على ذلك بعض علماء الأثر ، لأنهم ظنوا أن الآيات التى تفيد جواز الدعاء للموتى ، وأن الأحاديث التى تفيد ذلك ، وتفيد الاذن للاولاد بأن يقضوا عن والديهم ما فاتهم من صيام او حج .

تدل على انتفاع الموتى بعبادة الأحياء مطلقا ، غافلين عن حصر ما ورد من ذلك فى الأحاديث الصحيحة فى الأولاد فقط الذين خص الرسول - صلى الله عليه وسلم - المؤمنين منهم فى الوقائع التى سئل عنها ، لأن الولد الصالح من كسب ابيه كما تقدم فى الحديث فى مقال رمضان الماضى ، رقم ٢٢ ، ولو كان الاذن عاما لأولاد الميت وغيرهم لكثر عمل الصحابة به ولرؤى مستفيضا ان لم يكن متوترا ، لتوافر الدواعى على نقل مثله ، لأن من دأب البشر الاهتمام بكل ما يتعلق بأموروموتاهم ، ولأن من دأب كبار الصحابة أنهم ما كانوا يقصرون فى نوع من أنواع البر المشروعة ، وقد نقل عنهم فيه الكثير من الصدقات التى صرح القرآن بفضل اخفائها تكريما للفقراء ، سترا عليهم ، ولما قد يصاحبها من المن والأذى والرياء المبطل لها .. ومع كل هذا فانه تواتر عنهم فى باب الصدقات ما لا يدخل تحت حصر ، فلو كان عمل الخير من غير الولد ينفع الميت لتواتر قطعا ، وهذا ما لم يحصل فى عهدهم ، ومن يدعى أنه حصل من صحابى من طريق صحيح فليدلنا عليه .

وأما ما يروونه من حديث شبرمة (بضم الشين والراء وكسر الباء بينهما ، عن أبى داود، وابن ماجة من انه يفيد انتفاع الميت بعمل غير ابنه فمردود .

ولفظ الحديث : « عن ابن عباس ٠٠ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع رجلا يقول : « لبيك عن شبرمة ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن شبرمة قال : الرجل هو أخ لى ٠٠ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هل حججت عن نفسك؟ قال لا ٠٠ قال ٠٠ حج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة ٠

هذا الحديث الذى يستدلون به ، قال عنه الحافظ بن حجر فى شرحه على البخارى « رجح الامام أحمد بن حنبل أن هذا الحديث موقوف ، وأن رفعه خطأ ، وقال ابن المنذر : لا يثبت رفعه للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالوا : ان فى سنده قتادة بن عزرة ، ولم ينسب عزرة هذا الى والد ولا بلد ٠

وقال النسائى : ان عزرة الذى روى عنه قتادة ليس بالقوى ، فكيف يؤخذ بحديث فيه هذا الشك ، وخصوصا وهو فى مسألة مخالفة لنصوص القرآن الكثيرة كما تقدم فى الأعداد الماضية ٠٠

وأيضا قال علماء الحديث : ان الراوى للحديث اذا عدله أناس ، وجرحه آخرون فان الجرح مقدم على التعديل لخطورة الخطأ فى نقل شريعة الله ٠

وقد تبين ان كل الأحاديث التى يروونها فى مقام الاستدلال على انتفاع أموات المسلمين بأعمال الأحياء من غير الأولاد لا تفيدهم ، لأنها :

أولا ـ وردت فى أعمال خاصة ، للمال فيها نصيب ، وهذا المال يصرف للفقراء ، والشارع يهتم بما فيه مصلحة الفقير ٠٠ كما تقدم توضيحه فى مقال رمضان أيضا ٠

ثانيا ـ لأنها رخص من الشارع للاولاد الصالحين وحدهم ، يرجون بها خيرا لوالديهم ٠

وشرط صلاح الولد جاء صريحا فى الحديث فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو ولد صالح يدعو له بخير » ، كما تقدم ، وفى القرآن فى قوله تعالى : « انما يتقبل الله من المتقين »

فهذا جواب ما جاء فى السنة الصحيحة عن الحج ، مما فيه جانب مالى مقصود للشارع تحقيقا لدعوة ابراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد ما أتم بناء البيت الحرام ، حيث قال : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » آية ٣٧ من سورة البقرة ٠

فماذا نقول فيما جاء فى السنة متواترا من دعاء المؤمن للمؤمن فى صلاة الجنازة وغيرها ، وفيما جاء فى القرآن فى آيات كثيرة من دعاء المؤمن لأخيه المؤمن ، ومن دعاء الملائكة للمؤمنين ، ودعاء المؤمن لأخيه ، ودعاء الملائكة ينفع المدعو له مع أنه ليس من عمله ، فكيف نوفق بين هذا ، وبين بقاء « وأن ليس للانسان الا ما سعى » على ظاهرها ٠٠؟

نقول : ان المتأمل لما جاء فى القرآن من جواز الدعاء للغير يدرك مفتاح الجواب عن هذا السؤال، وقد تولى العلماء المحققون شرحه بتوسع ، كما ستعلمه فيما بعد ٠

وللوقوف على ذلك لا بد من عرض بعض ما جاء فى القرآن فى صعيد واحد لنصل الى المراد ، فمنه قوله تعالى من دعاء خليله ابراهيم ـ عليه السلام ـ : « ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » آية ٤١ من سورة ابراهيم ، وقوله سبحانه فى دعاء نوح ـ عليه السلام ـ : « رب اغفر لى ولوالدى ، ولمن دخل بيتى مؤمنا ، وللمؤمنين والمؤمنات » آية ٢٨ سورة نوح ٠٠ وقوله جل شأنه فى صفات المؤمنين الذين دخلوا فى الاسلام ، بعد دخول الأنصار فيه : **« والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم » ،**

آية ١٠ من سورة الحشر ، وقوله سبحانه فى دعاء الملائكة للمؤمنين :

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم » ، آيات ٧ و٨ و٩ من سورة غافر .

والمتأمل لما جاء فى القرآن من الدعاء يدرك ما يأتى :

ان ابراهيم ـ عليه السلام ـ دعا فى آية ٤١ لطائفتين من الناس : والديه والمؤمنين ، وأن نوحا ـ عليه السلام ـ دعا لثلاث طوائف : والديه ، ومن دخل بيته بشرط أن يكون مؤمنا ، وللمؤمنين والمؤمنات وأن من آمنوا بعد ايمان الأنصار دعوا لاخوانهم الذين آمنوا قبلهم ، ويدخل فى هؤلاء المهاجرون والأنصار وغير المهاجرين الذين لم يستطيعوا الهجرة المشار الى بعضهم فى قوله تعالى **« ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم الخ آية ٢٥ من سورة الفتح .**

ودعاء الملائكة للمؤمنين المبين فيه من هو المدعو لهم من المؤمنين بقولهم :

الذين تابوا واتبعوا السبيل الذى شرعه الله لهم ، أى فلم يصروا على منكر ولم يقصروا فى واجب ثم دعوا لأبناء هؤلاء وأزواجهم وذرياتهم بشرط أن يكونوا صالحين .. وبعد كل ما تقدم يجب أن نفكر فى ما يأتى :

أولا ـ أن العلماء قالوا : ان معنى الدعاء للتائب مراد به الدعاء بأن يتقبل الله توبته .

وثانيا ـ ان هؤلاء الذين جاء دعاؤهم لغيرهم فى القرآن كانوا حريصين على أن يبرزوا ما يبرر قبول دعائهم فذكروا من صفات المدعو له أن يكون مؤمنا . وزادت الملائكة فى دعائها أن يكون المدعو لهم ضموا الى الايمان العمل الصالح .. وهذا يشعر بأن الايمان وحده بدون عمل صالح لا يستحق صاحبه أن يدعو له غيره . وحتى لو دعا له غيره فدعاؤه مشكوك فى قبوله ، ولو كان الداعى من كبار الصالحين . بل ولو كان من الأنبياء والمرسلين فقد دعا خليل الرحمن ابراهيم ـ عليه السلام ـ لأبيه ولم يقبل منه فى قوله : « واغفر لأبى انه كان من الضالين » آية ٨٦ من سورة الشعراء . وكان دعاؤه هذا تحقيقا لوعد وعد به أباه فى قوله تعالى **« سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا » ..** انظر الآيات من ٤١ الى ٤٨ من سورة مريم .. ودعا نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكثير وعلى كثير ، فلما كان شرط القبول مفقودا لم يتحقق ما أراد . اقرأ ذلك فى قوله تعالى « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » . اية ١٢٨ من سورة آل عمران .. ولذا كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لبعض أصحابه ما معناه (أعنا على أن يقبل الله دعاءنا لك .

روى مسلم فى صحيحه : عن ربيعة بن كعب الأسلمى ، قال :

(كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فآتيه بوضوئه ، وحاجاته ، فقال لى : سل فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم : أو غير ذلك ؟ قلت هو ذاك فقال : فأعنى على نفسك بكثرة السجود » والمراد بالسجود هنا كثرة الصلاة

ومما يدل على أن الملائكة كانوا يعلمون ما لا يعلم كثير من البشر أهمية وصف الصلاح فى المدعو لهم انك اذا تتبعت آيات القرآن لا تجد فيها ذكر الايمان المنجى من العذاب الا مقرونا بالعمل الصالح ، ولما فهم ذلك البخارى ايضا قال فى كتاب الايمان « باب الايمان قول وعمل » وتبعه على ذلك كثير من العلماء المحققين ، وبعد أن نفهم كل ما تقدم نستطيع ان ندرك أن منشأ نفع الدعاء للغير انما كان لمعنى موجود فى المدعو له .

وموعدنا بذلك العدد القادم ان شاء الله ، وهو سبحانه ولى التوفيق .

للبحث بقية

قاض عظيم

الدكتور أحمد الحوفي

هيا بنا نطوى القرون ، لننتقل الى مسجد الكوفة فنرى قاضيها شريك بن عبد الله، العالم الفقيه الذكى الأبى ، الذى تسامع الناس بعدله ، واطمأنوا الى نزاهته • ها هو ذا فى مجلس الحكم وقد فرغ من آخر قضية ، واذا بامرأة تقدم عليه ، فتقول له : أستجير بالله وبك يانصير المظلومين •

قال لها شريك : من ظلمك ؟ قالت : الأمير موسى ابن عيسى عم أمير المؤمنين المهدى •

قال القاضى : وكيف ؟ فقالت : كان لى بستان فيه نخل على شاطىء الفرات ، ورثته عن أبى ؛ وتقاسمته أنا واخوتى ، وبنيت بينى وبينهم حائطا ، وأقمت فى بستان رجلا خبيرا يحفظ النخل ؛ ويغرس فى البستان ، وقضيت أعواما أقبض غلة بستانى ، وأنفق منها على نفسى وأولادى ، وأصلح من شأنه حتى صار أحسن من بساتين اخوتى وأعظم غلة ؛ ثم اشترى الأمير موسى بن عيسى بساتين اخوتى ، ورغب أن يشترى بستانى ورغبنى ، وساومنى ، فأبيت أن أبيعه فهددنى وتوعدنى ؛ فلم أخش تهديده فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل؛ فهدموا الحائط وسووا مابين بستانى وجاره ، فأصبحت لا أعرف نهاية بستانى ، واختلط نخلى بنخله؛ وزرعى بزرعه •

فكتب القاضى الى الأمير هذا الكتاب : أما بعد - أبقى الله الأمير وحفظه وأتم نعمته عليه - فقد جاءتنى امرأة فذكرت أنها فلانة بنت فلان ، وأن الأمير اغتصب بستانها أمس • فليحضر الأمير مجلس الحكم الساعة ، أو يوكل وكيلا • والسلام •

ودفع الكتاب الى حرسى ؛ وقال له : اذهب بكتابى هذا الى الأمير موسى بن عيسى •

فحمل الحرسى الكتاب ، وسار الى قصر الأمير وسلمه اياه ، فلما قرأه الأمير أربد وجهه ، وقال له : اذهب أولا فادع لى رئيس الشرطة • فذهب الحرسى واستدعاه • فقال له الأمير : الآن تمضى الى شريك القاضى ؛ وتقول له بلسانى : ياسبحان الله ! مارأيت أعجب من أمرك • كيف تنصف على الأمير امرأة حمقاء لم تصح دعواها ؟

فقال رئيس الشرطة : وهل حكم القاضى فأنصفها ؟

قال الأمير : حسبها من الانصاف أن أقف معها فى مجلس القضاء .

قال رئيس الشرطة : لو تفضل الأمير فأعفانى من تبليغ هذه الرسالة للقاضى . فانه رجل - كما تعلم صارم .

فقال الأمير غاضبا : امض ، ويلك ، لاتتردد .

خرج رئيس الشرطة حيران فى أمره ، ثم قال فى نفسه : وماذا على ان أنا بلغت رسالة الأمير للقاضى ؟ ثم عاد فقال : لكن القاضى سيتهمنى بممالأة الأمير ؛ وبالتطفل على أمر لا علم لى به من قبل . ولم يكلفنى القاضى أن أكون وسيطا فيه . وأنى لى أن أعصى الأمير وهو تياه بالامارة صوال بعمومته لأمير المؤمنين؟ الرأى أن أصدع بما أمرنى الأمير ، وأن أعد نفسى لحكم القاضى على بالحبس .

ثم أمر غلمانه أن يحملوا الى الحبس بساطا وفرشا وغطاء وطعاما وشرابا . ومضى الى شريك ، فبلغه رسالة الأمير فى كياسة وتلطف . فقال له شريك : لقد أرسلت الى الأمير حرسيا ولم أرسلك ، وطلبت منه أن يحضر ؛ فبعثك تحمل رسالته التى لاتغنى عنه شيئا فى مجلس الخصومة . فما أنت وذاك ؟

ونادى بحرسي وقال له : خذ بيد هذا ، وضعه فى الحبس . فقال رئيس الشرطة فى وداعة : والله لقد ظننت أنك تحبسنى ، فقدمت الى الحبس ما أحتاج اليه .

وسرعان ماترامى الخبر الى الأمير موسى ؛ فهاج ، ووجه حاجبه الى القاضى ليقول له على لسان الامير : رسول أدى رسالة كلفه الأمير موسى أن يؤديها ، فأى تثريب عليه حتى تحبسه ، وأنت تعلم أنه رئيس شرطة الكوفة ؟

كان الأمير ينتظر أن يتراجع شريك فى حكمه ، فيأمر باخراج رئيس الشرطة من الحبس ؛ لكنه فعل نقيض ماكان الأمير ينتظر ، فان الحاجب لم يكد يبلغه هذه الرسالة حتى أمر بحبسه مع سابقه .

وما لبث الأمير أن عرف الخبر ، فازداد هياجا ، وأخذته العزة بالامارة ، والصلف بحسبه ونسبه وقرابته من الخليفة المهدى . فبعث الى جماعة من وجوه الكوفة وسراتها من أصدقاء شريك ، وشكا لهم مافعل ، وقال لهم : اذهبوا جميعا فأبلغوه سلامى ، وعتبوا عليه ؛ أنه استخف بى وبرسولى ، وهو يعلم أنى لست من العامة ، ولا كالعامة .

فذهبوا كلهم الى القاضى ، وبلغوه ماقال الأمير ، وزاد كل منهم شيئا من عنده يستميل به القاضى ؛ ويترضاه . فلما أتموا حديثهم قال شريك لهم : مالكم جئتم تكلموننى فى أمر لا أقدر فيه على غير الحق ؟ ولماذا استعصى على الأمير أن يحضر الى مجلس الحكم ، لأرى ما لهذه المرأة الضعيفة أو عليهامن حق ؟ وهل نصب القضاء للفصل بين العامة فحسب ؟ انه لافرق فى العدل بين العامة والأمراء . ثم قال للحرس امضوا بهؤلاء جميعا الى الحبس ، انهم فتنة .

فدهش الوسطاء وقالوا : أجاد أنت ياشريك ؟

قال : أجل ، حتى لا تعودوا لمساعدة ظالم .

ومضى الحرس بهم الى الحبس مع سابقيهم .

وكانت جموع من أهل الكوفة قد وفدت الى المسجد لترى ماذا يصنع القاضى بهؤلاء الوسطاء ؛ فلما سمعوه يرد وساطتهم ويزجرهم ، ثم يحبسهم ، صاح بعضهم فى صوت جهير : الله أكبر . وانسل بعضهم من مجلس الحكم حذارا من أن تسول للقاضى نفسه أن يحكم على من يظنه من الحاضرين نصيرا للأمير .

وماغربت شمس ذلك اليوم حتى كان حكم القاضى على رئيس الشرطة وحاجب الأمير قد وصل الى كل بيت ، وبلغ كل أذن ؛ فشغلت المدينة كلها بهذا النبأ وباتت الجموع تتجادل فيه ، فيعنف جدالها تارة ، ويهدأ تارة ؛ ويعجب أكثر الناس بالقاضى العادل ويؤيده فيما فعل ، ويسخط عليه بعضهم ، ويتهمه بالشدة ومجاوزة الحد .

وبينما كان الناس فى جدالهم العنيف الهادىء فى تلك الليلة كان الأمير موسى بن عيسى قد ركب فى غلمانه وفرسانه الى باب السجن ، واعتدى على

حراسه ، وفتح بابه عنوة ؛ وأخرج رئيس الشرطة والحاجب والكبراء ٠

فلما كان الغد وتعالم الناس الخبر الجديد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، وانقلب خصوم القاضى أمس الى أنصار له ، وجهر بعض أنصار الأمير أمس باستنكارهم لغلظته وغطرسته ، وشغلت المدينة كلها بالتكهن بما ينتهى اليه أمر هذا الصراع ٠

ثم اتجه كثير من ذوى الفراغ وراغبى الاستطلاع الى مسجد الكوفة ليشهدوا مجلس القضاء ، وماذا يصنع شريك فى حادث أمس ٠ وفيما هم يتحدثون فى الأمر أقبل القاضى مهيب الطلعة ، مرفوع الرأس وئيد الخطا ٠ فلما جلس فى مجلسه دعا حاجبه ، وأمره أن يحضر له قمطر كتبه ، فختمه وأرسله الى منزله ؛ وقال لغلامه : هات متاعى كله ، والحقنى ببغداد ٠ والله ماطلبنا من بنى العباس ولاية القضاء وانما هم الذين أكرهونا عليها ٠ ولقد واعدونا على أن نكون أعزة أحرارا عادلين اذ تقلدنا القضاء ، أما الآن فلا سبيل الى البقاء فى مجلس الحكم وأداء الأمانة ٠

وخرج متجها الى قنطرة الكوفة ٠ يؤم بغداد ، ومن حوله جموع الناس ٠

ولم يكد يغادر باب المسجد حتى كان عيون الأمير قد اسرعوا اليه بالخبر ،فارتاع وذعر ،وأسرع فركب فى فرسانه وغلمانه ولحق بالقاضى ، **وجعل يناشده الله ويقول له :**

أيها القاضى ـ أصلحك الله ـ تثبت وأصبر قليلا أتحبس اخوانى بعد أن حبست رسولى ؟

قال شريك : نعم ، لأنهم مشوا لك فى أمر ما كان لهم أن يمشوا فيه ٠

قال الامير : لاتثريب عليهم؛ لأنى أنا الذى أوفدهم اليك ٠

فقال شريك : قبولهم هذه الوفادة تعطيل للقضاء وعدوان على العدل ، وعون على الاستهانة بحقوق الضعفاء ٠

قال الأمير : لقد عاملتهم كما تعامل الدهماء ٠

فغضب شريك وقال : دهماء ، دهماء ٠ اننى آنف أن أسمع هذه الكلمة ٠ أيها الأمير : الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، وأفضلهم أتقاهم وأكرمهم اخلاقا الناس فى مجلس الحكم سواسية كأسنان المشط ؛ لافرق عندى بين أمير كبير وامرأة ضعيفة متظلمة ٠

فوجم الأمير وقال : وماذا تريد ياشيخ القضاة ؟

قال شريك : أريد أن ألقى أمير المؤمنين المهدى ، فأستعفيه من قضاء الكوفة ، بل من القضاء كله ٠

فخشى الأمير عاقبة الأمر ، وقال للقاضى فى تلطف **واسترضاء ، أليس عندك حل آخر ؛ وقد عهدناك** حلالا للمشكلات ؟

فقال شريك : يرد الى السجن من أمرت بسجنهم

فسرى عن الأمير ، وقال ، سأردهم جميعا كما أخرجتهم ٠

فقال شريك : والله لا ابرح مكانى هذا حتى تردهم

وعندئذ أسرع الأمير فى موكبه، فردهم الى السجن فى كبرياء مجروحة ٠

وجاء السجان فأخبر شريكا بردهم؛ ولحق به **الأمير فقال لشريك : قد رددتهم فعد الى مجلسك ٠**

قال شريك : أما الآن فنعم ٠ ثم أمر السجان أن يأخذ بلجام دابة الأمير الى مجلس الحكم ، وجلس شريك فى مجلس قضائه ، واستدعى المرأة المتظلمة **وقال لها :** هذا خصمك قد حضر ٠ فقال موسى : أما اذ حضرت فأرجو ان تأمر باخراج المسجونين ٠ فقال شريك : لك الآن ذاك ، وأمر باخراجهم ٠

ثم سأل الأمير عما تدعيه المرأة فأجاب : صدقت ٠ **فقال له :** اذا ترد ما أخذت منها ؛ وتبنى حائطها سريعا كما كان ٠

قال الأمير : سمعا وطاعة ٠

فقال القاضى للمرأة : هل بقى لك شىء ؟ قالت : لا ٠ وبارك الله عليك ، وجزاك خيرا ٠

(أ)

١ ـ ترددت هذه الكلمه الكريمة فى القرآن نحوا من أربع وخمسين مرة ٠٠ وقد اشتهر بين العلماء ـ قديما ـ أن سبيل الله خصوص الجهاد للكفار ، لاعلاء كلمة الله تعالى ، ولئن كان ذلك التفسير وجيها لأن الجهاد ـ حقا ـ هو قمة الأعمال المجيـــده ٠٠ وهو غاية ماتزكو به النفس فى حياتها ، وبعدمماتها فان هذا التفسير يضيق عن معان كثيرة ٠٠ وهى فى ذاتها من مقاصد البر التى يدعو اليها الاسلام حثيثا ٠٠ ويعتبرها أهدافا أولية فى منهجـــه ٠٠ ويبدو لى أن وقوف أسلافنا عند هذا التفســـير المحدود كان سببه فى نظـرهم كثرة تعرض الكفار للاسلام ٠٠ وكثرة محاولتهم أن يصدوا النـــاس عنه ، حتى تتعثر نهضته ، ولا تتسع رقعته، ويمتد ظلام كفرهم هنا وهناك ٠

سبيل الله

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

ولهذه المقاومة انقدح فى ظن الاسلاف أن كلمـة سبيل الله لا تتجاوز الجهاد للكفار ٠٠ فالانفاق فى سبيل الله ، ودفع الزكاة فى سبيل الله ، والسعى الى سبيل الله ٠٠ كل ذلك عندهم محصور فى جهاد للكفـــار ٠

ومع سلامة هذا الاتجاه الى حد ما فهو تحجير لمفهوم واسع ، وابعاد لمعان كثيرة ، لا تبعد عن سبيل الله الذى هو الجهاد المباشر لجيوش الكفار ٠

وسنرى فى سياق الآيات ما يشهد لذلك التعميم والسياق له حكمه المطاع ٠

٢ ـ نقرأ ـ مثلا ـ قوله تعالى « ومن يهاجر فى سبيل الله ، يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » آية ١٠٠ من النساء ٠٠ يعنى يجد فى الدنيافجاجا واسعة لهجرته بدينه ، فهذه آية تفسح للمســلم باب الهجرة بدينه من بلد يضيق به ، الى بلد يتسع

له .. وقد سماها القرآن هجرة فى سبيل الله ، وان لم تكن هجرة فى حرب مع الكفار .

واذا قرأنا فى نفس الآية قوله تعالى ..

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

وجدنا أن فيها تهديدا مزعجا للذين يبخلون بالمال عن وجوه البر : من جهاد وزكاة ومواساة لذوى الأرحام ، واسهام فى أعمال تفيد المجتمع ..

وليس هذا تهديدا خاصا بالبخلاء عن البذل فى جهاد الكفار بقتالهم لاعلاء كلمة الله ، بل هو تهديد لهم ، ولكل بخيل عن مجال الاحسان .. هؤلاء البخلاء سماهم الله مكتنزين للمال ، والاكتناز هو حبسه وتجميده تحت اليد عن البذل منه فى وجوه البر عامة .. وهذا الاتجاه الذى نتوخاه تكشفه لنا آية أخرى ..

« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم .. بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ١٨٠ آل عمران .

فذلك تهديد يعزز ما فى الآية السالفة ، ويحثنا على الاتجاه نحو ما تضمنته من طلب السخاء فى الخير كله ..

ثم نجد آية تصارحنا الأمر بما كان مضمونا لآيات التهديد .. وهى قوله تعالى : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

فالانفاق فى سبيل الله - عامة - نجاة من الهلاك - حسا أو معنى - دنيا وآخرة .

وعدم الانفاق وقوع فى الهلاك ، والقاء بالنفس فى حضيضة كما تصرح الآية .. ومن تعثر فى بخله ، وضن بماله عن البذل كان ظالما لأهله .. وظالما لنفسه بما منع من حقوق عليه ، وسيعذبه الله على شحه بعد حرمانه من ثمرات ماله .. ولذلك كان هالكا وخاسرا ..

وأما الباذل فهو الذى يبشره الله بقوله « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » .

٣ - هذه الأمثلة ونحوها تؤكد لنا أن سبيل الله ليست خصوص القتال ، بل هى تجمع سبل الخير والجود بالمال فى مجال الاحسان كله .

ولا شك أن البذل يعودنا على الجود بالمال ، ثم تتأصل فينا غريزة الجود ، حتى يكون جودا بالنفس فى سبيل الله .. فكأن وجوه الانفاق كانت تدريبا عمليا على التضحية حتى تكون التضحية بالنفس هينة على من يستجيب لدعوة الله ، وهذا هو الجهاد المنشود فى سبيل الله والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

ب - ذكر المال قبل النفس

٤ - عودنا القرآن كثيرا - ان يذكر المال قبل ذكر النفس فى باب الجهاد ، وغير الجهاد ..

ومن ذلك قوله تعالى: « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله الخ » الآية ٧٢ الأنفال .

ومنه قوله تعالى « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم أنفسهم أعظم درجة عند الله» آية ٢٠ التوبة ..

وهكذا آيات كثيرة يذكر فيها المال قبل النفس ، **وكذلك أحاديث كثيرة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - نحو ما ذكره البخارى « جاهدوا المشركين بأموالكم ، وأنفسكم ، وألسنتكم » .. وكذلك أمثلة كثيرة فى غير باب الجهاد نحو - المال والبنون الخ** فهل يستفاد من تقديم المال أنه فى باب الجهاد أرجح من النفس .. وأن بذله أفضل من بذلها ؟

الذى نعلمه وتشهد به الفطرة أن النفس لا يساويها شىء .. وأن المرء مجبول على التضحية بماله فى سبيل نفسه .. فلماذا تذكر بعد المال .؟ وكان الأولى أن تكون أسبق منه فى مقام التضحية بما هو أزكى عن الانسان فى سبيل الله » .

والذى أفهمه وأرجو صوابه : أن تقديم المال فى سياق الحث على التضحية .. ليس لأنه أرجح من النفس .. بل لاعتبارات أدبية يراعيها القرآن .

منها : أن بذل المال أهون على المرء من بذل النفس .. والله تعالى يطالب عباده بالأيسر عليهم، قبل أن يطالبهم بما هو أشق .

ومنها ـ أن الجهاد بالنفس غير ميسور لكل انسان ، فقد يحول دونه مرض .. أو هزال جسمى ، أو جبن طبيعى ، أو اشتغال برعاية الأبوين الكبيرين المحتاجين لكفالة الابن ، أو ما يشبه ذلك .

وازاء هذه الأعذار ونحوها يكون بذل المال وسيلة ممكنة ، وقربة مستطاعة لمن لحقه عذر من هاتيك الأعذار ونحوها ، فيدرك بماله ثواب الجهاد ما استطاع .

كما أن باب الجهاد بالنفس قد لا يتاح للنساء ، فيكون جهادهن بالمال أمرا ميسورا عليهن .

ومنها أن الجهاد يحتاج الى مال غير محدود .. وقد يكتفى من الرجال بالعدد الكفيل بمغالبة العدو فيكون الادلاء بالمال مجالا مفتوحا على مصراعيه ليظل الجيش فى رغد ، ولا تتحكم فيه الحاجة المالية ، فتؤثر على موقفه ، أو تمكن منه العدو تحت تأثير ضرورته وحاجاته المتجددة .. .

ومنها أن اصحاب المال يكونون قوة مرابطة وراء الجيش تمده بالمال وتقوى روحه المعنوية ، كما تقويها القوات المرابطة وراءه بعددها وعتادها .

فالمال .. والعتاد .. والجنود : هى مقومات الجيش ، وهى فى مجموعها كيانه . ولعل المال بذاته يكون العصب الرئيسى، أو يكون حجرالزاوية فى بناء الجيش وكفاية المجاهدين ،ومنوراءهم من الأسر ..

وعندما يتوافر المال حول الجيش لا يستهين به العدو .. ولا يعلق أمله فينا على نفاد المال من خزينة الجيش الاسلامى .

٥ ـ هذه الاعتبارات، ومايتصل بها منمقتضيات الجهاد فى حاجاته : هى الحكمة فى ذكر المال قبل النفس حتى يكون الاستعداد على اتمه .. كما يقرر القرآن فى قوله تعالى ..

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم .. »

وخلاصة ما وصلنا اليه أن المال فى درجته ، بعد النفس .. وهو فى باب الجهاد مذكور قبلها للتيسير على الناس أن يتسابقوا الى الجهاد به فى كل ناحية تقتضيه فى بناء الأمة ..

« وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » آية ٦٠ الأنفال .

واذا كان القرآن يجاهرنا باعداد القوة ، فالقوة لاتقف عند ماذكرنا من مال ، وعتاد وجنود . لأن القوة الأدبية فى مقدمة ما ينشده القرآن .

ومن مفهوم القوة الأدبية التى يتحتم علينا اعدادها هو تربية الخلق على النزاهة وتكوين الأنفس على الاقتناع بالجهاد ، والاقبال على خوض معاركه عند اقتضاء الحال .. اذ المفهوم أن من لم يقتنع بالشىء لا يرغب فيه . فضلا عن كونه يضحى فى سبيله بنفسه أو بماله أو بالأمرين ان استطاع .

٦ ـ وقد راعى الاسلام هذه الخصوصية ، فنبه عليها ضمنا فى قوله تعالى: « ..كتب عليكم القتال وهو كره لكم » . آية ٢١٦ البقرة

ففى هذه الجملة اشعار لنا أن القتال فى ذاته لا تألفه النفس بطبيعتها .. لأنه مخاطرة بالحياة ، أو بالمال ، أو بهما جميعا .

ولكن هذه الكراهة للقتال فى سبيل الله، لاتكسب الانسان حياة أطول من عمره .. وهى مع ذلك

الكساد ، والعقم ، تبعده عن خير كثير مما يكسبه بجهاده لو جاهد ... ففى الجهاد مجد شخصى بين البيئة ، وفيه ذكر حسن خالد للمجاهد حتى بعد وفاته ، وفيه غنائم يدركها المجاهدون من مال عدوهم ، وفيه تحصين للوطن والأهل ، من ويلات الجبن والتخاذل .. وفيه سيادة للامة على من كان يريد اذلالها ، علاوة عما فيه من طاعة الله التى تكفل دوام نصره لمن ينصر دينه ، ويعز كلمته ..

٧ - فان يكن كرهنا للقتال غريزة فينا ، فهى غريزة سلبية ، ومن الغرائز ما يكون نقيصة ، ويجب الكف عن مطاوعتها . ولذلك يبادر القرآن فى نفس الآية الى انتزاع هذه الغريزة من النفوس ، فيقول.

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ..

كما يعرفنا عن غريزة أخرى ، وهى حبنا للقعود عن الجهاد ، ايثارا للسلامة فيقول :

« وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ..

وعلى الاجمال : فالقوة التى نعدها لمجاهدة العدو ليست مجرد العتاد والجنود ، وانما هى قوام معنوى ، يسبق تشكيل الكتائب وتكديس الذخيرة .. هى : الايمان بحقيقة الجهاد ، وصدق العزيمة فيه ، والتعاهد على قلب رجل واحد ، تحت راية الجهاد ، كما رسم الله للمجاهدين فى سبيله حتى يكون ذلك جهادا اسلاميا مكفولا بنصر الله .

٨ - وهذه كلمات غير مجهولة ، ولكننا نرددها للتذكير كما أمرنا ربنا أن نجدد الذكرى ، وأن نتبادل النصيحة ، ولعل النصيح يصادف أذنا مصغية ، وقلبا واعيا ، وعلى هذا كانت سياسة الجهاد فى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفى زمن طويل من تاريخ الاسلام .. وكم كان لهذه السياسة من ايجابية فى نصر المسلمين وهم قلة ، على جيوش أعدائهم ، وهم جموع زاخرة على سطح الأرض ، يزحمون فجاجها ، ويثيرون عجاجها .. ثم تكون الهزيمة عليهم ، فيندحرون ويولون مدبرين **« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » آية ٢٤٩ البقرة .**

(فضل الحج)

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : من حج البيت فلم يرفث ، ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

ومعنى لم يرفث هنا لم ينطق بالبذىء الفاحش من الالفاظ .

وقال أيضا : ما رئى الشيطان فى يوم أصغر ولا ادحر ولا أحقر ، ولا أغيظ منه يوم عرفه .

وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة ، وتجاوز الله (سبحانه) عن الذنوب العظام ، اذ يقال : ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة . وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن أبليس لعنة الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفه ، فاذا هو ناحل الجسم ، مصفر اللون ، باكى العينين ، مقصوف الظهر ، فقال له : ما الذى أبكى عينيك ؟ قال : خروج الحاج اليه بلا تجارة أقول قد قصدوه وأخاف أن يخيبهم فيحزننى ذلك . قال : فما الذى انحل جسمك ؟ قال صهيل الخيل فى سبيل الله (عز وجل) ولو كان فى سبيلى كان أحب الى . قال : فما الذى غير لونك ؟ قال : تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب الى . قال : فما الذى قصف ظهرك ؟ قال : قول العبد أسألك اللهم حسن الخاتمة . أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن .

الإعجاز التشريعي في القرآن

المستشار علي علي منصور

بمناسبة الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم بدأت هذه السلسلة من المقالات منذ شهر صفر سنة ١٣٨٨ حول الاعجاز التشريعي لهذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولست ادعى أن هذا الذى يكتب يرقى الى مرتبة البحوث المحيطة ، وانما هى اشارات عاجلة وما لا يدرك كله لا يترك كله ، ونسأل الله بقدرته أن يمدنا بالعون والتوفيق حتى نتوافر على هذه الاشارات فنزيدها بحثا ، فكتاب الله لا تفنى عجائبه وهو معجزة رسولنا الباقية على الدهر الى أن تقوم الساعة ، على العكس من معجزات من سبقه من الرسل اذ كانت موقوته ٠

وواجب كل مسلم فى زماننا فى حدود تخصصه أن يكشف عن نواحى الاعجاز فى القرآن الكريم ، ففى ذلك اداء لأمانة ابلاغ الرسالة المحمدية لمن لم تبلغه

وها نحن نتابع الكلام عن هذه الاشارات الباقية من سورة النساء

سورة النساء

الآية ٣ ـ « وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعولوا »

لم تنفرد الشريعة الاسلامية من بين الشرائع السماوية بمبدأ تعدد الزوجات ، فشريعة التوراة تثبت أنه يباح للرجل أن يتزوج بمن يشاء ، وهى تذكر أن الأنبياء كانوا يتزوجون من النساء بالعشرات لا بالأحاد ، والتوراة هى كتب العهد القديم الذى يؤخذ به عند النصارى ما لم يوجد نص ، قد جاء فى الأنجيل أو رسائل الرسل يخالفها ، ولم يوجد نص صريح فى المخالفة ، والكنيسة كانت تأذن

بالتعدد ولاتعارض فيه فى القرون الوسطى ومابعدها، وملوك أوروبا الذين عددوا الزوجات معروفون فى تاريخها ، **واذا كان الاسلام قد انفرد بشىء فى هذا المقام فالذى انفرد به هو أنه قيد التعدد ، فهو أول شريعة سماوية قيدت التعدد صراحة فقد** قيدته بثلاثة أمور أولاها : الا يزيد على أربعة وثانيها أن لاتكون فيه ظلم لأحداهن وثالثها أن يكون قادرا على الانفاق ·

والشرطان الأخيران لازمان فى كل زواج ولو كان الأول ، **فقد قرر فقهاء المسلمين على اختلاف فرقهم** بالاجماع على أنه يحرم الزواج على من يتأكد من أنه لايعدل مع زوجته اذا تزوج غير أن ذلك التحريم دينى لايقع تحت سلطان القضاء لأن العدل أمر نفسى لا يعلم الا من جهته والقدرة على الانفاق أمر نسبى لايحد بميزان واحد ، ولذلك ترك الأمر فيها الى تقدير الشخص وهو اثم عليه العقاب يوم القيامة أن خالفه ولأن الظلم أو العجز عن الانفاق أمور تتعلق بالمستقبل والعقود لاتبنى صحتها على أمور متوقعة بل تبنى على أمور واقعة والظالم قد يكون عادلا والعاجز فى المال قد يكون قادرا فالمال غاد ورائح ومع ذلك قرر الاسلام ان الرجل اذا ظلم امرأته أو عجز على الأنفاق عليها كان لها طلب التفريق ، ولكن لايمنعها ذلك من العقد اذا دخلت راضية مختارة فى انشائه

والاسلام اذ قد فتح باب التعدد مع التضيق فيه على ذلك النحو قد دفع ادراءا اجتماعية :

فأولا : ــ قد ينقص عدد الرجال الصالحين للزواج عن عدد النساء الصالحات للزواج خصوصا عقب الحروب المفنية فقد لوحظ فى بعض الدول الاوروبية أن عدد الرجال الصالحين للزواج بعد الحرب يعادل واحدا الى سبع من النساء فيكون من كرامة المرأة أن تكون زوجة ولو مع أخرى بدلا من أن تكون حائرة بين احضان الرجال ·

ثانيا : ــ قد يكون بين رجل وامرأة مالايستطيعان معه الا أن يكون بينهما علاقة شرعية أو آثمة فيكون من المصلحة الاجتماعية أن تكون شرعية وخير للمرأة أن تكون زوجة من أن تكون خليلة تتنقل بين احضان الرجال واذا كانت هذه صورة شوهاء للتعدد فانه فيها خير من عدم التعدد فان التعدد على أقبح صورة يدفع شرا اجتماعيا أعظم منه

ثالثا : لايمكن ان تقبل امرأة الزواج من متزوج الا أن تكون مضطرة الى ذلك اضطرارا فاذا كانت الزوجة الأولى ينالها ضرر من الزواج بالثانية فان الثانية ينالها ضرر أشد بالحرمان اذ تموت أنوثتها أو يكون ضياعا بين الرجال والضرر الكبير يدفع بالضرر الأقل منه

رابعا : **انه لوحظ انصراف الشبان عن الزواج حتى أن نسبة المتزوجين من الصالحين للزواج** لاتتجاوز ٦٠ فى المائة ، والاقبال على الزواج يقل سنة بعد أخرى ، فيكون دفع الخطر بتسويغ العدد

خامسا ــ قد تصاب الزوجة بمرض لاتكون معه صالحة للعلاقة الجنسية ، أو تكون عقيمة ، فيكون من المصلحة الاجتماعية والشخصية التزوج من أخرى ·

لهذه المعانى ولغيرها فتح الاسلام الباب مضيقا ؟ ولم يغلقه تماما ، وقد وجدنا كبير الأساقفة فى انجلترا يرى أن العلاج الوحيد لحال الانحلال الذى أصاب الأسرة الانجليزية هو أن يفتح باب التعدد

ان الاسلام شريعة الله الذى يعلم كل شىء ، فهو العليم الحكيم

الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣

يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه

ابواه فلأمه الثلث فان كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين اباؤكم وابناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما • ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

نظام الميراث الذى بينه القرآن الكريم أعدل نظام للتوريث عرف فى كل قوانين العالم ، وقد اعترف بذلك كل علماء القانون فى أوروبا وهو دليل على أن القرآن من عند الله ، اذ أنه لم يكن مثله ولاقريب منه معروفا عند الفرس ولاعند الرومان ولا فى أى شريعة أخرى قبله وقد أتبع فيه النظم العادلة الآتية :

أولها ــ انه جعل التوريث بتنظيم الشارع لابارادة المالك من غير ان يهمل هذه الارادة بل جعل له الوصية بالمعروف فى الثلث ليتدارك تقصيرا دينيا فاته كزكوات لم يؤدها أو ليعين بعض ذوى الحاجة ممن تربطه به صلة مودة أو قرابة لاتستحق ميراثا ومنع الوصية اذا كان الباعث عليها معصية أو تحريضا على الاستمرار فى معصية وتولى الشارع توزيع الثلثين ان كانت وصية أو توزيع الكل اذا لم تكن وصية أو كانت بأقل من الثلث فوزع الشارع الباقى •

وثانيها : أنه فى توليه سبحانه توزيع الثلثين أعطى الأقرب فالأقرب من غير تفرقة بين صغير أو كبير ولذلك كان الاولاد أكثر حظا من غيرهم فى الميراث لأنه امتداد لشخص المالك ولانهم فى الغالب ضعاف ومع ذلك لم يستأثروا بالميراث بل يشاركهم الأم والجدة والأب والجد ان كانوا يأخذون أقل من الأولاد •

وثالثا أنه يلاحظ فى التوريث مقدار الحاجة ولذلك كان نصيب الاولاد أكبر لأنهم أكثر احتياجا اذ هم مقبلون على الحياة والآباء والأمهات مدبرون عنها ، وان ملاحظة الحاجة هى التى جعلت نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل فى أكثر أحوال الميراث اذ ان التكليفات المالية التى يطالب بها الرجل أكبر فهو مطالب بنفقة الأولاد واصلاحهم ، وهو المطالب بنفقة المرأة اذ أن الفطرة الانسانية هى التى جعلت المرأة قوامة على البيت وتدبيره ورعاية الأولاد وتهيئة راحتهم وجعلت الرجل كادحا يعمل خارج البيت ويقدم المال المطلوب لميزانية الأسرة وان الاعطاء على مقدار الحاجة هو العدل والمساواة مع تفاوت الحاجة هى الظلم •

ورابعا : ان الشرع الاسلامى توزيعه للتركة يتجه الى التوزيع دون التجميع فلم يجعلها للولد البكر ولم يجعلها للابناء دون البنات ولا للاولاد دون الآباء ، ولم يحرم من ليسوا من عمود النسب كالأخوة والأعمام وأبناء الأعمام وان بعدوا ، فالميراث يمتد الى مايقارب القبيلة ولكن يأخذ الأقرب فالأقرب ولايوجد فى مسائل الميراث ان ينفرد بها واحد الانادرا عند عدم وجود غيره من المستحقين

خامسا : أنه لم يحرم المرأة من الميراث كما كان يجرى عند العرب بل لها ميراث وفى ذلك احترام للمرأة واعطاؤها حقوقها

وفوق ذلك لم يمنع الاسلام قرابة المرأة من الميراث بل ورث القرابة التى تكون من جانبها كما ورث القرابة التى تكون من جانب الأب فالأخوات والاخوة لأم يأخذون عندما يأخذ الأشقاء بل فى بعض الأحيان يأخذ أولاد الأم ولا يأخذ الاخوة والاخوات وهذا

بلا شك تكريم للأمومة واعتراف بقرابتها ولم يكن ذلك معروفا من قبل ولكنها شريعة الله العليم الحكيم ٠

الآية ٢٢ - « ولاتنكحوا مانكح أباؤكم من النساء الا ماقد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا »

كان عند العرب فى الجاهلية عادات ليس فيها تكريم للمرأة بل فيها قطع للعلاقة التى تربط بين الاسرة ، فكان الرجل اذا مات ابوه وكان متزوجا غير أمه يفرض عليها زواجها منه أو يرث زوجات أبيه من غير عقد جديد وكان الرجل اذا طلق امرأته وقد دخل بها يسترد كل ما أعطاها من مهر ظالما معتديا ومنهم من كان يعمل على منعها من الزواج بغيره معتديا آثما ولانصير لها فى ذلك الوسط فجاء الاسلام ودفع عنها ذلك الظلم البين ونهى عن ان يورث النساء وان يسترد شىء من المهر ولو كان قنطارا ونهى عن العضل وهو منع الزوجة من الزواج بعد طلاقه أو لحملها على طلب الطلاق بمال تعطيه ، وكان من الجائز عندهم ان الرجل يتزوج من تزوجها أبوه وافترق عنها بطلاق أو نحوه فنهى الاسلام عنه وسماه مقتا لأنه أمر فاحش القبح يمقته الله ويمقته أهل العقول المستقيمة وذلك عدل الله ٠

الآية ٢٣ - « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ماقد سلف ان الله كان غفورا رحيما »

اختصت شريعة القرآن من بين الشرائع القائمة بالتحريم بسبب الرضاع لان الرضيع يتغذى من جسم المرضع كما يتغذى من جسم أمه فى بطنها فكلاهما يكون اجزاء جسمه ولافرق من تكوين فى الحجر وتكوين فى البطن ، وفى التحريم بالرضاع تكريم للمرضع اذ تكون بمثابة الأم فى التحريم ، وفى هذا تشجيع على الارضاع الذى هو الغذاء الطبيعى للاطفال فى المهد ٠

وقد حرم الله زواج الابناء من أمهاتهم تقديسا للامومة التى ورد ذكرها فى شرائع الامم السابقة كقوله تعالى **« واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا »** والتى جاء ذكرها فى شريعة خاتم النبيين فى قوله تعالى **« واعبدو الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا »** **وان مجرد التفكير فى الثروة الكبيرة من المعانى التى يحملها لفظ الأمومة يمحو أى أثر فى الذهن** من التفكير فى اتخاذ الأم زوجة - وكيف يتفق مثلا معنى من معانى الأمومة وهو توبيخ الأم لولدها عند التقصير وتأديبه مع معنى الزوجية وهو مايبيح للزوج من حقوق على زوجته عندما يخاف نشوزها

« واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن »

وثم حكم أخرى نفسية جنسية يهدف اليها هذا التجريم فهناك مثلا النفور الجنسى الفطرى بين الام وولدها ، وقد يكون هذا النفور منبعثا من الحياء الطبيعى من الأم المتغلغل فى أعماق نفس الولد ، ومن معانى أخرى كالاكبار والاجلال التى يحملها فى صدره نحوها وانه لمن المفروض أن العلاقة الجنسية بين الزوجين يجب أن لايحد من قوتها وسلامتها معنى يؤثر فى انطلاقها أو حدوثها ، مع افتراض وجود ميل فى المرأة للخضوع بوجه ما لزوجها اكبارا لصفات الذكورة فيه وغير ذلك من معانى الرجولة التى يحملها لفظ زوج والتى يحلو للمرأة مجرد التفكير فيها والانتفاع بما تحتويه من مزايا وخصائص معينة ٠ أما من ناحية الأم فعواطف الأمومة فيها تتنافى كل المنافاة مع أى تفكير جنسى فى ولدها ٠

براعة الاستهلال وروعة الأساليب في فواتح سور القرآن

فضيلة الشيخ عبد الغني الراجحي

في مقالات سابقة وتحت هذا العنوان استعرضنا بالبيان والشرح والتحليل فواتح السور المبدوءة بالحمد ، ثم فواتح السور المبدوءة بالتسبيح ، ثم فواتح السور المبدوءة بالقسم ، ثم فاتحتى السورتين المبدوءتين بقوله تعالى تبارك .

واليوم وفى هذا المقال نريد أن نستعرض نمطا آخر من هذه الفواتح الجليلة التى افتتح الله بها سور القرآن ، وكانت على أعلى المستويات البلاغية من الجودة والاحكام لما تنطوى عليه من روعة الاسلوب وبراعة الاستهلال ، وجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة .

فاذا كانت أساليب الحمد ، والتسبيح والقسم ، والتبريك ، تنطوى على ماسبق أن شرحناه من الروعة والبلاغة وحسن المناسبة مع سائر معانى السورة ، **فان أسلوب النداء ، لايقل عنها روعة وبلاغة وبراعة فالمعروف بلاغة واحساسا نفسيا من أول الأمر ، أن النداء مظهر اهتمام واعتناء من المنادى ، حين يبدأ كلامه بالنداء لمن يريد أن يوجه اليه حديثا ذا بال له اهميته ومقاصده وغاياته التى تستدعى أن يمهد** لها بالنداء ، استفتاحا لذهن السامع ، واستلفاتا لانتباهه ، واستثارة لاهتمامه ، بما يلقى اليه من الكلام ، فيقبل على سماعه واستيعابه ، بعد عملية تمهيد واستثارة ، فيتمكن فى نفسه فضل تمكن ، ويحل فى السويداء من فهمه وادراكه ، فيقبل على العمل بمقتضاه فى خفة ونشاط .

انك قد تخاطب بالكلام سامعك ، يسمعه ويعيه فى استرسال عادى متلاحق ، لكنك اذا وصلت الى أمر له أهمية خاصة ، وموضوع يستدعى توكيدا خاصا ، وتركيزا على الوثوق بسمع المخاطب وانتباهه رأيت نفسك مضطرا بلاغة واحساسا نفسيا الى أن تلجأ الى اسلوب النداء تنادى سامعك ، فتشده اليك والى حديثك برباطات وثقى من الاصغاء والانتباه وقد تلجأ الى تكرير هذا النداء له أكثر من مرة ، كلما أحسست بأن الأمر فى حاجة الى تكرار التوكيد واثارة الاهتمام ، وشده اليك مرة بعد أخرى ، وقد يكون النداء بعد كل ذلك تحببا وتلطفا وتلذذا بندائه وتضرعا اليه وتقربا ، وذلك أيضا من الأمور الهامة التى يراعيها المنادى بندائه لما لها فى نفسه من الأهمية وذلك كله مما يحويه وينطوى عليه قول علماء العربية فى تعريف النداء ، انه طلب الاقبال بحرف نائب مناب أدعو ، وقولهم ، انه قد يكون للتضرع والاستغاثة ، والتعجب والتضجر ، والتوله ، والتوجع والتحسر والندبة والاختصاص ، ومن هنا كانت الروعة والطاقة الكبيرة من البلاغة والاحساس البلاغى فى أسلوب النداء ، الذى لايكون الا فى عظائم الأمور

وأقوى الانفعالات النفسية ، والمشاعر والمـدارك الانسانية ٠

وليس من هدفنا فى هذه الدراسة أن نتتبـع ونستقصى أساليب النداء التى جاءت فى ثنايا الآيات والسور فى القرآن الكريم ، فانها كثيرة الأنواع والأغراض والطرق ومواقع الاستعمال ، لكننـا خصصنا هذه الدراسة لما كان منه فى فواتح السور التى التزم النداء فيها نوعا موحدا وطريقة واحدة حيث يكون المنادى هو الله جل جلاله ، ويكون النداء بالحرف (يا) يتلوه لفظ (أى) يلتوه ها التنبيـه يتلوها المقصود بالنداء (يأيها الناس)فاتحة لسورتى النساء والحج ، (يأيها الذين آمنوا) فاتحة لثلاث سور ، المائدة والحجرات والممتحنة (يأيها النبى) فاتحة لثلاث سور ، الأحزاب والطلاق والتحـريم (يأيها المزمل) فاتحة لسورة واحدة (يأيها المدثر) فاتحة لسورة واحدة ، ولم يرد النداء فاتحة سـورة فى غير هذه السور فى القرآن الكريم ، نداء من الله فى فاتحة سورتين يتسم بسمة العموم والشمول حيث يلف الانسانية كلها فى لفظ واحد هوالمنادى بعنوان الناس جميعهم كل بنى آدم (يأيها الناس) تم يكون النداء من الله فى فاتحة ثلاث سور أخرى متسما بسمة التخصيص نوعا ما ، حيث يكونخاصا بالمؤمنين الذين هم صفوة الناس والانسانية (يأيها الذين آمنوا) ثم يكون فى بقية الفواتح خاصـا بشخص بعينه هو انسان عين الانسانية ، النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، بعنوان النبى تـارة ، والمزمل تارة أخرى ، والمدثر تارة ثالثة ٠

(يأيها الناس) فاتحة لسورة النسـاء ، وهى السورة الرابعة فى النصف الأول من القرآن الكريم بعد الفاتحة والبقرة وآل عمران ، بحسب ترتيب التلاوة الذى استقر عليه نظم القرآن الكريم بعناية من أنزله وقيل انه فى اللوح المحفوظ هكذا بهذا الترتيب ، وفاتحة لسورة الحج وهى السورةالرابعة فى النصف الثانى من القرآن الكريم بحسب ترتيب التلاوة بعد سورة مريم وطه والأنبياء ٠

تتناول السورة الأولى فى افتتاحيتها بعد النداء ، الأمر بتقوى الله ، ثم تتعرض لبدء الخليقة الانسانية وأنها من نفس واحدة أنشأها الله وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، وتتناول السورة الثانية بعد النداء الأمر بتقوى الله ، ثم تتعـرض لنهاية الخليقة وفنائها يوم القيامة بالزلزلة فىالنفخة الأولى فالفاتحة الأولى فى بدء الخلق فكـانت أولا والفاتحة الثانية فى نهاية الخلق فكانت ثانية ،فكان ذلك من وضع الأسبق خارجا وحصولا فى الأسبـق ذكرا وحديثا ، ووضعالثانىخارجا وحصولافىالثانى ذكرا وحديثا جاءفى الأولىقوله تعالى (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ،ان اللهكان عليكمرقيبا) وجاء فى الثانية قوله تعالى (يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملهـا وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عـذاب الله شديد)**

ومع أن الأمر بالتقوى فى الفاتحتين كاف فىوجود براعة الاستهلال ، لأن التقوى هى امتثال الأوامـر واجتناب النواهى ، وجميعالآيات فى السورتينيدور امرها بين شئ مأمور به وشئ منهى عنه الا اننـا بشئ من تعميق النظر فى آيات السورتين نجد ان كل سورة يشيع فى آياتها المعنى الوارد فى فاتحتها فاذا كانت فاتحة سورة النساء قد ذكرت الزوجية والرجال والنساء والأرحام والخلق ووحدة الأصل الداعية الى مراعاة حقوق القرابات والعلاقات بين الناس ، فاننا نجد هذه المعانى وما يتصل بها قدكثر ترددها فى آيات السورة من أولها الى آخرها فاليتامى واكرامهم وحفظ أموالهم ، واصلاح حالهم ، يتردد ذكره فى السورة من الآية الأولى الى الآية العاشرة ، وآتوا اليتامى أموالهم ٠٠ الآية ٠ وان خفتـم الا تقسطوافى اليتامى ٠٠الآيةوابتلوا اليتامى٠ الآية ٠٠

ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما .. الآية .. وفيما بين هذه الآيات العشر تتعرض السورة لزواج النساء مثنى وثلاث ورباع ، واعطاء النساء مهورهن نحلة، وحفظ حقوق كل من الرجال والنساء مما ترك الوالدان والأقربون ، واعطاء أولى القربى واليتامى والمساكين اذا حضروا قسمة الميراث . ثم تتعرض السورة لقسمة المواريث من أول قوله تعالى فى الآية الحادية عشرة (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .. الآيات . الى ان تتعرض الآيات لحرمة تدنيس الأرحام بفاحشة الزنا (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم .. الآية .. واللذان يأتيانها منكم .. الآية .. ثم تتعرض السورة الكريمة لتحريم ارث النساء كرها وتحريم عضلهن واسترجاع ما دفع لهن من المهر ، ونكاح ما نكح الأباء من النساء وبيان المحرمات من النساء والمحصنات منهن، والنكاح بملك اليمين ، يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها .. الآية .. وان أردتم استبدال زوج مكان زوج .. الآيات .. حرمت عليكم أمهاتكم .. الآية .. والمحصنات من النساء . الآيات ثم تتعرض السورة بعد ذلك لنهى الرجال والنساء أن يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض ، وبيان أن الرجال قوامون على النساء ، وحكم النشوز ،ومدى تأديب الزوج لزوجه بالوعظ والهجر والضرب ، وبعث الحكم اذا وقع شقاق بينهما ، الآيات ٣٢،٣٣،٣٤ و٣٥ ثم تكون الآيات ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ فى الاستفتاء فى النساء ، ويتامى النساء ،والمستضعفين من الولدان والقيام لليتامى بالقسط ، وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا ،ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، ثم تكون الآية ١٣٥ فى وجوب أداء الشهادة بالقسط ولو على النفس والوالدين والأقربين ثم يكون ختام السورة الآية ١٧٦ مشتملة على بيان حكم الكلالة ، الميت الذى لا والد له ولا ولد كيف يقسم ميراثه ، للاخت النصف وللاختين الثلثان وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين فالسورة تسمى سورة النساء ، وقد استهلت فاتحتها بذكر النساء ، وتكرر فيها ذكر النساء ، بلفظ النساء ما يقرب من عشرين مرة ، وبعنوان امرأة أو زوج أو محصنات أو ما شاكل ذلك من هذه الصفات الخاصة بالنساء ما يقرب من عشر مرات ، كذلك كثر فى السورة ذكر الرجال والولدان والقرابات والعلاقات الشخصية كالزواج والطلاق والعلاقات المالية كالارث والوصية والديون وغير ذلك ويمكن ان يتبع ذلك ماذكرته السورة من العلاقات الاخرى فيما بين المؤمنين والكافرين والمنافقين واليهود والنصارى فالكل لايعدو ان يكون راجعا الى أصل واحد ومنشأ واحد مذكور فى مطلع السورة الكريمة نفس واحدة هى آدم خلق منها زوجها حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء تشمل المخاطبين بالنداء وغيرهم

واذا كانت فاتحة سورة الحج قد ذكرت الساعة وزلزلتها ، فان اليوم الآخر يوم القيامة قد أخذ ذكره يتردد مرات أخرى كثيرة فى مناسبات وأساليب أخرى كثيرة فى ثنايا آيات السورة الكريمة من أولها الى أخرها ، فبعد هذه الآية الاولى نجد الآيات الخامسة والسادسة والسابعة تطنب فى بيان هذه الحقيقة ، وتقيم عليها الأدلة والبراهين العقلية ، برهان الأولوية ، الاقتدار على الاعادة بعد الاقتدار على البدء وبرهان التمثيل فالذى يحيى الأرض بعد موتها يحيى العظام بعد موتها وذلك فى قوله تعالى (يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور)ثم تكون الآية التاسعة متعرضة ليوم القيامة (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ،

ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) ثم تذكر الآخرة فى الآية الحادية عشرة فى قوله تعالى **(ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين)** ثم يذكر الجنة فى الآخرة للذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ١٤ ثم تذكر الدنيا والآخرة فى الآية ١٥ ثم يذكر يوم القيامة فى الآية ١٧ ثم يكون تفصيل السطور الخصمين المختصمين فى ربهم ، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من جديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يحلون فيها من أساور ومن ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ، وهدوا الى الطيب من القول ، وهدوا الى صراط الحميد ، ثم يذكر عذاب يوم القيامة الذى هو كألف سنة مما تعدون فى الآية ٤٧ ويذكر بعدها

ثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وعقاب الكافرين أصحاب الجحيم ، ثم تذكر الساعة فى الآية ٥٥ ويذكر بعث يوم القيامة فى الآية ٦٦ (وهو الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم أن الانسان لكفور .. ثم تذكر النار وعدها الله الذين كفروا ، وبئس المصير فى الآية ٧٢ ثم تكون آيات الحج المذكورة فى السورة والتى من أجلها سميت السورة بسورة الحج مردودة فى المناسبة وبراعة الاستهلال الى ما ذكر من التقوى عقب النداء أول السورة فى فاتحتها لان الحج اداء فرضه من أظهر مظاهر التقوى ، والله تعالى يقول فى نفس هذه الآيات فى نفس هذه السورة فى شعائر الحج (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) ويقول فى ذبائح الحج **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)**

ولئن كان المنادى المقصود بالنداء هو (الناس) فى فاتحة السورتين ، فقد ذكر الناس فى السورة الأولى فى الآيات ، ١و٣٧ و٥٤ و٥٨ و٧٧ و٧٩و١٠٥ و١٠٨ و١١٤ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٧٤ كما ذكر لفظ الناس فى السورة الثانية فى الآيات ١ و٢و٣و٥ و٨ و١١ و١٨ و٢٥ و٤٠ و٤٩ و٧٣ و٧٥ و٧٨ .

ان فواتح السور فى القرآن الكريم ليست فحسب رائعة الأسلوب بارعة الاستهلال جامعة للمعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة ، لكنها كما رأينا فى هذه الدراسة الجديدة فى بابها ذات روابط ومناسبات قوية بسائر آيات السورة ، تتوارد بعدها الآيات مقررة لمعناها ، مكررة لبعض ألفاظها ، كأنما ترد عجز السورة على صدرها ، تذكر السورة فى ثناياها ماكان فى فاتحتها وما يتصل به أو يتولد منه ، أو ينبنى عليه أو يتفرع عنه ، يشهد له أو يضاد مقتضاه .

(كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)

هذا والحديث ـ اذا اعان الله موصول لدراسة فواتح النداء الأخرى التى اشرنا اليها فى صدر المقال وبالله التيسير

المعجزة الكبرى

من الأشباه والنظائر فى القرآن

الأستاذ
عبد العزيز سيد الأهل

القرآن العربى
الإعجاز والتحدى
صورة المعجزة
الصعوبة واليسر
نصيب الأمة

لم يقتصر القرآن على تحدى العرب به ولكنه تحدى معهم الثقلين مجتمعين به أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة ليثبت أنه من عند الله وأنه فوق مايستطيع الثقلان أن يصنعوه ويفتروه .

وصرف الله فى القرآن للناس من كل مثل موسعا فى التبيين والتفصيل والاحاطة بما لايستطيعه الثقلان ، ودخل النبى ذاته فى جملة المخاطبين بالتحدى وهو الذى اتهمه أهل الشرك بأنه هو الذى اصطنعه وافتراه .

ونصت نظائر كثيرة بأن الله أنزله (قرآنا عربيا) لسانا وحكما وبيانا وتفصيلا لأهل العلم والعقل والتقوى ، ثم خص العرب ليكون حجة عليهم ثم يكونوا هم حجة على الأمم اذ هم المأمورون بتبليغه والحكم به والاحتكام اليه .

والنبى الأمى الذى يقول الله له **(وماكنت تتلو من** قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) كان الحرف عليه صعبا وهو أمى فحمله الله بالقرآن المحكم المشكل عبئا ثقيلا ؛ ولكنه يسره بلسانه فبشر وأنذر ووجه الخطاب للناس كافة ممتطيا متن العربية التى كانت قد بلغت غاية المقدرة لتفهم دقائقه والوصول الى خفيات معانيه .

ولم ينزل القرآن قصصا حقاوحديثا حسنا وحسب ، بل هو وحده القصص الحق وهو وحده أحسن الحديث وكما وصفه الله بقوله : ان هذا لهو القصص الحق) وبقوله (نحن نقص عليك أحسن القصص) وبقوله (الله نزل أحسن الحديث) .

فاذا رددنا بعض هذه النظائر على بعض كان الحق والحسن وتنزيلهما من عند الله صفات للقرآن وكان قصص القرآن مع أنه كله حق وصدق أحسن القصص كله اذ هو فى جملة أحسن الحديث وقد تولى الله سبحانه انزاله فلم يشبه خداع القصاصين ولم يغشه نسج الخراصين ولا حيل المتخيلين .

ومن ثم لم يكن فى القرآن غير البلاغ الواضح والبيان الشافى ، وقد استمسك بهذا بعض الأئمة فلم يروا فيه تأويلات من شطط واعتساف كما لم يروا بآياته شفاء باقتناء واسترقاء ولكن شفاءه حيث تتلوه الألسنة أو العيون وحيث تصغى له الأسماع وتتذكره القلوب وتتدبره العقول ، وهذه وحدها الواضحة المستقيمة لشفاء النفوس بأحسن الحديث.

الاعجاز والتحدى :

ولا ضرورة الى أن نثبت هنا نظائر التحدى بحديث من مثل القرآن أو عشر سور منه أو سورة واحدة من مثله فانها نظائر شائعة الذكر وفيها يتحدى القرآن كل صانع مفتر أن يهيىء كل قدرته للصنعة والافتراء وأن يستعين بشهدائه وأقرانه من بلغاء الناس أو يستعين مع بلغاء البشر ببلغاء الجن الذين نسبت اليهم العبقرية فى القول والفعل فانه لن يستطيع فرد ولا جماعة ولا أجناس متفرقة أن يأتوا من القرآن أو شبهه بكل ولا بأجزاء .

وقديما نسب العرب الشعر والكهانة والعبقرية الى الجن ؛ فلم يأت شاعرهم بالهام من المعانى ولا كاهنهم بطراز من السجع ولا عبقريهم بغريب من التخيل الا والجن هم أهل الهامه وأصحاب خيوطه وخياله ، فكان أن تحدى القرآن الفاعل والمعين والبادى والخفى والانسان والجن لتبطل مع دعوى افتراء النبى للقرآن دعوى استعانة القدماء بالرئى من الجان .

وقد وقع أقل التحدى فى القرآن بسورة منه لأن أقل سورة كانت من ثلاث آيات وبها يتم التأليف وتظهر الحكمة وينتهى البلاغ ، أما دون ذلك فالكلمة والجملة وهى أول خصائص الانسان جاهله وعالمه وعاجزه وفصيحه ، فليست قدرا للتحدى ، وليس لناطق بكلمة مفردة أو جملة من الكلمات فضل على آخر ، وأما السورة فما فوقها فأمره أعظم وأضخم حيث تزدحم البلاغة بالظواهر والمبهمات والمواضح والمشكلات .

ولم يقتصر التحدى بالقرآن على ماراه أهل اللغة من البلاغة المفحمة والفصاحة المطردة ولكنه تحدى الناس مع البلاغة والفصاحة بذكر حقائق العلوم وخفيات الأسرار .

كما أنه لم يتوجه بأقسى التحدى الا لمنكريه ؛ أما المؤمنون به — وهم فى حقيقة ذات العجز — فان خطاب القرآن حاد عن سبيلهم وتركهم لايمانهم وكفى بالمرء حسيبا فى ذلك أن يرى القرآن يخاطب اولئك مهددا فيقول (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) ويراه يقول : (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار)

ولقد علم القرآن الناس بنهجه وطريقه أصول التفاضل فى الكلام والبيان فقرر أنه لايكون الا باكمال المعانى واختيارها من أشرف طبقاتها وهدايتها الى النفع فى الدارين ولا يكون بألفاظ وتراكيب من أمور وحواش تضج النفوس فى مضايقها وتضل فى متاهاتها ومواسعها

صورة المعجزة :

وقد أثبتت النظائر فى عدد من الآيات تعهد الله ورعايته للقرآن حتى تنتقل الصورة الأزلية القديمة التى هو بها فى اللوح المحفوظ الى الذكر المحدث الذى تهيأت له الصدور وتفتحت له السطور

والله سبحانه يقول (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) حتى اذا انتقلت هذه الصور الى صدر النبى جزءا جزءا تثبيتا لفؤاده عادت الصورة مرة ثانية الى هذا الصدر جملة كاملة مجموعة فبطل قول الكفار الذين قالوا (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) وما قالوا ه الا استرذالا فى التمنى واستصغارا للأقسام والأجزاء .

ولقد كانت المعجزات كلها قبل القرآن من خارج كل نبى فالطوفان والنار والناقة والحوت والعصا ليست من دواخل الأنبياء ، وحتى الكتب المكتوبة كالتوراة والانجيل — اذا افترضت كالمعجزات — فقد تلقى موسى الألواح مكتوبة وكتب عيسى والحواريون بالسريانية فواصل الانجيل ، أما محمد فقد امتزج القرآن بداخله وخارجه ولم يكن المزج بآلة من آلات القراءة والكتابة ولا فاصلة من فواصل الزمن حتى تضيع الألوان فى متاهات السمع والبصر وملاهيهما ومسافاتهما ، وانما كان نقشا من الوحى على القلب وانطلاقا من المعانى والكلمات على الصوت واللسان ثم انتقالا بالصورة كاملة الى كل الافئدة وكل الألسن والأقلام .

وكان القرآن بهذه الصورة من الغيب الى الشهادة أكثر تمكنا ورسوخا ثم كان أقرب اناء وأيسر املاء ، والنظائر تقول فى ذلك **(قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) وتقول (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين)**

ولئن تخيل الانسان حدوث ذلك سهلا فى آية أو سورة قصيرة وبدا له التخيل سهلا فى حافظات

الأذكياء الافذاذ فان هذه السهولة ترتد صعوبة بل مستحيلا فى أى حافظة تعرض عليها السورة من المحكم والمتشابه مرتبة مرة واحدة فتحفظها وتؤديها من فورها مهما كانت قد عرضت عليها أشتاتا من قبل وفى أزمنة متباعدة ؛ ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظها كما عرضت أو كما أشير عليه دون حاجة الى تكرار أو الى كتابة حتى تعين الصورة العينية على تثبيت الصورة القلبية ، وكان حفظه هذا مع اشتغال جوانب القلب بمسائل العلم والتشريع وشواغل الحروب وسياسة العرب وتبليغ كل الأمم .

وربما كان هذا أظهر مافى هذه المعجزة التى لاتستطيعها طاقة البشر ولا طاقات الثقلين مجتمعين وهو الدليل على أن تفاعل النبى بالقرآن المسموع من جبريل كان عملا الهيا مباشرا لايد للقدرة البشرية فيه .

ولا عجب أن يكف الله عبده المختار للنبوة الأخيرة عن أن يسرع ليحرص أو يجتهد ليحفظ ـ وهى عادة الحريص المجتهد ـ فان الله يسره له وللأمة معه قراءة وحفظا وذكرا وخلودا ، وكان وعده حقا فى النظائر التى تقول (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) وتقول (لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) وتقول (سنقرئك فلا تنسى) .

وحتى الايات التى قيل انها منسوخة حكما فانها ظلت محفوظة مقروءة وذلك ليبقى القرآن كله مصونا من التبديل والتحريف والزيادة والنقص وتظل غالبة عليه صبغة التواتر والاجماع .

ومع وفرة اعدائه وكثرة تقولاتهم فى حروفه بدءا وعادة فان صرخاتهم راحت سدى وبقى القرآن تصديقا لوعد الله الذى يقول (لامبدل لكلماته) ثم يقول (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

الصعوبة واليسر :

وكما يسره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم مع صعوبته وكثرة متشابهه يسره للعرب ولكل من أقبل على هذا اللسان مستعربا فحفظه من غير أهل اللغة أضعاف من حفظه من أهلها وصار العلم به لكل من رغب فيه .

ونظائر القرآن فى هذا التيسير يقول فيها سبحانه (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) ويقول (فانما يسرناه بلسانك) ويقول (ولقد يسرنا القرآن للذكر) ويقول (فاقرءوا ماتيسر منه) .

وليس التيسير موقوفا على القراءة والحفظ ولكنه كان أيضا بكثرة التصريف وتناول شتى المسائل حتى يصلح لكل حال مايداويها من آياته ويشفيها من عظاته .

وكان من تيسير القرآن تقريبه الى مجتمع العرب ولجة وجودهم دون تفرقة فى الأطراف وتوزعه فى الآفاق فيتحمل الناس السفر اليه والمشقة فى طلبه ، وكما أوضحه (محرز بن عون) الذى يقول :

سألت فضيل بن عياض عن حديث من أحاديث النبى فقال لى : وأنت أيضا منهم ؟! عليكم بالقرآن فانه ينبغى لنا أن لو بلغنا أن حرفا من كلام ربنا نزل باليمن لذهبنا حتى نسمعه ولكنكم وجدتم هذا الامر سهلا ميسرا .

والحق ماقاله ابن عياض فان الله قد سهل القرآن ويسره فاجتمعت الأمة على منبع واحد ومكان واحد سال منه اليها ؛ أما الحديث فقد صار البحث عنه شاقا أتعب الأمة كلها فانساحت وراءه فى البلدان وضربت اليه أكباد الابل فى كل الآفاق .

ولا تعارض بين تيسير القرآن على النبى وبين صعوبته عليه فليس معنى تيسيره له وضمان حفظه وعدم نسيانه أن لايلقى فيه تعبا ولا يجد نصبا اذ ليس هو حفظا وأداء فحسب ، ولكنه لقاء للملك وتدبير للأمر وتبليغه للناس مما يستوجب الخوف من التقصير ويستنفد فى تنفيذه قوى البدن والعقل والروح .

وأبو بكر بن العربى الفقيه المالكى يرجح معنى الثقل الحسى على النبى ـ لا على الأمة ـ فى قوله تعالى (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) استنادا الى الأحاديث التى وصفت الوحى والنبى على ناقته فكانت الناقة تلقى بجرانها على الأرض وتسكن ولا تزال كذلك حتى يسرى عنه ، ويستند ابن العربى فى ذلك الى أقوال سعيد بن جبير وعبد الله ابن عباس وزيد بن ثابت وابن أم مكتوم .

ونظائر القرآن تقول فى ذلك (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك) وتقول (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) .

والنظير الأول يبين الشدة فى تبليغ رسالة القرآن ، أما النظير الثانى فانه يوضح أمر الله

للنبى بالتحمل طول الحياة حتى يأتى الموت فما أشق الصبر وما أصعب الاحتمال !

نصيب الأمة :

ولم ينزل على العرب كتاب قبل القرآن ليستمسكوا به كما فى الآية التى تقول (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون) ومن ثم اشتد الأمر بالاستمساك به لأنه صار أول ذكر لهم جاءهم به نبى منهم يقول الله له (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون) ويقول (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) ثم يقول (بل أتيناهم بذكرهم) .

وما من ريب فى أن القرآن قد نبه بلغة العرب وأبقاها وشرف العرب وأبقاهم ، ولولاه بلسانهم لماتت لغتهم ، ولولاه جامعا لقلوبهم لقضت عليهم الأهواء والأعداء من الأقرباء والبعداء .

والذكر الدائم فى معجزة القرآن أكثر قوة وبهرا من المعجزة المحسوسة لوقتها ، ومن أجل ذلك من الله سبحانه علينا بقوله (**أو لم يكفهم أنا أنزلنا** عليك الكتاب يتلى عليهم) .

فهذا الكتاب المعجز الذى تفاعل بنفس صاحب المعجزات هو الكتاب الذى شرفت به الأمة الاسلامية والأمة العربية وهى أولى به قراءة وعلما وعملا فاذا لم تدم على قراءته والعلم به والعمل بما فيه فانها تكون قد ضيعت ذكرها وشرفها وألقت من يدها لواءها .

وقد جاءت نظائر كثيرة بأمر الله للرسول والأمة بتلاوة القرآن فى الصلاة وفى غير الصلاة فقال سبحانه **(واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) وقال (اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة)** ثم هو يراقب القراءة ويضعها فى مرتبتها من الثواب فيقول (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه) .

وفرض الله للقرآن على النبى والأمة آدابا تكرر الأمر بها فى نظائر مختلفة وليكون النبى فيها قدوة القراء فقال سبحانه (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) وقال (لاتحرك به لسانك لتعجل به) وقال (ورتل القرآن ترتيلا) .

وهكذا تعددت النظائر فى القرآن للنبى بأن لايعجل فى القراءة اذ العجلة فى الشىء وتحريه قبل أوانه من مقتضى الشهوة فصارت العجلة ممنوعة على كل طالب ؛ بل عليه أن لايحرك به لسانه حتى يجمع له ويؤدى فيقرأ كما سمع ، حتى اذا تم نزوله كان عليه أن يرتله لا أن يسوقه مزدحما مختلطا . والأمة على طريقته وسنته تلزم بابه وتقفى آدابه .

والترتيل هو التأنى فيه مع التمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل وهو المشبه بنور الأقحوان . وهذا هو الأدب الذى لايرتضى ماهو دونه فى قراءة القرآن .

وكما أن للقراءة آدابا فان للسماع آدابا وقد قال تعالى (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وقال (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) . ولو اتبع المسلم أدب القراءة والسماع كان على الله ضمان تفهيمه وبيان معانيه ، وفى هذا يقول سبحانه (ثم ان علينا بيانه) فجعل البيان بعد القراءة واتباعها وكأنه شرط لها وسبب فيها .

وويل شديد لمن لم يستمع والويل الأشد لمن لغط ولغا وصد الناس عنه عن قصد منه وارادة ، ولقد جاء الانذار بهذا الويل فى قوله تعالى (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون . فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذى كانوا يعملون) ثم فى قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم . واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) .

ولا أدل على عظمة القرآن فى نفوس أهله مما جرى بين هرون الرشيد ومالك بن أنس اذ سأل الرشيد مالكا عن قدر القرآن عنده فقال :

يا أمير المؤمنين ؛ حرف واحد تعب فيه جبريل والملائكة من مسيرة خمسة الاف عام ألا ينبغى لى أن أعزه كل الاعزاز وأجله كل الاجلال ؟!

(وانه لكتاب عزيز . لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

المجتمع الاسلامى ومشكلات المال

الدكتور أحمد شلبى

هذا اللون من الدراسة جديد الى حد ما أو الى حد كبير ، فقد كتبت وكتب كثيرون غيرى عن النظام الاقتصـادى فى الاسلام ، ولكن أريد هنا ان ابرز ناحية جديدة هى ألا تكون دراسة الاقتصاد الاسلامى دراسة اقتصادية بحتة ، بل أن تلاحظ فيها الحياة الاجتماعية التى يحياها المسلمون ، ومن أجل ذلك ينبغى أن تشمل هذه الدراسة مقدمة عن الربا وخطره الاجتماعى ، ثم تقدم دراسات حول البنوك العامة والبنوك المخصصة ، والاقتراض منها بربح وتبحث حكم الايداع بربح فى صناديق التوفير بالبنوك وبالبريد ، وتصل هذه الدراسة الى قمتها حين تعرض البديل الاسلامى لهذه التصرفات ، فترسم الطريق للبنوك الاسلامية المحلية وللبنك الاسلامى المركزى ، وترى هذه الدراسة أن البديل الاسلامى حافل بالخير للفرد والأمة جميعا ، والهدف من نشر هذه الدراسة بهذه المجلة ، وعدم الاكتفاء بالكتب أن يتسع نطاق بحثها والتعرف عليها ، سواء من الباحثين فى الدراسات الاسلامية أو من رجال الاقتصاد ، مع رجاء أن تكون هذه الدراسة نواة لهذا الهدف السامى ، والله المستعان .

فى مطلع حديثنا هنا ينبغى أن نوضح منهاجنا فى دراسة مباحث المال الاجتماعية ، فان هذه المباحث يختلف فيها الباحثون أكثر من اختلافهم فى أى موضوع آخر . وقد اتجه الانسان منذ فجر البشرية الى محاولة تنمية ما له ، وكثيرا ما سلك طريقا غير سليم ليصل لهذا الهدف ، وكان من أيسر الطرق واسرعها فى تنمية المال «الربا» وقد جاءت نصوص الاسلام قاطعة بتحريمه ، وهى نصوص تعبر عن الفطرة السليمة ، ووردت نصوص أخرى تبيح المضاربة والسلم .. وهى نصوص تيسر على الناس حياتهم وتفتح مجالا للتعاون والخير للمجتمع ، ثم جدت فى المجتمع الحديث مؤسسات لم تكن موجودة فى العصور الأولى كالبنوك وصناديق التوفير .. ونمت هذه المؤسسات وارتبط بها عدد كبير من

الناس ، ثم - بعد ذلك - بدأ الكلام عن رأى الاسلام فيها من جهة التحليل والتحريم ، واختلفت حولهـا الآراء ، وربما اتسعت هوة الخلاف بين هذه الآراء .

والخلاف حول المشكلات التى لا نص فيها شيء طبيعى ، ولكن نلاحظ أن الخلاف فى المشكلات المالية يتأثر تأثرا واضحا بحالة الباحث الخاصة فاذا كان الباحث غنيا أو من بيئة غنية عمد غالبا الى التيسير واتجه بالأدلة الى التحليل ما وسعه ذلك ، واذا كان فقيرا فانه يتجه الى التشديد والى نوع من التزمت والحيطة ، ويبدو أن هذه طبيعة المال، وقد رأيت بنفسى حدثا أعتقد ان القارىء رأى مثله أو يمكن أن يرى مثله بوضوح ، ذلك أننى فى مطلع حياتى كان لى صديق رقيق الحال ، ومع أن مجتمعنا كان أقرب الى الفقر بعيدا عن الغنى ، فان هذا الصديق بصفة خاصة كان ثائرا على الفقر ثائرا على الأغنياء وكان بلغة أخرى أميل الى الشيوعية ، ومر الزمن وتفتحت أبواب المال أمام صديقنا ، وانتقل مستواه من حال الى حال فاطرح الشيوعية واصبح يدافع عن الرأسمالية وعن المجدين الذين نالوا بجهدهم ألوان الرخاء .

وفى الغرب أجروا اختبارا لمعرفة مدى تأثير الاحساس النفسى ذى الصبغة الاقتصادية على الانسان ، فوضعوا قطعة من النقود الذهبية أمام شخصين على بعد واحد منهما ، وأحد الشخصين غنى والآخر فقير ، وطلبوا من الاثنين - وهما على درجة واحدة من الثقافة - أن يحدد كلا منهما قطر قطعة النقود ، وفعل كل منهما فكان القطر الذى حدده الغنى أصغر من الواقع والذى حدده الفقير أكبر من الواقع .

وكثيرا ما ترى رجلا كثير الصلاة كثير الصوم حتى تعده من الأتقياء البررة ولكن رأيك فيه يتغير عندما تلاحظ علاقاته المالية مع الآخرين ، فسترى أن هذا الرجل الذى يكثر الصلاة والصوم لا يستطيع أن يقهر نفسه عندما ينزل فى صراع مع الآخرين حول المال والمعاملات .

على أن اختلاف الباحثين فى الاسلام عمل ينبغى الترحيب به فهو تيسير على الناس ليأخذ كل مسلم ما يوافق طباعه من اتجاهات هؤلاء الباحثين وهذا يقتضى أن يبذل كل باحث وسعه ليبرز رأيه ويقوى الدليل عليه دون أن يجرح رأى سواه من المجتهدين، ولكن يلاحظ فى ابحاث المال تعصب كل باحث لاتجاهه ومحاولته الغض من اتجاه سواه . كما يلاحظ تأثر كل باحث تيسيرا وتشديدا ، وأمامى الآن كتابان لعالمين مشهود لهما بالعلم والخلق ، وهما يبحثان موضوعات واحدة ولكن كلا منهما يتخذ طريقا غير طريق الآخر ، فأحدهما متشدد يقصد أن يبعد الناس عن الشبه ، ويريدهم أن يلتزموا أقوم طريق ، والثانى يميل الى اليسر ، ويسره أن يجد طريقا يحلل للناس ما شاع فى مجتمعهم من معاملات ، ولكنى ألاحظ أن كلا منهما يهاجم أى اتجاه يعارض اتجاهه ، ولا يرضى للناس غير الطريق الذى يرتضيه هو لهم ومثل هذا البحث تبرز فيه الذاتية اكثر مما يلزم ، ويسيطر فيه اتجاه الباحث على موضوعه ويريد أن يعكس اتجاهه على قارئيه فهو لا يريد أن يقودهم بتؤدة ، ولكنه يريد أن يدفعهم حيثما أراد ، وسنتحاشى تماما هذين الاتجاهين .

أما المنهاج الذى اختطه لنفسى فهو الاعتقاد أن الاختلاف فيما لا نص فيه شيء طبيعى كما قلنا آنفا ، وأن المجتهدين الذين وصلوا إلى درجة الاجتهاد لا حرج عليهم أن يتجهوا الى هذا الرأى أو ذاك فى حدود الاطار الاسلامى العام ، وأن نطاق الفكر الاسلامى واسع وعلينا ألا نضيقه ، فاننا ان صيقناه بعد أن تورط الناس فيه تركنا الناس يسيرون فى مشكلات حياتهم على نحو ما جرت عليه العادة أو بلغة أخرى تركناهم فى ضلال ، والقول بالتحريم سهل ، ولكنه لن يكون حلا مجديا ، وقد يدع الاسلام فى جانب ومجريات الأمور فى جانب آخر ، فينبغى ألا نقف عند التحريم اذا كان هناك رأى آخر ييسر على الناس حياتهم ، فالدين الاسلامى يسر لا عسر فيه ، قال تعالى « **يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم**

العسر » . وقال « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » . وقال عليه السلام **لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام** . وليس معنى هذا أننا ندرس المشكلات لنحللها جميعا تيسيرا على الناس ، لا ، فان مثل هذا العمل ليس دراسة علمية صحيحة ، وبالتالى ليس ذلك من حقى ولا من حق أحد ، ولكنا ندرس مشكلات الحياة لنرى رأى الاسلام فيها فان اختلفت فيها آراء المجتهدين الذين يؤخذ باجتهادهم ، وضعنا الآراء جميعا أمام المسلم ليأخذ منها كل فرد ما يناسب ظروفه الخاصة ومقدار ورعه ، ومن الواضح عند علماء الأصول أن الفتوى الاجتهادية غير ملزمة ، وأن الفتاوى الاجتهادية ضوء أمام المسلم يأخذ منها حسب حاله .

ونعود بعد ذلك الى كلمة الورع التى ذكرناها آنفا لنمنحها مزيدا من التفصيل ، فمما لا شك فيه أن من الورع أن يبعد الورعون عن الشبه ما وسعهم ذلك فاذا أجاز بعض المجتهدين الذين وصلوا الى درجة الاجتهاد أرباح صندوق التوفير مثلا ، فان للورع الذى لا يرى هذا الرأى أن يبتعد عن ذلك وأن يبعد أمواله عن الشبهة ، ولكن من الحق كذلك ألا يفرض هؤلاء اتجاههم عن الذين لا يريدون الأخذبه ، وانا أعرف بعض المجتهدين الذين لهم قدم راسخة فى الفكر الاسلامى ، أباحوا للناس بعض المعاملات المالية ولكنهم امتنعوا هم تورعا عن مباشرتها ، ومثل هذا ما يروى عن أحد العلماء من أنه سئل : كم يجب للزكاه فى مائتى درهم ؟ فأجاب : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل جميع مافاض عن الحاجة . فهذا العالم يفتى للناس بما يحتمه عليهم الشرع ، ولكنه يلزم نفسه بأكثر من ذلك ، ولا يرى المال الا وسيلة للحياة ، فاذا تبقى عنده بعد ذلك شىء ، فان من الواجب أن يعطى الباقى للمحتاجين ، ولكنه مع ذلك لم يلزم الآخرين بما ألزم به نفسه .

والخلاصة أننى أعرض هنا على الناس آراء المجتهدين ، ولست شخصيا أدعى أننى وصلت الى درجة الاجتهاد ، ولكننى أستطيع أن أفهم آراء المجتهدين وأناقشها وأعرضها وسأعتمد فى هذا المجال على كبار الباحثين ومن لهم أقدام راسخة فى الدين .

تحن الى وطنها

أحب بعض خلفاء بنى العباس اعرابية فتزوج بهافلم يوافقها هوى المدن فلم تزل تعتل وتتأوه ، مع ما هى عليه من النعيم والراحة ، والأمر والنهى ،فسألها عن شأنها ، فأخبرته بما تجد من الشوق الى البرارى وأحاليب الرعاء ، وورود المياه التى تعودت ،فبنى لها قصرا على رأس البرية بشاطىء الدجلة ، وأمر بالأغنام والرعاء أن تسرح بين يديها وتتراءىلها ، فلم يزدها ذلك الا اشتياقا الى وطنها .

ثم مر بها يوما فى قصرها حيث لا تشعر بمكانه،فسمعها تنتحب وتبكى ، حتى ارتفع صوتها ، وعلا نحيبها ثم قالت :

وما ذنب اعرابية قذفت بها — صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرعاء وخيمة — بنجد فلم يقض لها ما تمنت
اذا ذكرت مياه العذيب وطيبه — وبرد حصاة آخر الليل أنت
لها أنة عند العشاء وأنة — سحيرا ولولا أنتاها لجنت

فخرج عليها الخليفة ، وقال : قد قضى ما تمنيت فالحقى بأهلك من غير فراق ، فما مر عليها وقت أسر من ذلك ، وسرى ماء الحياة فى وجهها من حينها والتحقت بأهلها بجميع ما كان عندها فى قصرها ، وظل الخليفة يزورها فى أهلها بين الحين والحين .

درجة الجهاد في الإسلام

شرع الله سبحانه وتعالى الجهاد وأوجبه على كل انسان ـ شرعه دفاعا عن العقيدة والحرية ـ ولدفع الظلم الذى يقع على الناس من الناس وليرتفع لواء العدل خفاقا . فيعم الأفراد والجماعات ـ وأوجب ما يكون الجهاد اذا وطئت أقدام العدو أرض البلاد وعندئذ يكون الجهاد على جميع أفراد الأمة حتى المرأة تخرج ولها دورها فى المعركة اذا حمى وطيس القتال ولا يستثنى من المشاركة فى الجهاد الاذوى الأعذار الذين بينهم الله فى كتابه حيث يقول عز من قائل (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله).

والجهاد كلمة عامة تقضى أول ما تقضى بجهاد النفس والهوى وجهاد العصيان والانحراف - جهاد العصبية القبلية والجنسية . جهاد الجمود وتعطيل العقول عن البحث والنظر والتفكر والتدبر فى بديع صنع الله وما خلق من شىء ليصل الانسان بعمله وجده الى كنوز أودعها الله أرضه وتجارة فينتفع وينفع ـ وكلمة الجهاد تنتظم مع هذا التزام الصبر حين البأس وهو شدة الحرب . كما تنتظم المصابرة وهى مغالبة الشدائد وبذل الجهد بقدر الوسع فى ازالتها أو تخفيف حدتها وتشمل أيضا المرابطة وناهيك بها فى تأمين حدود الوطن وحراسة الثغور لرد كل عدو تسول له نفسه أن يغزو البلاد ويروع العباد ـ واذن فليس الجهاد خاصا بالعمل فى ميدان المعارك . فكل عمل جاد مهما كان بعيدا عن ساحة القتال فهو مدد القوة للجندى فى خطوط النار ففن الطيران والوقوف على أسراره وفنونه وقيادة الدبابات والسيارات المدرعة والمدافع واحسان استعمالها ـ واحكام تسديدها ـ والاساطيل الجوية والبحرية والعمل فيها ، والعمل فى مصانع الاسلحة والذخيرة ومصانع حياكة ملابس الجنود والعمل فى مصانع الأحذية لامداد الجنود ليتفرغوا لمهمتهم ـ كل ذلك جهاد وسبيل الى انتصار جنود الله ـ وقيام كل عامل فى مهنته باخلاص وأمانة وتجرده من الغش والتدليس والخديعة بقصد نفع الناس والحصول على رزق حلال ، جهاد وأنعم به من جهاد ـ والتزود بالعلم النافع لتحصيل الخير والسعادة للبشرية وتثبيت أركان السلم بين الناس جهاد لرد كيد العدو بأساليب العلم المختلفة لأن ما نراه اليوم من انحراف فى نفوس القوة الغاشمة باستخدامها العلم فى ترويع الآمنين وزلزلة الطمأنينة من نفوسهم من حروب باردة تورث الهلع والجزع وبين حرب حامية تأكل أخضر البلاد ويابسها وتذر البيوت بلاقع وتقضى على الحضارات وترمل النساء وتيتم الاطفال .

فضيلة الشيخ محمد الطاهر زاهر

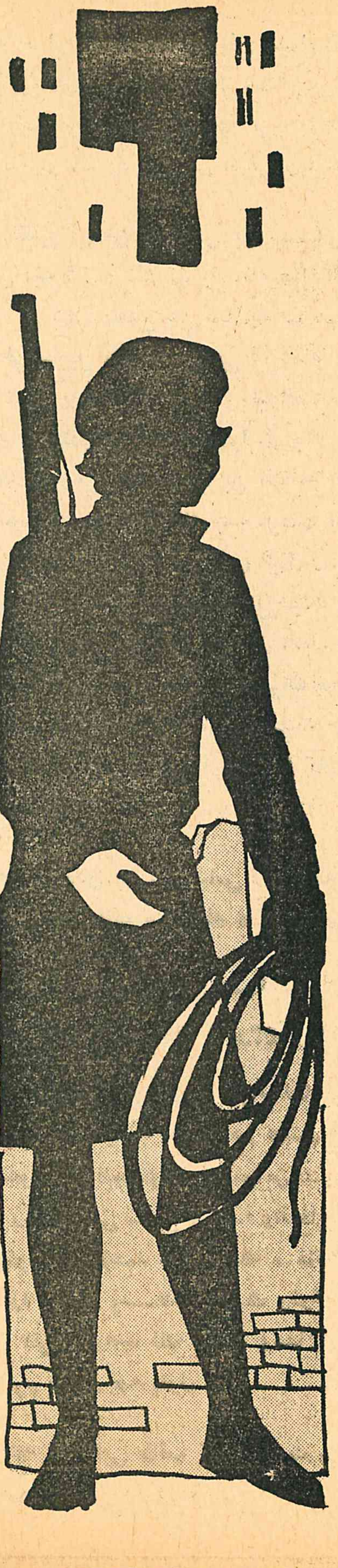

واذا كان أجر المجاهد عند الله رضوانه تعالى ورحمته . والفوز بالجنات والخلود فيها مصداقا لوعده تعالى ومن أوفى بعهده تعالى اذ يقول **(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوارة والأنجيل والقرآن)** واذ يقول **(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم)** .

واذا كان هذا جزاء المجاهد عند الله فكل عامل فى حرفته بجد وأمانة واخلاص . هو جندى مجاهد ومجاهد فى سبيل الله ، فالجندى فى الميدان والتاجر الصادق الامين فى تجارته والزارع المجد فى حقله والراعى الساهر على مصلحة رعيته والمعلم يرد المتعلمون مورد معارفه والصانع يتقن عمله فى مصنعه والواعظ فى دروسه الجادة النافعة فى أمرى الدين والدنيا كل هؤلاء جنود متى اخلصوا النية وبذلوا عملهم ابتغاء مرضاة الله واسعاد الوطنية الخاصة والانسانية العامة وهم مجاهدون فى سبيل الله من مات منهم فهو شهيد وعند ربه من الأحياء

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين)

ومن طالت حياته ففرحته كفرحة أخيه الشهيد - نصر أمته وعزة قومه وخذلان لأعدائه مبين - واذا كان مما هو معلوم بداهة وكما يدل عليه الواقع - ان **الموت نهاية كل حى مصداقا لقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون)** وأن الانسان مهما طالت حياته فهوصائر لا محالة الى الموت فما أجدر المسلم الذى يحرص على عزة وطنه ورفع رايته وهو يعلم الموت لازم حتم - ان يتخير اشرف غرض وانبل فكرة واسمى عقيدة ليفنى فيه ويموت ذيادا عن سبيله - وليس ثمة غرض أجل شأنا واصفى عقيدة من الدفاع عن حوزة الاوطان والوقوف دون غائلة العدوان . والحق ان الجهاد بين الفضائل ذروة سنامها لا يعد لها الا الصائم القائم **فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يارسول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله قال لا تستطيعون ، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا وكل ذلك يقول لا تستطيعون : ثم قال : مثل المجاهد فى سبيل الله ، مثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد) واذن فجميل وجدير بالمسلم ان يلبى داعى الله اذ يقول (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما)** وأن لنا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم أسوة . فقد كانوا أحرص الناس على تقوى الله وكانوا أشد حرصا على الجهاد فى سبيل الله لأنهم كانوا يرون فى الجهاد أمرا يقربهم الى الله الذى يمدهم بالقوة حين تبلغ القلوب الحناجر وتزيغ الأبصار فيثبتوا فى مواقعهم - فاما استشهاد فى سبيل الله وأما فوز وانتصار روى البخارى ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى **الله عليه وسلم قال (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها .**

روى الطبرانى عن العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل عمل ينقطع عن صاحبه اذا مات الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله ويجرى عليه رزقه الى يوم القيامة) وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه فى بعض غزواته : قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض فقال عمير بن الحمام الانصارى رضى الله عنه : يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال نعم قال (بخ بخ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : والله يارسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها قال : فأنك من أهلها . فأخرج تمرات من حقيبته فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل .

وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ألا انبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر - حارس حرس فى أرض خوف لعله الا يرجع الى اهله) .

وبعد : فهذا هو الجهاد وهذا جزاء المجاهد فى سبيل الله - واذا كان جنود الوطن هم عصب أمتهم فان الامة تدعوك أيها الجندى أن تصلح من نفسك وتجود بروحك رخيصة فى سبيل العقيدة والدفاع عن وطنك فأنك القوة التى تعتمد عليها أمتك . فاتخذ الايمان بالله نورا يهديك وسلاحا ينجيك وقوة تنصرك . وتعشق الموت توهب لك الحياة وهذا على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول :

(والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه) وفى هذا فليتنافس المتنافسون .

الشريعة الإسلامية

و

الأخلاق

المستشار محمد خاطر

تناولنا فى مقالاتنا السابقة بعض الخلال التى نهت عنها الشريعة الاسلامية وحضت على الابتعاد عنها لانها تتنافى ومبادىء الدين الاسلامى فى سموه وارتقائه وكماله ونقائه ، كما تناولنا ايضا بعض الآداب التى حثت عليها أحكام الشريعة الغراء ودعت اليها لما توجبه من محبة وأخاء وما تبتغيه من ترابط بين الأفراد وتناصر بين الجماعات حتى يكون المجتمع فى مثاليته الفاضلة كالجسم الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وفى ذلك ما يؤكد دائما أن الشريعة الاسلامية بتعاليمها وأحكامها وقوانينها وتنظيماتها تعمل جاهدة على اسعاد الفرد والجماعة وتكوين المجتمع الاسلامى الصالح .

هذا وسنعرض اليوم الى رذيلة نهى عنها الدين ودعت أحكام الشريعة وتعاليمها الى استئصالها من جذورها ومحاربة محترفيها تلك هى رذيلة النميمة والوشاية والوقيعة والله تعالى يقول بشأنها

« ولا تطع كل حلاف مهين • هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم • عتل بعد ذلك زنيم »

ـ وقد جاءت السنة مجمعة على شناعة جرم النمام وسوء مغبته وفى ذلك يقول الرسول الكريم صلوات الله عليه (لا يدخل الجنة قتات) وهو النمام. وقد ذهب بعض العلماء الى ان القتات يختلف فى بعض صوره عن النمام وان كانت جريمة كل منهما شنعاء فيقولون أن النمام هو الذى يحضر القصة ثم يبلغها متسترا ، والقتات هو الذى يتسمع من حيث لايعلم به ثم ينقل ما سمعه ، والشر فى كلتا الصورتين واضح والسوء فيهما ظاهر لاينكره أحد ، وقد اخرج الطبرانى مرفوعا عن المصطفى صلوات الله عليه « ليس منا ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا انا منه ».

وحقيقة النميمة هى نقل كلام الناس بعضهم الى بعض للافساد بينهم ، وفى ذلك يقول الامام الغزالى « وحدها كشف مايكره كشفه سواء كرهه

المنقول اليه أو المنقول عنه أو ثالث وسواء كان الكشف بالرمز أو بالكتابة أو بالايماء ، فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه » .

ولا شك أن هذه الخلة من اسوأ الخلال التى لايليق بمسلم أبدا أن يتخلق بها فهى مجلبة للشر والخزى والاثم والبوار والهلاك والدمار ، اخرج الامام أحمد « **خيار عباد الله الذين اذا رؤوا ذكر الله وشر عباد الله المشاءون بالنميمة الباغون للبرآء العيب** » .

وفى تصوير شناعة وجرم النميمة والوشاية اوضح القرآن الكريم أن فاعلها كمن يحمل الحطب لايقاد نار الفتن والأحقاد ولاشك أن من يقوم بالوشاية والنميمة بين الأفراد والجماعات انما يضع بذور العداوة ويغرس شجرة الكراهية والحقد ويجلب الوقود لنار البغضاء والشحناء ليرتفع أوارها بين الأفراد والجماعات وبسببه تقوم الحروب بين الأمم فتأتى على الأخضر واليابس نتيجة لفقدان السمو المطلوب للاخلاق والاندفاع فى تيار الحماقات المرذولة والسير فى ركب الترهات والأباطيل والخدع المنبوذة فيسىء الى نفسه بما احتمله من أثم وما جاء به من بهتان وما اتصف به من مهانة كما يسىء الى أهله ومجتمعه بما نتج عن فعلته من شر مستطير « **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وأثما مبينا** » .

هذا والشريعة حين تنظر الى قبح هذه الخلة آخذة فى اعتبارها وأحكامها ما ينجم عنها بين الأفراد والأمم من خسران وفساد فهى كذلك ناظرة اليها بالنسبة لما ينحدر اليه الشخص النمام حين يفقد شخصيته وكرامته ومعانى العزة فى دينه وما دعت اليه الشريعة الغراء من أمانة على المجالس وحرماتها والكلمة ومقتضياتها وما يجره ذلك من وبال فى الدنيا باحتقار وامتهان للنمام وما يناله فى الآخرة من عقوبات أشارت اليها الآيات فى صدر المقال اذ أوضحت تفاهة المشاء حين وصفته بالمهانة والذلة وكثرة الحلف بالباطل لترويج أفعاله الخبيثة وأقواله المسمومة اذ يهمز الناس بيده ويلمزهم بلسانه أو يهمزهم بالغيبة ويلمزهم فى وجوههم حمقا وسوء ادب وهو مع ذلك القبح كله يمشى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم وفى صحيح مسلم عن حذيفة « **لايدخل الجنة نمام** » .

وكفى فى ذمه أيضا أن سلكه الله جل شأنه فى المناعين للخير بجميع وجوهه فهو يمنع انفاق المال فى وجوهه المشروعة للخير والبر وقال ابن عباس فى المناع للخير ، انه يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم فى دين محمد لاانفعه بشىء ،وقد تجاوز باعتدائه كل حد وارتكب كل اثم وصار مثلا للجفاء والشدة والبعد عن الحق مع الاندفاع فى الخصومة واللدد فيها « **مناع للخير معتد اثيم . عتل بعد ذلك زنيم** » وفى صحيح مسلم عن حارثة بن وهب انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال « **الأاخبركم بأهل الجنة** » **قالوا بلى ، قال كل ضعيف متعفف لو اقسم على الله لأبره » ألا أخبركم بأهل النار قالوا بلى . قال : « كل عتل (١) جواظ (٢) مستكبر »** .

وفى النمام وذمة يقول الله جل شأنه أيضا « **ويل لكل همزة لمزة** » **قال ابن عباس : هم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب » . وفى ذلك يقول امام المرسلين صلوات** الله وسلامه عليه « **شرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب** .

ولقد كان فيما أورده القرآن الكريم فى زوجة ابى لهب بأنها حمالة الحطب لما تحمله من وشاية بين القوم أبلغ وصف فى شناعة جرم الواشين . وفى ذلك يقول الشاعر العربى :

أن بنى الأدرم حمالو الحطب
هم الوشاة فى الرضا وفى الغضب
عليهم اللعنة تترى والحرب

وقال أكثم بن صيفى لبنيه اياكم والنميمة فانها نار محرقة وان النمام ليعمل فى ساعة مالا يعمل الساحر فى شهر

البقية ص ٥٦

القرآن وعصمة حياة

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

قلت فى المقال السابق أن الاسرة الصغيرة تقوم على آصرة القربى تجمع فى اطارها كل فرد تربطه بالآخر رابطة القرابة ومن هؤلاء الافراد تتكون الاسرة الصغيرة .

وقلت ان القرابة درجات متفاوتة القرب من الشخص وان أقرب هذه الدرجات للفرد وأفضلها عند الله قرابة الوالدين ويليها قرابات أخرى متفاوتة القرب من الشخص كذلك يطلق عليها فى عرف الشرع ـ الرحم ـ وكل شخص مطلوب برعاية القرابة حق الرعاية ـ وأداء ما يجب لها أحسن ما يكون الأداء لان النصوص الشرعية عنيت بها وحثت على صلتها وبرها

ولقد ذكرت فى المقال السابق ما أفاض الله به على فى مايجب على الولد لوالديه حاثا له على طاعتهما وبرهما ما وسعه الجهد لا يألو فى ذلك جهدا ولا يدخر وسعا محذرا اياه من الاهمال أو التقصير فى حقهما مبينا ما توعد الله به العاقين الآثمين .

والمقام هنا يستدعى أن استرسل فى الكلام على القرابات الاخرى فأقول مستلهما الله عز وجل راجيا منه التوفيق والسداد فى بيان ما يجب لها وما يترتب على صلتها من خير وبر ـ وما يستتبع الاهمال ـ أو التقصير فى هذه الصلة من بأس وضر .

لا جرم أن القرابة هى قوام هذه الاسرة وفى القرابة دوافع تدفع الاقرباء الى التعاطف والتراحم وتدعو الى الاحسان والتعاون وبذلك تظهر الاسرة فى المجتمع بمظهر مثالى ـ أساسه المحبة . وشعاره المودة والألفة .

قد يخرج بعض الاقرباء فى سلوكهم على مقتضيات القرابة . وينحرف عن جادتها فتذبل العلائق . وتضمر الروابط ، ويخشى على الاسرة من الانحلال والانهيار ـ من أجل ذلك ـ ساندت الشريعة الاسلامية دوافع القرابة ، وأيدت ماتقتضيه من حسن الصلة ، وجمال المودة كتابا وسنة . قال تعالى :

(واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام . ان الله كان عليكم رقيبا) .

.. أى اتقوا الأرحام أن تقطعوها فلا تصلوها ولا تبروها . وقال :

(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه **(أنا الله أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته)**

وروى الشيخان عن ابى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ـ قال نعم ـ أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ـ قالت بلى ـ قال ذلك لك . ثم قال رسول الله اقرءوا ان شئتم (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)
كل هذه النصوص تحض على صلة الرحم وعلى الاحسان الى الاقرباء وكأنها تنادى كل فرد منهم أن أرهفوا أحاسيسكم للقرابة وأيقظوا مشاعركم تؤدوا للقرابة حقها وتتوقوا مسها وخدشها ـ لا تؤذوها ـ لا تجرحوها ـ لا تهملوها ـ لا تقبضوا يد المعونة عنها وان بادرتكم باساءتها بل اشعروها دائما بحنانكم وعطفكم وبركم لعلها تستيقظ فتشعر باساءتها فتستغفر اهلها وأسرتها وتعود الى حظيرة القرابة والاقربين واذكروا قول الله تعالى :

(ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)

والمراد بصلة الرحم العطف عليهم والاحسان اليهم بالقول والعمل ـ بالنفس والمال يدفعه الغنى منهم للفقير يسد جوعه ويستر عورته ويصون ماءوجهه ويكفيه ذل السؤال وتكون الصلة بين الاغنياء منهم بالهدايا والزيارات والمراسلات وتعليم الجاهل وارشاد الضال فقد ورد **(بروا أرحامكم ولو بالسلام)**

وقد درج التشريع الاسلامى على عادته فبين ما يترتب على امتثال الامر بصلة الرحم من آثار عظيمة هى غاية ما يتمناه الانسان من رغباته واقصى ما تصبو اليه النفس فى حياته رتب على صلة الرحم أمرين هامين احدهما سعة الرزق ، وثانيهما طول الاجل ورد ذلك فيما رواه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه)

الحديث متفق عليه ، قال شراح الحديث معنى ينسأ له فى أثره (أى يؤخر له فى أجله وعمره) ومعلوم أن الاجل محدد لكل فرد لا يزاد فيه ولا ينقص منه لقول الله تعالى :

(ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها) وقوله **(فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)**

وتأويل الأثر بالاجل كما قال شراح الحديث يوجد اشكالا كبيرا وتناقضا بين النصوص الشرعية حيث ينص هذا الحديث على زيادة الاجل بينما الآيتان السابقتان تنصان على تحديده من غير زيادة فيه ولا نقص منه ـ فمن الخير اذن ابقاء الاثر على المعنى الذى يتبادر منه عند النطق به وهو ما بقى من رسم الشىء وهذا تؤيده اللغة ولا يوجد اشكالا ولاتناقضا يحتاج الى تأويل فى النصوص بدون حاجة والمراد هنا هو أثر ما يعمله الشخص صلة للرحم من المعونة لهم بالمال عند حاجتهم له . وفك ضائقتهم به وبالهدايا ان لم يكونوا فى حاجة الى المال وبالمعونة لهم فى قضاء مصالحهم التى تحتاج الى المعونة وما الى ذلك .

هذا العمل لا شك أنه يترك فى الاسرة أثرا حسنا كغرس الود والمحبة . وتقوية العلائق ودعم الروابط وجمال الالفة وغير ذلك مما يخلد ذكره فى قرابته بعده يذكرونه به ما دام هذا الاثر قائما فيهم فكأنه حى بينهم يقوم فيهم بما كان يقوم به حال حياته ومن أجل هذا قال الرسول فى الحديث «وينسأ له فى أثره ولم يقل فى أجله وحتى لو وردت رواية اخرى بقوله وينسأ له فى أجله ينبغى أن يحمل الاجل هنا على الأثر تلافيا لهذا التناقض

هذا ، ولا يعفى ذا الرحم من واجب الصلة عداوة أو تنازع بينه وبين الاقرباء لانه مطلوب منه أن يكون عفوا عن زلاتهم . صفوحا عن اخطائهم . يقابل سيئاتهم بحسناته لينال ما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم السائل القائل يا رسول الله :

(ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن اليهم ويسيئون الى وأحلم عليهم ويجهلون على فقال : (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)

تسفهم ، بضم التاء وكسر السين وتشديد الفاء والمل بفتح الميم وتشديد اللام وهو الرماد الجار أى كأنما تطعمهم الرماد الحار . قال شراح الحديث : (هو تشبيه لما يلحقهم من الاثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ولا شىء على المحسن اليهم لكن ينالهم اثم عظيم بتقصيرهم فى حقه وادخالهم الاذى عليه والله أعلم) اهـ

وروى عنه صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الحاكم **(أفضل الصدقة صدقة على ذى الرحم الكاشح)**

الكاشح مضمر العداوة فى باطنه وهذا منتهى مكارم الاخلاق الذى بينه الرسول بقوله :

(أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك) لذا أخرج البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **(ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها)**

وليكن لنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الاسوة وأطيب القدوة فقد لقى من أهله وعشيرته ما أقض مضجعه وأقلق راحته وأطلق لسانه بالضراعة الى ربه مستجيرا به من تعذيب ثقيف له فقال :

(اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله)

نعلم من هذا أن الرسول تحمل أذى قومه وعشيرته وعفا عنهم وقابل تعذيبهم له بالدعاء لهم بالهداية — وها هو ذا سيدنا يوسف عليه السلام ضرب المثل الاعلى فى الصفح وكظم الغيظ والعفو عن اخوته وقد تآمروا عليه أن يبعدوه عن أبيه بل فكر بعضهم فى قتله ، واخيرا تمت كلمتهم على القائه فى غيابة الجب وهناك تلقته يد الله ومهد له ربه سبيل النجاة حيث رباه على عينه فى بيت الملك حتى ولى أعظم مركز فى الدولة وجاء اخوته يشترون طعاما يقتاتون به فعرفهم يوسف وهم لم يعرفوه فلم يمنعه ما أجرموه معه أن يبر بهم ويعطف عليهم ولم يستبد به عظم مركز فينسيه حق والديه واخوته بل عرفهم بنفسه وقال لهم :

(اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين)

فهذه المثل وأشباهها جديرة بحمل الضمير الانسانى على الاغضاء عن زلات الاهلين وحرية بدفع الشعور الى الرحمة بهم والحنان عليهم فهو منهم وهم منه أغصان شجرة واحدة ويجمعهم أصل واحد ان أحسن اليهم فانما يحسن لنفسه وان أساء اليهم فانما يسىء لها وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ، فما أجمل صلة الرحم وما أبر من البر بهم — ما أطيب هذا الصنيع وما أبرك هذا العمل .

ان من يتمعن هذا التشريع الحكيم ويتدبر ما ينطوى عليه من حكم اجتماعية ونظم عمرانية ويفقه ما يهدف اليه من تكوين وحدة اسلامية عامة . تعصمها وشائج المحبة وتجمعها روابط الالفة فيرهبها العدو ويخشى بأسها الخصم أن من يعلم هذا كله ويلقى نظرة عامة فى بيوت المجتمع الاسلامى وعلى نظام أسر المجتمع الاسلامى ويوازن بين ما عليه هذه الاسر من نظام وبين ما بين الله للاقارب من حقوق يرى العجب العاجب والامر المستغرب ، يرى فى هذه الأسر نظما يندى لها جبين الفضيلة وسلوكا يحمر منه خجلا وجه الحياء ، يرى معاملات بين أغنياء هذه الاسر وفقرائها تخجل منها الانسانية الصحيحة — نعم يرى ان كل أسرة قد تضم بين أحضانها أشخاصا على طرفى نقيض تضم أفرادا رزقهم الله سعة فى العيش وترفا فى الملبس والمسكن وعلوا فى الحياة وجاها عظيما بينما تضم أفرادا آخرين خشن عيشهم وعريت أجسامهم يفترشون الارض ويلتحفون السماء معلقين آمالهم بأقربائهم الاغنياء وربما يحسدهم الغير على قرابتهم بهؤلاء الاغنياء ولكن انظر موقف كل من الفريقين بالنسبة للآخر ترى البون شاسعا والفرق بعيدا .

وقف الغنى من قريبه الفقير موقفا لا سبيل فيه الى الرحمة ولا وجود فيه للحنو ـ ذلك انه اذا رآه ازدراه واذاخاطبه قطب له حاجبه وجعد لهجبهته وحول عنه نظرته كأنه لاتربطه به صلة ولم ينشأ معه من شجرة واحدة ـ وظاهرة غريبة بل عجيبة ومدهشة تلك التى تعبر تعبيرا صادقا عن الموقف المخزى الذى يقفه هذا الغنى من ربه أولاومن فقراء قرابته ثانيا .

أما موقف فقراء الأسر من هذا الغنى الضنين الشحيح فانهم يحترمونه والصغار منهم يعظمونه ويؤدون له ما تقتضيه مراسيم الاسرة وما تفرضه التقاليد المرعية بين العائلات وفى رأيى أن هذا الاحترام مصطنع والتعظيم مزيف لانه لم يبعثه ود من الغنى ولم يدع اليه عطف ولا حنو من الغنى لذا لم ينشأ عن اخلاص ولم يصدرعن محبة ووئام ولكن يكون أكثر ما يكون مع تزمت فى النفس وجفوة فى الضمير والسبب فى هذا سوء معاملة الغنى لقريبه الفقير اذ أنه يزدريه وفى أزماته لا يواسيه ..

واذا كان هذا نظام أسر مجتمعنا الاسلامى وتلك هى حياة بيوتات مجتمعنا الاسلامى وهذه هى أخلاق الاغنياء فى المجتمع الاسلامى فكيف النجاة نعم كيف النجاة والحياة حياة الاثرة والانانية ، حياة الغرور والمتع واللذائذ الفانية لا تغتروا ياهؤلاء فدوام الحال من قضايا المحال ، لا تغتروا فالله قدير على تغيير الاوضاع وتبديل الحال فى الحال واقرأوا ان شئتم قول الله تعالى :

(وتلك الايام نداولها بين الناس) (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) (ألا له الحكم وهو اسرع الحاسبين)

بقية مقال « الشريعة الاسلامية والأخلاق »

أن النميمة نار ويك محرقة
نفر عنها وجانب من تعاطاها

وقال عليه الصلاة والسلام « **شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**

فالنميمة من الكبائر حتى قال الفضل بن عياض **ثلاث تهد العمل الصالح الغيبة والنميمة والكذب** وقال عطاء بن السائب ذكرت للشعبى قول النبى صلى الله عليه وسلم « **لايدخل الجنة سافك دم ولا مشاء بنميمة ولا تاجر يربى » فقلت يا أبا عمرو قرن النمام بالقاتل وآكل الربا ؟ فقال : وهل تسفك الدماء وتنهب الأموال وتهيج الامور العظام الا من اجل النميمة » . وفى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ما يشير الى ذلك قال : قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال : قد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسر الله عليه . تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ، ثم قال الا أدلك على أبواب الخير . الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار . وصلاة الرجل من جوف الليل ثم « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ، ثم قال الا اخبرك برأس الأمر الاسلام وعموده وذردة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانى ثم قال كف عليك هذا . قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك . (وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم) .**

فأنت ترى أن اللسان وراء كل مشكلة من مشاكل المجتمع وهو سر ما تعانيه معظم البيوت والأسر من متاعب ومشاكل لا تنتهى وقانا الله شر ذلك ووفقنا للعمل بكتابه وهدى نبيه الكريم ، والى لقاء ان شاء الله لنتزود من أحكام الشريعة وآدابها .

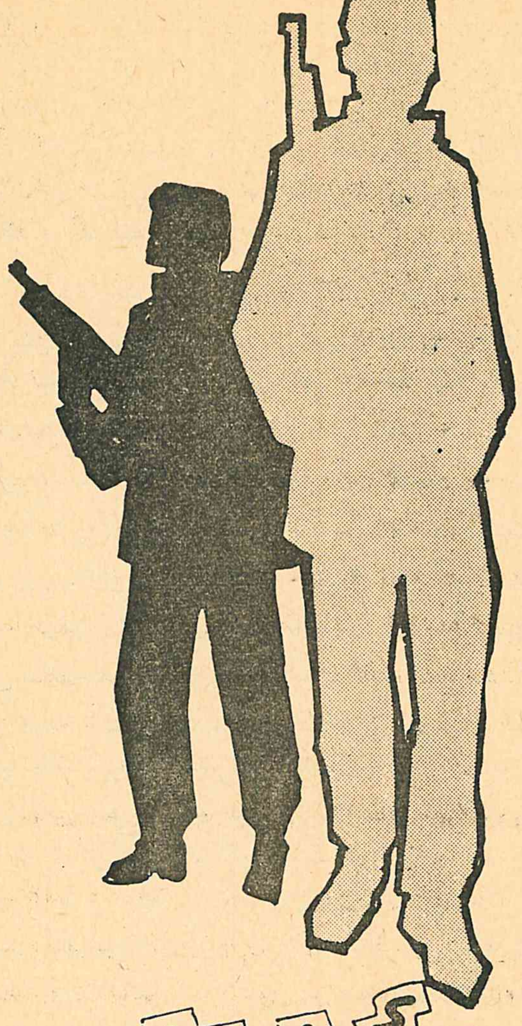

أبطال و شهداء

الأستاذ أحمد دافى

كان النهج المحمدى فى تبليغ الرسالة ، ودعوة الناس الى دين الله الحق ، ملتزما أمر الله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » ـ الآية ١٢٥ من سورة النحل ـ

وعلى هذا النهج سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طوال ثلاثة عشر عاما ، يبلغ ويدعو ، ويبشر وينذر ، ويلقى من المشركين ما يلقى ، من مكابرة وانكار ، وعنت وضرار ، وقد تبعهوآمن به السابقون الأولون الذين شرح الله بالحق صدورهم ، وأنار بالهدى بصائرهم ، وفيهم الاقوياء بالعشيرة والمال ، الى جانب الضعاف ورقاق الحال ، وكان منالممكن وقد اشتد عليهم جميعا أذى المشركين ، أن يشعلوها فى قومهم ، « ثورة » مدمرة ، تتداعى فيها النعرات القبلية الجامحة ، أكثر ممايتداعى لها الرأىالراشد والفكرة الصالحة ، ولكن رسول الله كان مدركا ما ينطوى عليه أمر الله من « حكمة » الدعوة الى سبيله بالحسنى فانما يريدها الله فى الناس بيانا وموعظة واقناعا « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

وأنها لدعوة رحمة وسلام ، ومحبةووئام ،والمشركون مشدودون شدا وثيقا الى جاهلية عمياء ممعنة فى القدم ، فالدعوة الاسلامية تفجأهم بمالم يألفوا ، وتقع منهم بحيث يكرهون ، وهم لذلك متضافرون على صدها ، وبتضافرهم الجاهلى العنيد يشكلون خطرا عليها ، وهى لما تزل بعد تخطو خطواتها الأولى على درب طويل ، فمن الخير لها ان يصبر اصحابها ويحتملوا ، فعساهم بذلك أن يكونوا مثلا يهول المشركين ويحرك عقولهم ، ويهز مشاعرهم ويضىء لهم سبيل الحق ، والعاقبة للصابرين ..

فلما ضرى طغيان المشركين ، وكادت تكون فتنة فى مجتمع يمور بالكفر والجهل ، أشار الرسول على اصحابه بالهجرة الى حيث يجدون الأمن والعافية. فى أنفسهم ودينهم .. فهاجروا .

وقد كان هؤلاء الصحاب ، فيما لقوا من أذى المشركين ، وفيما اضطروا اليه من هجرة مجهولة المصير ، وفيما تركوا وراءهم من ارزاق وأموال وأهل وديار ، كانوا بهذا ابطالا ، ومثلا عليا فى

التضحية والبذل ، ايثارا لدينهم الذى آمنوا به منذ قريب ! ..

ويقدم لنا ابن اسحق صورة مما ارتسمه المشركون فى ايذاء المسلمين على اختلاف اقدارهم ومواضعهم بقوله :

« كان ابو جهل الفاسق ، اذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة ، انبه وأخزاه ، وقال : تركت دين ابيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنفيلن رأيك ، ولنضعن شرفك .. وان كان تاجرا ، قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به .. !»

وفى عصبية متهوسة متجبرة ، انفذ أبو جهل طاغية قريش ، ومعه رؤوس الكفر ، هذا الوعيد المعتسف فى اصحاب رسول الله ، وآذوهم أذى منكرا ..

ويقول سعيد بن جبير : « قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم ؟ . قال . نعم والله أن كانوا ليضربون أحدهم ، ويجيعونه ، ويعطشونه ، حتى ما يقدر على أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى نزل به . »

وتعرض علينا الرواية الاسلامية ، فى تاريخ هذه المرحلة الخطيرة من الدعوة المحمدية ، مواقف بطولة وشجاعة ، لا تحصى كثرة ، فى حياة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بينها الموقف التالى :

بلغ المهاجرين منهم الى الحبشة : أن أهل مكة أسلموا ، فسرهم الخبر ، وسارعوا بالعودة ، فلما كانوا على أبواب مكة ، علموا أن الخبر غير صحيح ، فلم يدخلها أحد الا مستخفيا أو لائذا بجوار ، وكان منهم « عثمان بن مظعون » فدخل بجوار قريبه الوليد بن المغيرة ، وامتنع عنه الأذى بهذا الجوار ، ولكنه **« لما رأى ما فيه أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان الوليد بن المغيرة .. قال والله أن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله مالا يصيبنى ، لنقص كبير فى نفسى .. فمشى الى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا ابا عبد شمس ، وفت ذمتك ، وقد رددت اليك جوارك ، قال له : لم يا ابن أخى ! لعله آذاك أحد من قومى ؟! قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره .. » ثم رد الى الوليد جواره علانية بالمسجد ..**

وحدث بعد ذلك ، ان كان عثمان فى مجلس من قريش يستمعون الى لبيد بن ربيعة الشاعر ، فلما قال لبيد منشدا : **(الاكل شىء ما خلا الله باطل)** قال عثمان : صدقت .. فقال لبيد مكملا . « وكل نعيم لا محالة زائل » قال عثمان . كذبت .. نعيم الجنة لايزول .. فضاق لبيد بهذا ، وقال : يامعشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم !؟ فقال رجل من القوم أن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما ، فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها ، وكان الوليد ابن المغيره قريبا يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : اما والله يا ابن أخى ان كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت فى ذمة منيعة ، قال عثمان : بل والله أن عينى الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب اختها فى الله ، وأنى والله ، لفى جوار من هو أعز منك وأقدر .. الى آخر القصة كما جاءت بسيرة ابن هشام ..

فكذلك كانوا يجهرون بدينهم وعقيدتهم غير متخافتين ، لا يخشون فى رضى الله شر الطغاة المناكير ..

وظل الأمر على هذا : عدوانا متصلا يتلقاه المسلمون صابرين محتملين ، حتى كانت بيعة العقبة الكبرى ، وجعل الله من يثرب دار هجرة آمنة على عهد من أهلها وموثق ، وكان المشركون قد بلغوا من رسول الله واصحابه مالم يعد يطاق احتماله ، فعندئذ اذن الله لهم بمقاتلة المشركين بقوله تبارك وتعالى : **« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره»**

أن الله لقوى عزيز » - ٣٩ و ٤٠ من سورة الحج - وقوله عز من قائل : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » - ١٩٣ من البقرة - ..

فهذا الأمر السماوى بالقتال ، يتنزل بعد ثلاث عشرة سنة حاشدة بالعذاب يصبه المشركون صباعلى المسلمين ولا ذنب لهم الا أن يقولوا « ربنا الله » .. أما وقد ظهر الاسلام ، وأورقت غراسة ، وانتشر عبيره ، فتلك دلالة القوة ، وبشارة النصر ، فليتقدم المسلمون ، اذن فى غير ماخشية ،ولا وجل لمقاتلة من يقاتلونهم ودفع عدوان من يعتدى عليهم، حفاظا على دينهم وعقيدتهم ، ولا عليهم من شر ولاسوء فلقد كفل الله لهم احدى الحسنيين : النصر وفيه الحياة العزيزة الطهور ، أو الشهادة ، وهى المدخل الى الجنة حيث النعيم المقيم ، الذى لا يعد له فىهذه الدنيا نعيم ..

وتلاحقت ، من ثم ، المعارك أو الغزوات كما يسميها رواة السيرة ، وسواء أكانت ستا وعشرين فى رواية ، أو سبعا وعشرين فى أخرى ، فان واحدة منهم لم تكن - قط - عدوانا من المسلمين ، وانما كانوا يرغمون عليها أرغاما ، ذودا عن دينهموشرفهم وديارهم ، وما كان ليسع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اصبح مسئولا عن هذا الدين الذى أشرقت شمسه واستعلنت آياته ، وانضوى تحت لوائه عشرات الألوف من عرب الجزيرة ، ما كان ليسعه تجاه هذه المسئولية الكبرى ان يلين لمن يغلظون له ، أو يغضى عمن يكيدون لدينه ، وقدأمره الله بمقاتلهم ، كذلك ما كان ليستطيع أن يقف بالدعوة عند حد هذه الجزيرة فى جدبها ومضطرب فيافيها ، وهو المبعوث الى الناس كافة ، والى أمم الدنيا جميعا ، لذلك شرع فى ايفاد رسله وكتبه الى الملوك والأباطرة من الفرس والروم وعملائهما من أمراء العرب على حدود الدولتين ، يدعوهم الى الاسلام وترك ما هم عليه من وثنية ، وفساد عقيدة،لينالوا من رضوان الله، خيرىالدنيا والآخرة ..ولم يعجله عن هذه البعوث ، انه فى الوقت نفسه كان يواجه قريشا بعداوتها وعدوانها ، واليهود بغدرهم ومكائدهم » ..

ونحن هنا مع ذكرى احدى هذه المعارك التى اقتحم المسلمون ضرامها ، وباعوا فيها أنفسهم لله، وهى معركة (مؤتة) على أرض الشام ، وما كانت المعارك التى قبلها أو بعدها بأقل منها لظى أو دونها أثرا ، ولكننا انما نعرضها مثلا من بطولة المسلمين وقوة ايمانهم وصدق جهادهم ، وما أكثر مالهم فى هذا المجال من امثال .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا الى ذات الطلح ، ومعهم كتبه ودعوته الى أمراء العرب على مشارف الشام ، فقتلوهم هناك وهم سفراء سلام ، وارسل كذلك رسولا وكتابا الى هرقل قيصر الروم فعرض له ، فى الطريق ، عربى من غسان وقتله ومزق كتابه ! .. فهما حادثان بالغا الخطورة ، يؤثران فى هيبة الدعوة ، ويعوقان مسيرتها اذا لم يجدا من الرسول وأصحابه انبعاثا قويا ، وعاجلا ، لمحو أثرهما ، وتخلية الطريق أمام الدعوة فى هذه المواطن الهامة التى يتساير اليها العرب بتجاراتهم وأموالهم ، ذلك الى أنها منفذ : للدعوة الى خارج الجزيرة العربية .. لهذا نادى رسول الله بالتعبئة والاعداد للحرب ، لمقاتلة المعتدين والثأر منهم ، والتمكين لدين الله هناك ..

وكان نداء رسول فى كل المغازى تأذينا بالحرب، يقع من المسلمين أمرا مقدسا ودعوة الى خير ، فيقبلون جماعات ووحدانا ، متطوعين ، باسلحتهم ورواحلهم ، ويتقدم الاغنياء بأنفسهم وأموالهم ، فى غير قسر ولا الزام ، فانما هو جهاد فى سبيل الله، وجنديه ، متحررة من القيود والضغوط ، حافزها الايمان والشعور الصادق بأن الجهاد والتضحية فى ميدانه ، حق فى أعناقهم لله ورسوله .

وقد اجتمع لغزوة « مؤتة » ثلاثة ألاف ، كان فيهم على ظاهر ظروفها غناء ، فما كان الأمر ليعدو - فى تقديرهم بالمدينة - مقاتلة عرب الحدود ، فىحيزهم المحدود ، فهم الذين سفكوا دماء الرسل فى ذات الطلح ، وقتلوا مبعوث رسول الله الى قيصر ، وعلى أساس هذا التقدير كان مفهوما أن جيشا من ثلاثة آلاف مجاهد مؤمن ، يملك القوة الغالبة فى ملاقاة هؤلاء وتأديبهم ؟!

واختار رسول الله لامارة الجيش وقيادته ثلاثا من صفوة شباب المسلمين ، سبقا وايمانا وصدق

عقيدة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب . وعبد الله بن رواحه .

على أن المسلمين ما أن بلغوا مواطن المعتدين ، حتى وجدوا فى ملاقاتهم جيشا لجبا ، من مائتى ألف ، شاكى السلاح ، موفورى العدة ، « مائة ألف من الروم ، ومائة ألف مثلها من عملائهم عرب الحدود » ..!

وكانت مفاجأة أذهلت المسلمين ، فليس لهم بهذا الجيش الضخم قبل ولا طاقة . وما كان فى الحسبان أن يجتمع لهم الروم والعرب معا بهذه العدة الكبيرة ، فثلاثة آلاف لا يمكن ان يثبتوا لمائتى الف ! .. وقالوا : نكتب الى رسول الله ، فنخبره ، فأما أن يمدنا بالرجال ، وأما أن يأمرنا بأمره فنمضى فقام فيهم عبد الله بن رواحه ، فقال : ياقوم ، والله ان التى تكرهون ، لهى التى خرجتم تطلبون .. انها : الشهادة .. وما نقاتل الاعداء بقوة ولا كثرة ، ولكننا نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين : أما ظهور واما شهادة ! .. فقال المسلمون : قد صدق والله ابن رواحه .. وأقدموا بعد تردد . والتقوا بأعدائهم الكثر ، لقاء قاسيا ، ومريرا .

وقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ، فأبلى بلاء الأبطال حتى تمزق جسمه أربا على رماح القوم .

فتلقى الراية جعفر بن أبى طالب ، فقاتل بها فى شجاعة هاشمية ، حتى اذا ألحمه القتال فى هذا الموج من الاعداء ترجل عن فرسه ، وواصل القتال ضربا فى الاعناق والنحور وهو ينشد .

ياحبذا الجنة واقترابها
طيبة باردا شرابها

ويروى عن موقفه البطولى فى هذه المعركة أن اللواء كان بيمينه فأصيب فيها وقطعت ، فأخذه بشماله ، فأصيبت وقطعت ، فاحتضنه بعضدية حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين . وقال **رسول الله عند ما تلقى نعيه : «لقد أبدل الله جعفرا من يديه اللتين قطعتا ، جناحين طار بهما الى الجنة »** فسمى من يومئذ : جعفر الطيار ..

وأخذ الراية بعده عبد الله بن رواحه ، وتقدم بها على فرسه مقتحما هول المعركة .. وكأنما قد احس فى رهبة الموقف وملاقاته الموت سافرا ، أن نفسه تنازعه مترددة بعض التردد فراح يستنزلها ويستثها بقوله : ـ

اقسمت يانفس لتنزلنه
لتنزلن أو لتكرهنه
أن أجلب الناس شدو الرنة
مالى اراك تكرهين الجنة
يانفس الآ تقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت قد أعطيت
أن تفعلى فعلهما هديت

يعنى ما فعله صاحباه اللذان سبقاه الى الشهادة زيد وجعفر ..

ثم قاتل شجاعا ، وأوغل فى الاعداء قتلا ذريعا ، حتى استشهد لاحقا بصاحبيه وقبل أن يضطرب أمر المسلمين تقدم خالد بن الوليد فأخذ الراية وتولى **القيادة مصطلحا عليه منهم ، وكان ـ كما هومعروف رجل حرب ، بأرع القيادة ، لا يشق له غبار ، ولا يفيل له رأى ، وقد خرج فى هذا الجيش متطوعا وجنديا عاديا ، وهو وقتئذ حديث عهد بالاسلام ، واذا كان الموقف عسيرا ، والخطر محدقا ، والعدو** ظاهر القوة بكثرته العارمة ، فقد أخذ خالد يمكر ويحتال للنجاة بالمسلمين ، فرتبهم ترتيبا يشى بالكثرة وينم على القوة ، وأحدث خلال تجمعاتهم المتحايزة ضجيجا القى به فى روع الاعداء أن مددا كبيرا ورد على المسلمين ، فخشوا ملاقاتهم فى المعركة وقعدوا عن الهجوم الذى كان متوقعا ، وبدا أنهم يلتزمون موقف الدفاع ، ذلك لانهم على كثرتهم الكاثرة ، ذاقوا الامرين بالامس من المسلمين الاقل منهم عددا وسلاحا ، اذ كان المسلمون يترامون على الموت خفافا كأنهم يطلبونه على شوق اليه ويفتكون باعدائهم فتك الليوث بفرائسها ، فكيف بهم اليوم وقد صاروا أكثر عددا ، وأقوى قوة ؟!

وفى غشية الرهبة التى رانت على قلوبهم ، استطاع خالد أن يفلت بالمسلمين ، **عائدا بهم الى** المدينة ؟!

وكيفما كانت الصورة التى استقبل بها العائدون بالمدينة فأن المعركة كانت نموذجا عاليـــا لبطولة المؤمنين الذين خاضوها وهم يعلمون - يقينا - أنها معركة غير متكـــافئة ، بل وهم يعلمون أنهم فى غمارها ملاقون موتا محققـــا ، فقد كان الواحد منهم يواجه سبعين مقاتلا من أعدائه في وقت واحد ؟!

ولا أدل على هذه البطولة ، ومثاليتها النادرة ، من أن المسلمين وهم بهذه النسبة الضئيلة ، ورغم تلاحم المعسكرين ، ومع تأجج لهيب المعركة بينهما من اللحظة الأولى ، ضربا دراكا ، ودما مراقا لم يزد عدد ضحاياهم على عشرة ، منهم قادتهم الثلاثة ؟! وليس هكذا كـــان حال أعدائهم ، فقد امتلأت أرض المعركة بالمئات من قتلاهم ، ومن هنا كان ما قدعراهم من فزع وارتياع؟!

وحين تنجلى هذه المعركة المخوفة عن عشرة قتلى ، ليس غير ، من بين ثلاثة الاف ، يقاتلون مائتى ألف على أرضهم وقريبا من مراكز مددهم ، فمعنى ذلك أن المسلمين كانوا يقاتلون بما لا مثيـــل له قط ، ولا سابقة ، فى دنيا البطولات . ويزداد هـــذا المعنى وضوحا عندما يكون قتلى اعدائهم فى المعركة بهذه الكثرة الهائلة ؟!

والواقع أن المسلمين فى هذه المعركة وأمثالها من معارك الجهاد ، لا يقاتلون - كما قـــال عبد الله بن رواحه - بكثرة عدد ، ولا بقوة عدد ، وانما يقاتلون بدينهم وعقيدتهم ، وقد كانوا يوم « بدر » ثلاثمـــائة يقاتلون ثلاثة آلاف من رجال الحرب الاشداء من قريش ، فانتصروا عليهم نصرا عزيزا كان له ما بعده!

وما نرى (مؤتة) الا صـــورة أخرى من أختهـــا الكبرى « بدر » ولئن كان ثمة اختـــلاف فى الاثر العاجل لكل منهما ، فمرجع ذلك الى ما قد وضح فى معسكر الاعداء من كثرة فادحة تفوق عدد المسلمين بنحو سبعين ضعفا ، وليس ثلاثة أضعاف كما كان الحال فى « بدر » - هـــذا الى أن بدرا تتميز عن « مؤتة » بظاهرتين أو عاملين مؤثرين ، أولهما أنهـــا كانت بين عرب وعرب ، وعلى أرض عربية قريبـــة من المدينة ، وثانيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بشخصه على رأس القوة المقاتلة يضـــفى عليها مددا روحيا عاليا ويمنحها قوة دافعة ، وكان ذلك حسبها ؟!

ومع هذا فلم يكن المسلمون فى « مؤتة » قد كفوا عن القتال ، أو جنحوا الى الكف عنه ، فلم تكن نتيجة المعركة بالنسبة لهم قد تكشفت تمـــاما ، وعلى وجه حاسم ، وما كان ضحاياها منهم فى يومها الأول - وهم لا يجاوزون عشرا - ليمثلون هزيمة جيش من ثلاثة آلاف مقاتل . وانما هو رأى رآه خالد بن الوليد ، مستمدا من ميزان القوى فى الجـــانبين ، وهو كقائد مســـئول ، يؤسس خطته على الواقع المنظور ، لا على الغيب الذى لا يعلمه غير الله ..

وقد أقر رسول الله خطة خالد وتدبيره واثنى على مهارته فى النجاة بالمسلمين مقدرا ظروف المعـــركة ومكانها والعوامل التى احاطت بها ، وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع الناس يتصـــايحون فى وجوه العائدين قائلين لهم : يافرار .. فررتم فى ســـبيل الله .. يدفع عنهم قائلا : « ليسوا فرارا .. ولكنهم الكرار ان شاء الله . »

وشاء الله تعالى أن لا يضـــيع حق « مؤتة » فى خلود كخلود بدر ، فجعلها بداية لمعركة « تبوك » التى قادها رسول الله بنفسه بعد شـــهور ، وقد شفت « تبوك » جراح « مؤتة » وحققت للمســـلمين نصرا ومغنما .. ثم كانت بعد ذلك مدخلا لما توالى من فتوح الشام ومصر وما حولهما والانتصـــار فى هذه الرقعة العريضة على الروم وعملائهم نصراواسعا كاسحا ، انتزع سلطانهم ،وارتفعت به راية الاسلام على ما كان فى حكمهم وتحت ايديهم .. والأعمال بخواتيمها ؟!

وقد كان ذلك هو شأن المسلمين فى كل معترك جهاد ، لا تقع بهم هزيمة فى معركة الا كانت مفتاحا لنصر كبير فى معركة تالية .. وتاريخ هذه المعارك فى حياة رسول الله ، وبعد وفاته ، حافل بالامثلة والاحداث المؤكدة للبطولات الفذة ، والتضـــحيات الغالية ، والنصر المؤزر ؟ ..

على أن أقسى وأشد ما آلم رسول الله ، وأثار حزنه وأساه ، من معركة « مؤتة » انهـا ذهبت بأقرب الناس الى قلبه ، وأعزهم منزلا من نفسه : زيد بن حارثة ، وجعفر بن ابى طالب وعبد الله بن رواحة ، فقد كانوا ثلاثتهم منه بموضع الابناء من أبيهم ، الى مالهم فى الجهاد والمنافحة عن الدين من دور كبير ، وآثار جليلة ، فالخطب فيهم ، لاجرم عظيم ، والخسارة بفقدهم قلما تعوض ..

فأما أولهم : زيد بن حارثة ، فربيب رسول الله ومتبناه ، كانت أمه سعدى بنت ثعلبة قد خـرجت به غلاما فى الثامنة لتزيره أهلها بنى معد بن طىء فأصابته خيل وعرضوه « رقيقا » فاشتراه حكيم بن خويلد ، واهداه الى عمته خديجة فوهبته زوجهـا محمدا فاعتقه وتبناه قبل أن يوحى اليه ، وكان أبو الغلام قد خرج يلتمسه فسمع بمكـانه فذهب الى رسـول الله ليرده اليه بما يرى من فداء ، فجعل الأمر الى الغلام ، فجىء به ، فاختـار رسول الله، فعاتبه أبوه ، فقال : انى رأيت من هـذا الرجل شيئا وما أنا بالذى افارقه ابدا .. فأخذه محمد - صلى الله عليه وسلم - بيده وقام به على ملأ من قريش ، فاشهدهم أن زيدا ابنه وارثا وموروثـا ، ودعى منذئذ : « زيد بن محمد » . فلما نزل الوحى على رسول الله كان زيد أول من أسلم بعد على بن أبى طالب .. وحينما بلغ زيد سن الزواج زوجـه رسول الله من زينب بنت عمته أميميـة بنت عبد المطلب ، وكانت زينب من أجمل بنات بنى هاشم، وكان زواج مثلها من مثله ، أمرا تأباه القاليد عند العرب ، وأنها التقاليد جاهلية لا يقرها الاسلام ، بل جاء الاسلام ليمحوها ويدعوالى التحرر من كبولها تقريرا لحق المساواة بين بنى الانسان ، وقد أراد رسول الله أن يسبق بنفسه وبأفضـل قرابته الى تحطيم الفوارق بين الطبقات ، وبين السـادة والرقيق ، الى آخر المعانى الانسانية السامية التى تمثلها قصة زواج زيد وزينب ، وهى مبسـوطة بكتب السيرة .. وقد رافق زيد رسول الله فى كل أطوار حياته قبل البعث وبعده ، وشـاركه أعمق وأخلص المشاركة فى كل المحن والمضانك ، وشـهد تحت رايته جميع الغزوات والمعارك ، وكان فيهن أصدق ما يكون الصدق ايمانا ، وشجاعة واقداما ، الى أن مزقته رماح الأعداء ..

وأما جعفر بن ابى طالب ، فابن عم رسول الله، وكان مرباه عند عمه العباس ، فلما بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق ، أسلم جعفر ولم يسلم عمه العبـاس ، ففارقه منضمـا الى الرعيل الأول من المسلمين ، وكان من أوفى شباب المسلمين للدعوة وأشجعهم معالنة بها ، فلقى من المشركين ماكان يلقى المسلمون من أذى ، وهاجر فيمن هـاجروا الى الحبشة وكانوا معه ثلاثة وثمـانين رجلا فقدموه عليهم وهو بعد فى العشرين من عمـره ، وأنابوه عنهم فى التحدث الى النجاشى عندما استقدمهم الى مجلسه ليسألهم عن دينهم ، وكان مشركوا قريش قد بعثوا الى النجاشى برسـولين ومعهما الهدايا النفيسة ليردهم اليهم متهمين أياهم بالخـروج عن دينهم ودينه الخ .. فألقى جعفر فى المجلس الحاشد خطابه المبين الخالد ، فى التعريف بمحمد رسولا أمينا ، وبالاسلام دينا قيما ، حتى أبكى النجاشى وبطارقته فقرر النجاشى من فوره أن يسـتبقيهم بجواره محتفيا بهم ، موسعا عليهم ، الى آخر القصة المعروفة ..

وبقى جعفر بالحبشة مع من بقى بها من المهاجرين حتى قدم الى المدينة فى السنة السابعة من الهجرة وصادف يوم وصوله ، يوم فتح خيبر وانتصـار المسلمين على يهودها ، ففرح رسول الله بلقائه فرحا عظيما ، « وقبله بين عينيه والتزمه » وقـال : « ما أدرى بأيهمـا أسر ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟! » ..

وأظلته راية الجهاد « مؤتة » بعد مقدمه ، وكأنما استقدمه الله من مهجره ليفوز بالشهادة فيها ، على ما قد رأينا من بطولته وتضحيته الرائعتين ! ..

وأما عبد الله بن رواحه ، .. فكان بالصدارة من شباب الأنصار الذين بايعوا رسول الله بيعة العقبة

الكبرى – وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين – ولما طلب رسول الله اليهم أن يختاروا منهم اثنى عشر نقيبا « ليكونوا على قومهم بما فيهم » كان عبد الله بن رواحة ثالث ثلاثة من الاثنى عشر نقيبا المختارين ، وقال رسول الله لهؤلاء النقباء : « أنتم على قومكم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم » فهو من حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أكرمه من موضع ؟!

وشهد عبد الله مشاهد رسول الله كلها ما عدا الفتح وما بعده ، فقد استشهد بمؤتة قبل الفتح بثلاثة شهور .

وكان رسول الله قد أقامه نائبا على أرض خيبر لمقاسمة اليهود ثمار مزارعهم بعد أن كان قد غزاهم ودمر عليهم حصونهم ، فصالحوه على أن يبقوا بأرضهم يزرعونها ، وللمسلمين نصف غلتها، وانما اختاره رسول الله لذلك لما قد عرف من صدق اخلاصه ، وقوة ايمانه ، وموفور خبرته ، وذكائه وقدرته على قمع ما يتوقع من غدر اليهود ونكثهم العهود ، وهذه فى ذاك الحين مواهب عبقرية لايؤتاها الا قليل ؟!

وفى عمرة القضاء – فى السنة السابعة – دخل رسول الله مكة وعبد الله بن رواحه آخذ بخطام ناقته القصواء ، وهو ينشد :

خلوا بنى الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير فى رسوله

ولما أحتشد المسلمون بمكة معتمرين مستبشرين ، رأى عبد الله فى وجوه المشركين طفح الغيظ والحقد فأراد أن يقذف فى وجوههم بصيحة الحرب ، فأمسك به عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهلا يابن رواحة وقل : لااله الا الله وحده ، نصر عبده ،وأعز جنده، وخذل الاحزاب وحده . » فنادى بها عبد الله ابن رواحة بأعلى صوته ، ورددها المسلمون وراءه فتجاوبت أصداؤها فى جنبات الوادى ،وكان أول مسلم هتف بها ومازال المسلمون يرددونها الى يومنا هذا .

وكان موقفه من المشركين بالمدينة صلبا لا يلين ، وقد حدث أن مر رسول الله ذات يوم على مجلس كان يتصدره عبد الله بن أبى بن سلول – رأس المنافقين – فألم بهم رسول الله محييا ، وراح يحدثهم عن الاسلام ويتلو عليهم من القرآن ، فامتعض عبد الله بن أبى وقال ما معناه : اجلس فى بيتك فمن جاءك فحدثه ، ومن لم يأتك فلا تأته فى مجلسه بما يكره ، فانتفض عبد الله بن رواحه ثائرامغضبا وقال متحديا : بل فاغشنا بحديثك يارسول الله فى بيوتنا وائتنابه فى مجالسنا ودورنا وأنديتنا ، فهو والله ما نحب وما أكرمنا الله به وهدانا اليه ، الى آخر ما قال . وكانت هذه جرأة غير مألوفة ولا متوقعة من شاب كعبد الله بن رواحه فى مغاضبة رجل كبير كان الى ذاك الحين سيدا فى قومه وكانوا يضفرون له التاج ويوشونه بالذهب ليضعوه على رأسه وينادون به ملكا عليهم قبيل ظهور الاسلام فيهم .. وبهت الرجل وأدرك أن الاسلام قد عصف بمكانته ، وأدال من هيبته ، فدخله كارها .. منافقا ؟!

فاولئك هم فتية الاسلام الثلاثة الميامين ، الذين استشهدوا فى مؤتة أبطالا مغاوير ، وقد كانوا امراء الجيش وقادته وكانت لهم بذلك مندوحة ليتخذوا من المعركة مواضع القيادة الاقرب الى السلامة ، ولكنهم وقدروا المعركة تتدافع تدفاع السيل ، وتتفجر ساحتها انفجار البراكين ، أبو الا ان يكونوا الاسرع اليها بدارا ، والاسبق فيها اقتحاما فكانوا الاسرع الى الموت ، والأسبق الى الشهادة وذهبوا مثلا على وجه الزمان ، فى جلال البطولة وصدق الايمان

عطر الله مثواهم ، وطيب ذكراهم واعلى فى رياض الجنة منازلهم

دور المرأة في النضال العربي

الأستاذ محمد زكريا البرديسي

صفحة مشرقة تلمع فى جبين الدهر تلك التى سطرتها المرأة العربية عن نضالها المشرف على امتداد حقب التاريخ بأحرف من نور ونار ، فان نضالها هو الأنشودة العذبة التى طالما تتغنى بها الدول العربية فخورة بما سجلته المرأة من دفاع مستميت عن وطنها وتضحيات مالها من مثيل فى هذا السبيل فالمرأة بما قدمت من نضال منقطع النظير يجعلنا نؤمن ايماننا بأنفسنا أنها على قدم المساواة مع الرجل فهما صنوان فى هذا الضرب لا يفترقان ومتماثلان لا يختلفان .

فها نحن أولاء نرى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم يضربن أروع الأمثال ويقدمن للعالم أجمع أقدس التضحيات فهذه خديجة بنت خويلد تعززه فى رسالته وتخفف عنه ما يلم به وتهون عليه ما يسىء اليه وتدرأ عنه كل ما يضر به فتحيطه بكامل عنايتها وتكلؤه بعظيم رعايتها ، تسهر لينام وتكدح ليرتاح ، آمنت به حين كفر به الناس وصدقته حين أشاح قومه عنه وجوههم وواسته بمالها حين ضن بذلك الأهل والأقرباء .

وها هى عائشة بنت أبى بكر الصديق تناضل مع الرسول صلى الله عليه وسلم بكل جهدها وتكافح معه بجميع طاقتها ومثل ذلك فعلت أختها أسماء فهى التى صنعت الطعام للرسول صلى الله عليه وسلم ولأبيها وحملته اليهما فى الغار حين أرادا أن يهاجرا الى المدينة دون أن تعبأ بما تواجهه من مشقات وما تلاقيه من عذاب فقد لاقت كل ذلك بكل صبر واحتمال ، ولقد فعلت أكثر من ذلك فهى التى دفعت ابنها عبد الله لملاقاة الأعداء وقوت عزيمته ورفعت من روحه المعنوية حين خاف أن يقتلوه ويمثلوا بجثته قائلة له قولتها الخالدة (ان الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها) .

وان أنس لا أنسى بنت كعب التى خرجت فى غزوة أحد تضمد الجراح وتسقى الظماء ولكنها لما رأت الأعداء أحدقوا بالمسلمين ألقت السقاء والضماد وأخذت تضرب بالسيف وترمى بالسهام وتقاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصيبت بالجراح وجرح ابنها فعصبت جروحه ثم قالت : انهض يا بنى فاضرب فى أعداء الله ورسوله وظلت تضرب وتضرب حتى حارت قواها وارتمت على الأرض مضرجة فى دمائها .

ولم تقل الخنساء شأنا عن بنت كعب فقد أوصت فى واقعة القادسية أولادها الأربعة بالجهاد حتى الموت فامتثلوا أمرها وخاضوا الوغى وهم فى منتهى الشجاعة وقوة الايمان حتى صعدت أرواحهم الى بارئها ، فلما بلغ الخنساء النبأ قالت: (الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته) .

وهكذا كانت المرأة العربية أما تدفع أولادها الى التضحية والكفاح وتزج بهم الى ميدان النضال والفداء ، وزجة تعرف لزوجها حقه وتدفع به الى ميادين الوغى والجهاد وأختا تدفع بأخيها الى الحرب وهى مشتعلة الأوار وتخلق منه قوة دافقة لا تبالى بالحمام ولا يفت فى عضدها الموت الزؤام .

والمرأة اذ تفعل ذلك انما تفعل ما أمرها به ربها فالله تعالى يقول : (وجاهدوا فى الله حق جهاده) دون تفرقة بين رجل أو امرأة فالكل مطالب بالجهاد لكن كل بحسب وسعه (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فالمرأة فى حدود امكانياتها والرجل كذلك لكن اذا هجم الأعداء وجب على المرأة أن تخرج الى القتال ولو لم يأذن لها زوجها لتلحق بركب الكفاح من أجل الحق واعلاء كلمة الله والدفاع عن الوطن ان العدو يتربص بنا الدوائر ويحاول جاهدا أن يكيد لنا فها هى ذى شراذم المرتزقة وناقضى عهود الانبياء من الصهاينة اللئام يربضون على بعض أرض وطننا الخالد فيجب على كل وطنى رجلا أو امرأة أن يستميت فى الدفاع عن وطنه وأن يبذل فى ذلك كل مرتخص وغال فالدين يحتم علينا ذلك ويأمرنا بهذا من أجل الحق واظهاره ومن أجل القضاء على شراسة المستعمر ودسائسه .

اننا لسنا دعاة حروب ولكنا دعاة سلم وسلام قال تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)

ولكننا اليوم نقول فليحيا الحرب ما دام هو طريق الحرية والكرامة قال تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) هيا فلتنطلق القوة الخلاقة للشعب المصرى والعربى بجميع طوائفه برجاله ونسائه فالنساء شقائق الرجال فى هذا الصدد لأن يدا الى يد قوة وقرشا الى قرش ثروة وحجرا على حجر بناء ورجلا مع امرأة دفعة الى محق العدو ودحره (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) فالوطن وطننا ومصر مصرنا والعروبة لنا وللأجيال من بعدنا ومن أجل ذلك نحيا ومن أجل ذلك نموت قال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ....
(وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) .

قفوا يا عرب وقفة رجل واحد وكونوا كتلة واحدة لا فرق بين نسائكم ورجالكم حتى تنقشع الغمة ويتحقق النصر فالنصر آت لا ريب فيه .

انكم ان فعلتم ذلك وأجهزتم على عدو الله نصرتم الله فلابد ناصركم قال تعالى (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

لتنطلق المرأة العربية مع أخيها العربى كفوهة مدفع واحد لدك صروح الطغيان ولتسل الدماء كالطوفان فنحن بنو يعرب الأباة الأمجاد الذين عرفهم التاريخ قبل أن يعرف الغرب بعشرات القرون

نحن الذين قضينا على ملك كسرى وقوضنا أرجاء الأمبراطورية الرومانية فى الشرق فها هو ذا ماضينا ماض تليد مجيد وسيكون لنا بأذن الله حاضر مشرق طريف ان كل امرأة عربية ستجيب داعى الجهاد اذا نادى المنادى للقتال ، انها ستكون مع الرجل جنبا الى جنب ، انها ستثبت جدارتها وأهليتها كما أثبتتها ابان ثورة ١٩١٩ فلقد سارت فى الطليعة مع الرجل من أجل حرية الشعب وسقطت صرعى من رصاص المستعمر جنبا الى جنب مع شهداء الرجال ان المرأة ستكون أقوى صلابة من أيام معارك بورسعيد ستكون مقدامة شجاعة تضرب وتستشهد وتنتظم فى فرق المقاومة الشعبية .

لقد أكدت الثورة حق المرأة فى الحياة فى ميثاقنا الوطنى فكان لابد أن تعمل المرأة من أجل الحياة ولن تكون كذلك الا اذا كانت تمثل جميلة أبو حريد البطلة الجزائرية التى ضربت أروع أمثلة النضال وانصع صفحات الجهاد فى نضال منقطع النظير وفى جهاد لم يسبق له مثيل فى تاريخ الانسان تلك الفتاة العربية التى اهتزت لها الدنيا وتداعت لها فرنسا عاجزة حائرة فاعملى أيتها المرأة العربية لنصرة وطنك وانقاذه من أيدى الاستعمار فالله ينصرك ويؤازرك ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا .

بنو إسرائيل في ميزان القرآن

الأستاذ البهي الخولي

« لتفسدن فى الأرض مرتين »

- ١ -

يستطيع المطالع لتاريخ بنى اسرائيل عامة ، ولشأنهم فى القرآن الكريم خاصة أن يقسم هذا التاريخ الى ثلاثة عهود :

العهد الأول : ويبدأ منذ نشأتهم في حجر أبيهم يعقوب عليه السلام ـ وفى هذا العهد كان تآمرهم الوضيع على أخيهم الطفل يوسف ـ عليه السلام ـ .. وفيه أيضا انتقلوا معابيهم وأهلهم جميعا ـ من البادية التى كانوا فيها شرق أرض كنعان ـ الى مصر برغبة أو بطلب يوسف ـ عليه السلام ـ .. والمعروف انهم ظلوا بمصر بعد وفاة أبيهم يعقوب وأخيهم يوسف وكان من شأنهم بعد ذلك ان استعبدهم فراعنة مصر وغضبوا عليهم لأن سلوكهم كان يدعو للريبة وتوقع الخيانة واحتمال الاتصال بالعدو الخارجى .. وظلوا كذلك حتى ظهر فيهم موسى عليه السلام .

والعهد الثانى : ويبدأ بظهور موسى فيهم برسالة التحرير داعيا فرعون أن يخلى سبيل بنى اسرائيل ليخرجوا معه من مصر الى حيث يريدون .. فخرجوا بعد معارضات معروفة الى سيناء بقيادة موسى ؛ حيث أحرزوا فيها حريتهم كاملة ، وحيث أنزل الله كتابه ـ التوراة ـ على موسى .. وبعد وفاة موسى خلفه فيهم يوشع بن نون ، فعبر بهم نهر الأردن الى أرض كنعان ـ فلسطين ـ .. وظلوا بعد يوشع في حروب متصلة مع سكان البلاد الأصليين زهاء أربعمائة عام كانوا يحكمون خلالها حكم العشائر بقيادات تسمى فى التوراة (القضاة) ... وانتهى حكم القضاة بظهور الحكم الملكى فيهم ، ويعتبر داود عليه السلام من الوجهة العملية أول ملك أرسى لهم قواعد الحكم والاستقرار ، اذ قضى على سكان البلاد الأصليين على اختلاف طوائفهم ، فلم تقم لهم بعد قائمة ، واتخذ

أورشليم – بيت المقدس – عاصمة له ٠٠ وخلفه ابنه سليمان – عليه السلام – فبنى فى أورشليم بيتا للرب لأول مرة فى تاريخهم اعتبر فيما بعد رمز مجدهم وعنوان رابطتهم ٠٠ وبعد سليمان انقسمت الدولة – بشؤم الخلاف والشغب – قسمين : دولة اسرائيل فى الشمال ، ودولة يهوذا فى الجنوب ٠٠ وبعد مدة سقطت اسرائيل فى أمور يطول سردها ٠٠ ثم جاء بختنصر ملك بابل فغزا يهوذا ؛ وجاس خلالها وخرب عاصمتهم وهيكلهم وقتل منهم مقتلة كبيرة، وساق من بقى منهم سبيا ذليلا الى بابل ، تاركا البلاد وراءه خاوية على عروشها ؛ ٠٠ وبعد محنة السبى البابلى بحوالى سبعين عاما تقريبا عادوا الى فلسطين تحت سلطان ملك فارس الذى كان تغلب على بابل ٠٠ وجاء الاسكندر فتغلب على الفرس وأدخل البلاد فى حكم اليونان ، وبعد اليونان دخلوا فى سلطان الرومان ٠ وفى حكم الرومان ولد السيد المسيح – عليه السلام – وكان بين بنى اسرائيل وبينه ماهو معروف ٠٠ وكان لهم طيلة حكم الرومان مساوىء أحرجت الصدر منهم فقاد اليهم تيطس الرومانى جيشا دمر المدينة وخرب هيكلهم ، فقتل منهم ألف ألف نسمة على مايقول المؤرخ يوسفوس اليهودى ، ثم شردهم فى الآفاق ، لم يبق منهم احد بالبلاد ٠٠ وكان خروج موسى ببنى اسرائيل من مصر حوالى عام ١٤٤٥ ق٠م ٠٠ وكانت محنة تشريدهم بيد تيطس سنة ٧٠ سبعين بعد الميلاد ٠٠ أى أن عهدهم هذا الذى بدأ برسالة التحرير وانتهى بتشردهم فى قارات الدنيا الثلاث يزيد على خمسة عشر قرنا ٠

والعهد الثالث : ويبدأ بمحنة التشرد ٠٠ وفيه تفرقوا فى القارات الثلاث : آسيا ؛ وأوربا ، وافريقية فى صورة شراذم وجاليات مستضعفة مهينة، لايعرفون لهم وجهة ، الى حيث لم تقم لهم قائمة الى اليوم ٠٠٠ ويصف القرآن الكريم ذلك بقوله : (**وقطعناهم فى الأرض أمما ؛ منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك**) ويفسر البيضاوى ذلك بقوله : (أى وفرقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو قطر منهم ، تتمة لأدبارهم حتى لاتكون لهم شوكة قط) ٠

ومن الجاليات القديمة التى فرت من وجه تيطس جاليتهم التى نزلت بقرية (يثرب) بالحجاز ، فأتصلت بأهلها وتعلمت لغتهم ؛ وصارت لهم بها حصون ومزارع ، وتجارة ٠٠ حتى هاجر اليها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان لهم معه شأنهم الذى فصله القرآن الكريم ٠

٢

وظاهر مما تقدم أن عهدهم الأول لايعتبر عهد (دولة)ولا عهد (أمة) من التى يحفل التاريخ بتسجيل آثارها ؛ اذ لم تكن لهم دولة ما طيلة هذا العهد ، وكانوا فى بدء أمرهم مجرد شباب عشرة فى مقتبل العمر فى رعاية أبيهم ٠٠ ولما تحولوا الى مصر ليقيموا بها مع يوسف كان معهم أبوهم فكانت عدتهم به أحد عشر رجلا ، عدا النساء والأطفال ٠٠ ولما توفى يوسف وكثر عددهم بمصر وبدا منهم تصرف أهل الريبة فرض عليهم فرعون سنة الاستعباد ، فلم يكن لهم ما للأحرار من حرية التصرف ؛ والتنقل ، والعمل اذ كانوا مقصورين على ماسخرهم فيه فرعون واختاره لهم من أشق الأعمال وأردئها ، وكانوا الى ذلك يسامون خطة من العذاب ، اذ كان يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، فكانوا بذلك مسلوبى الارادة، لايتفاعلون مع الحياة بارادتهم ، ولا يختارون لأنفسهم واقعا ما ٠٠٠ والتاريخ انما يحفل بحياة الأمم وتصرفاتهم وأعمالهم اذا كانت صورة لما فى أنفسهم من ارادة ، واختيار ، وحرية ٠٠٠ واذ لم يكن لهم فى هذا العهد (دولة) ولم يكونوا (أمة) ذات اختيار وارادة ، فلا جرم أن يسقط التاريخ هذا العهد من حسابه ، ولا جرم أن يسقطه القرآن أيضا ؛ فلا يدخله فى حساب مسئوليتهم عن الفترة التى يفسدون فيها فى الأرض مرتين ٠

وكذلك عهدهم الأخير أو الثالث ، لم يكن عهد (دولة) ولا (أمة) مجتمعة الشمل فى بقعة تملكها من الأرض ؛ بل هو عهد الشراذم التائهة ، التى لاتنزل احداها ببقعة من الأرض الا على عهد بطاعة أهلها والتزام الخضوع لهم ٠٠ والجالية الصغيرة فى أى بلد ليست هى صاحبة مصيره ولامصير نفسها، فلا جرم يسقط التاريخ ويسقط القرآن هذا العهد من حساب مسئوليتهم الجماعية عن فساد ما ٠٠

واذا ، يكون عهدهم الثانى - الذى يبدأ بظهور موسى ، وينتهى بمحنة تيطس - هو العهد الذى أفسدوا فيه فى الأرض مرتين ؛ اذ كانت لهم فيه دولة ، ووجود ذو اختيار وارادة ٠٠

ومن التقدير الحكيم لله تعالى أن يتخلل هذا العهد فاصل زمنى يفقدون فيه دولتهم ، وأرضهم ، وارادتهم ؛ فلا يكون لهم وجود سياسى أو اجتماعى بفلسطين ٠٠ هذا الفاصل هو مدة الأسر البابلى ، وهو قدر الله لتمتاز مدة افسادهم الأولى عن مدة افسادهم الثانية بأمد قدره سبعون عاما ٠

ولما كانت ضرورة البحث تقتضى بيان المعالم والحدود التاريخية والاجتماعية لكل مرة لتتضح حقيقة افسادهم فيها ، ومدى صلاحيتهم وتقبلهم لأمانات الحياة ونظمها ، وحكمة الله فيما سلطعليهم عقب كل مرة - رأينا أن نوجز ذلك أخذا من القرآن مع ايضاح مايدعو المقام لايضاحه من التوراة ؛ ملتزمين الخط الذى يشير اليه النظم الكريم فى قوله تعالى : (**وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ٠٠ الى قوله : فاذا جاء اولاهما ٠٠ الى قوله : فاذا جاء وعد الآخرة ٠٠ الى قوله تعالى : وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**) ٠

٣

ومن معانى الفساد ، أنه انحراف الطباع عن سنن العمران والحضارة ، قال الراغب الأصفهانى فى المفردات : (الفساد هو خروج الشىء عن الاعتدال ، ويستعمل ذلك فى البدن ؛ والنفس ، والأشياء الخارجة عن الاستقامة) ٠٠ وعلى هذا فالأفساد المفرد فى الآية الى بنى اسرائيل هو الأثر الايجابى لانحراف طباعهم عن سنن الحضارة ، أو لفقدان تلك الطباع خاصية الصلاحية الاجتماعية ٠

وحين نحاكم تلك الطباع الى نواميس المجتمع ، لانظر الى مفهوم الغرب لمعنى الحضارة والعمارة ، حيث يمجدون عبقرية تثمير المال وجمعه والامتداد به الى شتى المؤسسات والمنشآت الاقتصادية والصناعية والثقافية والفكرية الى أبعد مدى ٠٠ لاننظر الى عرفهم فى ذلك لأنه عرف ينظر الى المظهر ولا ينفذ الى الحقيقة ؛ ويقدر الحركة ولا يلتفت الى الهدف ٠٠ بل ننظر الى مواهب الانسان نفسه ٠٠ مواهبه الفكرية والنفسية التى يحصل بها معارفه عن الكون وخالقه ٠٠ وبها تتحول المعرفة الى قيم ومبادىء وأهداف ٠٠ ومن ثم الى سلوك ، وعلاقات ، وأوضاع ونظم ٠٠ **تلك المواهب وما يترتب عليها هى لب انسانية الانسان ، وقوام صلاحيته الاجتماعية والحضارية ، وهى المثال الذى نتبين به ماتعزوه الآية الكريمة لهؤلاء من فساد وانحراف ٠٠**

وعلى هذا فلنحاكم سلوكهم خلال الافسادة الأولى لنرى مدى أهليتهم لامانات الحياة ٠٠

٠٠ ففى باب العقيدة لانقص عليك قولهم لموسى ٠٠ وقد عبروا البحر ومروا على قوم وثنيين - (**اجعل لنا الها كما لهم آلهة**) ولا نقص عبادتهم للعجل حين كان موسى بجبل المناجاة يتلقى عن ربه كتابه ، ولا نقص توبتهم من ذلك ثم عودتهم لعبادة الاوثان حين اختلطوا ببنات موآب تحتسمع موسى وبصره عدد : ٢٥ - (ولكننا نعرض بعض شأنهم خلال عهد القضاة ، أى بعد عبورهم الأردن الى أرض كنعان ؛ اذ تقول التوراة : (**فعمل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب ، ونسوا الرب الههم وعبدوا البعليم والسوارى فحمى غضب الرب عليهم فباعهم بيد الملك كوشان رشعتايم - أى بكهنة منهم فاستعبدهم** - ٠٠ وصرخ بنو اسرائيل الى الرب فخلصهم عتنبئيل بن قناز ٠٠٠ وعاد بنو اسرائيل يعملون فى الشر فى عينى الرب ، فشدد الرب ملك موآب عليهم ٠٠٠ ثمانى عشرة سنة ٠٠٠ وصرخ بنو اسرائيل الى الرب ، فأقام لهم الرب مخلصا أهود بن جيرا) - قضاة ٣- (وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب ، فباعهم الرب بيديابين ملك كنعان ٠٠ فصرخ بنو اسرائيل الى الرب ٠٠ فخلصهم الرب) -قضاة: ٤- ٠٠ وعمل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليدمديان ٠٠ فذل اسرائيل جدا من قبل المديانيين ، وصرخ بنو اسرائيل الى الرب ٠٠٠ فخلصهم) - قضاة : ٦ -

ولانظن لدى القارىء سعة صدر للاستمرار فى عرض تلك المهزلة : يكفرون بالله ، فيبتليهم بالاستعباد ؛ فيصرخون اليه ، فيخلصهم ، ثم يعودون (فيختارون آلهة حديثة) فيبتليهم ... الخ ...؛

وقد تثير تلك الأمثلة خواطر شتى فى ذهن القارىء تبين له جوانب من شأن هؤلاء ، ولكنا لانريد تشعيب الكلام بالتعليق ، فنحن بصدد دلالة ذلك السلوك على مالهم من فطرة الاعتقاد ، أى على مالهم من صلة بالله فان الفرد العادى قد يفتر نشاطه فى طاعة الله ؛ فاذا امتحن بنازلة اضطرار لجأ الى الله ، وتنبهت لديه دواعى النشاط ، فاذا زال ما به من ضر ركدت الحوافز ولكن لايدور بخلده أى خاطر من خواطر الكفر أو اشتهاء عبادة الوثن .. وتلك حالة غير حالة هؤلاء ، ولا وجه اطلاقا الى رؤية أى مطابقة بين الحالتين ؛ وشتان بين المقصر الذى يظل بعد ضره على صلة بالله ، وبين من يرتد فى نهمة الى عبادة الوثن مرة بعد مرة كلما زال ضره فى سلسلة التناوب بين البلاء والعافية ..وكذلك لايمكن قياس حالهم تلك على حال عباد الأوثان الآخرين ، فان عابد الوثن يعبده عن اقناع ، ولا يزيده الضر اذا نزل الا لصوقا به وضراعة اليه .. تقول التوراة — فى سفر القضاة نفسه تمهيدا لذكر ماقدمنا من الأمثلة ؛ فقد (عبدوا البعليم وتركوا الرب اله آبائهم) .. وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب التى حولهم ، وسجدوا لها واغاظوا الرب ، تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت) .. وأقام الرب قضاه فخلصوهم، ولكن بعد خلاصهم لم يسمعوا (بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوالها) .. (وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم ، ووراء آلهة اخرى ليعبدوها ويسجدوا لها) —قضاة : ٢ فنحن — اذا — **بازاء ضمير يخالف ضمير الوثنى ، كما يخالف ضمير المؤمن بالله .**

والمعروف أن الوثنية تتضمن تسليما قلبيا بحقائق يتوهمها الفكر فى الآله ، وأن الأيمان يتضمن تسليما قلبيا بحقائق يتيقنها الفكر فى الله، أما هؤلاء فلم يكن لهم تسليم بشىء ؛ اذ هم **(ساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب التى حولهم) ...** فالأمر عندهم ليس أمر اعتقاد متصل بفكرة متوهمة أو صادقة ، بل أمر متابعة لما يدور حولهم .. ذلك الى أننا نلاحظ أن التقليد هنا ليس هو التقليد الذى يقوم على متابعة الآباء بمؤازرة سلطان الزمن والاوضاع الموروثة ، بل هو التقليد السطحى المنبت الصلة بأى فكرة سابقة أو عارضة . واذا فالضمير خلو من أى حقيقة تربطه بمعبود ما .. وهذا مايعمق المعنى ويبرز بعد الفارق بين هذا الضمير ، والضمير المؤمن بالوثن أو بالله .

واذ كانت الحقائق التى يقوم بها الاعتقاد فى الضمير ، انما هى حصيلة تفاعل فكر الانسان مع آيات الكون الدالة على الخالق تعالى فلماذا كان للمؤمن حصيلة على نحو خطأ أو صواب ، وانفرد الاسرائيلى بان ليس له منها أثارة قط ؟ .ان الأمر اذا يرجع الى ان فطرته الحسية تفقد خاصية ادراك الأثر الالهى فى الكون ، فهى لاتباشر أو لاتدرك منه الا جانبه الحسى أما الجانب الآخر ، فأفق لا سلطان لها اليه ومن ثم كان الكون فى ضميره صورا محسة تصله بظاهره البحث : وليس فيها ما يصله بالله بتة

ان الاعتقاد فى حياة الانسان أمر خطير واصيل فلا يزيل الانسان عن معتقده شدة عارضة أورخاء فقد يتغير سلوك الفرد وافكاره ووجدانه بمؤثرات التغيير المختلفة أما ان يغير معتقده مثلا ، فالاعتقاد كما قلنا حصيلة تفكر ، فطرى — صادق أو خاطىء فى دلالات الكون الازلية ولا سبيل الى ان يتغير بحال الا ان يتضح خطأ التفكير أو ان تتغير دلالة السموات والارض هيهات .. ولم نجد فى تاريخ الانسانية منذ **كانت ظاهرة تغير المعبود بتغير عوارض الرخاء والشدة مرة واحدة فضلا عن مرة ومرات — الا لدى هؤلاء الممسوخين مما يدل على أن الامر لديهم ليس أمر اعتقاد انما هو أمر فطرة تفقد خاصية ادراك الالهيات** فلا تتجاوب مع شىء منها بلمحة فكر أو خفقة روح أمر فطرة مصمة حسية تضجر بلغز الايمان وترى فى الوثنية باعتبارها احدى شارات الحس — ضربا من الشهوة تنشط له .

فالوثنية فى ضمائرهم وتفكيرهم ودوافع مشاعرهم شهوة ، وليست عقيدة ٠٠ ومزاولتهم لها ليست مراسم عبادة ، بل هى مطاوعة للنفس فيما تميل أو تصبو اليه ٠٠ ومما يقرر ويؤكد هذا ان الانسان اذا اختلق قصة أو فرية يغلب عليها ان تكون مصطبغة بصبغة أفكاره وتصوره للامور ، وهؤلاء حين افتروا على سليمان رسول الله عليه السلام انه كان يعبد الاصنام ، كان افتراؤهم مصطبغا بصبغة تصورهم للوثنية انها لون من الرغبات والميول ، فادعوا فى التوراة - وحاشا لله ان يكون هذا وحيه - ان سليمان كانت له ألف امرأة بين زوجة وسرية ، وكان الكثير منهن من أمم اجنبية تعبد الأصنام ، فرأى من الترفيه والرفق بهن ان يقيم لكل منهن صنما يحقق لها ما الفته بين قومها من ميول ٠٠ وزاد - بحكم انسانيته ورقته طبعا - فكان يسجدمع كل منهن لصنمها ايناسا ومجاملة لها ٠٠ فاذا عرفنا ان سليمان الرسول هذا ، هو صاحب الدولة التى سخرت كل قدراتها وامكاناتها لدعوة التوحيد ، عرفنا ما فى هذا الادعاء من كذب وانه من ناحية أخرى يمثل قصورا أو فهما للحقائق منقطعا عن أى مفهوم للاعتقاد ٠

فاذا تركنا عهد سليمان الذى أقام بيت الرب وهيكله المقدس فكان رمز مجدهم الدينى ٠٠ اذا تركنا عهده الى عهود تالية كان الشعب خلالها - بجميع طبقاته - غارقا فى الوثنية ، حتى أشرفنا على الفترة التى سقطت فيها دولتهم على يد بختنصر وجدناهم قد اقاموا الاصنام فى بيت الرب نفسه الذى اقامه سليمان (وصنع تمثال السارية التى عمل فى البيت الذى قال عنه الرب لداود وسليمان ، انه فى هذا البيت أضع اسمى الى الابد) (وبنى مذابح - أى للالهة - فى بيت الرب) (وبنى مذابح لكل جند السماء - أى للكواكب - فى دارى بيت الرب) - الملوك الثانى : ٢١

ولا نستطيع أن نحمل مفهوم تلك الدلالات كلها ومفهوم ما سبقها على انه مجرد معصية ان هو الا حصيلة فطرة تشجت منها مواهب الاعتقاد ، فهى لاتدرى ما هو ولا ما خصائصه ، فاشتقت له مفهوما من جنس تصورها للحقائق وساغ فى هذا المفهوم أن يسجد النبى للوثن ، وان تقام الاصنام ومذابحها فى قدس الاقداس بيت الرب نفسه

وقد قلنا : (اننا حين نحاكم سلوك هؤلاء لاننظر لمفهوم الغرب فى معنى الحضارة ، بل ننظر الى مواهب الانسان نفسه ٠٠ مواهبه الفكرية والنفسية التى يحصل بها معارفه عن الكون وخالقه وبها تتحول تلك المعرفة الى قيم ومبادىء وأهداف ٠٠ ومن ثم الى سلوك وعلاقات ، وأوضاع ونظم ٠٠ وان تلك المواهب وما يترتب عليها هى لب انسانية الانسان وقوام صلاحيته الحضارية والاجتماعية) ٠٠ فاذا كان قصاراهم فى الاعتقاد ومعرفة الله هو ما تقدم فأى حظ لهم من المبادىء والقيم يرشحهم للصلاحية الحضارية والاجتماعية ٠

لقد قالت التوراة ان الرب انذر اسرائيل بزوال ملكهم بسبب ما تقدم : (هأنذا جالب سرا على اسرائيل ويهوذا حتى ان كل من يسمع به تطن اذناه وامسح أورشليم كما يمسح احد الصحن يمسحه ويقلبه على وجهه وارفض بقية مراثى وادفعهم الى ايدى اعدائهم فيكونون غنيمة ونهبا لجميع اعدائهم - الملوك الثانى ٢١ - فالامر فى تقدير الله تعالى هو عدم كفاية هؤلاء لميراثه تعالى لا أمر انتقام وقد اثبتت التجربة انهم يفقدون خصائص الصلاحية الاجتماعية والحضارية فلا جرم ينزع منهم الملك تجنيبا للحياة فساد المفسدين ويمنحهم بفضله فرصة أخرى ليؤكدوا بأنفسهم عدم جدارتهم لامانات الحياة

اليهود

من كتابهم المقدس

أعداء الحياة الإنسانية

فضيلة الشيخ كمال أحمد عون

دعوى العهد الالهى لابرهيم وبنيه بفلسطين ومناقشتها

حقيقة لا جدل فيها ولا مراء بين أحد من الباحثين حتى من الأعداء أنفسهم ، هى : أن بنى اسرائيل طرأوا على فلسطين بعد موسى عليه السلام فاتحين ، وجلوا عنها أو جلت بقية السيف منهم محطمين ، فلما ورد نور الاسلام على بلاد الشام لم يكن لدولة اليهود وجود ولا لهيكلهم أثر .

وبهذه البداهة الظاهرة سقط ويسقط أى ادعاء بحق تاريخى لهم أو لأسلافهم فى فلسطين .

أما دعوى العهد الالهى لابراهيم وبنيه بامتلاك فلسطين ملكا أبديا يبرر اليهود به اليوم عدوانهم عليها ، فسنرى من كتابهم أن تلك الدعوى ليست دون سابقتها سقوطا ، ولا أقل تهافتا، وان رددتها الفقرات المكتوبة فى الاسفار المنسوبة الى نبى الله موسى عليه السلام .

العهد العتيق من الكتاب المقدس :

وأسفار موسى فى عرف الباحثين هى الخمسة الأولى من الكتاب المقدس : التكوين ، والخروج ، والاحبار ، والعدد ، وتثنية الاشتراع – ومعلوم لدى المحققين أنها ليست من كتابة موسى ولا من املائه عليه السلام ، وأن أصلها فقد فيما حل باليهود من نكبات وتشريد ، ثم دونت بمعرفة بعض أحبارهم بعد العودة من سبى بابل المشهور ، كذلك كتبت الاسفار التاريخية التى تليها وغيرها ، فجمعت الى الصواب الخطا الظاهر والتحريف المقصود ، وكانت على نحو ما قال الحق جل جلاله عن فريق منهم « يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به »

جاء فى دائرة معارف لاروس الفرنسية الشهيرة تحت كلمة توراة ما يلى :

« العلم العصرى ولا سيما النقد الالمانى قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى ، وأنها عمل أحبار لم يذكروا اسمهم عليها ، ألفوها على التعاقب معتمدين فى تأليفها على روايات سماعية » (معارف وجدى جـ٢ ص٧٠٢) وتقول فى موضع آخر « اتفق قدماء المسيحيين وقدماء الوثنيين على مدح مؤسس الديانة الموسوية ولو أنهم لم يعلموا عن أعماله شيئا كثيرا ، فانه من الثابت أنه وان كان قد أسس مدنية ودينا فاننا لا نملك الكتاب الحقيقى لشريعته ، ولقد نسبت اليه التوراة أو الخمسة الكتب الاولى من الكتاب المقدس ، ولكن هذه التوراة حاملة لآثار لا نزاع فيها من الحواشى والتنقيحات ومن علامات أخرى

. فقد ذكرت فيه مدن لم توجد الا بعد موسى .. ويلاحظ قالى التوراة أن مؤلفه الذى لم يذكر اسمه ينوه عن موسى كما ينوه عن رجل مات منذ قرون كثيرة » - وافاضت دائرة المعارف الفرنسية فى كثير من ضروب النقد التى توجه الى التوراة ، واعتراضات بعض كبار المفكرين وما يتصل بلغة موسى وقد تربى فى مصر ، ولغة بنى اسرائيل وظروف التيه ، ثم قالت : « والواقع انه عرف الآن بما يكاد يصل الى حد الاجماع فى العالم العلمى بأن التوراة قد حررها اسدارس ، بعد رجوعه من اسر بابل بمساعدة مستندات قدضاعت الآن ، وأساطير عربية كان لها تأثير مستمر فى طباع الشرق »

فاذاكان هذا بالنسبة الى أسفار موسى عليه السلام وهى اصل الكتاب المقدس فى العهد العتيق (أى ما قبل المسيحية والاناجيل التى تسمى العهد الجديد) فكيف بما بعد أسفار موسى من الاسفار التاريخية ، ومن نبوءات وبعضها رؤى منامية وسواها مما ضمه العهد العتيق فى مجلديه الاول والثانى !! دع عنك سفر الجامعة والاناشيد ونحوها ، فلعل المجال يتسع بعد لمناقشتها الحساب .

ولنلق نظرة موضوعية على ما ورد فى الاسفار الاولى من دعوى العهود الآلهية لابراهيم وبنيه بامتلاك فلسطين ملكا أبديا ، والقيمة الحقيقية لهذه العهود .

وخلاصة الموضوع : أن الله تعالى قطع مع ابراهيم عليه السلام عهدا أن يعطيه أرض غربته (كنعان : فلسطين) ملكا مؤبدا له ولبنيه من بعده ، فلما شكا الى الله أن ليس له وارث من صلبه وعده بنسل كثير ، ثم رزق باسماعيل من هاجر ، ومن بعده اسحاق من زوجه سارة ، ثم ولد له أبناء آخرون من غيرهما .

ثم تحول العهد من ابرهيم وبنيه عامة ، الى اسحاق خاصة وبنيه ، ورزق اسحق بولديه عيسو ويعقوب .

ثم تحول العهد مرة أخرى فخص يعقوب الملقب باسرائيل وبنيه .

فهل تحققت هذه العهود على نحو ماوردت فى أسفار الكتاب المقدس ، أو تحقق ما يخالفها تماما ؟ والى القارىء البيان .

لقد وردت هذه العهود فى الاسفار الاولى أكثر من مرة لكل من ابرهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام ، ثم تكرر التذكير بها فى الأسفار التاريخية والنبوءات الاخيرة عشرات المرات ، وهذه نماذج من نصوصها بما يغنى فى بيانها عن مواضع تكرارها ، مع تعقيب كل عهد بالنظر فيه .

مع ابرهيم عليه السلام :

« (١٤) وقال الرب لابرام - سمي بعد بابرهيم - ارفع طرفك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا (١٥) ان جميع الارض التى تراها لك أعطيها ولنسلك الى الابد » (تكوين فصل ١٣)

وحينماشكا الى ربه - ولم يكن قد رزق نسلا - أن ربيب بيته سيرثه جاءه الجواب : « (٤) .. لا يرثك هذا بل من يخرج من صلبك هو يرثك » (تكوين ف ١٥)

وجاء بعد هذا قوله : « (٧) وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك .. (٨) وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك ، جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا » (فصل ١٧)

هل تحقق ؟

لقد أقام ابرهيم أخيرا بأرض كنعان ، وبها لقي مولاه ، ولم يذكر له الكتاب المقدس عدا المال المنقول وما بناه من المذابح لتقديم القرابين لله ، سوى الحقل الذى اشتراه بخالص ماله - ولم يقبله عليه السلام هبة واكراما - ليدفن فى طرفه زوجه سارة فى مغارة تسمى المكفيلة وبنفس المغارة كان مثواه الأخير فى بلدة الجليل .

مع اسحق عليه السلام :

العهد : وقبل أن ينتقل ابرهيم الى جوار مولاه تحول العهد من ابرهيم ونسله الى واحد من نسله ، وكان تحوله من الابن الموجود فعلا وهو اسماعيل الى ابن موعود به وهو اسحق ، فمع ما قيل لابرهيم : « باسحق يدعى لك نسل .. وابن الأمة - يعنى اسماعيل من هاجر - أيضا اجعله أمة فانه نسلك » جاء فى العهد ما يلى : « (٢٠) واما اسماعيل فقد سمعت قولك فيه ، وهاأنذا اباركه وانميه واكثره جدا جدا ويلد اثنى عشر رئيسا وأجعله أمة عظيمة (٢١) غير ان عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى مثل هذا الوقت من قابل » .

فلما ولد اسحق وشب فى كنف أبيه الى آخر عهد ابرهيم بالحياة ، شارك أخاه اسماعيل فى مواراة ابيهما بعد وفاته ، وأقام فى كنعان زمنا هم بعده بالهجرة الى مصر زمن مجاعة بالبلاد فنهى عن الهجرة وأمر بالنزول قريبا من ملك فلسطين فى جرار ، وقيل له : « (٣) انزل هذه الارض وأكون معك وأباركك لاننى لك ولنسلك سأعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمته لابرهيم أبيك » (تكوين فصل ٢٦)

هل تحقق ؟

تجيب فقرات الفصل المذكور بما مؤداه : زرع اسحق بأرض فى جوار الملك ، وقد لقى منه أول الامر تقديرا ورعاية ، فبورك له فى زرعه تلك السنة كما يقول كتابهم مائة ضعف ، وعظم شانه فحسده الفلسطينيون ، وأمره الملك ان يغادر الارض ، فتحول عنها ، ومضى الى واد نزل به هناك (الفقرات من ١٢ - ١٨)

ثم لم يعرف لاسحق ملك أرض وميراث الى أن تقدمت به السن وحان أوان رحيله عن الحياة فدفنه ولداه عيسو ويعقوب فى مغارة المكفيلة الى جوار أبيه .

مع يعقوب عليه السلام :

العهد : ثم تجدد العهد بملكية الارض ليعقوب وبنيه خاصة من دون شقيقه وبكر أبيه عيسو ، بعد أن أخذ يعقوب البركة التى أرادها اسحق لبكره عيسو ، فنالها يعقوب عن غير قصد من أبيه أو رضا ، بحيلة عجيبة ساهمت زوجةاسحق فيها محبة ليعقوب وهى أمهما معا ، وقد فصلها الفصل السابع والعشرون، وجاء فيه كذلك أن يعقوب سيكون سيدا لعيسو وجميع اخوته. وجاء العهد ليعقوب أولا فى رؤيا منامية وفيها : « أنا الرب آله ابراهيم أبيك وآله اسحق ، الارض التى أنت نائم عليها أعطيها لك ولنسلك ... فانى لا أهملك حتى أفى لك بكل ما وعدتك » (الفقرات من ١١ - ١٦ فصل ٢٨)

ثم تأكد ذلك فى خطاب صريح ، وقد سمى اسرائيل بدلا من يعقوب ، وفيه يقول : « (١٢) والارض التى جعلتها لابرهيم واسحق لك أجعلها ، ولنسلك من بعدك اجعل الارض » (تكوين فصل ٣٥)

هل تحقق العهد ؟

شرحت عدة فصول هرب يعقوب من وجه أخيه عيسو ، وتوجهه الي خاله ، وزواجه من ابنتي خاله وخدمته اياه سبع سنين ثم عودته موفورا بمال منقول واسترضاءه أخاه ، وكل ملك يعقوب من الارض بعد هذا قطعة حقل صغيرة اشتراها بمائة نعجة ضرب خيامه بها ، وأقام عليها مذبحا تقدم فيه القرابين لله ، ثم رحل عنها وتركها (تكوين ص ٥٧ - يشوع ص ٣٩٠)

وانتهى المطاف بيعقوب فى مصرع آله وبنيه بدعوة من مليكها، على اثر مجاعة حلت بفلسطين ، وكان يوسف أثناءها على خزائن مصر فى قصته المعروفة ، وأقام يعقوب فى مصر حتى تمام حياته، ولم يرد من أرض كنعان أكثر من دفنه بعد وفاته مع سلفه الصالح فى مغارة المكفيلة وقد تم له ما أراد .

رأى لبعضهم :

وقد رأينا عددا من الباحثين يرون التسليم بصحة تلك العهود بالنسبة لابرهيم ، وأنها بهذا تعم أبناءه جميعا من العرب والاسرائيليين ، وتخصيص العهد جاء من طمع اليهود وكذبهم المعهود .

فهل يبرر النظر الدقيق ما يقوله هؤلاء الكاتبون ، وهل يكون العهد الالهى لهؤلاء الأنبياء المكرمين ، عهد أرض يملكونها ويورثونها الاعقاب اللاحقين ؟

مفارقات :

لعل مما يفيد فى تحديد الجواب الحاسم عن حقيقة العهد أن نذكر من أبناء ابرهيم على سبيل المثال مدين ، ولم ينل من العهد شيئا فقد خص به أخوه اسحق ، لكنه كما ذكر كتابهم نال أرضا واسعة ملك عليها ، لم ينل مثلها أخوه اسحق وبعد مدين بنوه قامت فيهم ومنهم الملوك (راجع سفر العدد فصل ٢٢ ، ٣١)

كذلك من أبناء اسحق عيسو الذى حرم العهد وظفر به أخوه يعقوب وقد بدا فى رواية كتابهم وافر الثراء ، عظيم الجاه ، يخافه يعقوب ويفر من وجهه ، فلما اشتد عود يعقوب وعاد الى أخيه سجد بين يدى أخيه سبع مرات ، وتبعه فى السجود زوجتاه وبنوه واماؤه حتى رضى عنه أخوه عيسو وتلقاه بالترحيب (تكوين فصل ٣٣) .

وعيسو هذا يسمى أدوم ، وهو أبو الادوميين ، وملك من نسله ملوك عديدون قبل أن يقوم أى ملك فى بنىاسرائيل ، عدد الفصل السادس والثلاثون منهم ثمانية ، وصدر لهم بأنهم ملكوا قبل اسرائيل - على حين أن يعقوب عليه السلام انتقل بآله جميعا الى مصر ، وظل بنوه وأحفاده خارج البلاد المقدسة لبضعة قرون .

نتيجة :

لئن كان العهد عهد أرض ومادة لقد تخلف العهد من ابرهيم وتخلف من اسحق وتخلف عن يعقوب برغم النص على كل منهم وبنيه من بعده ، وظل متخلفا بعد يعقوب أكثر من أربعة قرون ، فلما بعث موسى وأخرج بنى اسرائيل من العذاب المهين لهم فى مصر واتجه بهم الى فلسطين جبن القوم عن دخولها وظلوا فى التيه بالصحراء عشرات السنين ، ولما دخلوها بعد موسى ، لم تركن اليهم أرضها ، ولم يدم ملكهم بها ، ثم عادوا الى التيه العام نحوا من عشرين قرنا .

أليس من حق الباحث أن يسأل : أين محصل تلك العهود القاطعة ؟ بل أليس من حقه أن يرى أن عهود الارض وميراثها ليست سوى عهود أرضية زائفة ، يكذبها الواقع التاريخى ، وينقضها على غير قصد منهم كتابهم ، وترفضها سنة الله الحكيمة مع أنبيائه الكرام « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » ان الأنبياء لا يورثون درهما ولا دينارا ، انما يورثون علما وهدى ورحمة ، وذلك هو الفضل المبين .

يقول الاستاذ العقاد - طيب الله ثراه - عن تحولات العهود لدى اليهود : « وتحولت الوعود الآلهية فى كتبهم تحولا جديدا مع مصالح السياسة .. فقد كان الوعد لابرهيم فحولوه الى اسحق ليخرجوا منه أبناء اسماعيل ، ثم حولوه الى يعقوب ليحصروه فى سلالة اسرائيل ، ثم حولوه الى ذرية داود ليحصروه فى مملكة الجنوب دون مملكة الشمال ، وهكذا كان وعد صهيون وعدا سياسيا تابعا لمآرب الدولة ومآرب الهيكل الذى يقام فى جوارها ، فلا شأن له بالعقيدة التي تنتظم جميع سلالة ابرهيم » (الصهيونية العالمية ص ١٢)

تتمة للعهود :

أما العهد لداود وذريته على ما أشار العقاد رحمه الله فله شأن آخر فى أسلوبه ومصيره ، فقد كانت التوراة لموسى وقومه قبل داود بنحو خمسة قرون ، وروت ما روته من أنباء الخليل الذى يسبق موسى بعدة قرون على تفاوت بين المؤرخين فى تحديد هذه التواريخ ، فلما جاء داود ومن بعده سليمان حول

القرن العاشر قبل الميلاد كانت لبنى اسرائيل دولة فى فلسطين، فجاء العهد على ماروته أسفارهم التاريخية ببقاء الملك فى بيت داود ومن بعده سليمان الى الابد مشروطا بالتمسك بآداب الدين ، وحفظ تعاليم الشريعة بغير انحراف ولا تفريط ، مع الوعيد بسوء العاقبة ان حادوا عن الطريق المرسوم .

سليمان وعهد الرب :

جاء فى الفصل التاسع من سفر الملوك الثالث بعد أن أتم سليمان بناء بيت الرب أنه تجلي له وقد سمع صلاته وتسبيحه وتضرعه ، وقطع معه العهد قائلا : «(٤) وأنت ان سرت أمامى كما سار أبوك داودبسلامة القلب والاستقامة ، وعملت بجميع ما أمرتك به ، وحفظت رسومى وأحكامى (٥) أقر عرش ملكك الى الابد كما كلمت أباك قائلا : لا ينقطع لك رجل عن عرش اسرائيل ، وان حدتم زائغين عن اقتفائى أنتم وبنوكم ولم تحفظوا وصاياى ورسومى التى جعلتها أمامكم وذهبتم وعبدتم آلهة غريبة وسجدتم لها (٧) فانى أقرض اسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتها لهم ، والبيت الذى قدسته لأسمى أنفيه من حضرتى فيكون اسرائيل مثلا وأحدوثة بين الشعوب بأسرها (٨) وهذا البيت يكون عبرة فكل من مر به يندهل ويصفر ويقول : لماذا فعل الرب كذا بهذه الارض وهذا البيت (٩) فيجاب لانهم تركوا الرب آلههم .. وتمسكوا بآلهة غريبة وسجدوا لهـا وعبدوها .. »

مصير هذا العهد :

ولم يمض على هذا الكلام سوى فصل واحد فى صفحتين حتى وصم كتابهم سليمان عليه السلام بنقض العهد ونسب اليه شناعة الكفر ، وذكر أن نساءه العديدات قد ملن بقلبه الى اتباع آلهة غريبة وقال : « (٥) وتبع سليمان عشتاروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس بني عمون (٦) وصنع سليمان الشر فى عينى الرب .. الذى تجلى له مرتين وأمره ألا يتبع آلهة أخرى .. » فلم يستجب له ، فغضب عليه وأثار عليه بعض أعدائه ، وأوعده بشق ملكه بعده ، ولكنه أكرمه ببقائه مدة حياته من أجل أبيه داود (فصل ١١ ص ٥٧٤)

براءة سليمان :

ولقد برأ الحق جل جلاله ساحة سليمان من شناعة الكفر والزيغ ، وعصمه بالرسالة والوحى ، ومنحه العلم والحكمة، وعلمه منطق الطير ، وسخر له الريح تجرى بأمره ، ووهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وانه لذلك لاهل ، وانها لعقيدة كل مسلم .

ولكنا سقنا ما سقناه من كتابهم المقدس شهادة من الخصم على نفسه لا على سليمان ، عليه وعلى نبينا وجميع رسل الله أفضل الصلاة والسلام ، وصدق الله تعالى اذ يقول :« وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » وتلك شياطينهم الملعونون على لسان داود وعيسى ابن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون ، يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ويحرفون الكلم عن مواضعه . ولقد انشق ملك بنى اسرائيل بعدسليمان ، ونفى الله البيت الذى بناه سليمان من وجهه بظلمهم لا بظلمسليمان، وسلط عليه من الجنود من أزالوه ، فولى بعض الظالمين بعضا بماكانوايكسبون ، ثم ورث الله أرضه قوما صالحين « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون، ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين »

حقيقة العهد :

وصفوة القول فى ذلك أن ابر هيم الخليل احتمل فى سبيل الدعوة ما لم يحتمل مثله أحد تقدمه ، فقد جاهد بنفسه حتى القاه جبابرة الاعداء فى النار فأنجاه الله ، وقدم ولده بيده قربانا لربه تنفيذا لأمره لولا فداء سبق من الله ، وكان مادون النفس والولد من وطن ومال ودنيا لله وفى سبيله ، فكان للاوفياء قدوة ، وللمجاهدين علما ، وللناس اماما ، وكما قال سبحانه : « واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للنـاس اماما ، قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين » وعلى نهج ابرهيم كان الاخيار من ذريته « وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » « ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب »

فهذاهو عهد الله لهؤلاء المصطفين الاخيار يتحقق لهم كاملا ، ولمن جاء بعدهم من رسل الله ، الى أن ختم بالنبى الأمى الامين ، رحمة الله المهداة للناس أجمعين .

وبعد :

فاذ قد سقط ما يدعى اليهود الصهيونيون من حق تاريخى، وما يلفقون من عهد آلهى بشأن فلسطين ، فبأى منطق ساغ لهم الوثوب على الشعب العربى فى بلاده الآمنة ؟!!

ان الشعب العربى هو الحارس الطبيعى لمقدسات هـذه الأرض بما يحمل من الولاء والحب والتقديس لانبيـاء الله ورسله ، ونبع ذلك فى أعماق العـروبة أصيل بما لديهم من تعاليم الذكر الحكيم المحفوظ من الزيغ والتحريف ، المصدق لما بين يديه ، والمهيمن عليه ، يحق الحق ويبطل الباطل،وينصف البشرية ، ويقرر الاخاء الانسانى لبنى الانسان قاطبة .

ولقد كان العرب أكرم شعوب الارض فى معاملة اليهود، وكان الاسلام أرحب ساحة ينعم فيها اليهود وغير اليهود بأكمل معانى الحرية الدينية والرعاية الاجتماعية والكرامة الانسانية فاذاعدا اليهود (الصهيونيون) اليوم على أرض العرب فقد عدوا فى الحقيقة على غير عدوهم ، بل على من أحسنوا من قبل اليهم، وأفضلوا عليهم ، وكانوا لاسلافهم أقرب قرابة وأمس رحما.

وان كان لليهود ثارات فعند من جعلوهم الذبائح يوم تتويج الملك الانجليزى ريتشارد الاول ، وعند من حرقوهم ، وشردوا بقاياهم ، وعند من أوقعوا بكبارهم ، وأخذوا صـغارهم لينشئوهم على غير دينهم مما ألمعنا الي شىء منه فى مقال سلف ومما لم تكد أمة غربية أو شرقية حل بها هؤلاء الا صادموها وصدمتهم وكان اليهود البادئين .

أما جولتهم القادمة فقد بدأت اليوم بلاء شديدا يمحص الله به قلوب العرب والمسلمين ويطهر نفوسهم ، ويجمعهم أولا على دينه ليكونوا لنصر الله أهلا ، وهذا طريقهم الفذ عبر التاريخ يوم أن فتح المسلمون الممالك باسم الله ، ويوم أن صدوا جحافل الحقد الصليبية مجتمعين على كلمة الله ، ويوم أن حطمـوا بربرية التتر فى عين جالوت عامدين ألا يبدءوا المعركة الفاصلة الا ظهر الجمعة والمسلمون فى المساجد يجأرون بالدعاء الى الله ويوم أن جاهد الشعب العربى فى مصر ثلاث دول باغية وأعلن جهاده من بيت الله بخطبة القائد التاريخية ، من الازهر المعمور، فانتصر على الظالمين .

وان ما نراه اليوم قاسيا وأليما ، من عدوان أبناء صهيون ومن يمدون لهم فى غيهم ، ليؤذن بتنفيذ القدر الحق المضروب عليهمفى قوله تعالى : « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » وسيكون ذلك ان شاء الله قريبا بسيف المسلمين فى رقاب البغاة المعتدين .

« للبحث بقية »

الصوفية في الهامهم

الاستاذ حسن كامل الملطاوى

(ان القلوب لها معان فى مناجاتها ، تتعارف بها الأرواح الخاصة ، وتتفهم دقائقها فى صفاتها، اذ تنعكس أشعة الأرواح على بعضها ، فترى بنور الايحاء الرحمانى ما لايراه غيرها ، اذ تتفاوت الأرواح بين الأحباب وأولى الألباب ، واللبيب من لبى أى أجاب مولاه فلباه ، وأعطاه قوة ادراك النفوس ، فيدرك من معانى القلوب ما تتناجى به، سواء بين العبد وأخيه ، أو بين العبد وربه وهناك فى القلوب خبايا وخفايا وأسرار لايعلمها الا الله، ولو شاء لأطلع بعض الأخصاء على بعض القلوب لحكمة يعلمها ، وبالجملة فهو ستار غفار)

جاءت هذه السطور فى رسالة بعث بها شيخى العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى طيب الله ثراه ، الى تلميذه الصالح المبارك الصديق السيد/سالم جمعة مد الله فى عمره ، وفيها يتعرض سيدى الشيخ الى ارتباط الأرواح بعضها ببعض ، واتصالها من وراء حجب الغيب بخواص جعلها الله فى الأرواح ، والروح من أمر الله ،وسر من أسراره العليا ، وقد أودعها الله الاجساد فتحركت بالروح بعد سكون وفكرت بعد جمود ، وقامت بها الحياة حتى اذا استرد الروح عند انتهاء الأجل ، كان الموت ، فعادت الروح الى عالم الملكوت الذى هبطت منه ودفن الجسد فى الأرض التى خلقه الله منها بقدرته تعالى .

وسبحان ربى ، الذى قضى وقدر ، واخفى وأظهر ووفق كل كائن للغاية من فطرته ، فقد جعل سبحانه الأرواح متفاوتة فى أنوارها ومعارفها ، ورقائقها ودقائقها ومذاقاتها ومشاربها ، والله يؤتى فضله من يشاء . والعباد متفاوتون فى صلتهم بالله تعالى ، مؤمن وكافر ، والمؤمنون عوام وخواص ، وليست مفارقات العباد فى الأجساد ، انما افترقوا فى الأرواح ، أما الأجساد فخادمة للارواح ومنقادة لها ، انقياد الأعمى للبصير .

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الأجسام

وينوه سيدى الشيخ بأثر طاعة الله فى الأرواح ويقول ان اللبيب من عباد الله من أجاب مولاه فلباه ، ولا يكون ذلك الا بنور فى بصيرته يريه الحق حقا فيتبعه ، والباطل باطلا فيجتنبه ويأتيه ذلك النور من سلوكه الى الله تعالى ، وفق ما رسمه شرع الله ويسترشد فى سلوكه بدليل من أئمة الهدى ، الذين يعالجون أمراض النفوس الخفية بسر الهى ، يودعه الله أرواحهم الصافية ليكونوا أئمة للمتقين ومنارة للسالكين (**قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين**)

وهذا السر ، يكشفون به ماغاب عن غيرهم ، مما شاء الله أن يكشف لهم من العلم والمعرفة وذلك السر يعاونهم فيما أقامهم الله فيه من تربية المريدين صحيحة فى جنب الله ، تخرجهم من الظلمات الى النور باذن ربهم . وقد كان سيدى العارف بالله الامام المرسى ابو العباس رضى الله عنه يقول تحدثا بنعمة الله عليه ، والله لو علم **أهل العراق والمغرب والشام ومصر ما تحت هذه الشعيرات (ويشير الى لحيته) من العلوم والأسرار لأتوها ولو سعيا على الوجوه .**

وكان شيخه ومربيه سيدى الامام ابو الحسن الشاذلى ، رضى الله عنه يتحدث بنعمة الله ويقول: **ما بقى بحمد الله عند غيرنا من أهل عصرنا علم نستفيده ، وانما ننظر فى كلام غيرنا لنعرف ما من الله به علينا دونهم بما هو فوق مقامهم ، فنشكر الله على ذلك .**

وكان شيخى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه يقول فى الهامه المرتجل الذى نقلناه عنه :

نحن فى عالم اليقين رجال
قد غسلنا نفوسنا ثم غبنا

وشراب الرجال علم وحلم
انما نحن فوق ذاك شربنا

ويقول ايضا رضى الله عنه

محبة خالقى مشكاة قلبى
على أنوارها ألقى وصولى

وان الحب اشواق وصبر
يعز على المنافق والكسول

وان الورد يذبل بعد وقت
وورد الحب كان به ذبولى

أدارى الحب حتى لو يرانى
أخو وجد تشكك فى نحولى

وبى نار لو استقصى لظاها
لحقر وجده وحذا سبيلى

ولولا العلم والايمان حظى
دعون الله يمنع من ذهولى

لقلت كلام ذى جذب وشطح
لما أدركت من فضل جزيل

ولى من مشرق الايمان علم
سموت به على كل الفحول

علومى فى الورى نفحات ربى
فما بلغوا مذاقى أو شمولى

وقد جرى أكابر العارفين على التحدث بنعمة الله عليهم ، وكان سيدى الامام ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، يقول كثيرا لأصحابه : اعلنوا **بطاعاتكم اظهارا لعبوديتكم ، كما يتظاهر غيركم بالمعاصى ، وعليكم بالاعلام للناس بما منحكم الله تعالى من العلوم والمعارف**

ويحكى سيدى الامام الشعرانى ، رضى الله عنه ان شيخه سيدى على الخواص ، رضى الله عنه كان **يقول : التحدث بنعمة الله تعالى من غير فتنة ولا أغراض نفسية خاص بالأكابر من الأولياء فى كل عصر ، بخلاف غير العارفين ، فربما دخل الرياء على أحدهم فى تحدثه بما أنعم الله به عليه .**

أما ما يقوله سيدى الشيخ عبد السلام : وهناك فى القلوب خبايا وخفايا وأسرار لايعلمها الا الله ، فيشهد بصدقه الخبر : **(اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى) أى باليقين ، وقول الله تعالى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أى بيناها بنور اليقين .**

وروى الامام ابو طالب المكى ، رضى الله عنه **عن أمامنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه ،قوله ان لله فى أرضه آنية وهى القلوب ، فأحبها اليه أرقها وأصفاها ، وأصلبها ثم فسره فقال : أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليقين ، وأرقها على الاخوان**

وروى كذلك عن سيدى أبى بن كعب ، رضى الله **عنه ، انه كان يفسر قوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ..) انه مثل نور المؤمن . وقال : فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ويتقلب فى نور ثم قال فى قوله تعالى (أو كظلمات فى بحر لجى) قال قلب المنافق ، فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ويتقلب فى ظلمة .**

وقد دعا سيدنا ومولانا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لسيدنا عبد الله بن عباس ، رضى الله **عنه ، فقال : (اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل)** وقال أمامنا على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ما عندنا شىء أسره الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله تعالى ،الا ان يؤتى الله تعالى عبدا فهما فى كتابه . وقال تعالى **(ففهمناها سليمان)** فخصه بفهم منه سبحانه ، أظهره مع حكم أبيه سيدنا داود عليهما السلام فحكم أبوه بالعدل ، وحكم هو بالفضل .

وقد كتب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أمراء الأجناد : **احفظوا ماتسمعون من المتعظين، فانهم ينجلى لهم أمور صادقة . وقد قال تعالى (يأأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)** قيل نور تفرقون به بين الشبهات ويقين تحلون به المشكلات .

وقد جاء فى مناقب سيدنا حذيفة بن اليمان الصحابى ، رضى الله عنه ، أنه خص بمعرفة المنافقين وبسرائر العلم ودقائق الفهم ، وخفايا اليقين من بين الصحابة ، فكان سادتنا عمر وعثمان وأكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألونه عن الفتن العامة ، والفتن الخاصة ويرجعون اليه فى العلم الذى خص به ويسألونه عن المنافقين ، وكان سيدنا عمر يستكشفه عن نفسه ويقول له : هل تعلم فى شيئا من النفاق ، فبرأه منه وكان سيدنا عمر رضى الله عنه اذا دعى الى جنازة ليصلى عليها نظر ، فان حضر حذيفة ، صلى عليها وان لم ير حذيفة لم يصل عليها . وكان سادتنا الصحابة يسمون سيدنا حذيفة صاحب السر ، وكانوا اذا سئل أحدهم عن علم يقول : تسألوننى عن هذا وصاحب السر فيكم .

والايحاء الرحمانى الذى يشير اليه سيدى الشيخ فى صدر عبارته يكون وحيا لسادتنا الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ويكون الهاما للاولياء من أهل اليقين ، ومن هذا الأخير قول الله تعالى فى شأن أم موسى عليها السلام . **(وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) فانظر ، رعاك الله ، كيف** رسم الله لها طريق الأمن على ولدها الطفل فألقته فى اليم ، مطمئنة الى حفظ الله الذى يتولاه ، ثم كيف أخبرها برده اليها ، وكيف بشرها بانه سيكون من المرسلين الكرام ، حين يبلغ أشده ، فألهمها رب العزة أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فى آن واحد فما أكرم ربى وما أجله .

ولما علمت أم موسى عليهما السلام ، ان وليدها وقع فى يد فرعون عدو الله ، عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، كادت بشريتها ان تغلبها بالخوف على وليدها فكادت ان تقول انه ابنى وكان ذلك خافيا على عدوه اللعين ، فثبت الله قلبها من اضطرابه وربط عليه بسر الهم ، لتكون من

المؤمنين الموقنين ، ولتعلم بالمشاهدة ، ان وعد الله حق ، وذلك ما تحكيه الآية الكريمة (**وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أن كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) والآيتان الكريمتان فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن اكثرهم لايعلمون .. ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين)**

وبنور الله الذى يودعه قلوب أوليائه من المتقين يحسون ما تتناجى به بعض القلوب ، سواء بين العبد وأخيه أو بين العبد وربه ، كما يقول سيدى الشيخ وذلك لحكمة يعلمها الله وقد شاهدنا ذلك بالتجربة العملية كثيرا فيما بين سيدى الشيخ عبد السلام رضى الله عنه ، وأحبابنا من المريدين، ووقع لى شخصيا من ذلك معه شىء كثير ، وليس هنا مجال لسرده وعده ولكن من المؤسف حقا ان أكثر الناس الذين يلتقون بواحد من أهل اليقين ، يجعلون همهم أن يسمعوا منه فى أمور دنيوية تافهة فان لم يسمع أحدهم منه ما يريد من أمر دنياه ، انصرف عنه ، وأفلتت منه فرصة ذهبية سنحت له لتقوية يقينه وتهذيب مسلكه وتنوير قلبه ، وتزويد معارفه لو اراد بصحبته طريق الآخرةوهذا ما يعلل لنا قلة السالكين فى طريق الحق وندرة الساعين للاخرة سعيها ، فى حين يتزاحم الناس على أبواب المنجمين والعرافين حتى كأنهم هم الذين أوتوا علم الغيب ، وانما الغيب لله وحده، ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء لأتقيائه وأصفيائه ، تأييدا لهم فى دعوة الحق .

على أنى أود أن انبه القراء الأعزاء الى أنه مع التسليم بعلم القلوب الذى يؤتيه الله بعض أوليائه المتقين ، ليس حتما ان تظهر الكرامات الخارقة على يد الولى الصادق وليس حتما ان يخبرمريديه بشىء من الغيب ، بل من لوازمه صدق الهمة فى طلب الله تعالى ، وعلى منهج الشرع الشريف وعلامة داعى الحق ان تنجذب قلوب المؤمنين اليه وتهفو لسماع كلامه ، وتأنس بالجلوس معه ، وتذكر الله بعد غفلة ، وتلين بعد قسوة ، وتلك علامات صدقة واخلاصه . وقد قال العارفون فى هذا المقام : مشى على الماء رجال ، ومات بالظمأ من هم خير منهم

هذا وان لم يستطع المؤمن ان يستدل بنفسه على واحد من هؤلاء الصادقين المخلصين ، فليقلد فى اختياره مؤمنا من أهل الرشد ، فمن يوثق بدينه ، ويتبع معه امامه الذى سبقه فى الأخذ عنه والانتفاع به . ومن لوازم المريد السالك الى ربه أن يكون صادق النية صادق العزم فى طلب الله وفى الاسترشاد بالشيخ العارف ، كما أن من لوازمه طاعة الشيخ فيما أمر به الله أو نهى عنه ، ومادام **الشيخ أداة اتصاله بالله ورسوله فقد صارت طاعته من طاعة الله ورسوله ، ورضاه من رضا الله ورسوله وسخطه من سخط الله ورسوله ، والشيخ** عبد من العباد ولكنه من عباد الرحمن ، فمن والاه والاه الله ومن عصاه فقد عصى الله « **ولله جنود السموات والأرض » « وما يعلم جنود ربك الا هو** وما هى الا ذكرى للبشر . **وقد قالوا ان الياقوت** حجر ولكنه ليس كالحجر وكذلك هم بشر ولكنهم ليسوا كالبشر بل فاقوهم بالمعرفة واليقين .

ويقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى ، رضى الله عنه : علم ، سبحانه ان العباد يتشوقون الى ظهور سر العناية ، فقال (**يختص برحمته من يشاء**) وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل ، اعتمادا على الأزل ، فقال (ان رحمة الله قريب من المحسنين) والاحسان ، كما عرفه مولانا رسول الله ، **ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . ولمثل هذا يعمل العارفون .**

ويشوقنا سيدى ابن عطاء ـ رضى الله عنه ـ الى كسب اليقين فيقول : « **لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة اقرب اليك من أن ترحل اليها ، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها .**

ويقول أيضا ـ رضى الله عنه ـ **ان أداتى المعرفة** بالله هما العقل والقلب . والمعرفة بالله قد تكون اثبات وجوده وتقديسه عما لا يليق به ، ووصفه على ما هو عليه ، وبما وصف به نفسه .. وهذه معرفة عامة المكلفين ، وهى مفروضة عليهم ، وتسمى بالمعرفة العامة . وقد تكون حالا يحدث

عن شهود ذوقى ، ويكون العارف هو من أشهده الله ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله ، وتسمى هذه بالمعرفة الخاصة ، وهى معرفة الصوفية التى تستند الى الذوق لا الى العقل .

ويستطرد - رضى الله عنه - قائلا : وسواء أكانت المعرفة بالله عقلا أم ذوقا ، فان موضوعها هو الذات الالهية من حيث صفاتها وأسمائها وأفعالها ، ولما كانت مداركنا البشرية ، سواء أكانت حسا أم عقلا أم قلبا ، مدارك محدودة مقيدة كانت المعرفة بالله أعسر المعارف .

ويرى سيدى ابن عطاء الله - رضى الله عنه - أن القلب كلما زهد فى الدنيا ، وانعدم منه الهوى والحرص والأمل ، وازداد ايمانه ثم توحيده .. امتلأ بالتوحيد فصار عرشيا ، وتنزه عن أوصاف البشرية تماما ، وشرفت فى الملأ الأعلى صفاته ، وعلت فى الملأ الأسفل معرفته .. واكتملت بنور اسم الذات بصيرته ، وتخلق بأخلاق الله ، وصارت الأسماء الحسنى وصفه ونعته ، وصار محققا مستبصرا .. فانيا فى شهود المذكور عن ذكره ، وفى هذا القلب ، ورد الحديث القدسى : **« لا يسعنى عرشى ولا كرسيى ولا سمائى .. ووسعنى قلب عبدى » .**

ويفسر ذلك سيدى ابن عطاء - رضى الله عنه - فيقول فى ابداع :

« ان قلب الانسان لا يسع الله مساحة ولا حلولا ولا حسا ولا حكما وانما يسعه توحيدا ، وايمانا ، وعلما ومعرفة وايقانا ومحبة واخلاصا ، فضلا من الله وتخصيصا .

يقول الامام الشعرانى - رضى الله عنه - فى التدليل على ضرورة الاسترشاد بشيخ عارف فى السلوك الى الله تعالى : ان الامام الغزالى طلب لنفسه شيخا يدله على الطريق ، مع أنه كان حجة الاسلام ، وكذلك طلب الشيخ عزالدين بن عبدالسلام شيخا مع أنه كان يلقب بسلطان العلماء ، وكان شيخ الامام الغزالى الشيخ محمد الباذغانى ، وشيخ الشيخ عز الدين ، الشيخ أبو الحسن الشاذلى ..

ويستطرد الامام الشعرانى قائلا : ولما اجتمع الامام الغزالى بشيخه المذكور قال : ضيعنا عمرنا فى البطالة ، يعنى بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريق ، وكان الشيخ عز الدين - رضى الله عنه - يقول : ما عرفت الاسلام الكامل الا بعد اجتماعى على الشيخ أبى الحسن الشاذلى - رضى الله عنه وأرضاه - .

وساق الامام الشعرانى - رضى الله عنه - حكاية طريفة جاء فيها أن ابن سريج الفقيه كان ينكر على الامام أبى القاسم الجنيد ، فقال للجنيد طريقنا - يقصد الفقهاء - أقرب الى الله من طريقكم - يقصد الصوفية - فقال الجنيد : لا بد أن تأتينا ببرهان ، فقال ابن سريج ، أئت أنت لنا ببرهان فقال الجنيد : يا فلان .. خذ هذا الحجر فألقه فى حلقة الفقراء ، فألقاه فصاحوا كلهم الله ، الله الله .. ثم قال له ، ألقه بين هؤلاء الفقهاء ، فألقاه فصاحوا كلهم : حرام عليك ، أزعجتنا .. فقام ابن سريج وقبل رأس الجنيد واعترف بفضله ، فقال له الجنيد : انما الفضل لكم ، فأن أساس طريقنا مما معكم من العلم ، فقال ابن سريج : بلى لكم الفضل ، فأنكم زدتم علينا بحسن معاملة الله تعالى .

ويقول امامنا مالك بن أنس فى لزوم الشريعة والحقيقة للمؤمن :

من تصوف ولم يتشرع فقد تزندق ، ومن تشرع ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تشرع وتصوف فقد تحقق ، وقوله هذا قول فصل فى الموضوع ، فان أكثر أهل الطرق الصوفية فى زماننا لم يتقدموا فى التصوف لجهلهم بفقه الشريعة ، فتلبسوا بشبه ضارة ، ظن المعترضون على التصوف انها حجة لهم على الصوفية ، وليس ذلك عيب التصوف والصوفية ، انما هو عيب السالكين والمسلكين الذين ينسبون زورا ، بلا نسب صحيح ، للتصوف وأهله ، والتصوف ثمرة الدين ولبابه الخالص وأهله هم المؤمنون حقا .

ولبيان أهمية الفقه الشرعى لسالك طريق الآخرة نذكر أن ابليس اللعين حاول أن يفتن الامام الكبير ، سيدى عبد القادر الجيلانى ، - رضى الله عنه - فظهر له على شكل نور ملأ عليه خلوته ، وناداه على أنه الاله ، حاشا وكلا ، يا عبد القادر لقد وصلت الى غاية رضاى ، فحططت عنك العبادات ، وأتحت لك الشهوات ، فافعل ما يحلو لك ، ولا حساب عليك ..

فأجابه سيدى عبد القادر - رضى الله عنه - اخسأ يا ملعون ، فقال : بماذا عرفت أنى ابليس قال .. ان الله لا يأمر بالفحشاء ، فقال : يا عبد القادر لقد نجوت منى بعلمك ، وما أكثر من زلت أقدامهم من الجهلاء بفتنتى هذه .

لذلك يقول شيخى العارف بالله ، سيدى الشيخ على عقل فى الهاماته الفورية الملهمة التى نقلناها عنه :

وتوجت بالقرآن نفسى عقيدة
أصون به نفسى عن الزيغ والدس
وان شرب الناس الطلا وتصببوا
فسنة خير الخلق فى شربهاكأسى
تعشقت نور الله وهو بصيرتى
وقد وضح البرهان من آية الكرسى
وان رفع المثرون عجبا رءوسهم
رفعت بذكر الله فوق الورى رأسى
وما اتخذت روحى سوى الله غاية
فتم الهدى للروح والقلب والحس

والطلا فى البيت الثانى ، أى الخمر ، لأن العرب كانت تسميها الطلاء .

ويقول أيضا رضى الله عنه فى احدى تضرعاته بلقائهم

يا حبيبى زاد ذلى — فادفع الأغيار عنى
خذ يدى انى ضعيف — للتلاقى ، متمنى
رب فارحمنى فانى — قد جعلت الشرع حصنى
واهدنى وارحم مشيبى — لا تخيب فيك ظنى

وانى أباهى بشيوخى العارفين الأجلاء ، صوفية العصور الأولى - علما وعملا - فقد كان علم الشرع حليتهم ، وكان نور التصوف زينتهم ، وقد تخرجت فى كلية التجارة مثقفا فى التجارة والمال والمحاسبة جاهلا بالعلوم الشرعية ، ككل خريجى الجامعات ، فلما أسعدتنى العناية الربانية بلقائهم ، وما ابركه من لقاء ، أخذت عنهم الشريعة والطريقة والحقيقة والشريعة هى أن تعبد الله ، والطريقة هى أن تقصده وتجاهد نفسك فى سبيله ، والحقيقة هى أن تشهده ، فلا تغفل عنه لأنه ليس غافلا عنك .

وبفضل تثقيفهم اياى تشرفت بالمحاضرة مرات عديدة بالأزهر المعمور وغيره ، ونفع الله بمحاضراتى كثيرا من الشبان المثقفين ثقافة مدنية أو دينية ، وارتاد بعضهم مجلسى ، راغبين فى فقه الدين ، فعلمتهم فقه العبادات على مذهب الامام مالك - رضى الله عنه - وهو الذى تلقيته عن شيخى العارف بالله الشيخ على عقل ، وكان اقبالهم على درس الفقه سببا فى تأليف كتاب فى الموضوع ، هو الآن فى سبيل الطبع ، وسأوزعه هدية دون ثمن ، حسبة لوجه الله تعالى ، وراعيت أن يكون سهل العبارة ، خاليا من التفريعات الجزئية ، وقد تفضل بمراجعته الأستاذ الجليل الشيخ صالح شرف ، عضو جماعة كبار العلماء ، وسكرتير عام الأزهر سابقا ، وقدم للكتاب فأثنى عليه بحمد الله ، وهو كتاب مبسوط تزيد صفحاته عن الثلثمائة صفحة ، نفع الله به ، وجعله خالصا لوجهه الكريم . ثم انى لقنتهم التصوف على طريقة سيدى الامام الجليل الحاج محمد أبى خليل ، قدس الله سره ، وهى طريقة الذكر الكثير والمدد الغزير .

ومن يمن طالعى أنى صحبت شيوخى الصوفية الأجلاء ، فى شبابى الباكر ، فأتيح لى أن أعاشرهم طويلا ، فعاشرت شيخى العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى - طيب الله ثراه - خمسة عشر عاما ، وعاش بعده تلميذه الأنور سيدى الشيخ على عقل نحو أربعة أعوام ، فبلغت

صحبتى له نحو تسعة عشر عاما ، وكنت أحرص أن ألتقى باحدهما وبكليهما يوميا ، والمنهل العذب كثير الورود ٠

ومن عجب انهما تدرجا بى فى العلم والمعرفة بلطف وحسن مأخذ ، فقد استأذنت فى مبدأ صحبتى فى السفر الى قريتى ملاطية التابعة لمحافظة المنيا بصعيد مصر ، لأقضى أجازتى ، مع والدى وأهلى ، فبادرنى شيخى - الشيخ على عقل - رضى الله عنه - وقال لى : اقرأ بمسجد البلد درسا فى الحديث أيام الاجازة ، فقلت فى الحديث النبوى الشريف ؟ قال نعم ، قلت : وهل لمثلى ذلك الشرف ، ولا علم لى بالحديث الشريف ، قال: لا شأن لك ، فقلت سأعتبر هذا أمرا من شيخى أتلقاه بالسمع والطاعة دون جدل ، والأمر لله من قبل ومن بعد ٠

ولم يكن لدى حينئذ أى مرجع من مراجع الحديث الشريف ، فطلبت الى أحد تلاميذ شيخى من العلماء أن يوافينى ببعض الأحاديث فى رسالة يبعث بها الى بالبريد، وسافرت، وجاءتنى الرسالة متضمنة أربعين حديثا من الصحاح فحفظتها عن ظهر قلب ، وكانت هى باكورة البركات التى توالت على بعد ذلك ٠ وجاءت الأجازة التالية فاذا بسيدى الشيخ على يأمرنى أن أعلم الناس بالمسجد فقه العبادات على مذهب الامام مالك ، واختار لى كتاب الشرح الصغير للامام الدردير - رضى الله عنه - فأدركت أن الشيخ يريد منى أن اتعلم وأتفقه قبل أن أعلم وأفقه غيرى ، واختار لى مذهب الامام مالك لأنه منتشر ببلاد الصعيد بوجه عام ، وأراد الشيخ أن أكون متعلما ومعلما فى آن واحد، وهى من أعاجيب الشيخ

وصدعت بأمر الشيخ ، وتفقهت وفقهت غيرى فى آن واحد ، وأرجأت المسائل الصعبة حتى أتيته وقلت له مازحا ما رأيت أحدا قبلك يعين مدرسا قبل دراسته ، فضحك ٠ فقلت له : أما وقد أردت منى أن أخوض البحر الخضم ، فعلمنى كيف أعوم على أصول ، فأذن لى أن ألقاه كل عصر ، لأتلقى عنه الفقه والحديث والقراءة ، فكانت من أسعد أوقاتى ، جزاه الله عنى خيرا ، وكان يجول بى فى جميع المذاهب ويبين لى سند الحكم عند كل امام ، وكان يغرف من فيض الهى ٠

وكان سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى - رضى الله عنه - مباركا أخذى عن سيدى الشيخ على - رضى الله عنه - وقد ذهبت لزيارته مرة ، فبادرنى بعد السلام عليه وقال : اجلس واقرأ على بعض القرآن لأنظر ماذا علمك الشيخ على ، فقلت مازحا : امتحان مفاجىء ، فقرأت بضعة أرباع من أول سورة البقرة ، ثم كان - رضى الله عنه - يأمرنى أن أتكلم فى بعض المناسبات ، كمولد النبى - صلى الله عليه وسلم - ثم كان يعيرنى أو يهدى الى بعض مؤلفات والده العارف بالله سيدى الشيخ أحمد الحلوانى - رضى الله عنه - وكانت كثرة وفى كل فنون الشريعة وما يتصل بها ، وقد انتفعت بها ونفعت ولله الفضل والمنة ٠

وهكذا كان التدرج ، التلقين حتى وقفت على ساقى ، وشققت بنفسى طريق التوسع بالاطلاع والتوفيق ، وأرجو أن أكون على الدوام سالكا دربهم ، ملتزما طريق الهدى والصلاح والفلاح ، الذى رسمه شيخنا الأكبر قطب عصره ، ومجدد قرنه ، سيدى الحاج محمد أبو خليل ، مربى الرجال ، فى طريق الوصال ٠٠ وباعث الهمة فى أهل المحبة ، والذى سهر الليل فى نوره القلبى الوضاء ، ليكشف لتابعيه حجاب الغفلة فيجتنبوه ويبين طريق الحق فيسلكوه ، بأنوار الشريعة ٠٠ واسرار الحقيقة ، ويالها من انوار ويالها من اسرار عند هؤلاء الأقطاب الأبرار ، الذين هم ودائع الله فى خليقته وصفوته فى بريته ، أمدنا الله بمددهم، والحقنا بزمرتهم يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفدا حين يكون ماقال سبحانه « يوم ندعو كل اناس بامامهم »

التصوف فى الاسلام

الأستاذ طه رياض سيف النصر

تحدثنا فى مقالاتنا السابقة عن العلاقة بين العبد وربه وان هذه المعرفة او العلاقة يتم الوصول اليها عن طريق القلب وليس عن طريق الجارحة أو الحواس ، لأنه سبحانه وتعالى تعجز عن ادراكه العقول والابصار وتدركه القلوب والبصائر

أما حديثنا اليوم فيدور حول علاقة العبد بأخيه العبد ، ومايترتب عليه من ألفة وأخوة ، وتحاب فى الله وبغض فى الله وما غمر به الصوفية صفوة عباده بلطائف التخصيص فى هذا الباب ومن عليهم بهذه الصفات الكريمة فضلا منه وامتنانا وألف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ، ونزع الغل من صدورهم فظلوا فى الدنيا أصدقاء وفى الآخرة رفقاء وخلانا

لقد أتبعوا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وأقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا .

أما الالفة والتحاب فى الله سبحانه وتعالي من أفضل الاشياء المقربات الى الله ، وألطف ما يستفاد به من الطاعات، ولهاشروط وآداب وحقوق عند الصوفية، فيها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى ، وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات ونزعات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى .

وقد فسر امام الصوفية وحجة الاسلام الشيخ الغزالى الالفة بأنها ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يولد أو يوجب التآلف والتوافق وسوء الخلق يوجب التباغض والحاسد والتدابر وحسن الخلق لا تخفى فى الدين فضيلته وهو الذى مدح سبحانه به نبيه وحبيبه عليه السلام اذ قال « وانك لعلى خلق عظيم »

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت لاتمم محاسن الاخلاق » وقوله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة رضى الله عنه « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة وماحسن الخلق يا رسول الله « قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك » ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة

وقوله سبحانه وتعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الالفة « لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » وقال« فاصبحتم بنعمته اخوانا » أى بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذكنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفاحفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون»

وفى الثناء على الاخوة فى الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا رزقه خليلاصالحا ان نسى ذكره وان ذكر أعانه »

وفى الترغيب فى الاخوة قوله صلى الله عليه وسلم « من آخى أخا فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لاينالها بشىء من عمله »

وقال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال ابشر ثم أبشرفانى سمعت رسول الله صلى الله عليهوسلم يقول : ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههمكالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهمأولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون فقيل من هم هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون فى الله تعالى رواه أبو هريرة رضى الله عنه وقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليهم قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون فى الله والمتجالسون والمتزاورون فى الله ثم قال صلى الله عليه وسلم ماتحاب اثنان فى الله الا كان أحبهما الى الله اشد حبا لصاحبه

ويقال أيضا ان كان أحد أخوين فى الله اعلى مقاما من الاخر رفع الاخر معه الى مقامه وانه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة فى الله لم تكن دون أخوة الولادة بل هىافضل قال عز وجل « الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شىء »

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول « حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى وحقت محبتىللذين يتحابون من أجلى وحقت محبتى للذين يتباذلون من أجلى وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى »

وجاء فى أحاديث أخرى كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللهتعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى .. وقال رسول الله « سبعة يظلهمالله فى ظله يوم لا ظل الا ظله أمام عادلوشاب نشأ فى عبادة الله ورجلقلبه متعلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا علىذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا فاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذاتحسب وجمال فقال انى أخاف الله تعالى ورجلتصدق بصدقة فاخفاهاحتى لا تعلم شماله ما انفقته يمينه .. وحديث آخر « ما زار رجل رجلا فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناداه ملك من خلقه طبت وطاب مسعاك وطابت لك الجنة » .. أوثق عرى الايمان ـ الحب فى الله والبغض فى الله فلهذا يجب أنيكون للرجل أعداء يبغضهم فى الله كما يكون له أصدقاء وأخوان يحبهم فىالله وقد ورد ذلك فى حديث آخر صريح بهذا المعنى يقولفيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « اللهم لاتجعل لفاجر على منة فترزقه منى محبة » ويروى أ نالله تعالىأوحى الى عيسى عليه السلام لو انك عبدتنى بعبادة أهلالسموات والارض وحبفى الله لعيسى وبغض فى الله لعيسى ماأغنىعنك ذلك شيئا وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصى وتقربوا الى الله بالتباعد منهموالتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا ياروح الله من نجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيدكم فى عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الاخرة عمله »

كما يروى أيضا ان الله أوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لى عملاقط فقال الهى انى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال ان الصلاة برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فاى عمل عملت لى يا موسى فقال موسى الهى دلنى على عمل هو لك قاليا موسى هل واليت لى وليا قط وهل عاديت فى عدوا قط فعلم موسى ان أفضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله

وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه أخيه المؤمن على المودة والمحبة والرحمة عبادة

وما أحوج العالم فى هذه الايام العصيبة الذى بلغ فيها الصراع أشده بين الروح والمادة وبلغت فيه موجة الفساد والكفر والالحاد ذروتها حتى وصل مداها عنان السماء الىالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله واتباع الاوامر والنهى عن المنكر حتى تعود للاسلام سيرته الاولى ، وان يكون شعارنا الالفة والتحاب فى الله والبغض والثبات على الايمان الكامل حتى ننتصر وتعود الينا أرضنا المقدسة التى دنسها الاعداء باقدامهم القذرة وتصبح راية الاسلام مرفوعة منصورة وراية الاعداء مقهورة مدحورة .. وحتى نصبح خير أمة أخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

ومما لا شك فيه أن معركتنا اليوم هى معركة مصير ، معركة حياة أو موت معركة بين الحق والباطل بين الفضيلة والرذيلة ، تستلزم الصمود والصبر والجهاد فى سبيل الله ، والتعاون على البر والتقوى وهذا لا يتم الا فى اطار الالفة والتحاب والبغض فى الله .

« للمقال بقية »

دور المرأة في الدفاع المدني

فضيلة الشيخ عبدالله المشد

معارك الحياة لاتنقطع ، والمصادمة بين الحق والباطل سنة من سنن الكون التى توارثتها الأجيال عبر القرون الطويلة ، وأشد المعارك ضراوة ماكانت بين مجموعتين من البشر تتصارعان على الغلب وبسط النفوذ وسيادة المبدأ والاستئثار والحروب الطاحنة التي شهدتها الأمم نزعة انسانية أملتها هذه الاتجاهات النفسية فى جانبها الانانى الذى لايريد أن يترك غيره ينعم بالأمن الذى هو ركن أساسى من أركان الحياة السعيدة كما يقول الحديث الشريف « من أصبح آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » واذا حدث أن اغار العدو على الحمى وتخطى الحدود كان على الأمة أن تهب للدفاع عن حماها وصيانة حدودها وحقوقها وحرماتها ، وذلك أمر لايكاد يشذ فيه أحد في الأسرة البشرية ولاجماعة من الجماعات حتى فى أدنى صورها وأبسط أشكالها الاجتماعية .

والأديان بعامة والاسلام بوجه خاص يحتم على كل فرد يعيش فى مجتمع أن يهب للدفاع عن وطنه اذا أغار عليه عدو بغير حق وكان هذا الدفاع فرضا مقدسا على كل صغير وكبير ، رجل وامرأة ، خفيف وثقيل ، واجد وغير واجد

والمرأة لها دورها الكبير فى تلك الحالة ، فانها وان كان الاسلام وضع عنها الخروج الى الميدان المكشوف للجهاد خوفا عليها وصيانة لعرضها وشرفها ، وتفريقا للرجال لمدافعة العدو ، فقد أوجب عليها الدفاع عن نفسها ووطنها بكل ماتستطيع من قوة اذا هاجمها العدو وأراد وطنها بسوء .

والحرب الحديثة لم تعد زحفا يجيش على الحدود فقط ، ولامواجهة فى ميدان مكشوف بالسلاح الأبيض فحسب ، بل تطورت أساليبها وتنوعت أسلحتها ، وأصبحت لاتعنى بالحدود الأرضية عنايتها بالمداخل والمسارب الجوية والبحرية ، وأصبحت لاتقف وجها لوجه ، جنديا أمام جندى ، بل استحدثت القاذفات والصواريخ عابرة القارات والمحيطات ، واستحدثت أسلحة الميكروبات وأسلحة الأشعة المميتة وغير هذا مما يتنفس عنه العقل البشرى فى سعاره الشديد على التنافس والغلب وبسط النفوذ والسلطان ومن هنا أصبحت المرأة مهددة وهى فى مخدعها الحصين بهجوم العدو بأسلحته ووسائله الحديثة ، وبهذا كان واجبا عليها أن تكون على أتم الاستعداد للاشتراك فى المعركة بمايتناسب وقوتها الجسمية ومايتلاءم مع استعداداتها الطبيعية

واذا كان ميدان الطب والخدمة الاجتماعية العامة من أنسب ماأسهمت المرأة فى تخفيف ويلات الحرب فقد تنبهت اليه المرأة فى الأوساط الأجنبية وقامت الرائدة الأولى لهذه الحركة وهى « فلورنس نيتنجيل »

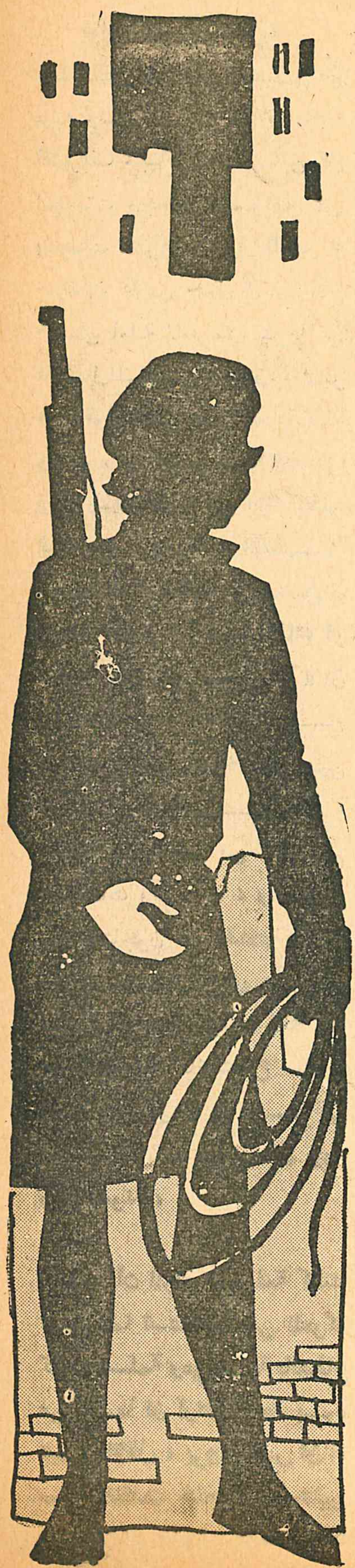

المتوفاة فى أوائل القرن العشرين بنصيب كبير فى تمريض الجرحى فى ميدان القتال فى حرب القرم التى وقعت سنة ١٨٥٤ م بين بريطانيا وفرنسا وتركيا من جهة وروسيا من جهة أخرى .

غير ان هناك من سبق هذه الرائدة فى فكرتها بأكثر من اثنى عشر قرنا ، وذلك فى المجتمع الاسلامى الذى قرر دينه أصول المدنية والحضارة ، ونقل العالم الى مرحلة من التطور والتفتح والنهوض لم تكن لولم يجىء الاسلام

لقد حدثت عدة معارك بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين الكفار أسهمت فيها المرأة المسلمة بنصيب كبير يتناسب ومواهبها ، وأفرغت كل طاقتها فى خدمة المحاربين وبخاصة عند هجوم العدو على ديارهم ، كما يروى البخارى عن أنس فى غزوة أحد فى العام الثالث الهجرى أنه قال ولقد رأيت **عائشة بنت أبى بكر وأم سليم** وانهما لمشمرتان أرى خدم - خلاخيل - سوقهما ، تنقزان - تنقلان - القرب على متونهما ، ثم تفرغانها فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم ، وروى البخارى أيضا أن أم سليط من نساء الأنصار كانت تزفر القرب - تخيطها أوتحملها - يوم أحد ، وقد أعطاها عمر مرطا جيدا آثرها به على زوجته أم كلثوم بنت على ، كما روى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يغزو بأم سليم ونسوة من الانصار معه اذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى .

غير أن السيدة التى برزت فى ميدان التمريض والتطبيب فى المعركة وكانت رسالتها أشبه برسالة الهلال الاحمر ، أو تشبهها هذه الرسالة المستحدثة فى الخدمة الطبية خصوصا فى وقت الحرب ، هى السيدة « رفيدة الأسلمية » فقد أذن الرسول لجماعة من بنى غفار أن ينزلوا فى خيمة ضربت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت رفيدة زوجة واحد منهم على شىء من المعرفة الطبية احتسبت بعملها هذا لوجه الله أن تساعد من لم يكن له مساعد من المسلمين ، يروى البخارى فى الأدب المفرد عن محمود بن لبيب بسند صحيح ، لما أصيب أكحل سعد بن معاذ يوم الخندق فثقل حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة ، وكانت تداوى الجرحى وكان رسول الله اذا مر به يقول كيف أمسيت واذا أصبح يقول كيف أصبحت ؟ فيخبره وذكر صاحب كتاب الأصابة فى معرفة الصحابة ان امرأة اخرى من اسلم اسمها كعيبة بنت سعيد كانت مع رفيدة تقومان معا بمهمة التطبيب ورعاية الجرحى وبقى سعد بهذه الخيمة حتى مات

صورة مصغرة من المستشفى العسكرى تشرف عليه سيدات عارفات بفن التمريض مسهمات

بما يمكنهن من عمل ،

مستشفى أذن النبى صلى الله عليه وسلم أن يقام فى مسجده الشريف ، بيانا لتضامن كل الجبهات وجميع المرافق فى واجبات المعركة لاحراز النصر ، سيدات فاتهن حمل السلاح فحملن أمانة لاتقل شرفا عن النضال المسلح فى الميدان ، يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم « من جهز غاريا فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » وقوله « أفضل الصدقات فسطاط فى سبيل الله ومنحة خادم فى سبيل الله» أو طروقة مخل فى سبيل الله » ان الفسطاط وهو الخيمة يتيح الراحة ويقدم خدمة للمرابطين المجاهدين فى سبيل الله ، وخدمة المجاهدين من أعظم الصدقات والقربات ، وامدادهم بما يحتاجون من غذاء وكساء ودواء وخدمات أخرى هى جهاد فعلى له ثوابه العظيم ، لأنه لولا هذه الخدمات مااستطاع حاملوا السلاح أن يؤدوا واجبهم فى المعركة التى تحتاج الى كل جهد وكل معونة .

ومع أن المرأة المسلمة كانت تسهم بما استطاعت فى المعركة كانت مسلمة وعلى دراية بالدفاع عن نفسها ان أرادها أحد بسوء على الأقل ، يروى أنس أن أم سليم أتخذت خنجرا عام حنين فقال لها أبو طلحة : ما هذا ؟ قالت : ان دنامنى بعض المشركين أبعج بطنه ، فقال أبو طلحة : ألا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم ؟ فضحك صلى الله عليه وسلم ، فقالت يارسول الله اقتل الطلقاء ، انهزموا عنك ، فقال « ان الله قد كفى وأحسن ياأم سليم » رواه مسلم .

وقد كانت صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله فى حصن حسان بن ثابت يوم الخندق ، ولما رأت يهوديا يطوف حول الحصن أخذت عمودا ونزلت من الحصن وضربت به اليهودى حتى قتلته

لقد أدت المرأة المسلمة واجبها فى المعركة على الوجه الاكمل تبتغى بذلك وجه الله والحفاظ على الشرف والغيرة على الوطن ، وكانت تتولى من الأعمال مايناسبها بحسب مقتضيات الظروف فى ذلك الزمان ، وكانت لاتتوانى اذا جد الأمر وتحتم اشتراكها العملى بالسلاح ، وخبر خولة بنت الأزور معروف ، فقد كانت هى وجماعة من نساء قريش فى حرب (أجنادين) مع خالد بن الوليد ، وقد أبلت بلاء حسنا لاستخلاص أخيها من الأسر ولم يكن يعرفها أحد لأنها كانت ملثمة حتى ظن بعضهم من شدة بأسها أنها خالد ، وقد أسرت بعد ذلك هى وزميلاتها فثرن على الحراس وضربنهم بأعمدة الخيام حتى نجون وهى تنشد فيهن :

نحن بنات تبع وحمير
وضربنا فى القوم ليس ينكر

لأننا فى الحرب نار تسعر
اليوم تسقون العذاب الأكبر

وتقول أم كثير امراة همام بن الحرث التخعى : شهدنا القادسية مع سعد بن ابى وقاص وازواجنا ، فلما اتانا الفزع شددنا علينا ثيابنا واخذنا الهراوى ثم أتينا القتلى ، فماكان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، وماكان من المشركين أجهزنا عليه وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك ونصرفهم فيه ، وقد استعدت القبائل بكل ما تطيقه

هذه صورة من صور اشتراك المرأة المسلمة فى المعركة اسهمت فيها بما استطاعت ، يدفعها الى ذلك ايمان بالواجب وغيرة على الحرمات وحب للوطن ، توحى الينا هذه الصورة بمايجب على فتاة اليوم من الاستعداد التام لأداء واجبها ، خصوصا ان الوطن الاسلامى يعانى الكثير من ضغط الأعداء وتربصهم ومحاولاتهم الأثيمة ، واذا كنا نعد جيشنا الشعبى للقيام بالواجب نحو الدفاع المدنى فان المرأة لابد أن تتدرب على كل الفنون التى تجعلها قادرة على القيام بواجبها المقدس فى معركة المصير ، والله ولى التوفيق

فضيلة التقوى والورع

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوي

التقوى عنوان الايمان ومظهره الواضح، والورع دليل الاخلاص ورمز الطاعة لله عز وجل ، وان الشيطان لا يكابد ولا يتعب اكثر من مكابدته لمؤمن تقى ورع.

وحقيقة تقوى الله سبحانه وتعالى . أن يطاع فلا يعصى . وأن يحب ويخشى. ويذكر فلا ينسى . ويحمد ويشكر على السراء والضراء - والتقوى تجرى حياة العبد على الخير وتطبعه على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وترزقه امان القلب فلا يياس من رحمة الله . وامان النفس فلا يجزع . وامان الليالى والأيام فيصبر على السراء والضراء ولا يتضرع الا الى الله . وامان الهدى فلا يضل ولا يشقى - والله تبارك وتعالى خص المتقين بالهداية بكتابه الكريم فقال تعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين - آية ٢ سورة البقرة - خص الله المتقين بهدايته مع أن القرآن الكريم هدى للناس اجمعين ، تشريفا لهم لأنهم هم المنتفعون بالهداية ، وفى ذلك بيان لفضل المتقين ومكانتهم - ومراتب التقوى متعددة ، فاولها تقوى الله عن الشرك - اهتداء بقوله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » - آية ٣٦ سورة النساء - والثانية التجنب عن الكبائر والبعد عن الصغائر ، واضعين نصب اعينهم قوله عز وجل « وكل شىء فعلوه فى الزبر . وكل صغير وكبير مستطر . ان المتقين فى جنات ونهر » - آية ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ سورة القمر - والثالثة - الحذر - قال تعالى « واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه - آية ٢٣٥ سورة البقرة - وفى ذلك المعنى روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم - لايبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا -

وجاء فى سير العرب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . سال . ابيا عن التقوى . فقال له . هل اخذت طريقا ذا شوك . قال نعم : قال له : فماعملت فيه ، قال : تشمرت وحذرت ، قال : فذاك التقوى - واخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه :

خل الذنوب صغيرها
وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماش فوق ار
ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة
ان الجبال من الحصى

والتقوى أصلها فى اللغة ، قلة الكلام . ومنه الحديث التقى ملجم والمتقى يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين عذاب الله - والمتقى ماخوذ من الاتقاء . وأصله الحجز بين الشيئين - وفى الحديث ، كنا اذ اشتد الوطيس وحمى القتال . اتقينا برسول الله وجعلناه بيننا وبين الاعداء - فكذلك المتقى ، يتقى غضب الله وناره بعمله الصالح وعبادته الخالصة لله وخلو قلبه من كل شائبة - والوقاية لغة الصيانة مطلقا - وشرعا صيانة المرء نفسه عما يضره فى الآخرة .

والتقوى مفتاح للجنة ومغلاق للنار ومكافحة للنفس ومجاهدة للشيطان . ووجاء للقلوب . ونجاة من عذاب يوم عظيم - قال الله تعالى - « وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » - آية ٦ سورة الزمر - أى يهديهم طريق الفلاح الذى يؤدى بهم الى الفوز بالاعمال الحسنة والنجاة من عذاب النار - روى القرطبى - فى تفسير هذه الآية - من حديث أبى

هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم. قال « يحشر الله مع كل امرىء عمله فيكون عمل المؤمن معه فى أحسن صورة وأطيب ريح فكلما كان رعب أو خوف. قال له . لا ترع فما أنت بالمراد به ولا انت بالمعنى به . فاذا كثر ذلك عليه قال فما أحسنك من انت . فيقول . أما تعرفنى . أنا عملك الصالح حملتنى على ثقلى فوالله لاحملنك ولادفعن عنك . فهى التى قال الله « وينجى الله الذين اتقوا » ـ الآية ـ ولكل مسافر زاد . وزاد المسافر من الدنيا الى الآخرة التقوى ـ لانها توصل الى نعيم الآخرة وثواب الجنة والله سبحانه وتعالى خاطب العباد وحثهم على التزود بالتقوى ـ فقال عز وجل ـ « وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب » ـ آية ١٩٧ سورة البقرة ـ وفى صحيح مسلم . عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه ـ اللهم انى أسالك الهدى والتقى والعفاف ـ وقال الاعشى :

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
وانت لم ترصد كما كان أرصدا

والتقوى جماع كل خير ، وهي وصية الله للاولين والآخرين ، وهى خير ما يستفيده الانسان ـ قيل لأبى الدرداء ان اصحابك يقولون الشعر . وانت ما حفظ عنك شيء ـ فانشد :

يريد المرء أن يؤتى مناه
ويابى الله الا ما اراد
يقول المرء فائدتى ومالى
وتقوى الله أفضل ما استفادا

والمتقون يتقربون الى الله بعمل الطاعات . ويتحببون اليه بعمل الخيرات ويسارعون الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويعادون الشيطان ، ويتركون الغيبة والنميمة ويبتعدون عن الرذيلة ـ قال تعالى ـ « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ـ آية ٢٠١ سورة الاعراف ـ وعن الامام على كرم الله وجهه . قال فى وصف المتقين ـ المتقون هم أهل الفضائل . منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد . ومشيهم التواضع . غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم . ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم . نزلت انفسهم منهم فى البلاء كالذى نزلت فى الرخاء . ولولا الاجل الذى كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب .

ولا يبلغ العبد درجات التقوى العلا الا اذا حاسب نفسه واشتاق الى لقاء ربه ـ قال أحد المتصوفة الافاضل ـ من لزم التقوى اشتاق الى مفارقة الدنيا لأن الله سبحانه يقول ـ وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ـ آية ٣٢ سورة الانعام ـ وويل لمن غرتهم الدنيا وتركوا دين الله وراء ظهورهم ـ قال ، صلى الله عليه وسلم ـ اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله تعالى « يأيها الناس . انى قد جعلت نسبا . وجعلتم نسبا . فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم ، قلت ـ ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ـ آية ١٣ سورة الحجرات ـ فابيتم الا فلان ابن فلان ، وفلان أغنى من فلان ـ فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى . أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبعون لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة ـ والمتقون مكرمون فى الدنيا موفون أجرهم فى الآخرة بغير حساب ـ قال الله تعالى ـ « ان للمتقين مفازا . حدائق وأعنابا . وكواعب أترابا . وكاسا دهاقا . لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا . جزاء من ربك عطاء حسابا » ـ من آية ٣١ الى ٣٦ سورة النبأ ـ

وافضل العباد تقوى أكثرهم ورعا ـ والورع هى التعلق بذات الله وحبه والتفانى فى سبيله وخشيته وصفاء القلب ـ والورعون . ايمانهم يقين . وعبادتهم خشوع وفى طلب الحلال يسعون . وعلى تلاوة القرآن حرصون، كلما مروا بآية عذاب يبكون ـ قال صلى الله عليه وسلم ـ لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا . وصمتم حتى تكونوا كالاوتار فماتنفعكم الا بالورع ـ والورعون هم الذين يبتعدون عن الشبهات ـ قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام ـ ولقد بين الله حد الورع فى حديثه القدسى فقال « عبدى أد ماافترضت عليك تكن من أعبد الناس وانه عما نهيتك عنه تكن من أورع الناس. واقتنع بما رزقتك من أغنى الناس » ـ وقال صلي الله عليه وسلم ـ الحلال بين والحرام بين ـ وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام. كالراعى يرعى الغنم حول الحمى يوشك أن يقع فيه . ألا وان لكل ملك حمى. وحمى الله محارمه ـ والورع ملاك الدين ولكل شيء حدود وحدود الاسلام التقوى والورع والصدق والاخلاص والشكر والتواضع ـ وعن ابراهيم بن ادهم ـ الورع ورعان ـ ورع فرض وهو الورع من معاصى الله تعالى ، وورع حذر وهو الورع عن الشبهات ـ قال صلى الله عليه وسلم . لابى هريرة ـ كن ورعا تكن أعبد الناس ـ وويل لاصحاب الورع الكاذب الذين ياكلون الدنيا باسم الدين ويخدعون الناس . أولئك أصحاب النار ومأواهم جهنم .

وعلامة الورع حددها الفقهاء بعشرة أشياء ـ أولا ، حفظ اللسان عن الغيبة لقوله تعالى ـ « ولا يغتب بعضكم بعضا » ـ آية ١٢ سورة الحجرات ـ وثانيا ـ الاجتناب عن سوء الظن ـ لقوله تعالى ـ اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ـ آية ١٢ سورة الحجرات ـ وقول النبى عليه الصلاة والسلام ـ اياكم والظن فانه أكذب للحديث ـ والثالث ـ الاجتناب عن السخرية ـ لقوله عز وجل « لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم » ـ آية ١١ سورة الحجرات ـ ورابعا ـ غض البصر عن المحارم ـ لقوله تبارك وتعالى ـ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » ـ آية ٣٠ سورة النور ـ خامسا ـ صدق اللسان لقوله تعالى ـ « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذاقربى » ـ آية ١٥٢ سورة الانعام ـ سادسا ـ أن يعرف نعمة الله على نفسه لكيلا يعجب بنفسه ـ قال تعالى ـ « بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » ـ آية ١٧ سورة الحجرات ـ سابعا ـ أن ينفق ماله فى الحق ولا ينفقه فى الباطل ـ قال عز وجل ـ « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ـ آية ٦٧ سورة الفرقان ـ ثامنا ـ أن لايطلب لنفسه العلو والكبر ـ لقوله جل شأنه تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ـ آية ٨٣ سورة القصص ـ تاسعا ـ المحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها ـ لقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » ـ آية ٢٣٨ سورة البقرة ـ عاشرا الاستقامة علي السنة والجماعة قال تعالى « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » آية ١٥٣ سورة الانعام ـ والاتقياء الورعون أعمالهم فى الدنيا زاكية . وأعينهم لذكر الله باكية . وقلوبهم نقية طاهرة ـ وفى الآخرة فى عيشة راضية .

ما أحلى الرجوع الى الله تعالى . وما أمتعه للنفس المطمئنة المؤمنة . التى ترجو الخير فى الدنيا والآخرة . وتراقب الله تعالى فى سلوكها وتصرفاتها . وتستشعر هيبته وعظمته . وتستحضر قدرته وسلطانه عليها . وتحس بوجوده وكماله كمالا مطلقا . احساسا يملؤها ويستولى عليها . وتحافظ على حقوق عباد الله . التى فرضتها الشريعة الاسلامية وكفلها المجتمع الاسلامى الكريم . وتؤدى واجبها كاملا فى كل أمر من الامور . وتعمل على اقرار المحبة والوئام بين الناس ..

ان النفس البشرية بطبيعتها تميل الى التحرر من التكاليف . والانطلاق فى رغباتها وشهواتها .. ولو كان فى ذلك اعتداء على حقوق الغير . وتقصير فى الواجبات التى أمر بها رب العالمين . وارتكاب للمحرمات التى نهى عنها الله ورسوله .

يقول جل ذكره « ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » أى ان طبيعة النفس أن تأمر بالشر . وتنهى عن الخير .. الا من أدركها الله تعالى برحمته وفضله . فهداها سواء السبيل .. وسلك بها طريق الخير والسعادة .

ولقد حذر المولى سبحانه وتعالى النفس البشرية فى كتابه الكريم . من سوء تصرفاتها . وانها يوم القيامة تجد ماعملته من السوء والشر حاضرا ماثلا . ومكتوبا مسجلا .. قال تعالى: **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »** وانها تود حينذاك أنها لم تعمل السوء . وتتمنى أن لو كان بينها وبين ذلك اليوم الشديد زمن طويل . حتى تتدارك فيه هذا السوء . وتنفيه عنها بالتوبة والعمل الصالح . وبين سبحانه أن هذا التحذير رأفة منه بعباده وذلك قوله تعالى :

« يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد »

وكانت رحمة الله تعالى بعباده رحمة تامة عامة . بارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، مبشرين ومنذرين . ومعلمين وهادين . وأيدهم بالمعجزات القدسية . وأمدهم بالامدادات الروحية . وانزل عليهم الكتب السماوية . فيها الخير والحكمة . والهدى والنور .. فأخذوا ينشرونها بين الناس . يفتحون بها القلوب المغلقة . ويهدون بها النفوس الحائرة .

ولقد جاهدوا فى ذلك جهادا طويلا مريرا . وأبلوا فيه بلاء

حسنا .. وقامت بهم الحجة لله تعالى على الناس .. كما قال جل ذكره :

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما »

ويقول جل ذكره فى آية أخرى :

« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » وهذا فضل من الله تعالى وحكمة وعدل .. « ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون »

**

ومن المقاصد السامية العليا التى جاءت بها الرسالات السماوية . التوبة الى الله تعالى . والرجوع الى رحابه سبحانه . وهذا الرجوع نفسه .. رحمة من الله تعالى بعباده . وتفضل منه سبحانه عليهم ..

فالعبد اذا صحا من غفوته . وعاد الى رشده . وهجر المعاصى . ورجع الى ربه . وتاب اليه . وداوم على فعل الطاعات .. فاز فوزا عظيما . وكان من المنعم عليهم . المحشورين فى زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا ..

ولقد حث المصطفى صلى الله عليه وسلم على التوبة حثا شديدا . ودعا اليها . وامر بها أمرا أكيدا .

يقول صلوات الله وسلامه عليه « توبوا الى الله فانى أتوب اليه كل يوم مائة مرة »

رواه الامام مسلم رحمه الله عن ابن عمر رضى الله عنهما .

فانظر الى هذا القول من سيد الانبياء . وخاتم المرسلين .. الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ــ وهذا العدد ليس للتحديد . وانما هو للتكثير .. يعنى انه صلى الله عليه وسلم يتوب الى الله .. ويرجع اليه كثيرا فى كل يوم . وهذا الرجوع متعة للنفس . وتجلية للروح ..

والتوبة الى الله تعالى ــ اذا كانت من عامة الناس . فانها من الذنوب . واذا كانت من خواصهم فانها من غفلة القلوب واذا كانت من خواص الخواص . فانها من الالتفات الى ماسوى الله تعالى . الذى هو أكبر من كل ما سواه . فلا يصح الالتفات الى غيره سبحانه ..

وتوبة المصطفى عليه الصلاة والسلام . ليست من هذه الانواع الثلاثة .. وانما هى عبارة عن الترقى الدائم لمقامه الكريم . من مرتبة الى مرتبة أعلى منها واسمى . فينسب لنفسه التقصير . حيث لم يبذل الجهد فى الوصول الى تلك المرتبة العليا التى وصل اليها . فيتوب من ذلك . وعلى هذا فتوبة كل عبد بحسب درجته ومنزلته ..

**

والله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين جميعا فى كتابه الكريم . بالتوبة والانابة والرجوع اليه . حيث يقول :

« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »

وفى الآية نص صريح على ان التوبة طريق الفلاح والنجاح .

ويقول جل ذكره « يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير »

فالتوبة مكفرة للذنوب . ماحية للسيئات . موصلة الى جنات النعيم الخالد المقيم . وهى تصون التائب عن الخزى يوم القيامة . وتجعله فى نور غامر عظيم . يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله . ويكون قريبا من الحق تبارك وتعالى . محفوفا بالعفو والغفران . والرحمة والرضوان . متوجا بتاج العزة والكرامة .

والتائب الراجع الى الله تعالى حبيب الرحمن . يتجلى المولى سبحانه وتعالى عليه بالقرب . ويمنحه الفضل والرضى . والخير والقبول ــ يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام :

« لله أفرح بتوبة عبده من احدكم اذا سقط عليه بعيره قد أضله بأرض فلاة »

رواه الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن انس بن مالك رضى الله عنه

فالمصطفى صلى الله عليه وسلم يعبر بذلك عن مدى رضوان الله تعالى عن التائب اذا رجع اليه . وعن سعة رحمته به - فيقول ان الله سبحانه وتعالى أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الذى يضل بعيره وهو سائر فى الفلاة أى الصحراء . ثم يجده بعد ذلك - واطلاق الفرح فى حق الله تعالى مجاز عن رضاه سبحانه وتعالى ..

وفى حديث آخر يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« لله أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد . ومن العقيم الوالد . ومن الضال الواجد . فمن تاب الى الله توبة نصوحا انسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الارض كلها خطاياه وذنوبه » .

وهذا تصوير آخر لمدى قبول الله تعالى للتائب ورضاه عنه . أى أن الله تعالى يفرح بالعبد التائب أكثر من فرح الظمآن أى العطشان بالماء يجده فيروى به نفسه ويذهب ظمأه وعطشه - ومن الرجل يكون عقيما ثم يولد له - ومن الضال الواجد . أى الذى ضل راحلته وفقدها ثم وجدها ..

ويقرر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن من آثار التوبة النصوح أى الصادقة الخالصة الصافية لله تعالى - أن الله سبحانه وتعالى ينسى الملكين الحافظين للتائب الملازمين له عن يمينه وعن شماله - وهما رقيب أى حافظ . وعتيد أى حاضر - وهما الملكان اللذان قال الله فيهما :

« اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد »

يرصدان حسناته وسيئاته - وكذلك ينسى سبحانه وتعالى جوارحه وبقاع الارض كلها خطاياه وذنوبه . حتى لاتشهد عليه يوم القيامة :

« يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » ..

فانظر يا أخى الى هذا الفضل العظيم . من الاله الكريم الرحيم . !

**

ومن أروع الآيات القرآنية الكريمة . التى تسجل عظمة فضل الله تعالى . ورحمته الواسعة بعباده . وكرمه وتفضله عليهم . قوله تعالى :

« قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون »

فيا أخى عليك بالتوبة والانابة والرجوع الى رحاب الله تعالى . وسلم قيادك الى شريعة الله رب العالمين . واستمتع بالطاعة . وهىء نفسك للقاء رب كريم رحيم فى يوم عظيم .

واعلم أن اطمئنان النفس بالايمان والرجوع الى الله تعالى فى الدنيا . وعمل الصالحات . والاقلاع عن السيئات . يهىء لك رجوعا كريما الى الله تعالى فى الآخرة . يرضيك ويرضيه سبحانه .. ويدخلك الجنة مع عباد الله الصالحين الابرار يقول جل ذكره :

« يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

« وبعد » فقد اخترت موضوع مقالى هذا فى أعقاب شهر رمضان المعظم . الذى يحاسب كل انسان فيه نفسه . ويمدها بمدد روحى عظيم . بالصوم وقراءة القرآن والصدقة وسائر أنواع العبادة فتسمو روحه . وتصفو نفسه وتتلقى التجليات الالهية . والنفحات القدسية - فهى فرصة طيبة لتوطيد العزم على الرجوع الى الله تعالى فى كل أمر . وتطبيق شريعته فى السلوك العملى فى الحياة .

فالسلوك الطيب المستنير بنور الشريعة . هو أساس الخير فى الحياة الدنيوية والاخروية - فينبغى لكل منا أن يعاهد الله تعالى على حسن مراقبته . وعلى محبة عباد الله . ومعاملتهم بصدق واخلاص وتسامح .

نعم يجب علينا أن نرجع الى رب العزة سبحانه . وأن نعاهده على المحبة والصدق والاخلاص حتى نحظى دائما برعايته ورضوانه - كما يجب علينا أن نعاهده سبحانه على الطاعة فى سائر الشهور . وكلما جاء شهر رمضان المبارك . أكدنا هذا العهد وزدناه توثيقا وتحقيقا وتوطيدا ..

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

صفقة رابحة !!

فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل

(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

هذه الآية الكريمة من كتاب الله عز وجل ابلغ ما ورد ترغيبا فى الجهاد وبيانا لفضله ، فهى اخبار من الله سبحانه ـ كما يقول العلامة (ابن كثير) فى تفسيره بأنه عاوض من عباده المؤمنين عن انفسهم وأموالهم اذ بذلوها فى سبيله بالجنة . وهذا من فضله وكرمه واحسانه ، فانه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له ، ولهذا قال الحسن البصرى وقتاده : بايعهم والله فأغلى ثمنهم، وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد .. (ان الله اشترى)الخ فكثر الناس فى المسجد فأقبل رجل من الانصار ثانيا طرفى ردائه على عاتقه فقال يارسول الله أنزلت هذه الآية قال : (نعم فقال الانصارى بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل .

وروى أن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة اشترط لربك ولنفسك ما شئت . فقال (اشترط لربى أن **تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم واموالكم) قالوا : فما لنا اذا فعلنا ذلك . قال : (الجنة) قالوا ربح البيع لانقيل ولا نستقيل . فنزلت .. (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) الآية**

ولقد حافظ المسلمون منذ فجر الاسلام على هذه الصفقة الرابحة فخاضوا معارك الشرف جهادا فى سبيل الله ودفاعا عن دينه وتثبيتا لدعوته وحفاظا على حرمات الاسلام ومقدساته فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، لانهم يقاتلون فى سبيل الله وقد ضمن الله لهم الجنة قاتلين أو مقتولين ولهذا كان الواحد منهم يشم ريح الجنة تحت ظلال سيفه فيصول به فى الميدان ويجول فيكتب الله له النصر وذلك عزه وفخره ، أو الشهادة وتلك هدفه ومناه . والله تعالى يقول : **(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا**

لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

وجاء فى الصحيحين (وتكفل الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وتصديق برسلى بأن توفاه ان يدخله الجنة أو يرجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة) .

وشعار المسلم فى الميدان النصر أو الشهادة . وموقفه امام عدوه الثبات والاقدام ، مع ذكر الله وتقواه قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .

ولقد علم القرآن الكريم اتباع محمد صلى الله عليه وسلم انهم فى ميدان الوغى بين قاتل ومقتول وبهذا ضمن لهم الجنة قال تعالى : (يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) .

وقد كتب الله العزة للمؤمنين ، وعزة الاسلام تطلب من المسلم ان يقاتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر . والقرآن الكريم يتوعد المدبرين بغضب الله ونار جهنم الا ان يكون ذلك فنا من فنون الحرب ومكيدة من مكايده .

قال تعالى : (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) .

بهذه المبادىء كان الله مع المسلمين فأيدهم وكتب لهم النصر المبين ـ قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) .

وبعد ..

فان خير تحية نحييى بها ابطالنا الميامين فى معركة الشرف التى نخوضها تطهيرا لارضنا ودفاعا عن مقدساتنا هى هذه الآية الكريمة (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) اقدمها هدية لجنودنا سواء منهم من كان فى مواجهة العدو يدفع ظلمه ويرد بغيه ويحبط تدبيره فى البر والبحر والجو أو كان فى داخل أرضنا السليبة يقض مضجع العدو ويحرمه لذة الأمن ويذيقه وبال ما أقدم عليه من ظلم وطغيان كما أذكر المسلمين جميعا بهذه الآية الكريمة ونحن فى جهادنا المقدس مع اعداء الله واعداء الانسانية الصهاينة الافاقين الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد وسيصب الله عليهم بجهاد المسلمين ووقفتهم صفا واحدا سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد ان معركتنا تتطلب من المسلمين ان يجمعوا أمرهم ويوحدوا صفهم والله تعالى يقول : (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وجهادنا يتطلب البذل والتضحية والانفاق فى سبيل الله اذ كيف نعد للعدو ما نستطيع من القوة الا ببذل المال رخيصا فى سبيل عزتنا ونصرنا وامساك المال والشح به القاء بالنفس الى التهلكة والقرآن الكريم يحذر من ذلك حيث يقول: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين) والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس تجارة لن تبور فهى تجارة مع الله وقد ضمن الله بها النجاة من عذاب اليم كما كتب الله بها للمؤمنين النصر المبين قال تعالى (يأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) .

الدين حياة الأمة

ان مكارم الأخلاق أساس الحياة الصحيحة .. والدين حيا الأمة ولا حياه لأمة بغير دين

والدين الاسلامى مجموعة عقائد وعبادات ومعاملات تكفل للعاملين بها سعادة الدنيا والآخرة وتصلح لكل زمان ومكان والى القارىء تفصيل ذلك الاجمال بما لايدع شكا لمشكك ولا ريبة لجاهل فنقول :

اذا حللنا أصول الاسلام وقواعده المقصودة بالذات فى كتابه وشريعة رسوله بروح التعقل والانصاف ينتج لنا ذلك التحليل أربعة أركان - توحيد وتنزيه - علم وعمل - تشريع ومعاملات - عبادات وعادات .

فأول أركان الاسلام ودعامة أصوله المرئية هو - التوحيد - توحيد الله سبحانه وتعالى فى ذاته ووصفه وفعله ، وتنزيهه كذلك عن الشريك والنظير والنسيب ، وجعل رتبته العلية أقدس من أن يصل اليها وهم أو يغشيها ظن .

والتوحيد مبدأ فطرى عام فى الخليقة تدل عليه الكائنات فى ترقيها وترابطها ، وتشهد به نواميس الطبيعة فى توحدها وتجانسها ، وتعترف به سائر الكتب المنزلة فى حال صحتها يقول الله - سبحانه وتعالى - : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ، « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق » ، « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير أم ما يشركون ، أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أآله مع الله بل هم قوم يعدلون » ، « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » .**

وقال سيدنا عيسى - عليه السلام - « يجب أن تعرفوا أن الهكم واحد » . .

وقد جعل الاسلام عقيدة التوحيد أول وأوجب أصوله لأمرين : الأول لأن التوحيد هو الحقيقة الواقعة المطلقة التى ليس وراءها الا مطلق الباطل ، والاسلام جاء بالحق ، والثانى : لأن الفرض تحرير الفكر ، وعتق الارادة ، وحمايتهما من غول الوهم وسلطان الاستبداد ، وسجن الجمود ، ونير الاستعباد ، وعمى التقليد ، لتتآخى الانسانية وتتحد وجهة الحياة ويتساوى أفراد الخليقة عظيمهم وحقيرهم أمام وحدانية الله وجامعة العقيدة ورابطة الدين .

والغاية من التنزيه تصفية العقول من كدر الشرك وغواشى الخرافات التى تكون اذا علقت بالعقل حجابا كثيفا يحجبه عن الحقائق ويزج به فى ظلمة الغفلة والجهالة ، فيعيش بين أحضان الوهم مقيدا بأغلال الشدة .

وقد رفع الاسلام بهذه العقيدة ماكان قد وصفه رؤساء الأديان من الحجر على عقول المتمدينين فى فهم الكتب مستأثرين بذلك الحق لأنفسهم ، ضانين به على غيرهم من عامة الشعب ليحتفظوا بصولجان

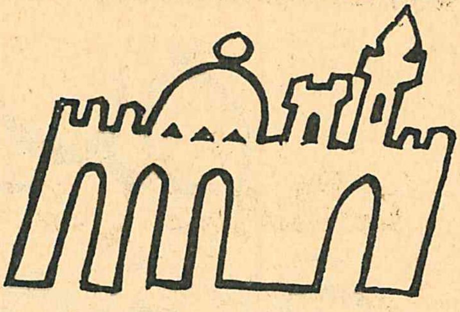

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

الرئاسة وأبهة السلطان، فيحال بين العقول بسبب ذلك وبين الحقائق بحجاب كثيف من الجمود والجهل سداه الظلم ، ولحمته الاثرة والاستبداد .

نعم .. لقد جاء الاسلام بالتوحيد فى زمن كانت فيه الأمم تهيم فى ليل حالك من الجهل والشرك وتأليه الرؤساء وعبادة الكواكب والأحجار، فتنادى بأن الله هو الاله الواحد الحق الذى لا اله لا هو وحده لا شريك له وأن كل توجه وعبادة لا يقصد بها الا الاله الواحد الأحد فباطلة وليست من الحقيقة فى شىء ، وان دين الله واحد فى سائر الأزمان وجميع الكتب وعلى ألسنة الرسل والأنبياء .. **((ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » ، « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .**

وما سائر الرسل فى نظر الاسلام الا طبقة من طبقات البشر امتازت عن غيرها باستعداد الهى يؤهل أهل هذه الطبقة لحمل رسالات الله وتبليغها للامم التى هم من أفرادها فاصطفاهم الله سبحانه وتعالى وعصمهم من الجهل والزيغ والضلال ، وأقامهم بين الناس هادين ومرشدين ، ونزل عليهم شرائعه السماوية ليجمعوا كلمة الخلق على اله واحد منزه عن علل الحدوث ، وعلائق النقص .

أرسل الله أولئك الرسل ليبينوا للناس بعد التوحيد : **أن الحياة الدنيا سبيل الى الآخرة ، ولا فوز ولا نجاة من مهالكهما الا للذين يعملون الصالحات ، وأن الويل والهلاك للذين يعملون السيئات ، ولا سعادة ولا هناءة للبشر الا باتباع سبيل الاستقامة والتمسك بمكارم الأخلاق واحترام حقوق الأفراد والجماعات ، ودعوة الجميع الى شريعة عامة ترمى فى مجموعها الى محبة الخالق وطاعته وشكره واقامة ناموس العدل والرحمة بين أفراد الجامعة الانسانية ، ومحاربة النقائص البشرية ما أمكن ، واقتباس الكمالات الالهية على قدر الطاقة .**

وهكذا اقتضت رحمة الله بعباده أن يرسل بين كل زمن وآخر رسولا يحمل للناس هذه الحقيقة فى صبغة توافق عقول أهل ذلك الزمن وينزل على فؤاد هذا الرسول من الشرائع مايتفق مع شئون ومناسبات العصر وحالة الأمة التى أرسل اليها حتى آن أوان الكمال ودارت الأزمان وترقت الخليقة ، واستعدت فطرة الانسان لتلقى

الاسلام لا يحرم الزينة والتمتع بالطيبات

آخر شريعة فى آخر كتاب على لسان أكمل رسول فأرسل الله - سبحانه وتعالى - محمدا - صلى الله عليه وسلم - وأنزل عليه قرآنا عربيا غير ذى عوج يخاطب العقول فتفهمه الأفئدة وتطمئن له القلوب وتؤيده المعارف والعلوم ..

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » .

وأنزل الكتاب وقد تزلزلت العقائد فوحدها ، وتفرقت المكارم فجمعها، وتغالبت الأنفس فهذبها ، وتفاوتت أقدار الناس تفاوتا فاحشا فساوى بينها ، ولم يجعل لأحد على أحد ميزة الا بالتقوى فتهافتت الأمم على الأخذ بما أقام من دين .. وسن من شرائع .. ارتبطت بها المصالح متآخين متحدين تحت لواء التوحيد وجامعة الدين واخاء الاسلام .. فتوحدت مقاصدهم واتحدت كلمتهم ، فذللوا المصاعب ومدوا ظلال العمران وشيدوا الممالك وسادوا على غيرهم من الشعوب التى لم تنهج نهجهم . ملبين نداء الله سبحانه تعالى فى كتابه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، مستمدين من عقيدة التوحيد والتنزيه روح الشجاعة والقوة والتضحية، ومن متانة التشريع قواعد المساواة والرقى والحرية فغمرتهم سعادة الدنيا وهداية الآخرة .

ان الدين الاسلامى لا يحرم على أتباعه المسلمين الزينة ، وهى الألبسة المتنوعة وغيرها مما يتجمل به الانسان - رجالا ونساء - فى هذه الحياة .

كما لايحرم التمتع بالطيبات من أنواع المستلذات من المأكولات والمشروبات والفواكه ، التى تشتمل عليه كلمة الرزق ، بل يبيحها عليهم جميعا . فقد قال الله سبحانه فى القرآن المجيد :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » الآية ٣٢ الأعراف .

أمر الله تعالى فى هذه الآية على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم - أن يبين للناس أن زينة الله التى أخرجها- يعنى أصلها- وهو القطن من الأرض ، والوبر من الأنعام ، والقز من الدود .. وأن الطيبات من أنواع المستلذات من المأكولات والمشروبات والفواكه وسائر المزروعات، التى تشتمل عليها كلمة الرزق ، يتمتع بها كلها المؤمنون فى هذه الحياة الدنيا ، كما يتمتع بها غير المؤمنين ، ولكنها خالصة للمؤمنين يوم القيامة (يوم جزاء الاعمال) لا يتمتع بها غيرهم .

أقول : وبهذا يثبت أن الاسلام يبيح على أتباعه التوسع فى هذه الحياة ، والتنعم بنعيمها وطيباتها وذلك بصورة مشروعة وعن طريق شرعى ، ثم يمتعهم الله بها خالصة يوم القيامة وذلك فى جنات نعيم

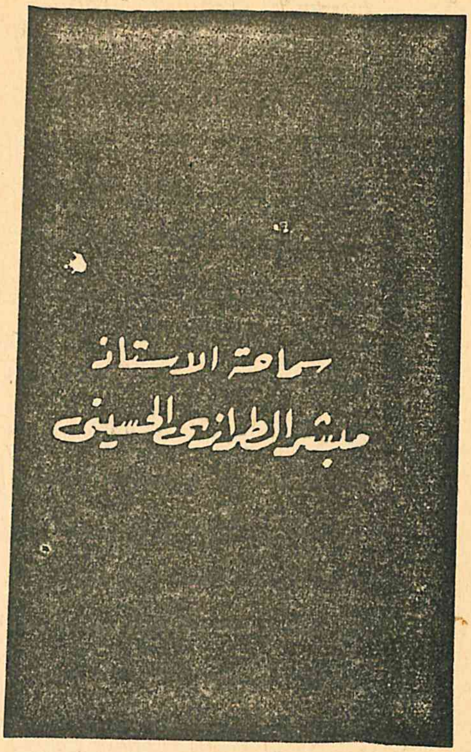

خالدين فيها أبدا ، وذلك جزاء المحسنين .

والآيات فى هذا الباب كثيرة منها قوله ـ عز وجل ـ :
« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » ..
الآية ۱۷۲ ـ البقرة .

ومنها قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا أن الله لايحب المعتدين » ..

الآية ۸۷ ـ المائدة

كما أن الأحاديث النبوية كثيرة أيضا فى هذا الموضوع :

منها ما رواه الامام مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« انما أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » وقال « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ..
الآية .

حتى ان الاسلام قد أحل ـ فيما أحل من الطيبات للمسلمين ـ طعام أهل الكتاب من النصارى واليهود ، يعنى ذبايحهم كما أحل طعام المسلمين لأهل الكتاب . وفى هذا يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

« اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم » ..
الآية ٥ ـ المائدة .

وقد صرح فى المذهب الحنفى والمالكى والحنبلى على شمول حكم هذه الآية على ذبائح الذين دخلوا من المجوس وعبدة الأصنام فى دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن .

الأمر الذى يدل على سماحة الدين الاسلامى وتوسعته لأبنائه فى التمتع من الطيبات .

ومما يجب التنبه

ومما يجب التنبه هنا أن الاسلام قد عين حدودا للتمتع الجسمانى من طيبات هذه الدنيا وملذاتها ونعمها ، ذلك لكى لا يتجاوز عنها المتمتع ، ولا يرتكب فى سبيله عملا يضر نفسه أو يضر مجتمعه ، أو يخالف الخلق الانسانى الكريم ، حتى لا يقع التمتع عرقلة فى طريق سير الروح نحو التكامل وهذا هو المراد من جملة « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » فى الآية التى ذكرناها آنفا .

كما حرم الاسلام الاعتداء على مال الغير عن طريق السرقة أو استعمال القوة والسلطة بصورة الغصب والنهب ، حتى لا يختل نظام الحياة فى المجتمع والأمن فى البلاد .

كما أن الاسلام حدد التمتع بأن يكون خاليا من الاسراف .. فقد قال الله تعالى :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » ..

۳۰ الأعراف .

وقد روى الامام النسفى « والامام الخازن أيضا » فى تفسير هذه الآية عن عبد الله بن عباس مفسر الصحابة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال « كل ما شئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة » .

أقول .. ولا شك فى أن تعيين الحدود فى التمتع وايجاب عدم التجاوز عنها . حكمة نافعة وسياسة عادلة لتدبير شئون العالم البشرى وتوجيهه نحو حياة شريفة آمنة مطمئنة .

نعم .. ان الاسلام لم يحرم التمتع من الطيبات ، وانما حرم أكل الميتة والدم ، وحرم لحم الخنزير ، وحرم أكل ما أهل به لغير الله ، الا عنه

الاضطرار ، فقد قال الله تعالى: « انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم» ١٧٣ ـ البقرة .

وان تحريم هذه وأمثالها .. « من المتردية والنطيحة ، وأكل السبع وغيرها» لأسباب معنوية وصحية يطول ذكرها ، وقد أقر الطب الحديث تحريمها وأيد حكم الاسلام فيها ، كما اعترف بحكمة هذا التحريم المنصفون من فلاسفة الغرب .. والمستشرقين .

ومما يجب التنبه ثانيا .. ان الاسلام لم يحرم زينة الله التى أخرج لعباده ، ولكنه حدد للزينه ايضا حدود مثل حدود التمتع بالطيبات التى ذكرناها ، منها أن تكون حاصلة عن طريق الحلال وأن لا يكون فيها اسراف .

ومما يذكر هنا : أن الزينة ـ يعنى الألبسة المتنوعة ـ انما هى للتحفظ عن تأثير البرد والحر على جسم الانسان ، ولا سيما لستر العورة .. والاحتشام المرموز اليه فى كلمة الزينة ، ولهذا يجب التزين بالزينة ان تكون فى هذه الحدود ولهذه الأغراض، بحيث لا يجوز أن يتجاوز عنها وان ما نشاهده فى ألبسة بعض الرجال من التطويل بحيث تمس الطريق الذى لا يخلو عن الدنس الذى يخل بطهارة الثياب فى الصلاة

.. وما نشاهده فى ألبسة النساء من التقصير بحيث يكشف السيقان والأذرع والرقبة ، ولا سيما كشف ما فوق الركبة ، فان ذلك كله خارج عن حدود الزينة والاحتشام ، مما يأباه الضمير الانسانى، وتشمئز منه النفوس الشريفة ، وتؤدى الى الفتنة والفساد فى المجتمع الاسلامى، فان مما اتفق عليه الحكماء الأقدمون ، والباحثون المدققون ما فى النظر من الفعالية والأثر العميق ، فانهم قالوا : « ان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ، ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منها » والى هذا يشير الحديث النبوى « العينان تزنيان » .

أقول : ان المسئولية تقع أولا على الاباء والأمهات لأنهم المسئولون عن مصير الأولاد ، فقد قال الله عز وجل :

« يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » الى آخر الحديث .

كما تقع المسئولية ثانيا على نظار المدارس وعمادة الجامعات، التى أخذت على عهدتها رسميا تعليم الجيل الناشىء وتربيته علميا وخلقيا ، ولا شك فى أن الجيل الناشىء رجال المستقبل وأمهاته، وفى أخلاقهم ما لاشك فى تأثيره على أخلاق المجتمع التى يرتبط بها صلاح الأمة

وقد أصاب الشاعر حيث قال ،

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قلت .. ان المسئولية اولا تقع على الآباء والأمهات .. لأن بقاء الأولاد ـ أبناء وبنات ـ تحت قيادة وارشاد نظارة المدارس وعمادة الجامعات فى ساعات من الأسبوع ، مع أنهم يقضون الاجازات ولا سيما اجازة عطلة الدراسات الطويلة خارج النظارة والعمادة ، ولكن بقاء الأولاد تحت قيادة وارشاد الآباء والأمهات فانها دائمة ، ومن المعروف عند الناس ان الام هى المدرسة الأولى ، ولهذا من فرايض الآبا وواجبات الأمهات ، أن يقوموا بقيادة الأولاد وتربيتهم فى ناحية الديانة والأخلاق بكل دقة وحرص ومحاسبة ، حتى ينشأ الأولاد نشأة دينية خلقية شريفة وان فى تعاليم الدين الاسلامى ما يكفل هذه النشأة، مما يرضى الله عز وجل ، ويرضى الضمير الانسانى ..

والمثل العربى يقول « التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر» .

وقال الشاعر وقد أصاب ..

قد ينفع الأدب الأطفال فى صغر
وليس ينفعهم من بعد أدب
ان الغصون اذا عدلته اعتدلت
ولا يلين ولو لينته الخشب

والله هو الموفق .

من أخلاق الإسلام

السكينة

فضيلة الدكتور احمد الشرباصي

السكينة من مادة «السكون» وهو ثبوت الشيء بعد تحرك ، وسكن فلان الارض : استوطنها والسكن ما يسكن اليه الانسان ومادة « سكن » تدل فى أصلها المطرد على خلاف الحركة والاضطراب ، وفى « معجم مقاييس اللغة » أن السكينة هى الوقار ، وفى السكينة معنى الرضى والامان ، والثقة واليقين والتأنى فى التفكير والكلام والحكم والحركة والتصرف ، ويقال للعقل انه السكينة لانه يجعل النفس ساكنة عن شهواتها ، وقيل أيضا ان السكينة هى زوال القلق والرعب .

وقد ذكر الرازى فى تفسيره للسكينة معانى ثلاثة ، أولها السكون ، وثانيها الوقار لله تعالى ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالث اليقين وثبات القلب .

والسكينة خلق من أخلاق القرآن ، لان الله تبارك وتعالى قد ذكر السكينة ست مرات ، مرة منها فى سورة البقرة ، واثنتان منها فى سورة التوبة، وثلاث منها فى سورة الفتح .

والسكينة خلق يثمر تثبيت القلب وتسكينه ، وايداعه الجرأة مع الرزانة ، والتكلم بوقار المحققين وايمان الصادقين ،ودقة العلماء ، وهدوء الحكماء ، ولعل هذا هو معنى ما ينسب الى عمر الفاروق رضى الله عنه من أنه كان يتكلم بما يدل على توافر الحكمة والسكينة فى قلبه ، فقد روى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

« ان السكينة لتنطق على لسان عمر »

وروى عن عبد الله بن عباس أنه قال :

« كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه »

وروى أن عبد الله بن مسعود قال :

«ماكنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر » وفى رواية انه

قال : « كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لانشك أن السكينة تتكلم على لسان عمر » . وأغلب الظن أن مرادهم بالسكينة هنا أثرها وثمرتها وهو الحكمة ، وان كان هناك من فسرها بالوقار والسكون والرحمة .

والسكينة كذلك هدوء فى القلب ينزله الله تعالى على عبده عند اضطراب القلب من المخاوف أو الأهوال ، فلا يزلزله الانزعاج ، بل يثبته ويوطده ويزيد فى ايمانه ويقينه ، ولذلك نجد القرآن الكريم يخبرنا بأن الله تعالى جمل رسوله صلوات الله وسلامه عليه بحلية السكينة فى مواطن الهول والقلق ، كيوم غار ثور فى الهجرة ، ويوم حنين اذ اشتد البأس على المؤمنين ويوم الاحزاب حينما بغى الكفران محاولا البطش بالايمان ويوم الحديبية حينما حاول الكفار ان يتحكموا فى المسلمين .. الخ .

ولعل أسمى درجة للسكينة هى تلك السكينة التى كانت تثبت قلب النبى حين نزول الوحى عليه ، ويا له من موقف جليل رهيب .

والسكينة التى تحدث عنها القرآن الكريم بشأن رسوله والمؤمنين هى ما يعمر الله به قلوبهم من القوة والروح والنور ، وبذلك يذهب الخوف ، ويبعد الحزن ، ويزول القلق ، والله جل جلاله يقول فى سورة التوبة :

« ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين »

ولا يشترط هنا أن يكون الانزال انزالا مكانيا من أعلى الى أدنى ، بل قد يكون معناه خلق وأوجد ، على حد قول الله تعالى :

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » .

فالمراد بالسكينة هنا هو الحالة النفسية الحاصلة بفضل الله وتوفيقه من السكون والاستقرار ، وزوال الاضطراب والانزعاج ، والسكينة كما عرفنا وقار ورزانة وهيبة ، فالآية تشير الى أن الله تباركت آلاؤه قد أفرغ من سماء عزته وقدرته سكينته اللدنيه على الرسول والمؤمنين فكانوا كالجبال الرواسى .

ويقول القرآن أيضا فى سورة التوبة :

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

وكذلك تحدث القرآن عن السكينة فى سورة الفتح ثلاث مرات فقال :

« هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، ولله جنود السموات والارض ، وكان الله عليما حكيما » . وقال : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما » . وقال : « اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شىء عليما » .

ومن هذه الآيات القرآنية التى تحدثت عن السكينة وأهلها نفهم أن لها ثمرات ، ولأهليها ميزات وخيرات ، فالسكينة هى قرينة النصر للمؤمنين ، ولذلك نصر الله عباده الاولين بهذه السكينة ، وعذب أعداءهم الكافرين ، وهى طريق التأييد الالهى لعبده المعتصم به بجنود كثيرة مستورة ، وهى مفتاح الازدياد فى الايمان ، وهى سبب لرضى الله تعالى ، وعنوان على طهارة قلوب المزدانين بها ، وأهلها جدراء بالثواب والفتح والمغنم ، وهم أهل التقوى القائمون بتبعاتها ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ولا عجب فى ذلك فان فضيلة السكينة تولد فى صدر الانسان وتنمو بذكر الله جل جلاله ، وهو أشرف الاعمال ، وذكر الله

هو الذى يقوى الايمان ، ويوطد اليقين ، ومن اعتمد على الله وقاه وكفاه ، فازداد سكينة على سكينته .

ولقد امتن الله تبارك وتعالى على رسوله بفضيلة السكينة بين صفاته ، فجاء فى الكتب القديمة من وصف الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« انى باعث نبيا أميا ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الاسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوال للخنا ، أسدده بكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى امامه ، والاسلام ملته ، واحمد اسمه » .

وقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون الرابطة بين السكينة والتوفيق فى الجهاد ، لان السكينة يتبعها الاقدام والثبات ولذلك نرى عبد الله بن رواحة أحد شعراء الرسول يصوغ للمسلمين يوم الخندق نشيدا يرددونه ، ويرجو فيه ربه أن يجملهم بفضيلة السكينة فيقول :

لا هم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الألى قد بغوا علينا
اذا أرادوا فتنة أبينا

ولقد قال عبدالله بن مسعود : **« السكينة مغنم ، وتركها مغرم »** .

* *

وبقيت الآية السادسة التى ذكرت فيها السكينة ، وهى تستحق أن نفردها بجانب من هذا البحث ، وهى التى يقول الله تعالى فيها فى سورة البقرة :

« وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة »

ومعنى السكينة المتبادر للذهن هنا هو أن الله تعالى جعل التابوت الذى أرسله اليهم سبب سكون واطمئنان لقلوبهم ، وقد قال ابن عطية : الصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الانبياء وآثارهم فكانت النفوس تسكن الى ذلك وتأنس به وتقوى . فالسكينة هنا يراد بها أيضا معنى الطمأنينة والسكون .

ولكنه قد وردت أقوال كثيرة مختلفة متعارضة فى تفسير « السكينة » فى هذه الآية ، فقيل انها خلق رقيق كالريح والهواء وقيل انها ريح خجوج (أى شديدة المرور فى غير استواء) ، وقيل ان السكينة هنا حيوان له وجه كوجه الانسان ، وقيل هى صورة كالهرة كانت معهم فى جيوشهم فاذا ظهرت انتصروا ، وقيل انها شىء رأسه كرأس الهر ، وقيل أنها صورة هرة لها جناحان ، وعينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد ، فاذا سمعوا صوتها أيقنوا بالنصر ، وقيل هى طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيها قلوب الانبياء ، وقيل هى روح من روح الله تتكلم ، اذا اختلفوا فى شىء أخبرتهم ببيان مايريدون وقيل انها ريح هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان ، وقيل انها ملك يسكن قلب المؤمن ويطمئنه .. الخ .

وقد جاء فى « تفسير المنار » أن أكثر الاقوال فى « السكينة » هنا لا يدل عليه نقل ، ولايقبله عقل ، كما أن الاصفهانى حكم على بعض هذه الاقوال بأنه قول لا يصح . ولعل من خير **الاقوال فى السكينة هنا قول عطاء :**

« ان السكينة هنا هى الشىء الذى تسكن اليه النفوس من الآيات » .

وكذلك قال أبو بكر الأصم : (فيه سكينة من ربكم ، أى تسكنون عند مجيئة لانهم متى جاء التابوت من عند ربهم وشاهدوه سكنت قلوبهم) . وكذلك قال الرازى أن السكينة هنا عبارة عن الامن والثبات ، وعلى ذلك تدخل كلمة (السكينة) فى آية البقرة ضمن المعنى الذى فهمناه للسكينة فى الآيات الاخرى السابقة .

ولقد ذكر الامام الهروى أن السكينة – فى عرف الصوفية – هى التى تنطق على لسان المحدثين – بفتح الحاء المشددة وانما هى شىء من لطائف صنع

الحق ، تلقى على لسان المحدث - بفتح الحاء المشددة - الحكمة وتنطق بنكت الحقائق ، مع استرواح الاسرار وكشف الشبهات ، لان السكينة اذا عمرت القلب اطمأن بها ، وخشعت الجوارح ، وجاء الوقار ، ونطق اللسان بالحكمة والصواب دون تكلف أو تعمد وتجنب الباطل من القول .

والسكينة - كما يقول الامام **ابن القيم - من أعظم مواهب الحق سبحانه ومنحه ، ومن أجل عطاياه ولهذا لم يجعلها فى القرآن الا لرسوله صلى الله** عليه وسلم ، فمن أعطيها فقد خلعت عليه خلع الولاية وأعطى منشورها ، وهذا القول له ما يسوغه ، لان السكينة تورث الانسان خشوعا فى الطاعة ، ويقظة فى العبادة ، وتعظيما للمعبود جل جلاله ، كما تورثه محاسبة النفس ، ومراقبة الخالق ، وحسن معاملة الخلق ، والرضا بالقضاء ، وتورثه أن يجعل عقله أمام لسانه ، فلا ينطق الا بميزان ، وتورثه ألا يكون عبدا لشهوته أو انفعاله أو عاطفته ، بل هو يتلبث ويتريث ولا يتصرف الا بحكمة ، ولا يتحرك الا على نور .

وصاحب فضيلة السكينة تتكشف له دلائل الايمان وحقائق اليقين ، ويظهر له الفرق الجلى بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين الغى والرشد ، ويزداد ايمانا على ايمانه كما قال الله جل جلاله ، وانما يستحق هذه السكينة أهلوها والصالحون لها ، والمخلصون فى الاهتداء الى طريقها ، ولذلك قال القائل الحكيم :

وتلك مواهب الرحمن ليست
تحصل باجتهاد ، أو بكسب
ولكن لا غنى عن بذل جهد
باخلاص وجد ، لا بلعب
وفضل الله مبذول ، ولكن
بحكمته ، وعن ذا النص ينبى
فما من حكمة الرحمن وضع الـ
كواكب بين أحجار وترب
فشكرا للذى أعطاك منه
فلو قبل المحل لزاد ربى !

ويتحدث ابن القيم عن تأثير السكينة فى نفس صاحبها ، وأنها تباعده عن الركون الى الشهوات والسيئات ، فيقول فيما يقول :

« صار سكونه اليها عوض سكونه الى الشهوات والمخالفات ، فانه قد وجد فيها مطلوبه ، وهو اللذة التى كان يطلبها من المعصية ، ولم يكن له ما يعيضه عنها ، فاذا نزلت عليه السكينة اعتاض بلذتها وروحها ونعيمها عن لذة المعصية فاستراحت بها نفسه ، وهاج اليها قلبه ، ووجد فيها من الروح والراحة واللذة ما لا نسبة بينه وبين اللذة الجسمانية النفسانية ، فصارت لذته روحانية قلبية ، بعد أن كانت جسمانية ، فانسلب منها ، وحبس عنها ، وخلصته ، فاذا تألقت بروقها قال :

تألق البرق نجديا ، فقلت له:
يا أيها البرق، انى عنك مشغول

واذا طرقته طيوفها الخيالية فى ظلام ليل الشهوات ، نادى لسان حاله ، وتمثل بمثل قوله :

طرقتك صائدة القلوب، وليس ذا
وقت الزيارة فارجعى بسلام

فاذا ودعته وعزمت على الرحيل ، ووعدته بالموافاة ، تمثل بقول الآخر :

قالت :

وقد عزمت على ترحالها :
ماذاتريد ؟ فقلت: أن لا ترجعى

والسكينة قد تشابه الطمأنينة ، ولكن ابن القيم يفرق بينهما بأن السكينة فى حقيقتها تخلص من خوف ، والطمأنينة تحصن بقوة ، ولذلك تعد الطمأنينة درجة أعلى من السكينة ، وان كانت كل فضيلة منهما جليلة نبيلة .

هذا وقد روى عن شيخ الاسلام ابن تيمية أنه كان اذا اشتدت عليه الامور قرأ آيات السكينة الستة التى سبقت خلال البحث ، وقد حدث له فى مرضه أزمة نفسية عنيفة ، فطلب من الحاضرين حوله أن يقرأوا آيات السكينة ، وأخذ يتدبرها ويتجاوب معها ، فتأثر بها فانجلت عنه تلك الازمة كأنها لم تكن .

وحدث الامام ابن القيم عن نفسه أيضا أنه كان يتلو آيات السكينة عند اضطراب قلبه بما يرد عليه فيجد لها تأثيرا عظيما فى سكونه واطمئنانه .

ومدار ذلك فيما نفهم على **الاخلاص والصدق فى التدبر والاعتبار : « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .**

مع الإيمان بالله ودلائل وجوده

فضيلة الشيخ
سليمان حسن عبد الوهاب

الكون جميعه من أقصاه الى أقصاه ، وعلى امتداد وجوده ، وابداع خلقه . واتساق سيره يشهد بوجود الله ، ويهتف بربه ويسبح بحمده ويناجى خالقه . فالسموات فى عظمتها وارتفاعها ، والنجوم فى انتظام سيرها ، والكواكب فى سمو أبراجها . تسجد لله ، والارض فى اتساعها والجبال فى شموخها ، والبحار فى عجائبها ، تركع لله . والنبات على اختلاف أفنانها ، وتنوع ثمارها ، والازهار فى تعدد ألوانها ، تسبح بحمد الله والطير فى وكره ، والوحش فى قفره والحشرات وما دونها ، تذكر الله ، وكل شىء فى الوجود يصلى لله ، فالله نور السموات والارض ، وهو فى علاه ملء السمع والبصر ، وهو معكم أينما كنتم ، لايخفى عن خلقه ، ولا يغيب عنه وجوده ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، يقول جل علاه فى كتابه الكريم « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا » آية رقم ٤٤ من سورة الاسراء والكائنات بذراتها وجواهرها وأعراضها تقرر بوجود الله ولا يخطر ببالها سواه لانها مفطورة على الانقياد له ، ومطبوعة على الخضوع لذى الجلال والاكرام . فلا تستطيع انكار وجوده ،ولا جحود عظمته وقدرته لانه خالق الكون ومنشئه ، وصاحب أمره ونهيه وله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين .

يقول جل علاه فى الذكر الحكيم « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » آية رقم ٢ من سورة الرعد ، تعاليت يارب وتساميت فى علاك أنت نور السموات والارض ، وأنت الممسك لها والمسيطر على شئونها يقول جل علاه فى القرآن العظيم « ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده ، انه كان حليما غفورا » آية رقم ٤١ من سورة فاطر ، سبحانك ، الوجود وجودك ، والملك لك لاشريك لك ، تؤتى الملك من تشاء وتنزعه ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء لامرد لحكمك ، ولا معقب على قضائك وبيدك مقاليد الامور يقول جل علاه فى مَحكم آياته « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير ، تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب آية رقم ٢٦ ، ٢٧ من سورة آل عمران ، هو سبحانه موجود لايجحد، ومعروف لاينكر ، ومعلوم لايبصر يرى بالبصائر ولا يدرك بالبصر ولا يحس بالنظر فسبحان من تحجب عن الابصار وتنزه عن الاغيار ، تعرفه القلوب . وتحن اليه الافئدة سبحانه اذ يقول فى قرآنه المنزل « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » آية ١٠٣ من سورة الانعام ويقول فى حديث قدسى (ما وسعنى أرضى ولا سمائى وانما وسعنى قلب عبدى المؤمن) الله فى كل شىء آية ، وفى كل ذرة دليل وبرهان ، ففى السماء آيات تدل عليه وفى الارض آيات ترشد اليه وفى الملكوت كله ما يشهده ويؤمن به والعالم أجمع من علويه الى

سفليه يناديه ويلبيه ، قال تعالى « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » آية رقم ١٩١ من سورة آل عمران سبحانك سبحانك لانحصى ثناء عليك انت ربنا ورب كل شىء . وانت على كل شىء شهيد ، آمنت بالله وآياته وآمنت بوجوده وقدراته وآمنت بعظمته وجلاله ، آمنت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا وبالقرآن اماما .

ففى هذه الآيات البينات ماينادى بوجود الله ويقيم البرهان على سطوع نوره ويمهد الطريق اليه . فكيف ينكر بعض الناس وجود الله بل كيف يغض الطرف عن شهود الله ، عاقل أو مفكر وينسون خالقهم ومدبر أمرهم ، ويقولون فى بلاهة وعقم تفكير ما هى الا ارحام تدفع وارض تبلع وما يهلكنا الا الدهر ، كيف يفكر بعض العقلاء والمفكرين وفلاسفة العلم هذا الابداع الكونى العظيم . والنظام المحكم فى هذه الخليقة ، مع أنه بناء قام على العلم وأسس على المعرفة وأحكمت لبناته برباط من الاصول العلمية . ونسج بخيوط متينة من المعرفة الالهية التى لا يعتريها وهن ولا ضعف ولايلحقها نسخ ولا محو ، قام هذا الكون الفسيح ، المترامى ، على علم ليس بعده علم ، وعلى معرفة ليس فوقها معرفة . علم ومعرفة ينقطع دونهما كل شأو اقرأ قوله تعالى وتأمل بفكر علمى صحيح « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؟ والى السماء كيف رفعت ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الارض كيف سطحت ، فذكر انما انت مذكر » آيات رقم ١٧ - ٢١ من سورة الغاشية ، بل قل كيف يجوز لذى عقل . أن يقول ان هذا الكون جاء صدفة ، ويدعى انه خرج فلتة ، من قال ذلك فهو معتوه خارج عن دائرة العقل بل هو أبله بعيد كل البعد عن مركز التعقل والتفكر . حيث لم تتمثل فيه أدنى البدهيات المركوزة فى احط الحيوانات فان الحيوان يدرك بأن كل حركة لابد لها من محرك . وكل أثر لحقه من ضرب أو ايذاء يسعى للتخلص منه بالفرار أو العض أو الركل بالرجل . فكيف ينكر الانسان المفكر ، أن كل صنعة توجد من غير صانع ، وبالتالى ان هذا الكون المتين البناء المحكم الصنع وجد من غير صانع ؟ تعالى الله عما يقول الجاحدون علوا كبيرا .

وهؤلاء الماديون الذين ينسبون فعل كل شىء الى المادة ، والمادة كما نعلم صماء بكماء ولا ادراك لها ويثقون بطبيعة المادة كل الثقة مع أن الطبيعة لا روح لها ولا تفكير ولا تنتج سوى ، ما يجانسها ويشابهها . فهى غير الاله القادر البارى المصور الذى خلق فسوى وقدر كل شىء .. بحكمة وميزان وعلم ، والهم كل مخلوق ما يحتاج اليه وهداه الى طعامه وشرابه وطريقة معيشته وحياته وخلق أنواعا شتى من الانسان والحيوان والنبات ومن كل زوجين ذكر وانثى سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وقل لهؤلاء الناس الذين ينكرون وجود الله والذين ارتادوا الفضاء وظنوا انهم قادرون على كل شىء ، وصعدوا بسفنهم الى السماء وفى الواقع انهم ما صعدوا وانما طافوا حول القمر وارتفعوا الى منطقة انعدام الوزن وعادوا منكرين لوجود ربهم الذى اقدرهم على صنع السفينة التى حملتهم . عاد أحد هؤلاء الرواد قائلا فى تبجح ، ما رأيت الها ولم أجد ربا لهذا العالم . ولم نحس بأله للكواكب . وأنكر وجود الله الذى خلقه وسواه ووهب له السمع والبصر وصنع عقله وتفكيره ، قال تعالى فى محكم كتابه العزيز « قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون » آية رقم ٢٣ من سورة الملك فكان مثل هؤلاء الرواد لعالم الفضاء كمثل فرعون مصر ، الذى طلب من وزيره هامان أن يبنى له سلما يرقى عليه الىالسماء ، ليطلع الى الله («اله موسى») ليراه ويبصره ، فكان فرعون بهذه المقالة من أضل الضالين وأحط الجاهلين ودلت على بلاهته وحيوانيته وانه لم يدرك من آيات الله ما يرفع انسانيته ويسمو بعقليته اقرأ قوله تعالى فى سورة القصص آية رقم ٣٨ « وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غيرى . فاوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين »

وقد ورث هؤلاء الضالون من الدهريين .. والطبيعيين وغيرهم طائفة ظهرت فى مستهل هذا القرن عرفت بطائفة الوجوديين الذين لايؤمنون الا بعقل الانسان وسعة تفكيره ويقولون ان العقل الانسانى هو الذى يصنع وينتج ويخترع ويخلق ولا نؤمن الا به ولا نقر بغيره ربا ولا ننقاد الا اليه ، فاذا أردتم أن تتخذوا الها فاتخذوا العقل الها لان كل شىء حولنا هو من آثار العقل وكل ماحولنا من تقدم وحضارة واتقان وصناعة هى من فيض العقل ومن تكوين العقل وكل ماننتفع به من الكهرباء والمذياع والتليفزيون والتلغراف والمسرات والطائرات التى تقطع المسافات البعيدة فى لمح البصر هى من صنع العقل وقد تغيرت مقاييس الامور ومعايير الناس عن طريقة تجديد العقل ودوام تقدمه فى تغيير المادة حتى سيطر عليها وظن انه القادر علي كل شىء - قل لهؤلاء الوجوديين تريثوا قليلا وتعالوا نتفاهم على مائدة العقل الذى تؤمنون به ونحن نعلم لاننكر فضله على الانسان سؤال واحد يوجه اليكم ولا سؤال سواه من الذى خلق العقل المفكر ..؟ ومن أوجد العقل الانسانى المخترع ومن صنع العقل البشرى وأحكم ذراته وقسم جسمه ووزع شرايين اتصاله بالجسم وجعله فى مكان حصين فى رأس الانسان . كانه محطة استقبال واصدار ، من الذى صمم هذا الجهاز وأوجده على هذه الدقة ومن الذى ألهمه التفكير والابداع وأوجد الروح فيه وجعله يحس ويشعر بما حوله من اتصال لاسلكى ، العقل نفسه يجيب ويقول ، الله هو الذى خلقنى وخلق كل ما حولى وخلق عملى وألهمنى التفكير والابداع الله هو الذى خلق العقل وكون كل ذرة فيه وأبدعه على غير مثال فادهشكم بقوة اختراعاته وعظيم صناعاته الله وحده صانع كل شىء وخالق كل شىء وأمره اذا صدر لايحتاج الى زمن .

قال تعالى « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» آية رقم ٨٢ سورة يس . فكل أعمالنا وصناعاتنا واختراعاتنا . هى عمل الله وخلق الله وعمل الله لا غير .

يقول سبحانه « والله خلقكم وما تعملون » فيا أيها الانسان لاتتعالى بعقلك ولا تتكبر بسعة تفكيرك ولا تخرج عن دائرة ضعفك . فانت مخلوق لله ومن صنع يده وعقلك الذى تفتخر به من عمل ربك وتأمل ما فيك من أجهزة كونها الله فيك تعمل من أجل وجودك وفى خدمتك من جهاز العقل والسمع والبصر والقلب والكبد والاعصاب والشرايين والمعدة والامعاء وأنت تخرج

منها بايمان عميق واتصال بالله وثيق يقول تعالى فى سورة الذاريات آية رقم ٢١ « وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

ان هؤلاء الوجوديين لم يتساووا فى تفكيرهم درجة الجاهلية الاولى فان الجاهلية الاولى لم ينكروا وجود الله ولئن سألتهم، من خلقكم وأوجدكم ؟ لقالوا الله وأقروا بالله واذا نوقشوا فى أمر خلقهم وخلق السموات والارض . لم ينكروا الله وأقروا بالله ربا .

قال تعالى فى سورة الزخرف آية ٨٧ « ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن الله فانى يؤفكون » نعم انهم أعرضوا عن الله فى العبادة وتوجهوا الى غيره ، ولكنهم مع هذا ، كانوا يتخذون هذا التوجه وسيلة الى الله وقربى اليه لانهم لا ينفكون عن الايمان والاقرار بوجوده .

قال تعالى فى سورة الزمر آية ٣ « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ماهم فيه يختلفون ، ان الله لايهدى من هو كاذب كفار »

ويعجبنى فى هذا المقام قول أحد الاعلام من رجال الدين «ان الدين بمعناه العام ، هو ادراك وجود قوة غالبة مسيطرة على الكائنات ، وتتصرف فيها ، والخضوع والاذعان لتلك القوة أمر فطرى فى البشر ، وقولهم فلان دهرى أو طبيعى ، هو صفة لمن يتوهم أن تلك القوة هى الدهر أو الطبيعة فيدين لهـا ويخضع لما يتوهم ، وليست تلك القوة حقا الا قوة الله الواحد الاحد ، الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد لا اله الا هو تعالى عمايشركون .

فالذين فتنوا بالعقل ودهشوا من تقدم اختراعه واتقان صناعاته ، ظنوا أن العقل هو الصانع وهو الخالق وهو المبتكر وأسندوا اليه كل تقدم وكل جديد فى عالم الصناعة ، وهذا وهم منهم ، نابع من الامر الفطرى فى البشر ، من الايمان بالقوة المسيطرة على هذا العالم ، وليست تلك القوة المسيطرة على الانسان سوى الله ، الخالق المصور ، له الاسماء الحسنى يسبحله مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم .

يروى أن بعض الزنادقة ، أنكر الصانع سبحانه فى مجلس الامام جعفر الصادق ، فقال له الامام هل ركبت البحر ؟ قال نعم ، قال له هل رأيت أهواله ؟ قال نعم ، قال له صف لى أهواله ، قال : هاجت الرياح وثارت بقوة ، فكسرت السفينة وغرق الملاحون ، فتعلقت ببعض ألواحها ، ثم جرف الموج اللوح ، وذهب بعيدا عنى ، فاذا أنا مدفوع بين تلاطم الامواج ، حتى دفعت الى الشاطىء ، فقال له الامام جعفر ، قد كان اعتمادك أولا على السفينة والملاح ، ثم على اللوح ، فلما ذهب كل هذا ، هل أسلمت نفسك للهلاك ؟ أم كنت ترجو السلامة ؟ قال نعم كنت أرجوها ، قال ممن كنت ترجوها ؟ فسكت الرجل ولم ينطق فقال له جعفر ، انها قوة غيبية عنك كنت ترجوها انه الصانع الذى كنت ترجوه، وهو الله سبحانه الذى نجاك من الغرق ، فاسلم الرجل وحسن يقينه بالله ..

ويروى أنه ظهر فى عصر المأمون الخليفة العباسى ، رجل ينكر وجود الله ، وينسب كل شىء الى الطبيعة ، فدعاه المأمون الى حضرته وساله عن تلك المقالة الشائعة حوله ، من انكار الله ، وانتساب كل شىء الى الدهر والطبيعة فقال الرجل نعم وأصر على دعواه ، فندب اليه أحد العلماء لمناظرته ، فلما حضر العالم المناظر ، واستمع الى دعوى الرجل الطبيعى، قال له موعد مناظرتنا اليوم بعد صلاة العصر وفى هذا المكان ان شاء الله ، وخرج كلاهما الى منزله .

فلما جاء وقت العصر حضر الرجل الطبيعى المنكر ، وتخلف العالم المناظر وضجر المأمون من تخلف العالم المناظر وظن انه أراد أن يتخلص من المناظرة ، وبعد ساعتين حضر العالم المناظر ، وعليه أثر الاجهاد فبادره المنكر أدينكم يقر خلف الوعد ؟ قال لا . أشريعتكم تجوز التسويف فى الوفاء قال لا ، ولكنى حرصت كل الحرص على الوفاء بوعدى فى وقته ومكانه ، فقد خرجت من منزلى وبينى وبين أمير المؤمنين نهر ، لانى أسكن فى الضفة الاخرى من نهر دجلة، وجئت الى الشاطىء فلم أجد مركبا تنقلنى الى أمير المؤمنين ، وانتظرت طويلا عسى أن تحضر مركب لتسعفنى على الوفاء بالوعد ، وقد يئست من الانتظار وحزنت لعدم وفائى بالميعاد ، فناديت ربى ، وقلت يارب ساعدنى على الوفاء بالوعد ، الذى تأمر به شريعة الحق ، وبينما أنا غارق فى بحر من الحزن ، واذا بالواح من الخشب تطفو على سطح النهر ، ثم تراكمت وتراكبت ، وجعلت سفينة وجاءت أمامى ، فركبها الناس وركبت معهم ، وجئت اليك لاناظرك وأسرعت لاسر أمير المؤمنين بالمناظرة .

فالتفت المنكر الى الناس حوله ، وقال للحاضرين : أمثلى يناظر صاحب هذه العقلية ؟ أهذه عقلية انسان يناظرنى ، وهل أناظر رجلا لا يزن الامور ، ويلقى كلاما يدل علي التخريف ، فقال له العالم المناظر ، ولم ؟ قال لانك تقول ، ان الخشب تراكم وتراكب فوق النهر وصار سفينة تركب ، من غير نجار يصنعها ، فقال له العالم المناظر ، اذا كان لم يصح فى عقلك ولا يروق فى نظرك ، ان الواحا طافية على سطح الماء تراكمت وتراكبت حتى صارت سفينة ، من غير صانع ، فكيف بهذا الكون الهائل المنظم وهذه الارض وما عليها من خلائق ، وما فيها من جبال وانهار ، وما زينها من نبات وأزهار وهذه السماء وما فيها من نجوم وشموس واقمار ، كيف أتت الينا ، وجاءت على هذه الصورة المبدعة الفائقة أيعقل أن توجد من غير صانع؟ ومن غير مدبر ؟؟ تعالى الله عن قول المنكرين والجاحدين علوا كبيرا . وتنزه سبحانه عما يصفون ، فكانت تلك المناقشة الهادئة ، وذلك الحوار المنطقى ، وذلك العرض العقلى ، خير من مناظرة تتصادم فيها الحجيج ، وتتعارض حولها البراهين فلذلك اقتنع الرجل ومد يده للعالم الربانى وأسلم علي يديه وآمن بالله رب العالمين — والى اللقاء فى صحبة نور الايمان بالله ، وبالله التوفيق .

الجريمة والعقاب بين الشريعة والقانون

الأستاذ عبد الخالق النواوي

تعرضت الشريعة الاسلامية لجميع أفعال الانسان الظاهر منها والباطن وانتهت الى تقرير حكم لكل فعل .

أما القانون الوضعى فقد سلك طريقا تعرض فيه الى بعض افعال الانسان الظاهر منها دون الباطن ودون باقى أفعاله الظاهرة ، وفى مجال العقوبات فرض عقوبات لأفعال معينة حيث رأى ان هذه الأفعال هى التى تعرض كيان المجتمع وأمنه للخطر

وبنظرة فاحصة لهذه المقدمة الموجزة نرى ان الشريعة الاسلامية أوسع من القانون نطاقاوأقدر على ملاءمة الزمن ومسايرة التطور .

والبحث فى هذا الموضوع يقتضينا التعرض لأمرين :

أولهما : تعرض الشريعة الاسلامية للناحية الباطنية من تصرفات الانسان أو بعبارة أخرى (العنصر الروحى فى تقرير الأحكام)

وثانيهما : حصر الأفعال المعاقب عليها فى قانون العقوبات ومسلك الشريعة الاسلامية فى هذا الخصوص .

وسنتكلم أولا عن العنصر الروحى فى تقرير الأحكام .

العنصر الروحى : سبق أن قلنا بأن القانون لا يعنى الا بالأفعال الظاهرة ، أما التشريع الاسلامى فهو يهدف من أحكامه الى تحقيق غرضين :

الاول : يدور حول صلة الانسان بالله .

والثانى : يدور حول صلة الانسان بالانسان .

ومن هنا يتبين لنا بأن العنصر الروحى قائم على أساس يجمع بين مصلحتى الدين والدنيا لا فى العبادات فقط ولكن فى المعاملات أيضا ، فنراه يجعل لكل عمل حكمين .

ا) حكما مرجعه الى صلةالانسان بالانسان ،وهذا الحكم مستمد من الظاهر .

ب) وحكما مرجعه الى صلة الانسان بالله وهذا الحكم مستمد من الباطن .

فاعتداء الانسان على غيره له حكمان ، احدهما يرجع الى صورته الظاهرة وما ترتب عليها منضرر وهو جعل هذا الاعتداء سببا للضمان وموجبا للتعزير (العقاب) وحكم يرجع الى الباعث وهو كون هذا الفعل حراما يستوجب غضب اللهوعذابه وهذا الحكم مرتبط بالعقاب والتعزير ومثل ذلك فى كل اعتداء على النفس أو على المال أو على العرض وفى كل عقد أو تصرف ، وفى الجملة كل فعل من أفعال الانسان .

وبناء على التفرقة السابقة بين الأحكام الظاهرة والأحكام الباطنة قال الفقهاء بأن الاعمال الظاهرة فقط هى التى تتخذ أساسا للمعاملة بين الناس ولانه يمكن الوصول اليها بوسائل الاثبات الظاهرة ومن أجل ذلك اطلقوا عليها أحكام القضاء ، أما الباطنة فلاسبيل الى اثباتهابوسائل الاثبات الظاهرة ومن ثم لاتتخذ أساسا للمعاملة بين الناس ، وانما تعتبر أساسا للمثوبة والعقاب من الله وواجب الانسان أن يعمل بها فى خاصة نفسه ويطلق الفقهاء عليها احكام الديانة .

وقد ثار الجدل والتساؤل عن أهمية التفرقة بين الاحكام الظاهرة والأحكام الباطنة ، مادام الحكم المبنى على الظاهر هو مناط الالزام القضائى وعليه تقوم روابط الناس فضلا عن عدم استطاعة تنفيذ الحكم الباطن بوسائل القهر والالزام .

مما لاشك فيه أن تعرض الشريعة الاسلامية للاحكام الباطنة وربطها بالأحكام الظاهرة فائدتين :

الفائدة الأولى : ازالة ما فى الأحكام الجبرية من خشونة تدعو الى النفرة والفرار من مواجهتها وتنفيذها .

الفائدة الثانية : لفت نظر القضاء الى ان يراعى فى احكامه ما أمكنه تلك الناحية الدينية الأخلاقية فيجعل لها مجالا فى التطبيق ما استطاع الى ذلك سبيلا حتى يكون أقرب الى غرضه فى الاصلاح وتوفير الرضا واقرار الطمأنينة والمحافظة على الحقوق .

وتقرير الأحكام على الصورة السابقة أمر له اثره الكبير من حيث وضع الأحكام وتنفيذها .

فمن حيث وضع الأحكام فان المشرع سيعمل جاهدا على الوصول الى معرفة ما يريده الله فتأتى احكامه عادلة وغير مغرضة فلن يضع حكما يجعل فيه مثلا هتك الأعراض فى بعض الأحوال عملا مباحا كما هو الحال فى قانون العقوبات والأمثلة على ذلك كثيرة وعلى سبيل المثال :

١ ـ لايعاقب القانون على فعل هتك العرض متى تجاوزت المجنى عليها الثامنة عشرة وكان الفعل برضاها . (مادة ٢٦٩ من قانون العقوبات)

٢ ـ ويقضى القانون بعدم جواز محاكمة أحد الزوجين اذا زنى مالم يتقدم الزوج الآخر بشكوى يطلب المحاكمة (المواد ٢٧٣ ، ٢٧٧ من قانون العقوبات و٣ من قانون الاجراءات الجنائية)

٣ ـ ويعطى القانون كذلك للزوج الحق فى ان يعفو عن زوجته الزانية حتى بعد دخولها السجن فيطلق سراحها منه متى ارتضى معاشرتها (مادة ٢٧٤ من قانون العقوبات)

٤ ـ ويقضى أيضا بعدم معاقبة الخاطف اذا تزوج بمن خطفها وقد يكون الخاطف غير كفء لها (مادة ٢٩٧ من قانون العقوبات)

ويتضح لنا من هذه الأمثلة أن المشرع لم يكن له حد يلتزمه أو نطاق يعمل فى دائرته أو رقيب يعمل حسابه ، فوضع الأحكام على هواه حتى انها اختلفت فى المسالة الواحدة تبعا لما اذا كان المجنى عليه رجلا أو امرأة ، فعقوبة الرجل الزانى تختلف عن عقوبة الزوجة الزانية فى القانون ، اذالزوج يعاقب بالحبس مدة لاتزيد على ستة أشهر ، أما الزوجة فتعاقب بالحبس مدة لاتزيد على سنتين .

كذلك فان الزوج اذا فاجأ زوجته متلبسة بجريمة الزنا فقتلها هى ومن يزنى بها عوقب بالحبس فقط بدلا من العقوبة المقررة لجريمة القتل العمد ، أما اذا كانت الزوجة هى التى فاجأت زوجها متلبسا بجريمة الزنا وقتلته هو أو من يزنى بها أو قتلتهما معا فلاتستفيدهذه الزوجة من العذر القانونى الممنوح للزوج وتعاقب بعقوبة القتل العمد

كما أن القانون لم يعترف بهذا العذر للوالد أو للاخ أو للولد .

بهذا نكون قد استوفينا موضوع تقرير الأحكام أما من حيث تنفيذها فان الغالبية العظمى من الناس سيقبلون على تنفيذ الأحكام ابتغاء مرضاة الله وهذا المعنى كفيل بأن يدفع الناس الى الخير والبعد عن الشر منفذين لهذهالاحكام عن عقيدةوحب لا عن رهبة وخوف

أو على الأقلسيخضعون لها ابتغاءالثواب وخوفا من العقاب يوم القيامة والنتيجة المترتبة على ذلك هى قلة عدد الجرائم والمنازعات واطمئنان الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم .

والحقيقة أننا فى أى مجتمع فى حاجة الى معيار تقاس به الأحكام عند وضعها والى قوة تهيمن على المشرع عند تقرير الأحكام وان خير قوة من هذا النوع وأجدى مقياس تقاس به الأحكام هو مراعاة صلة الانسان بالخالق عند تقريرها .

وبالنسبة لتنفيذ الأحكام لابد من وجود قوة تهيمن على الأفراد يعملون حسابها ، وخير قوة هى وضع خشية الله فى الميزان اذ بذلك يكون ضمير الأفراد هو الحارس الأمين على تنفيذ الأحكام فيرعونها فى السر والعلانية ويخشون الله الذىيعلم مافى الصدور .

من أساليب القرآن
فى محاربة الأنانية

وقع الانسان فى أسر شهوة التملك .. وأصبح التملك فيه أثرة وأنانية فصار المال عشيق روحه .. جمعهديدنه والبحث عنه وسيلته وغايته والضن به غريزته وهدفه .

وما أروع قول ربنا : معبرا عن حالة الانسان هذه

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب »

فبناء الفعل (زين) للمجهول هنا تعبير عن مدى ملازمة حب التملك للنفس البشرية .

وقصة قارون التى يقصها القرآن علينا انما تمثل قصة الانسان مع المال على هذه الارض ، فالله قد آتاه من المال ما أن مفاتح خزائنه يصعب حملها على الجماعة الاقوياء ومع ذلك عندما طلب منه أن يتخلى عن جزء يسير من ماله يقول لهم مستنكرا :

انما جمعته بكدى وعرقى وجهدى ..!!

فليس لأحد فيه شرك سواى فلا تهمنى بطون جياعكم ولا لهفة محتاجكمولا ضائقة معسركم.. فالمال ماليوهو شقيقروحىومعبود وجدانى ..!! وأعين الآخرين تحملق فى موكبه وزينته متمنين ما يمتلك .. قائلين « يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون »

ونحن فى مقالنا هذا فى رحاب القرآن نستعرض بعض أساليبه التي تتعمق فى شغاف القلوب المؤمنة المتفتحة بالايمان تهديها سبلها وتذكرها بفضل الله عليها .

فنرى الله تعالى يتدرج مع النفس البشرية فى أسلوب نفسانى مقتلعا منها الشح والبخل

فالمال يصفه القرآن بأنه ملك لله ليس لاحد فيه سوى الرعاية والعناية ! وانه أمانة فى عنق الانسان فليس لاحد أن يضن به على عيال الله من الفقراء ، يقول تعالي فى كتابه العزيز :

« له مقاليد السماوات والارض »

« ولله خزائن السماوات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون »

« كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين »

« وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم »

فكأنما أراد الله أن يقول للناس :

الأرزاق بيدى أهبها من أشاء من عبادى .. وامنعها س من أشاء فليس لكم رازق غيرى .. ولا وهاب سواى .. فلا أحد يستطيع أن يتحكم فى خزائن رزقى وكرمى .. فأنتم يا من على هذه الارض ويا من خولتكم من نعم وزروع وعيون .. وضربتم عليها أسوار جشعكم وشحكم وحرمتم منها الجائع والمسكين .

أستطيع أن أجعل كرومكم خاوية علىعروشها وزروعكم هشيما تذروهاالرياح وجداولكم آسنة بعدسلسبيل الماء وعذوبةالشراب وأذيقكم لباس الجوع والحرمان مثل ما تفعلون مع من يستحقون فى أموالكم نصيبا مفروضا . فان تبتم من شحكم وتغلبتم على أنانيتكم فأناغفور رحيم .

« فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »

فالرحم هنا رحم الانسانية جمعاء وقطيعتها حرمانها من فضل الله .. قطعها فساد .. وعمى للابصار .. وصمم للآذان

ومن ناحية أخرى يصور الله المال بأنه عرض من أعراض الحياة .

فيقول جل شأنه فى سورة الكهف .

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا »

ثم يردف تعالى بعد أن يصور الحياة بأنها هشيم بان « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا »

ومرة أخرى يصور المال بأنه زهرة وما أقصرعمر الزهور .. وما أسرع ذبولها ..!!

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى »

فاذا كان المال عرضا من أعراض الحياة فان الحياة كذلك بالنسبة للانسان طريق ممر ..

فاذا مات الانسان ترك وراءه ماله .. يقول له أنا مالك أنا كنزك ، تعبت فى جمعى وكنزى ... فلم أفدك يوم رحيلك وها هم ورثتك يتنازعون ما تركت وتذكرونى ونسوك .

الأستاذ عبد الودود محمد طه

وهو مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المرء اذا هلك قال النـاس ما ترك ؟ وقالت الملائكة ما قـدم ؟ فقدموا بعضا يكن لكم ولا تتركوا كلا فيكون عليكم »

ويقول الشاعر فى هذا المعنى :

اعمـل وانت من الدنيـا على حذر
واعلم بانك بعـد الموت مبعـوث
واعـلم بانك ما قـدمت من عمـل
محصى عليـك موا خلفت موروث

ويصور الله تعالى الانسان بعد رحيـله وقد امتلأ حسرة وأسى فيالها من صورة :

« ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده » كلا ..!! يأيها الذين ظننتم انكم مانعتكم أموالكم وقناطيركم من الذهب والفضة وتوهمتم أن أموالكم قد أعطتكم الحصانة والخلود فلتكو النار منكم الجباه والجلود جزاءماكنتم تكنزون .

ومن رفيع أدب القرآن هذه المحادثة التى تدور بين أصحاب الجنة وأصحاب النار « ما سلككم فى سقر »

« قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنـا نخوض مع الخائضين وكنـا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين »

وأى شفاعة وأى شفعاء والـكل يقول نفسى نفسى فما هى الصورة التى يصورها القرآن .

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقنـاكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضـل عنكم ما كنتـم تزعمون »

وهذه صيحة الاشحاء البخـلاء تشق تميز جهنم وشهيقها . يقولون « رب لولا أخرتن الى أجل قريب فأصـدق وأكن من الصالحين ».

ويأتى الجواب مخيبـا لآمال الذين لا يسـمعون من الذهب الا رنينه ولا يرون منه الا بريقه .

« ولن يؤخر الله نفسـا اذا جاء أجلهـا والله خبير بما تعملون » فيأيها الصم العمى عن مناهل الفيض والكرم قدضرب على أعينكم غطاء وغشاوة ، وضرب على آذانكم وقـر ، وعلى قلوبكم ساتر وحجاب فاليوم لكم الويل جزاء ما كنتم تكسبون وتجمعون ..

وكما يقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

النـار آخر دينـار نطقت به
والهم آخر هـذا الدرهم الجارى
والمـرء بينهما ان لم يكـن ورعا
معذب القلـب بين الهم والنـار

ومن أساليب القرآن النفسية فى معالجة النفس البشرية معرفة أن جمع المال غريزة فى النفس وأن عباد المال لا يعدمون وسيلة فى جمعه وكنزه وهم يغشون ويخدعون ويطففون عندما يكتـالون وينقصون ويخسرون ، فيصـور الله حالهم بقوله : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم »

ان سلطان المال يرين على القلوب والبصائر فتعشو عن نـور ربها فتصبح خفاشية البصيرة محجوبة القلب والضمير حائرة فى بيداء ضـلالها ، فهم يقامرون ويغامرون . ولا يهمهم خراب المجتمعات ، ما دامت خزائنهم تغص بالورق والنضار .. فلا يهمهم بعد ذلك ضرر ولا ضرار ، ولا سمسرة ولا احتكار ..! فاى صورة هذه للمرابين .

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله »..

فاى حرب هذه التى تكون من الله على المرابين وأى انتصار فيها للجشعين والمرابين ..؟!! وهكذا نرى أن القرآن يحارب الشح والبخل ويقتلع أسبابه ودواعيه ، ومن ناحية أخرى يرسم صـورةتشـع بالنور والبشاشة ، فنـرى القرآن يرسم هالة من النور لهؤلاء الذين يتغلبون على شح انفسهم مشجعا لهم على تغلبهم على جبلتهم وانانيتهم فيجعـل لهم الحسنة بعشر أمثالها بل يزيدها وينميها الى سبعمائة ضعف فضلا منه وكرما ..

وليس معنى أن القرآن يحذر من الاموال أنها محرمة على البشر وأنها كلها شر .. فالقرآن يدعو الى التمتع بطيبات الحياة « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعبـاده والطيبات من الرزق » « ولا تنس نصيبك من الدنيا »

ولكن عندما لا تنس نصيبك من الدنيا احسن كما احسن الله اليك بالبذل والانفاق .

والانفاق هو أعلى مراتب العبادة .

فلا خير فى تمتمة الالسنة وتحريك حبات المسبحة ولا الذقون المسدلة ولكن « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما »

وأى من الناس هؤلاء الذين سيكون الله معهم يكلؤهم بعنايته ورعايته ففى أى الدرجات سيكونون عند ربهم ..؟!

وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنـكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار » ..

ثم يخاطب النفس البشرية ضاربا على الاوتار الحساسة فيها قائلا : « ان كنتم تريدون أن تكنزوا وتدخروا أو تريدون قصورا وبيوتا خالدة لا هى ككنوز الدنيا التى تتركونها وراء ظهوركم ولا كبيوتكم التى تحرمون منها بالموت . لا . لا كهذه ولا كتلك وانما هى خالدة أبدا فى جنات النعيم تشبع عزيزة التملك فها هى ان كانت لكم عقول تفكر وقلوب تفقه ..!! «يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون ، يغفر ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتهـا الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم » .

فطوبى لهؤلاء الذين يقول فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة ، وانفق مالا جمعه فى غير معصية ، ورحم أهل الـذل والمسـكنة ، وخالط أهل العلم والحكمة ..

نعم طوبى لهم ، طوبى لمن تغلب على شحه وبخله طوبى لمن انتصر على نفسه ... طوبى لمن سعى لاخيـه فى حاجته ... طوبى لمن جعل القرآن منارته ومنهله ، وتعمق فى قول ربه « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » صدق الله العظيم .

آمين للقرطبي

الأستاذ محمد فاوى عسر

التأمين – وفيه ثماني مسائل :

الاولى – ويسن لقارىء القرآن ان يقول بعد الفراغ من الفاتحةبعد سكتةعلى نون (ولاالضالين) أمين ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن ٠

الثانية – ثبت فىالأمهات من حديث أبى هريره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أمن الامام فامنوا ، فأنه من وآفق تأمينه تأمين الملائكة غفر لهماتقدم من ذنبه »قال علماؤنا رحمه اللهعليهم فترتبت المغفرة للذنب على مقدمات أربع ، تضمنها هذا الحديث ، الاولى : تأمين الامام ، الثانية تأمين من خلفه ، الثالثة تأمين الملائكة ،الرابعة : موافقة التأمين ، قيل فى الاجابة ، وقيل فى الزمن ، وقيل فى الصفة ، من أخلاص الدعاء لقوله عليه السلام : ((ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابةواعلموا ان الله لايستجيب دعاه من قلب غافل لاه))

الثالثة – روى أبو داود عن أبى مصبح المقرائى قال : كنا نجلس الى أبى زهير النميرى وكان من الصحابة ، فيحدث أحسن الحديث ، فاذا دعا الرجل منا بدعاء قال : أختمه بآمين ، فان آمين مثل الطابع علىالصحيفة ، قال أبو زهير ألاأخبركم عن ذلك خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فأتينا على رجل قد الح فى المسألة فوقف النبى صلى الله عليه وسلم يسمع منه ،فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أوجب أن ختم » فقال له رجل من القوم : بأى شىء يختم ؟ قال « بآمين فانه ان ختم بآمين فقد أوجب » فانصرف الرجل الذى سأل النبى صلى الله عليه وسلم ، فأتى الرجل فقال له اختم يافلان وأبشر ٠

« وقال وهب بن منبه : آمين أربعة احرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول : اللهم أغفر لكل من قال آمين – وفى الخبر : « لقننى جبريل آمين عند فراغى من فاتحة الكتاب : أنه كالخاتم على الكتاب » وفى حديث آخر : « آمين خاتم رب العالمين » قال الهروى : قال أبو بكر معناه أنه طابع الله على عباده ، لأنه يدفع (به عنهم) الآفات والبلايا ، فكان كخاتم الكتاب الذى يصونه ،ويمنع

من افساده ، واظهار مافيه • وفى حديث آخر : « آمين درجة فى الجنة » قال أبو بكر : معناه أنه حرف يكتسب به قائله درجة فى الجنة •

الرابعة ـ معنى آمين عند اكثر اهل العلم اللهم استجب لنا ، وضع موضع الدعاء • وقال قوم : هو اسم من اسماء الله ، روى عن جعفر بن محمد مجاهد ، وهلال بن يساف ، ورواه ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصح ، قاله ، ابن العربى وقيل : معنى آمين كذلك فليكن ، قاله الجوهرى : وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مامعنى آمين ؟ قال : « رب أفعل » وقال مقاتل هو قوة للدعاء ، واستنزال للبركة • وقال الترمذى معناه لا تخيب رجاءنا

الخامسة ـ وفى آمين لغتان : المد على وزن فاعيل كياسين • والقصر على وزن يسين •

قال الشاعر فى المد :

يارب لاتسلبنى حبها أبدا
ويرحم الله عبدا قال آمينا

وقال آخر :

آمين آمين لأرضى بواحدة
حتى أبلغها الفين آمينا

وقال آخر فى القصر :

تباعد منى فطحل اذ سألته
آمين فزاد الله مابيننا بعدا

وتشديد الميم خطأ ، قاله الجوهرى • وقد روى عن الحسن ، وجعفر الصادق ، التشديد ، وهو قول الحسين بن الفضل ، من أم اذا قصد أى نحن قاصدون نحوك ، ومنه قوله : (ولاآمين البيت الحرام) • حكاه أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم ـ القشيرى •

قال الجوهرى : وهو مبنى على الفتح مثل أين وكيف لاجتماع الساكنين ، وتقول منه : أمن فلان تأمينا •

السادسة ـ واختلف العلماء : هل يقولها الامام وهل يجهر بها ؟ فذهب الشافعى ومالك فى رواية المدنيين الى ذلك ، وقال الكوفيون وبعض المدنيين لايجهر بها ، وهو قول الطبرى ، وبه قال ابن حبيب من علمائنا ، وقال ابن بكير : هو مخير ، وروى ابن القاسم عن مالك : أن الامام لايقول آمين وانما يقول ذلك من خلفه وهو قول ابن القاسم والمصريين من أصحاب مالك ، وحجتهم : حديث أبى موسى الاشعرى ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا **فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال : « اذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فاذا كبر فكبروا واذا قال : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فقولوا آمين يحبكم الله » وذكر الحديث أخرجه** مسلم ، ومثله حديث سمى عن أبى هريرة وأخرجه مالك ، والصحيح الأول الحديث وائل بن حجر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ « ولا الضالين » قال : « آمين » يرفع بها صوته ، أخرجه أبو داود والدار قطنى •

قال أبو بكر : هذه سنة تفرد بها أهل الكوفة ـ هذا صحيح ـ والذى بعده ترجم له البخارى باب جهر الامام بالتأمين •

قال عطاء : أمين دعاء أمن ابن الزبير ومن وراءه حتى أن للمسجد للجه ، قال الترمذى : وبه يقول غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن بعدهم ، يرون أن يرفع الرجل صوته بالتأمين لايخفيها ، ويقول الشافعى ، واحمد واسحاق ، وفى الموطأ ، والصحيحين قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « آمين » وفى سنن ابن ماجه عن أبى هريرة قال : ترك الناس آمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : « آمين » حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتج بها المسجد • وأما حديث أبى موسى وسمى فمعناهما التعريف بالموضع الذى يقال فيه آمين وهو اذا قال الامام « ولا الضالين » ـ ليكون قولهما معا ولايتقدموه يقول : آمين ، لما ذكرناه والله أعلم ولقوله عليه السلام : « اذا أمن الامام فأمنوا » وقال ابن نافع فى كتاب ابن الحارث : لايقولها المأموم الا ان يسمع الامام يقول « ولا الضالين » • واذا كان يبعد لايسمعه فلا يقل •

وقال ابن عبدوس : يتحرى قدر القراءة ويقول آمين •

السابعة ـ قال اصحاب أبى حنيفة : الاخفاء بآمين أولى من الجهر بها لأنه دعاء وقد قال الله تعالى « أدعوا ربكم تضرعا وخفية » • قالوا : والدليل عليه ماروى فى تأويل قوله تعالى : « قد أجيبت دعوتكما » قال : كان موسى يدعو وهارون يؤمن فسماهما الله داعيين •

والجواب : أن اخفاء الدعاء انما كان أفضل لما يدخله من الرياء ، واما مايتعلق بصلاة الجماعة فشهودها اشهار شعار ظاهر ، واظهار حق يندب العباد الى اظهاره وقد ندب الامام الى اشهار قراءة الفاتحة المشتملة على الدعاء والتأمين فى آخرها ، فاذا - كان الدعاء مما يسن الجهر فيه فالتأمين على الدعاء تابع له وجار مجراه وهذا بين .

الثامنة - كلمة آمين لم تكن قبلنا الا لموسى وهارون عليهما السلام . وذكر الترمذى الحكيم فى (نوادر الاصول) : حدثنا عبد انوارث بن عبد الصمد قال حدثنا أبى قال حدثنا رزين مؤذن مسجد هشام بن حسان قال حدثنا أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله اعطى أمتى ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم السلام ، وهو تحية أهل الجنة وصفوف الملائكة وآمين الا ماكان من موسى وهارون قال أبو عبد الله : معناه أن موسى دعا على فرعون ، وأمن هارون ، فقال الله تبارك اسمه عندما ذكر دعاء موسى فى تنزيله : « قد اجيبت دعوتكما » ولم يذكر ماقاله هارون ، وقال موسى ربنا فكان من هارون التأمين فسماه داعيا فى تنزيله ، اذا صير ذلك منه دعوة . وقد قيل : ان آمين خاص لهذه الأمة لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ماحسدتكم اليهود على شىء ما حسدتكم على السلام والتأمين » اخرجه ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحديث . وأخرج أيضا من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ماحسدتكم اليهود على شىء ماحسدتكم على آمين ، فأكثروا من قول آمين » ، وقال علماؤنا رحمة الله عليهم : انما حسدنا أهل الكتاب لأن أولها حمد الله وثناء عليه ثم خضوع له واستكانة ثم دعاء لنا بالهداية والصراط المستقيم ، ثم الدعاء عليهم مع قولنا آمين .

الدين

جاء الاسلام دين حياة وعمل ودين سلوك وقدوة ، ورسم للانسان طريق الهدى والحق ، فمن تبعه اهتدى ، ومن خالفه ضل وغوى . وتتمثل الهداية والقدوة فى اتباع ما يأمر به الدين من قواعد فى التعامل بين الناس ، ويقوم هذا التعامل على الصدق والامانة ..

والأمانة كسلوك اجتماعى قيمة انسانية يتوخاها المرء بين نفسه وربه أولا ، ثم بينه وبين الناس بعد ذلك ، فالأمانة بين المرء وربه هى أن يحرص على أداء حق الدين عليه ، وأن يمارس شعائره كما ينبغى لها أن تمارس ، وكما أمر الله ، وهذه الشعائر هى التكاليف الشرعية التى أوجبها الله على عباده المكلفين ، وفرض عليهم أن يؤدوها بحسن الطاعة

السلوك الاجتماعى

الأستاذ محمد كمال الدين

والانقياد ، وأن يحافظوا عليها ويمارسوها من غير اخلال بشىء من أركانها وشرائطها ، أما الأمانة بين المرء وغيره من البشر فتتنوع بتنوع المعاملات ، فهناك أمانة الأسرار فى حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة ، وهناك أمانة الأموال فى المعاملات التجارية والمادية ، وهناك أمانة الأنفس والاعراض فى كف الجوارح عن المحرمات ..

وتتمثل أمانة الكلمة فى صدق المرء حديثه مع غيره ، فلا ينقل اليهم أو عنهم الا بما يرضون عنه ، وبما لا يمس أسرارهم أو أخلاقهم ، وأن يعرف أن أدب الحديث أن يكف عن التحدث فيما لا يعنيه ويتخير الوقت المناسب للتحدث فيما يعنيه ، ويتجنب الجدال مع الآخرين ، ويتحدث عن الناس بمثل ما يحب أن يتحدثوا به عنه ، وفى هذا يقول الرسول الكريم :

« لا تتكلم فيما لايعنيك وانه فضل . ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم فى أمر يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعيب ، ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يغلبك وان السفيه يؤذيك واذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه مما تحب ان يعفيك منه ، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالاحسان » .

ويقول فى حديث آخر :

« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان »

وفى جزاء خيانة الامانة يقول الرسول أيضا :

« اذا أضيعت الامانة فانتظر الساعة ، قيل يا رسول الله وكيف اضاعتها ؟ قال : اذاوسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » .

وتقتضى أمانة الكلمة الايفشى الانسان سره أو سر غيره ، وألا يذيع الاخبار ، لان فى ذلك خطر على أمن وسلامة الامة ، ويخدم أعداءها من حيث لا يشعر ، ومن تأصلت فى نفسه شهوة الكلام ، وخيانة أمانة الكلمة لا يؤتمن أن يوقع نفسه فى المحرم باغتياب المسلمين والخوض فى أعراضهم وذكر سوءاتهم والسعى بينهم بالنميمة ويكون جزاؤه غضب من الله فى الدنيا والآخرة

ويقول الشاعر :

يموت الفتى من عثرة بلسانه

وليس يموت الفتى من عثرة الرجل

والنوع الثانى من الامانة هو **أمانة المعاملات المادية بين المرء وغيره من الناس ، أمانة التاجر فى متجره ، والعامل على آلته ، باختلاف أنواع التجارة وآلات العمل ، فقد روى الحسن أن رسول الله قال :**

« لا تشربوا اللبن للبيع ، أى لا تخلطوه بالماء عند عرضه للبيع ، ثم قال : وان رجلا ممن كان قبلكم جلب شرابا الى قرية فشابه بالماء حتى تضاعف ، فاشترى قردا من ربحه وركب البحر به حتى اذا أوغل فيه الهم الله القرد فأخذ صرة الدنانير فصعد الذروة ففتح الصرة وصاحبها ينظر فأخذ دينارا فرمى به فى البحر ، ودينارا فى السفينة ، وهكذا حتى قسم الصرة قسمين » .

وفى ذلك المثل المعبر دليل صادق على أن الغش فى التعامل لا يفيد صاحبه لأنه ابتزاز لأموال الناس عند التعامل معهم بغير حق ، وفى رواية عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : **« التاجر الامين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء » ويقول : « ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبر وصدق »**

وقال أبو ذر الغفارى :

« فجور التاجر أن يزين سلعته بما ليس فيها » .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الامانة فى المعاملة مع الله والناس ، يقول تعالى : **« ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين »**

ويقول تعالى :

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون »

ويقول تعالى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا »

ولا شك أن الانسان اذا راعى فى معاملاته تلك القيم الانسانية التى سجلها الاسلام لزاد ربحه وزاد تنعمه بهذا الربح الحلال.

ولكى يلتزم المرء بالامانة فى معاملاته ، أوجد الاسلام نظام الامانة فى عقد يلتزم به الطرفان المتعاقدان ، وأن يكتب موضوع التعاقد ، وذلك حماية لهما من خيانة العهد أو عدم الالتزام بتنفيذه ، وجعل على ذلك شهودا وكاتبا .

(وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ، فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه) .

هذه الطرق فى المعاملة تؤدى معنى الامانة ، والالتزام بها والسير على نهجها ، وفى ذلك منجاة للمرء بنفسه من شرور الدنيا وما تزينه له من حب الشهوات .

« وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون » ، « ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما »

هكذا يرسم الاسلام للناس سلوكهم ، ويحثهم على الطاعات فبها يؤدى الانسان حقه لله ولمن يعيش بينهم أو يتعامل معهم فاذا أدى أمانته ، وكل ما يحيا له فهو أمانة فى عنقه ، فقد سلك طريق الخير والرشاد ، طريق الحق والهدى .

« ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين ؟ »

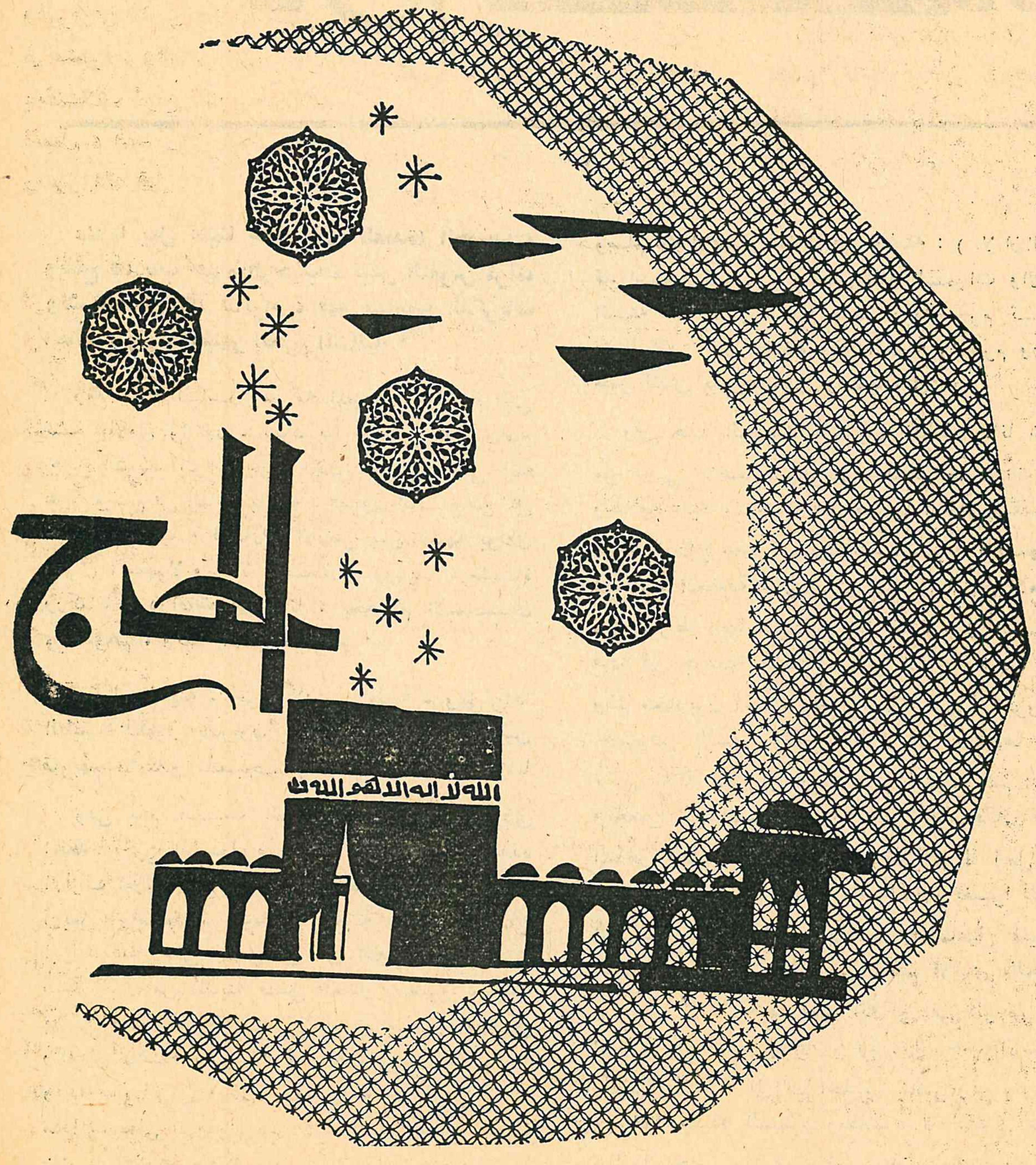
الحج

ذو القعدة

عندما يهل علينا هلال (ذى القعدة) الحبيب ، ويفتح لنا باب خيره الرحيب ، تبش النفوس لمرآه ، وتشرئب الأعناق لذكراه ، فهو صاحب الذكريات الغالية ، وأول الأشهر الحرم المتتالية .

ومع مرآه الباسم ومقدمه المبرور ، وأيامه التى تشع بالأمل والنور ، تعود بنا الذاكرة لنقف أمام هذا المشهد الرائع حين أذن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الناس بالحج ، فهرول الجميع من كل حدب وصوب ، فسارت الأرض بمن عليها بوادى وقرى ، سهولا وجبالا ، صحارى ووديانا ، مشاة وركبانا ، ذرافات ووحدانا ، يحفزهم الأيمان ويحدوهم ، ونداء الحق يدعوهم .

وحول المدينة ، حول الأرض الطيبة ، وعلى ثراها الطيب الطهور يضربون خيامهم . آلاف ألف بين قلوبهم الاسلام فأصبحوا بنعمة الله اخوانا

وفى يوم السبت الخامس والعشرين من ذى القعدة يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الألوف المؤلفة بعد أن أدى صلاة الظهر بالمدينة أربعا ، واستخلف عليها أبا دجانة وقيل ، سباع ابن عرفطه حتى وصل الى ذى الحليفة وهو على ستة أميال من المدينة فصلى العصر ركعتين ثم بات بها . فلما أصبح اغتسل للاحرام وتطيب وصلى ركعتين وابتدأ مسيرته المباركة وحجته الكريمة . ووقفة مع الزمن . فى أسعد وقت من الزمن ليرى ماذا سيعطى الرسول صلى الله عليه وسلم للحياة .. كل هداها ، وكل رشدها . وأنت ياشهرنا الحبيب ياذا القعدة من بين هذه الشهور بل انت أول المتتاليات منها يرد الرسول صلى الله عليه وسلم لك الاعتبار فيقول فى خطبته : (الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان)

وفى هذا الحديث الشريف نلحظ بيانا شافيا من النبى الانسان والرسول المعلم صلوات الله وسلامه عليه ، وحياته فى مطافها الأخير فيقف فى حجة الوداع هذه ليمسك بيد البشرية فيضعها على كبد الحقيقة حتى ترشد الى المنهج الأمثل والى صراط ربها المستقيم بعد فترة ضل الناس فيها فى جاهلية حمقاء اذ كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر وألغوا خصوص الأشهر وقد يزيدون فى عددها حتى تصل ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا من السنة أربعة أشهر حرم فكان هذا التأخر تحليلا لما حرم الله وتحريما لما أحل الله فهو زيادة فى الكفر ، فكان هذا منهم تغييرا للفطرة السليمة وتبديلا لدين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فقد ورث العرب تعظيم الأشهر الحرم وكراهية القتال فيها حتى انه لو لقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه ، وسموا رجب الأصم ومتصل الأسنة الى أن احدثوا النسىء وغيروا وبدلوا وخالفوا حقيقة الشهور ومضمون ما تنطوى عليه . فكانوا يحلون الشهر المؤخر عاما ويحرمون مكانه غيره ، ويحرمونه عاما آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض .

شهر الفتح ...

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

قال الكلبي : أول من فعل ذلك رجل من كنانة (نعيم بن ثعلبة) وكان اذ أهم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب ويقول :

لامرد لما قضيت وانا الذى لا أعاب ولا اجاب فيقول له البعض لبيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقولون ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الأوتاد ونزعوا الاسنة وان قال: حلال عقدوا الأوتاد وأغاروا وقيل : هو جنادة ابن عوف الكنانى ، وكان مطاعا فى الجاهلية ، كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى بأعلى صوته : ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم فى العام القابل فيقول : ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه ، وقيل : انه رجل من كنانة يقال له : (القلمس) قال قائلهم ومنا منسىء الشهر القلمس .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أول من سن النسىء عمرو بن لحى بن قمعه بن خندف ، وعلى كل فقد نعى عليهم القرآن ذلك وبين ما وقعوا فيه وانه كفر الى كفرهم ، وضلال الى ضلالهم (انما النسىء زيادة فى الكفر) فهو تحليل لما حرم الله وتحريم لما أحل الله . فبين لهم النبى صلى الله عليه وسلم أن الشهور صارت الى ما كانت عليه حلا وحرمة وصار الحج فى ذى الحجة بعد ماكانوا قد ازالوه بالنسىء الذى احدثوه ، وبين لهم ان فى هذا هتكا لحرمة الشهود ، وظلما لأنفسهم فيهما وقد رأى الجمهور أن حرمة القتال فيهن منسوخة وأن الظلم ارتكاب المعاصى فى هذه الشهور لأنها تكون أشد وأعظم وزرا ، وعن عطاء : انه لايحل للناس أن يغيروا فى الحرم ، ولا فى الأشهر الحرم الا أن يقاتلوا ويؤيد الأول أن الرسول صلى الله عليه وسلم حصر طائفا وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة .

ولنقف أمام آيات القرآن الكريم وهى تصور لنا مشاهد هذه الحياة اللاهية الجموح وتبين لنا حكم ربنا من فوق سبع سماوات ، وتعطينا آيات ربنا رسالتنا وواجبنا فى قتال المشركين كافة اذا ماهبوا لقتالنا كافة مبينة أن ربنا بنصره وامداده مع من ينصرونه بتقواهم .

قال تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين)

هاهى ذى آيات ربنا الباهرة تعطى الحياة رشدها ملوحة الى طريق الرشد القويم

قال تعالى :

(ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين - انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين)

والسبب فى تحريم القتال فى هذه الأشهر الأربعة هو تأمين الناس فى سفرهم وغربتهم على أنفسهم

وأموالهم فى ذهابهم وايابهم اذ أن أيام الحج تبتدىء من ذى القعده الى آخر المحرم ، وكان شهر رجب فى وسط العام بمثابة هدنة يستريح الناس فيها ويستجمون ويسهل عليهم اداء العمرةفى هذاالشهر

ومن ذكريات شهر ذى (القعدة) انه فى هذا الشهر من السنة السادسة خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى الف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار واستخلف على المدينة (نميلة) بن عبدالله الليثى وأحرم هو وأصحابه بالعمرة وساق الهدى سبعين بعيرا معلنا أنه خرج لزيارة البيت لايريد حربا ، والى أن وصلوا ثنية المرار قرب الحديبية بركت ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال للناس : انزلوا فقالوا : مابالوادى من ماء ينزل عليه فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به فى بئر فغرزه فى جوفه فجاش بالماء حتى ضرب الناس بعطن .

ولما رأت قريش الا قبل لهم بالمسلمين بعثت من قبلهم رسلا يفاوضون النبى صلى الله عليه وسلم وكان آخر هؤلاء الرسل الذين بعثت بهم قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى الذى رجع لهم من عند الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : يامعشر قريش انى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه وانى والله ما رأيت ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه لقد رأيت قوما لايسلمونه لشىء ابدا وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فانى لكم ناصح فقلت قريش : لا نتكلم بهذا ولكن نرده عامنا هذا ويرجع من قابل ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعى الى قريش لكن القوم عقروا بعيره ، وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فبعث عثمان بن عفان فقالوا له : ان شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ماكنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحبست قريش عثمان بن عفان وجاءت الأخبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين أن عثمان قتل . فقال رسول الله : لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الى البيعة تحت شجرة سمرة هناك فبايعه بعضهم على الموت ، وبعضهم على الا يفروا ، ولما تمت البيعة للحاضرين ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الأخرى وقال : وهذه بعثمان .

وتلك هى بيعة الرضوان التى نزل فيها قوله تعالى :

(لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)

وقد بعثت قريش نحوا من خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص كى ينالوا من المسلمين على حين غرة فاسرهم محمد بن مسلمة حارس الجيش وهرب رئيسهم ، واتى بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم احتراما للشهر الحرام حتى لايسفك فيه دم فأيقنت قريش أن أى عداوة منها بعد ذلك تعتبر غدرا ولؤما فكفوا عن كل مناوشة وفى هذا نزل قوله تعالى :

(وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم)

وأخيرا بعثت قريش سهيل بن عمرو الى النبى صلى الله عليه وسلم للصلح ، وتم الصلح بينهم وكتبوا الشروط وان كان بعضها مجحفا بحقوق المسلمين وهو :

(من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم .

ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه)

ورأى بعض المسلمين فى ذلك اجحافا بحقهم فقالوا : سبحان الله !

كيف نرد اليهم من جاء مسلما ولا يردون الينا من جاء مرتدا ؟؟

فأجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم : (انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له مخرجا)

ورجع النبى صلى الله عليه وسلم فرحا بماابرمه من صلح وفى الطريق الى المدينة نزلت عليه سورة الفتح

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر عن شىء فلم يجب ثلاثا . قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام الناس وخشيت ان ينزل فى القرآن فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد

خشيت ان يكون نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال : لقد أنزلت على الليلة سورة لهى أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ **(انا فتحنا لك فتحا مبينا)**

ويستدير العام وتأتى السنة السابعة وفى شهر ذى القعدة منها تتم عمرة القضاء وحينما خرج المسلمون فى مشهد رائع ومظهر مهيب وساق الرسول صلى الله عليه وسلم أمامه الخيل وبعثت قريش مكرز بن حفص فى نفر منهم فلما قابلوا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : يامحمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالقدر وقد شرطت الاتدخل مكة الا بالسيوف فى القرب فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (انى لا أدخل عليهم السلاح) فقال مكرز : هذا الذى تعرف به البر والوفاء .

ثم رجع الى القوم وأعلمهم بذلك فخلوا سبيلهم وخرجت قريش الى رؤوس الجبال والمسلمون كلهم يهتف ويصيح : **(لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك)**

وعبد الله بن رواحة يرتجز قائلا :

خلوا بنى الكفار عن سبيله
خلوا فكل الخير فى رسوله
يارب انى مؤمن بقيله
أعرف حق الله فى قبوله
نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

وأخيرا تمت نعمة الله على المسلمين وارتحلوا الى المدينة حامدين شاكرين مرددين قول رب العالمين .

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا)

وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن حارثة قال : (وشهدنا الحديبية فلما انصرفنا [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس يقرأ عليهم **(انا فتحنا لك فتحا مبينا)** فقال رجل : يارسول الله أو فتح هو ؟ قال : أى والذى نفسى بيده انه لفتح

وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه (انا فتحنا .. قال : الحديبية ، وروى بسنده عن البراء بن عازب قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية يعنى الفتح فى **(انا فتحنا لك فتحا مبينا)** ومن ذكريات هذا الشهر العظيم ذى القعدة أيضا : ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج فيه فى هذا العام السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية أخت أم الفضل لبابة الكبرى زوج عمه العباس عرضها عليه عمه العباس فقبل وأصدقها عمه اربعمائة درهم ولما بلغتها خطبة النبى وهى على البعير قالت : (الجمل وما عليه لرسول الله) وفى هذا الزواج تأكيد الصلة بعمه العباس واستمالة لخالد بن الوليد البطل المجيد ،فميمونة هذه أخت لأمه لبابة الصغرى وفيه كذلك توثيق الصلة بأشرف قبائل العرب لما لميمونة من أخوات منجبات فى أشرف القبائل العظيمة فى العرب .

هذا هو الشهر المبارك شهر ذى القعدة وتلك بعض ذكرياته الجليلة التى حفرتها أيامه الخالدة فى جبين التاريخ ، ورددتها دنيا الناس على مسمع الحياة .

الا فلتتيقظ الضمائر الحية ، والقلوب التقية النقية ، ليرددوا مع كل يوم من هذه الأيام شعاره المشرق المضىء فاذا ما تنبهت ضمائر الناس واذا ما صحت مشاعرهم على كلمة سواء على كلمة الايمان على شعار التوحيد التقوا جميعا على هدف واحد وعاشوا يدا واحدا وقلبا واحدا يقتفون آثار نبيهم العظيم ويهتدون بهديه الكريم ، الذى ملأ السنين بعظيم الانتصارات والشهور بوافر الذكريات والأيام فيوضات وفيوضات فلم يعد أمامنا اليوم وكلنا يد تدفع ، وأخرى تصنع الا أن يكون منطلق قوانا الوحيد هو الايمان الاكيد ، ولنعمل فالله رقيب وشهيد .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

بين يدى الحج إلى بيت الله الحرام

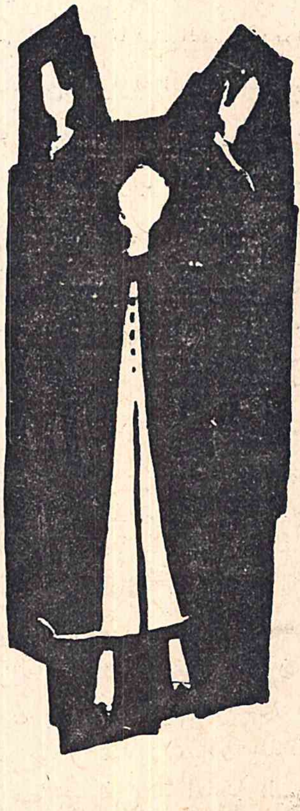

فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى مرعى

لله سبحانه فى أيام الدهر نفحات أودعها من فضله المزيد ، وطالب عباده بأن يتعرضوا لها حتى يصيبوا من خيرها ويتزودوا بما يحبو الله عباده المخلصين فيها وثم تشرق بالايمان أفئدتهم، وتعمر بالسكينة والطمأنينة قلوبهم • انها أيام تهتز لها النفوس حنينا وطربا وتهفو اليها الأرواح شوقا وحبا ، ولقد كان من هذه الأيام الأشهر الحرم ، تلك التى قال تعالى فى شأنها : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » ، وهى القعدة والحجة والمحرم ورجب •

ولقد كان لهذه الأشهر قدسيتها منذ الماضى السحيق ، فقد كانت فى الجاهلية مثابة للناس وأمنا يباشرون فيها أمور حياتهم ويستروحون فى ظلالها نسيم العافية يملأ جوانحهم ويكون برا وبركة عليهم فى أنفسهم وأموالهم وأولادهم • ولئن كان الهوى قد عبث بمواقيت هذه الأشهر ردحا من الزمن بتأخيرها أو احلال غيرها مكانها ، فقد شاء الله سبحانه ابان الدعوة المحمدية أن تأخذ بين الأشهر مكانها الصحيح ويخبر بذلك صلوات الله عليه اذ يقول : **« ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض • السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ورجب مضر » ••** وبذلك عاد يوم الحج الأكبر الى ما كان عليه منذ عهد ابراهيم واسماعيل وهو العاشر من ذى الحجة كل عام •

ولقد ذكروا أن ذا القعدة قد سمى بذلك لقعود العرب فيه عن القتال ، وذا الحجة لوقوع حجهم فيه • والمحرم لعودتهم الى بلادهم بعد انتهاء حجهم ورجب لأنه شهر كانوا يعتمرون فيه من البلاد القريبة •• وشاء القدر أن تكون عمر النبى كلها فى ذى القعدة سوى عمرته التى قرنها بحجته مع أنه أحرم بها فى ذى القعدة وأتمها فى ذى الحجة مع حجته ، وكانت عمره ـ صلوات الله عليه ـ أربعا عمرة الحديبية ولم يتمها ، بل تحلل منها ورجع

وعمرة القضاء من قابل وعمرة الجعرانة عام الفتح لما قسم غنائم حنين وقيل انها كانت فى آخر شوال والذى عليه الجمهور أنها كانت فى ذى القعدة وعمرته فى حجة الوداع كما دلت على ذلك النصوص الصـحيحة ٠

والمتأمل فى هذه الأشهـر يرى أنها اما ظرف لوقوع الحج مثل ذى الحجة والمحرم ، واما ظرف لوقوع العمرة مثل ذى القعـدة ورجب ، وفى كلا النسكين تعظيم لشعائر الله واقرار للسلام بين أهل الاسلام وتحرير للانسان من الفزع والأوهام وتطهير لقلبه من أوضار المعاصى والآثام ٠

وهى موسم يلتقى فيه المسلمون على اختـلاف السنتهم وألوانهم وأوطانهم فى مؤتمر عالمى عـام يتدارسون فيه شئونهم يقلبون أوجه النظر فيمـا يهمهم حتى تتحقق فى الحياة عزتهم وسيادتهم ٠

وحسبك أنهم فى موقف لا يرون فيه الا الحق شاهدا ولا يجدون بين أيديهـم غير الضراعة له سبحانه ، أملا فيما عنده من عون ، ورجاء يحدوه ايمان بما لديه سبحانه من بر وفضل ٠

انهم ليلتقون على صعيد مكة البلد الحرام حيث البيت الحرام أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ٠٠ قال تعالى :

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » ٠

يلتقون لأداء ركن من أركان الاسلام « الحج » ، ذلك الركن الذى جمع أركان الاسلام فى أعماله ٠٠ ففيه صلاة وفيه صدقة وبذل وفيه فدية التقصير فى بعض الواجبات من صيام أو صدقة أو نسك ، وهو الى جانب هذا فيه ألوان شتى من الجهاد بما يتطلبـه من اعداد ومشقة فى السفر ، واختلاف فى الأجواء وتغيير فى المطعم والمنـزل والملبس ، ومألوف الحياة وما يكتنف الحـاج من التزامات مقدورة بأزمنة وأمكنة محددة ٠٠ كل ذلك ممارسة للجهاد على صورة تجمع الى جانب التعبئة الروحية الاعداد العسكرى القائم على القوة والطاعة والنظام ٠

واذا كان ما عداه كالصلاة مثلا تؤدى فرادى وجماعة فان الحج فريضة جماعية تؤدى على مستوى عالمى عام ، ولعل فى ذلك من التوجيه للمسلمين الى ما يصلح من شأنهم فى دنياهم وآخرتهم ويجمعهم على كلمة سواء أمام أعدائهم فتتأكد فى النفـوس مهابتهم ويتحقق التمكين لهم وقد نجد ذلك فى امريـن :

أولهما ٠٠ ما ينطبع به الحاج فى مظهـره حين يتجرد من كل زينة ومظهر ملتزما صورة معينة فى سلوكه وقوله ومعتقده ٠ ان ذلك تجريد له من كل ما التصـق به أو خالطه من مواريث فـكرية أو اجتماعية ومن امتيازات طبقية أو جنسية تبعد به عن فطرته أو تقطع الصلات بينه وبين مجتمعه ٠

فالحاج يجىء الى مكة متجردا من جاهه وعصبته وطبقته وماله وولده ، نكرة بين الملايين لا سـيدا منتفخ الأوداج بين الأتباع والخدم ، وهو حين يكون بمكة يتحرر من أغلال الفقر والعبودية التى حطمت كيانه واذلت وجوده فلا يرى للغنى المدل بغنـاه ، ولا للجبار المعتز بسلطانه ولا للابيض المسـتعلى بجماله ، لا يرى لأولئـك فضلا ولا امتيـازا الا بالتقوى والعمل الصالح لخير المجتمع وما يملكون من رصيد انسانى هو وحده الذى ترجح به كفـة الميزان ، وبه تتحرر الملايين حين تسقط عن وجوه الآخرين من المتجبرين أقنعة الزيف والضلال ٠٠ ويظهرون على حقيقتهم وفطرتهم وهنا تستيقظ فى أعماق هذا الانسان المعانى الحقيقيـــة لوجوده وانسانيتــه فى مجتمع تتكافأ فيه الحقـوق والواجبات ٠

ثانيهما : التوحيد فى صورته الكاملة الشاملة فى الفكر والقول والعمل ٠ فى الحقوق والواجبات وثم تتقبل النفوس دعوة التوحيد فى ظل المبادىء الانسانية فتتلاقى عليها تأخذ منها بمقدار ما تعطى لا تستأثر و لاتحتكر ولا تحقد ولا تحسد ولا تضل ولا تشقى ٠

انهم يعرضون كل ما لديهم من حصيلة المعارف والتجارب وكنوز ومصادر القوة ، ثم يستعرضون ما أصاب بعض الشعوب من تخلف وحرمان وعزلة فرضها المستعمر الغاصب ، وما أصاب الجماهير من ضعف خلقه جور الطغاة وظلم المستغلين من أبناء الشعوب .

ولعمرى ان ذلك لمظهر الوحدة التى أرادها الله لهذه الأمة والتى كانت بها خير أمة أخرجت للناس .

وتصور معى هذا الحاج وقد انفصل عن حياته التي كان يحياها وهو يصارع أمواج الحياة التى تلف الحياة والأحياء .. الى حياة روحية تنفح فى روحه شحنة من المشاعر والأحاسيس لا عهد له بها .. انه يستدبر تلك الحياة المضطربة الصاخبة بما فيها من أعباء وهموم وروابط وتقاليد ، وقد تجردت نفسه من ذلك كله كما تجرد جسمه الا عن لباس الاحرام ويستقبل حياة أخرى تتلاشى فيها هذه المعالم وتتبدل الأقدار والموازين ، ان الانسان فى الحج يتحرر من عبوديته للحياة ليسيطر هو على الحياة .

فمتى فرض الحج وكيف حج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ قال ابن القيم .. لا خلاف انه — صلى الله عليه وسلم — لم يحج بعد هجرته الى المدينة سوى حجة واحدة هى حجة الوداع ، ولا خلاف فى أنها كانت سنة عشر ، وقال « لما نزل فرض الحج بادر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى الحج من غير تأخير فان فرض الحج كان سنة تسع أو عشر وقيل فرض الحج فى السنة السادسة ..

ولما أقبل موسم الحج من السنة التاسعة اجتمع المسلمون والمشركون حول البيت يؤدون مناسك الحج كل يؤديها كما تعلم وفى هذا الموسم نزل الوحى بصدر سورة براءة يحدد موقف المسلمين من بقايا المشركين فى جزيرة العرب ويضع الحد الفاصل بين هؤلاء وهؤلاء ، وكان أبو بكر أميرا على الحج فى هذا الموسم ، فلما نزلت بعث — صلى الله عليه وسلم — عليا وقال له :

« اذهب بهذه القصة من سورة براءة واذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا فى منى أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله فهو الى مدته » .

فخرج على على ناقة رسول الله العضباء حتى أدرك أبا بكر فى الطريق فلما رآه أبو بكر قال : « أمير أو مأمور » فقال « بل مأمور » ثم ظل حتى أدى ما أمره به صلى الله عليه وسلم — فلم يحج بعد هذا العام مشرك . وفى السنة العاشرة كان خروجه — صلى الله عليه وسلم — فى خلق كثير من المسلمين ولما وصل الى ذى الحليفة صلى فى المسجد ثم ركب ناقته القصواء وأهل بالتوحيد :

« لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

فلما أتى البيت استلم الركن ثم رمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ الى مقام ابراهيم فقرأ « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » فجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين قرأ فيهما مع الفاتحة الاخلاص ، وسورة الكافرون . ثم رجع الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب الى الصفا ولما دنا منه قرأ قوله تعالى :

« ان الصفا والمروة من شعائر الله » .. أبدأ بما بدأ الله به » ورقى على الصفا حتى رأى البيت فاستقبل القبلة وقال :

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .. ثم دعا بين كل ذلك ، قال مثل ذلك ثلاث مرات .

ثم نزل الى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى اذا كان فى آخر طوفه على المروة قال « لو انى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة ، وحين سأله سراقة بن مالك قائلا ألعامنا هذا أم لأبد . شبك صلى الله عليه

وسلم أصابعه واحدة فى الأخرى وقال دخلت فى الحج مرتين • بل لأبد أبد •

وقدم على من اليمن ببدن « ابل » النبى - صلى الله عليه وسلم - فوجد فاطمة - رضى الله عنها - ممن احل ولبست ثيابا صبيغا ، فأنكر ذلك عليها فقالت« ان أبى أمرنى بذلك » قال فحل الناس وقصروا الا النبى ومن كان معه هدى ، فلما كان يوم التروية الثامن من ذى الحجة توجه الرسول الى منى وقد أهل بالحج معه الذين تحللوا ، وركب فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر • ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة تضرب له فنزل حتى اذا زاغت الشمس امر بالقصواء فرحلت « أعدت للركوب » له فأتى بطن الوادى فخطب فى الناس وقال :

« ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا • ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع (مهدر) ودماء الجاهلية موضوعة وان أول دم اضعه دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله هذيل ، وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع •

أما بعد أيها الناس انالشيطان قد يئس أن يعبد بارضكم هذه أبدا ولكنه أن يطمع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم •

أيها الناس ، انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرمالله فيحلوا ماحرم الله ويحرموا ما أحل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان •

واتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله • ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح • ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف •

وقد تركت ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، قال وهو يرفع اصبعه الى السماء ويرددها مشيرا الى الناس، اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد •

ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا • ثمركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وظل يدعو حتى غربت الشمس • وعن على رضىالله عنه قال قال رسولالله صلى الله عليه وسلم : ان أكثر دعاء من كان قبلى من الأنبياء ودعائى يوم عرفة أن أقول « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير • اللهم اجعل فى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى قلبى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى • اللهم انى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر ، وشر فتنة القبر ، وشر ما يلج فى الليل، وشر ما يلج فى النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر » •

ثم دفع صلى الله عليه وسلم من عرفات الىمزدلفة وفيها صلى المغرب والعشاء بأذان واحد وباقامتين، ثم اضطجع حتى تبين له الصبح وصلى الفجر بأذان واقامة ثم ركب القصواء الى المشعرالحرام فاستقبل القبلة ودعا وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس حتى اتى بطن محسر فيها أسرع حيث كان فيه هلاك أصحاب الفيل وسلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ثم انصرف الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم استدعى الحلاق وهو معمر بن عبد الله وقال له وهو قائم على رأسه بالموسى : يا معمر أمكنك رسول الله من شحمة أذنه وفى يدك الموسى ، فقال معمر ،

اما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعمة الله على ..
قال أجل وحلق للرسول شعر رأسه وحلق كثيرون من الصحابة وقصر بعضهم ، وقد دعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثا وللمقصرين مرة .

ثم ركب فأفاض الى البيت وبعد ان طاف طواف الافاضة شرب من ماء زمزم وصلى الظهر ثم رجع الى منى فبات بها فلما أصبح انتظر حتى زالت الشمس وعندئذ مشى من رحله الى الجمار ولم يركب فبدأ بالجمرة الأولى التى تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات ، واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة الله أكبر ثم دعا دعاء طويلا مستقبل القبلة ثم أتى الجمرة الوسطى فرماها كذلك ثم استقبل القبلة ودعا قريبا من وقوفه الأول ثم أتى الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة فاستبطن الوادى واستعرض الجمرة فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه فرماها بسبع حصيات كذلك، فلما أكمل الرمى رجع من فوره وخطب الناس بمنى خطبتين احداهما يوم النحر والأخرى فى اليوم التالى وهو اوسط أيام التشريق .

قالت احدى صويحباته « سرى بنت نبهان » .. سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول : « أتدرون أى يوم هذا ؟ » قالوا « الله ورسوله أعلم » قال هذا أوسط أيام التشريق .. « هل تدرون أى بلد هذا ..؟ » . قالوا « الله ورسوله اعلم » قال « هذا المشعر الحرام » ثم قال « انى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد هذا » . ولما أكمل صلى الله عليه وسلم الرمى فى أيام التشريق الثلاثة أفاض بعد الظهر الى المحصب فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ورقد رقدة ثم نهض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ونادى بالرحيل فى أصحابه فارتحل الناس » .

وبعد فهذه عجالة أضعها بين يدى الحاج ضارعا الى الله أن يهىء لنا الأسباب لزيارة بيته الحرام ، وألا يحرمنا شرف المثول بين يدى حبيبه — عليه الصلاة والسلام — انه سبحانه على كل شىء قدير، وبالاجابة جدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أسرار

الحج هو الركن الخامس من اركان الاسلام ، فرضه الله على القادرين من المسلمين بقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» وبقوله تعالى « واتموا الحج والعمرة لله » .

وهو زيارة أمكنة مخصوصة تقربا الى الله تعالى .. انه تجريد للنفس من ماض مشوب بالاثم ، ومن ذلك كان تجديدا للحياة ، وبقدر ما تصدق نية المسلم فى طلب هذا التجديد يكون حجه مبرورا مقبولا .. وهو استجابة لدعوة ابراهيم — عليه السلام — حينما أمره الله تعالى أن يؤذن فى الناس بالحج ويطهر بيته للطائفين والقائمين والركع السجود ، من رجس الشرك والعصيان ليقيم ملة التوحيد الخالص فيتعارفون فيه ويأتلفون ويتحابون فى الله ويتعاونون ليكون لأمة الاسلام من وراء ذلك وحدة وقوة وعزة ومجد وتعاون مثمر وثيق .

الحج ومقاصده

فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت

وهو شعيرة من الشعائر التى يقبل المسلمون على اقامتها والمسارعة اليها بشغف ونشاط وارتياح .. ويدخرون لها كرائم أموالهم التى لا يقبل الله منها الا الحلال الطيب من نقودهم .

والحج جهـــاد الكبير والضعيف والمسراة .. والحجاج وفد الله تعـالى ان دعوه أجابهـــم وان استغفروه غفر لهم .. كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والنفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله : الدرهم بسبعمائة ضعف .. والحـج المبرور ليس له ثواب الا الجنة ، وهو ما لا يخـالطه اثم ويرجع صاحبه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة ، وكان حسن المعاملة والمعاشرة .. واطعم الطعام ، وافشى السلام ، وطيب الكلام .. وكانت نفقته من كسب حلال . وذكر الله كثيرا ولهذا كان من أفضل الأعمال واخبر صلى الله عليه وسلم :

« من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه » . كما فى الصحيحين .

ولقد كان الحج قبل الاسلام فوضى خلقية وعمل لا يقره عقل ولا دين : فلما جاء الاسلام قضى على ما كانت العرب تقوم به من مظاهر يظنونها تقديسا للبيت الحرام ولآلهتهم ، وهى التى عابهـا القرآن بقوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » اى وتصفيقا وطوافهم عرايا حول الكعبة فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليـا - رضى الله عنه - نائبا عنه ، وابو بكر على رأس الحجيج فى أول حج للمسلمين بعد الفتح الأكبر ، يؤذن فى الناس عند جمرة العقبة ، ويتلو عليهم قوله تعالى « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر ان الله برىء من المشركين ورسوله » ، وقال امرت بتبليغ أربع « لا يدخـل الجنة كافر .

ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. ومن كان له عهد رسول الله فهو الى مدته » .. فرجعت الى البيت الحرام حرمته وقداسته .. **وهكذا يفعل الحزم وتفعل أوامر من عرفوا الجزم ، وبه محيت آية الشرك وعبد الله وحده فى بيته الحرام ، ومن هنا يجب على من يحج ان يكون ذا سكينة ووقار وتحشم والا رجع بحجة مازرا لا ماجورا .**

واذا كانت مناسك الحج فيما يعرف الناس هى التجرد من المخيط والمفصل والتلبية والطواف ببيت الله الحرام . والسعى بين الصفا والمروة .. والوقوف بعرفات ، والوقوف بالمشعر الحرام « المزدلفة » ورمى الجمار وذبح الهدايا. فهناك معان كامنة فى تلك الصور هى معنى الحج ومقصده الذى يريده الله تعالى من تلك الشعائر

فالاحرام : هو خلع ثياب الحضارة ، والتجرد من متع الدنيا ولذائذها وزخارفها ، وانصراف عن شهوات النفس وحبسها عن كل ما سوى الله تعالى . والبعد بها عن مغريات الشيطان من الآثام والزلات ، وهو يوحى الينا أننا أمام فرصة نستطيع أن نتوب توبة نصوحا نبرأ فيها من آثام الماضى لندخل فى حياة نظيفة نقية يرضاها الله ويرضى بها عنا .. وهو بعد تجرد من الطبقات التى سخر الانسان بها أخاه وأذله واستعبده وهما ينتميان الى أب واحد ويخضعان لسلطان واحد هو سلطان الله وتحقيق للمساواة التى نشدها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقوله : « الناس سواسية كأسنان المشط » .

كما أنه مظهر يمثل البعث فى الحياة الآخرة ، ويذكرنا بانه مهما طال الأجل فلابد من الموت .. وهو سبيل لتطهير النفوس من الحسد والكبر والطغيان والتجبر ، تلك الصفات التى أوجدتها المظاهر الكاذبة ، وما كانوا فيه من مال وجاه ونفوذ وسلطان وبيان أن الجميع سواء أمام الله لا يتفاضلون الا بالتقوى والعمل الصالح ، وبهذا تنطبع فى نفوسهم خلق المساواة معرضين عن المظاهر الكاذبة والتفاخر المرذول .

والتلبية : هى قول الحاج .. لبيك اللهم لبيك ومعناها استجابة الله تعالى فى أمره واحكامه وشرائعه ، كأن الملبى يقول : أنا الواقف ببابك ، المستمع لأمرك ، المسارع لاجابتك ، المقيم على عهدك لا اله الا أنت .. واذا كان هذا معناها ، فما أبعد الذين ينسلخون عن شعائر الاسلام ويتخذون الأعداء بطانة يستعينون بهم على الفتك باخوانهم المسلمين عن روح التلبية لله رب العالمين ، وعن الانتظام فى صفوف المؤمنين .

الطواف بالبيت الحرام .. عبادة يمثل القائمون بها فى الأرض ملائكة الله فى السماء الذين يطوفون بالعرش وحول البيت المعمور، كما أنها تعنى التفاف القلوب ودورانها حول قدسية الله صنع المحب الهائم حول المحبوب الدائم الذى ترى نعمته ولا ترى ذاته وصفاته .. انها تمثل منتهى الخضوع والطاعة والخشوع لله رب العالمين .

والهرولة فى ثلاثة أشواط منه مظهر من المظاهر التى تمثل الجد والنشاط وتعبر عن القوة والفتوة التى أرادها الرسول من الصحابة حينما بلغه ان المشركين يستضعفون الصحابه ويهزءون بقوتهم ويقولون انهم مرضى أنهكتهم حمى يثرب « المدينة » فشجعهم رسول الله على الهرولة فى عمرة القضاء ، قائلا لهم :

« رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة » .

ومن هذا يجب على المسلمين أن يظهروا دائما بمظهر القوة أمام أعدائهم حتى لا يطمعوا فى النيل منهم ..

والسعى بين الصفا والمروة .. تردد بين علمى الرحمة استمطارا لها والتماسا للمغفرة والرضوان

لقد خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من باب الصفا بعد طوافه بالبيت وهو يقول :

« ان الصفا والمروة من شعائر الله » • ثم قال ابدأ بما بدأ به الله • وفى رواية النسائى «ابدأ بما بدأ به الله» • وروى الامام احمد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال (اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وأصله مأخوذ من طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة فى طلب الماء لولدها لما نفد ماؤهما وزادهما حين تركهما ابراهيم عليه السلام وخافت على ولدها الهلاك فلم تزل تتردد بين الصفا المروة متذللة لله خائفة مضطربة فقيرة الى الله تعالى حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها •• وأنبع لها زمزم التى ماؤها طعام طعم وشفاء سقم • فالساعى يجب أن يستحضر فقره وذله وحاجته الى الله عز وجل فى هذا من قلبه طالبا اصلاح حاله وغفران ذنبه ، وأن يلتجىء اليه - عز وجل - ليفرج ما هو به من النقائص والعيوب وأن يهديه الى الصراط المستقيم ، وان يثبته عليه الى مماته ، وأن يحول من حاله الذى هو عليه من الذنوب والمعاصى الى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة ، كما فعل بهاجر عليها السلام •• كما يجب على الأم أن تسعى جاهدة فى سبيل راحة ولدها فى صبر وثبات ومثابرة ، ولا يستقر لها قرار حتى تراه مستريحا مطمئنة عليه •

واستلام الحجر يمثل أعظم ما يظهر به صدق العبودية واليقين والطاعة والامتثال لله فى أداء ما خفيت حكمته واختص الشارع بعلمه وهو العليم الحكيم ، كما قال تعالى :

« والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب » • وقال تعالى : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب» كما أنه يرمز الى توثيق العهود بين المسلمين واجتماعهم على الوحدة والتناصر والعمل الجاد لخير المسلمين حيث يجددون العهد لله باستلام الحجر كل عام بدلا من تلك المصافحات العامة من بعض المسلمين لبعضهم الآخر ، فهو يمين الله فى الأرض: فصار استلامه رمزا لتوثيق ذلك العهد وتلك المبايعة فى بيت الله رب العالمين •

أما الوقوف بعرفة ، ففريضة فى الحج محكمة من لم يدركها فاته الحج كله ، وهذا هو سر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الحج عرفة) وهو يوم تعرف الى الله تعالى واقبال عليه بالحمد والثناء والانابة ، فهو يعنى بذل المهج فى الضراعة الى الله تعالى بقلوب مملوءة بالخشية ، وأيد مرفوعة بالرجاء ، وألسنة مشغولة بالدعاء ، وآمال صادقة فى الله رب العالمين لايشغل أصحابها عن ذلك شاغل ، يشبهون فى حشدهم وقوف الناس فى أرض المحشر « يوم يقوم الناس لرب العالمين » ، يقبل الله فيه توبة التائبين ويجزل فيه المثوبة للمخلصين • وهذا هو أصل تكفير الذنوب وتطهير القلوب : والسر فى أن الحج المبرور يرجع به صاحبه كيوم ولدته أمه •

أما رمى الجمرات فى أماكنه الخاصة من منى فله حكمته السامية ، وهى أن تلك الأماكن هى التى ظهر فيها الشيطان لسيدنا ابراهيم عليه السلام ، يحاوره ويوسوس له ليصرفه عن امتثال أمر الله فى ذبح ولده اسماعيل ويفتح له كل باب لمعاودة النظر فى أمر الله ليأوله بما لا يحقق طاعة الله ، لكن سيدنا ابراهيم - عليه السلام - وهو الذى اختاره الله أمة فى الصبر والثبات والحلم ، قضى على محاولاته ولعنه وطرده ورماه بحصيات ذهب بها خاسئا مدحورا ، فلهذا ينبغى أن يذكر الحاج ذلك بمقت الشر دائما ونزغات النفس ويطرد وساوس الشيطان كما ينبغى أن يعلن استعداده دائما أمام الأعداء لوسيلة الجهاد وهو الرمى الذى لا يخطىء أبدا ••

اما الحكمة من الهدى والأضاحى ٠٠ فهى شكر الله تعالى على أداء تلك الشعيرة ، واعانة الفقراء فى ذلك اليوم العظيم وتذكير بنعمة الفداء التى فدى الله بها سيدنا اسماعيل – عليه السلام – ٠

وأما الحكمة فى أمر الله لسيدنا ابراهيم بذبح ولده الذى وهبه الله له بعد طلبه منه على كبره وشيخوخته ، وبعد فرحه به وأخذه منزلته من قلبه ، فهى أن يحفظ عليه مقام الخلة الخطير الشأن ، وأن يطهر قلبه من علائق التعلق بغير الله ليخلص قلبه لله وليكون جديرا بهذه الخلة التى اختصه الله بها كما قال تعالى :

« واتخذ الله ابراهيم خليلا » فلما بادر بامتثال أمر الله وبرهن على انقطاع قلبه لمحبة الله اقتضت حكمته تعالى أن يبدل بذبح الولد ذبح الفداء ليكون مظهرا عظيما من مظاهر الشكر لله بعد التكليف الذى كلفه الله به لمجرد كشف باطنه واظهار استعداده فقط للطاعة والامتثال لله فلما ظهر كان الفرج وكان الفداء ، ولهذا يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما » ، فهذا دليل الايمان ٠

هذا وان فى الحج من المنافع الدينية والدنيوية ما ينفع المسلمين من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فهو وسيلة تعارف الأمة وفرصة تلاقيها به تجدد روابطها وتتعهد شئونها ، وتبادل منافعها ، ويبذل كل شعب لأخيه فى الدين من النصح والمعونة ما يقدر عليه ويأخذ من المعلومات والمساعدات ما هو بحاجة اليه ، فيكمل التعاضد وتقوى أواصر الاتحاد ٠٠

ان فى قوله تعالى « ليشهدوا منافع لهم » ٠٠ ما يفيد أن شهادة المنافع هى مدارسة المسلمين لشئونهم من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتعاونهم وتدبير شؤونهم ٠٠ وفيها تنبيه للغرض المقصود من اتيانهم البيت الحرام رجالا وركبانا وهو أن يكونوا حريصين على تحقيق تلك المنافع لدينهم ودنياهم ، وعلى أنهم مؤاخذون على تقصيرهم واهمالهم لها ٠٠ وقوله تعالى : **« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » ٠٠** يفيد العمل بالتجارة فى أيام الحج وأنه لا مانع منها متى كان القصد الأول هو الحج ٠٠ وقوله تعالى : **« جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » ٠٠** تفيد أنه بالحج تقوم أحوال المسلمين ويقوم أمر دينهم فى هذا المكان يسوده المحبة حصل التعاون المثمر وكان من ورائه الخير للمسلمين جميعا ٠٠ وعملت كل أمة على سد النقص عند الأمة الأخرى ، وشدت من أزرها وبهذا نستطيع أن نرغم المستعمرين على احترامنا وعلى استعادة سيادتنا وأمننا واستقرارنا فى بلادنا ٠

ومما تقدم نعرف أن مناسك الحج فى جملتها وتفصيلها تزكية للنفوس وتطهير للقلوب، وصفحات مجيدة ، وذكريات خالدة ينبغى أن يعرفها المسلم ويتفهم أسرارها ومزاياها ويذكر بها وقائع وأحداثا رائعة من التاريخ فى عصوره المختلفة ٠

فهل لنا معشر المسلمين أن نتعرف على اسرار الحج ومزاياه لنكتسب تلك المعانى التى تقوى عزائمنا وتنبه جهودنا الى العمل على ما يصلح شؤوننا ويسعد أوطاننا ، فلنتخذ منها درسا يعلمنا الوحدة ويحيى فينا القوة ويهدينا الى الخير والهدى والرشاد ٠

حول تاريخ

الأشهر الحرم

الأستاذ حسن الشيخة

نحن الآن فى غرة أول شهر من الاشهر الحرم السرد ، هن ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وقد تقدمهن شهر رجب الذى هو الرابع الفرد

والأصل فى تاريخ الاشهر الحرم هو قوله تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم »

يمتزج بهذا الاصل أصل ثان هو قوله صلوات الله عليه فى حجة الوداع « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم متواليات ، ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم، ورجب مضر .. »

يؤخذ من هذين النصين الكريمين أن الاشهر الحرم قديمة بقدم التاريخ ، والعرب من اوائل الخلق فى قدم تاريخهم

كما أرشدنا الى ذلك القرآن الكريم فى قوله « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا »

يقول الامام الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى « ذلك الدين القيم » .. يعنى أن تحريم الاشهر الاربعة هوالدين المستقيم ، دين ابرهيم واسماعيل ، وكانت العرب قد تمسكت به ، وورثه عنهما ، وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها ، حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه ، أو أخيه لم يهجه.. انتهى كلام الزمخشرى

وكل جهد فى الحياة بحاجة ضرورية الى راحة واستجمام ، سواء فى ذلك الخير والشر ، ولا ريب أن الاصل فى تحريم الاشهر الحرم كان هو استمرار العداوة والبغضاء ، والقتال والنضال فى الجاهلية ، حتى قال شاعرهم :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

ولنضرب لذلك بعض الامثلة التاريخية لنعرف الى اى حد كانت احوال العرب فى احتراف القتل والقتال ، والهجاء والنزال ، لنضم الاسباب الى مسبباتها

١ ـ حرب الفجار « بكسر الفاء »

هى حرب قامت بين قريش وهوازن فى سوق عكاظ ، وانما سميت بهذا الاسم لان القوم أباحوا لانفسهم الاحتراب فى الاشهر الحرم ، فكان ذلك منهم فجارا وتفاجرا ، وكان سبب هذه الحرب ان شبابا من كنانة اطافوا بامراة من غمار الناس فى سوق عكاظ ، وسالوها ان تسفر لهم عن وجهها لانها اعجبتهم ، فابت عليهم ذلك ، فاخذوا يسخرون منها ، وهنالك نادت : يا آل عامر ، فلبتها سيوف بنى عامر ، ووقف بنو كنانة يعداون عن فتيانهم ، وهاجت هوازن لبنى عامر ، وهاجت قريش لكنانة ، وهنالك انفجرت الدماء ، وتناثرت الاشلاء

٢ ـ حرب البسوس :

هذه حرب استمرت اربعين عاما ، كانت فى اولها بين جساس بن مرة ، وكليب ابن ربيعة ، ثم اتسعت حتى شملت الحيين اللذين منهما جساس وكليب ، وحديث هذه الحرب الخصه فيمايلى

كان لجساس بن مرة سيد بنى بكر ـ خالة تسمى البسوس ، نزل بها ضيف من ذويها يدعى سعدا ، فافسحت دارها له ، وأناخت بحظيرتها ناقته ، وقد انطلقت الناقة ترعى الكلا ، وقادها حينا الى حمى لكليب بن ربيعة ، صهر جساس بن مرة فلما بصر بها غريبة بين ابله انفذ سهمه فى ضرعها ، فانطلقت تعدو ، وهى تشخب دما ولبنا ، حتى نزلت بفناء البسوس ، التى صاحت واعولت ، فلما سمع جساس عويلها قال : اسكتى أيتها المراة ، فليقتلن غدا جمل هو اعظم عقرا من هذه الناقة ، ولم يزل يتوقع انفراد كليب حتى انبىء بانفراده ، فاعتقل رمحه ، وراح للقائه ، ولما ابصره طعنه ، ودق صلبه ، وابى عليه الماء أن يبلغه به ، وبعد ذلك قامت حرب البسوس ، وفيها استمر القتال بالحيين اربعين عاما ، حتي كاد يلحقهما الفناء فى اثرها ، فانت ترى ان هذه الحرب كان سببها كلمة من امراة.

٣ ـ حرب داحس والغبراء :

كانت هذه الحرب بين عبس وذبيان ، وداحس والغبراء فرسان ، أولاهما لقيس بن زهير العبسى والثانية لحذيفة ابن بدر الفزارى ، وكلا الرجلين سيد قومه ، وكان من حديث الفرسين ان رجلا من عبس بارى آخر فزاريا فى اى الفرسين اعتق واسبق ، ثم افترقا متراهنين ، ولما بلغ ذلك قيسا وحذيفة ضاعفا فى الرهان حتى أبلغاه الى مائة من الابل ، ولما استبق الفرسان كانت داحس هى السابقة ، غير أن العوم من أصحاب الغبراء أوحوا الى احد فتيانهم ان يلطم داحس لطمة قوية ، وبذلك سبقت الغبراء ، وقد ادعى كل من الفريقين ان فرسه هى السابقة ثم تراضيا على أن تكون داحس هى السابقة ، غير ان أصحاب الغبراء ممن لم يحضروا هذا التراضى أرسلوا الى اصحاب داحس يطلبون حق الغبراء فى السبق ، فقتلوا الرسول ، فثارت حرب داحس والغبراء ، واجتمعت ذبيان باسرها فى ناحية ، وعبس فى الناحية الثانية ، وتحاربا زمنا طويلا

ونكتفى بسرد هذه الامثلة التى هى كالمرآة فى تعرف هوجاء الجاهلية ، وما كانت عليه من فطرة الحمق فى قيام الحروب والغارات التى وصلت الى اربعين عاما فى حرب البسوس ، كل ذلك لغير سبب الا نداء من امراة ، أو الاختلاف فى سبق الفرسين الاخرى ، ولشدة غرامهم بالحرب اهاجوها فى الاشهر الحرم ، كما وقع فى حرب الفجار ، ومن هذا المدخل ندخل فى الكلام عن النسيىء

النسيىء :

والنسيىء تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر ، قال تعالى « انما النسيىء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم .. »

يقول الامام الزمخشرى فى تفسير هذه الآية « .. وذلك انهم كانوا أصحاب حروب وغارات ، فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة ، فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر ، حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم ، فكانوا يحرمون من شهور العام أربعة أشهر ، فذلك قوله « ليواطئوا عدة ما حرم الله » اى ليوافقوا العدة التى هى الاربعة .. وربما زادوا فى هذه الشهور ليجعلوها ثلاثة عشر ، أو أربعة عشر ، ليتسع لهم الوقت .. » انتهى كلام الزمخشرى ، وهو قول مبين لا يحتاج الى تفسيرات ، ولا تاويلات ، وتلخيص موضوعى لهذه الاشهر الحرم فى نسيئها ، وفى التلاعب بأوقاتها ، وعدة أشهرها .

أما ما جاء فى سورة التوبة من قوله تعالى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم .. » ، فهو فى صميم تاريخ الاشهر الحرم الذى جاء به القرآن الكريم ، وهو من الآيات البينات ، الواضحات فى الدلالة ، يتبرأ فيها الله ورسوله من المشركين ، الا الذين عاهدهم المسلمون ، ولم ينقصوهم شيئا ، ولم يعاونوا عليهم أحدا ، أما غيرهم من الذين ظلوا على كفرهم ، ولم يقيموا الصلاة ، ولم يؤتوا الزكاة ، فهم الذين تريدهم الآيات الكريمة بالعقوبات التى نصت عليها .

وفى الآية اشارة لطيفة ، هى أنه غير جائز فى الاشهر الحرم قتل ولا قتال ، ولا بقيت العقوبات التى نصت عليها الآية الكريمة ، فاذا انسلخت هذه الاشهر أى انقضت فان القتل والحصر ، والقعود لهم كل مرصد هو جزاء من لم يرع عهده من المشركين .

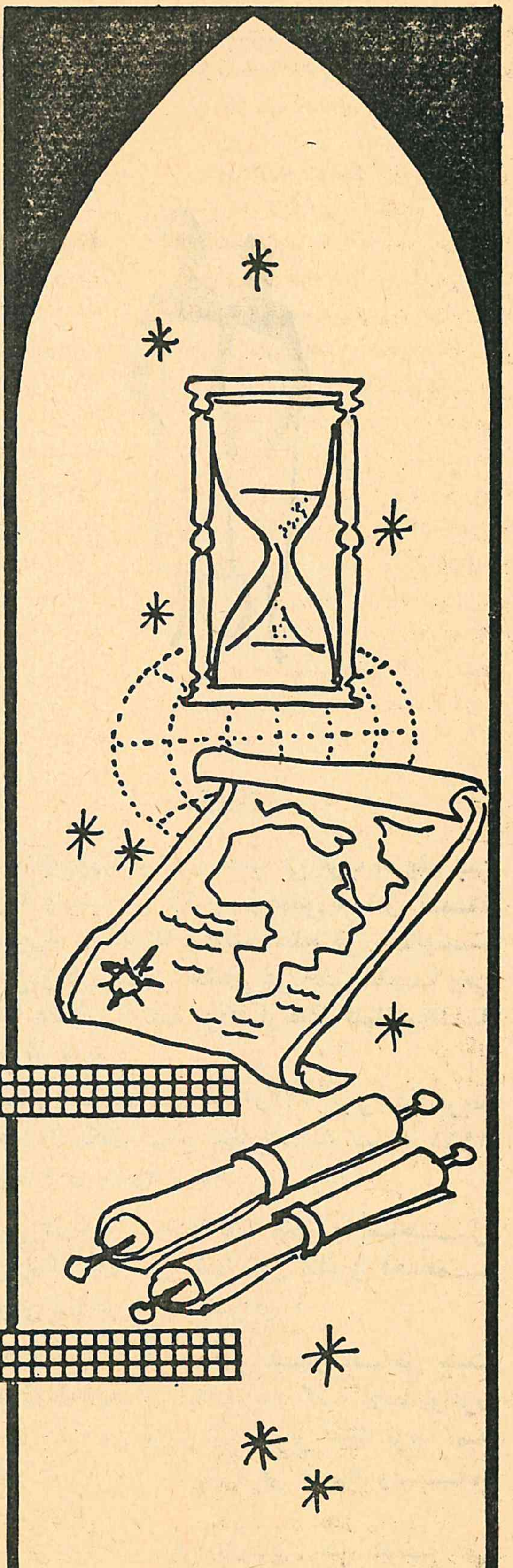

التاريخ الاسلامى

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى

دوله وشعوبه

الدكتورة عنايات الطحاوى

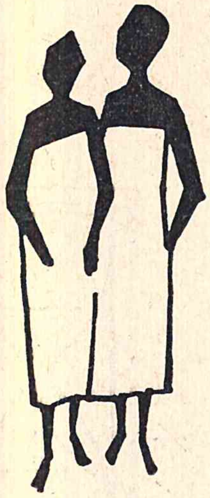

مقدمة

تقع جمهورية ساحل العاج فى غرب افريقيا بين ليبيريا وغينيا من الغرب وجمهورية مالى شمالا وجمهورية غانا شرقا وفولتا العليا فى شمالها الشرقى وتطل بسهل ساحلى على خليج غانا وفى داخلها هضاب مرتفعة يزداد ارتفاعا كلما توغلنا شمالا أو غربا ٠

وتبلغ مساحتها نحو ٣٢٢٫٠٠٠ كيلو مترا مربعا اما عدد السكان فيبلغ تبعا لأحصاء سنة ١٩٦١ حوالى ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة

ومن الناحية المناخية فان جمهورية ساحل العاج يمكن أن نميز فيها بين اقلمين احدهما استوائى والآخر شبه استوائى ٠

اما الأقليم الأستوائى فهو السهل الساحلى حيث ترتفع درجة الحرارة فيه وتزداد كمية الأمطاروأغزر الشهور مطرا من يوليو الى اكتوبر حيث تزيد كمية الأمطار عن ٢٥٠٠ ملليمترا فى السنة ويسقط معظمها صيفا ٠

أما فى الداخل فنظرا لارتفاع سطح الهضبة تقل الحرارة عنها فى الساحل كما تقل أيضا كمية الأمطار كلما اتجهنا شمالا ٠

وكذلك النباتات فهى عبارة عن غابات حارة فى السهل الساحلى وسفانا على الهضبة وفى الشمال وذلك نظرا لقلة الأمطار كلما اتجهنا شمالا وقصر موسمها •

اقتصاديات جمهورية ساحل العاج

تعتبر جمهورية ساحل العاج من أكبر مراكز الانتاج الاقتصادى فى غرب أفريقية الاستوائية فهى تضم أكبر مساحة من الغابات الاستوائية وبها اكبر مزارع البن والكاكاو والموز

أما الثروة المعدنية فيوجد فى ساحل العاج الماس وكذلك المنجنيز وسنتكلم بشىء من التفصيل عن هذه الاقتصاديات فيما يلى •

١ — من حيث ثروة الغابات فهى تتمثل فىغابات المانجروف التى تنتشر فى نطاقات طويلة كبيرة على الساحل • وهذه الغابات تتأثر بقانون المد والجزر فتغطيها المياه المالحة فى المد وتغذيها المياه العذبة عند الجزر وتتكون هذه الغابات من أشجار ونباتات ليست مرتفعة ولكنها كثيفة وجذورها متشعبة •

وقد أمكن الأستفادة من الأشجار الصلبة فىغابات الما نجروف فان صلابتها العالية جعلت أخشابها أصلح الأخشاب التى تستخدم فلنكات فى السكك الحديدية •

كذلك أصبحت غابات المانجروف وسيلة من وسائل اصلاح التربة الملحية من أجل التوسع فى زراعة الأرز • والىالشمال من نطاقغابات المانجروف الاستوائية نجد نطاق السفانا الشجرية • وكلما انتقلنا الى الشمال قلت كثافة الغابات تبعا لقلة الأمطار وانخفاض درجة الحرارة بالنسبة للاقليم الساحلى الأستوائى •

وفيما عدا غابات المانجروف يوجد خشبالكابلى والماهوجنى وهو عظيم الأهمية فى التجارة الخارجية حيث يعتبر ثالث الصادرات أهمية بعد البن والكاكاو •

ويعتبر ساحل العاج اكبر دولة فى غرب افريقية تتجمع فيه مساحة كبيرة من الغابات الأستوائية فان مجموع ما تشغله الغابات يبلغ حوالى مائة الف كيلو مترا مربعا خصص منها ١٠ ألاف كيلو متر مربع كمعازل غابية بينما أمكن استغلال المساحة الباقية ويمكن لأى فرد ان يرخص له باستغلال ما يقابل حوالى عشرة أفدنة من الغابات نظير مبلغ معين وهذه التراخيص موقوتة بفترة •

وقد بلغ مجموع صادرات الأخشاب الثمينة من ساحل العاج حوالى ٢١٥ الف طن منها حوالى ٥٥٪ تذهب لفرنسا وحوالى ١٥٪ لألمانيا ، ١٢٪للولايات المتحدة •

٢ — الانتاج الزراعى

يؤثر المناخ على تنوع الانتاج الزراعى فى ساحل العاج فاقليم غابات الجنوب الأستوائى نجد بهمزارع البن والكاكاو والموز •

فيزرع البن فى مساحة تقدر بحوالى مليون ونصف مليون فدان وتتمثل زراعة البن فى المزارع الكبيرة ويمثل البن نصف صادرات الدولة •

أما الكاكاو فهو يلى البن من حيث الأهمية وتوجد مزارعه فى شرق ساحل العاج وتمتد عبر حدوده الشرقية • ويمثل الكاكاو ثانى صادرات ساحل العاج ويساهم بثلث الى ربع قيمة الصادرات جميعها •

والموز ينمو فى مزارع كبيرة أيضا ومناطق زراعته متفرقة أهمها يقع فى منطقة العاصمة (أبيدجان) وخلفها وفى منطقة (ساسندرا)

والموز قليل الأهمية فى التجارة الخارجية نظرا لاستهلاك معظمه فى الداخل ، وفيما عدا ما تقدم يزرع الارز فى ساحل العاج وجوز الكولا ونبات اليام والمانيوك ، كما نجحت زراعة القطن وانشئت لها المحالج العديدة واتسعت مزارع الفول السودانى واتخذت مكانا مرموقا فى قائمة الصادرات ويزرع الفول فى نطاق السافانا •

وتوجد أيضا أشجار جوز الهند والمطاط ولكن بكميات محدودة •

وينمو أيضا نخيل الزيت فى النطاق الاستوائى

٣ — الانتاج المعدنى

على الرغم من أن الأبحاث الجيولوجية تبشر بوجود كثير من المعادن الا أن التنقيب لم يؤد الى العثور على مناجم مربحة •

وأهم سمات الثروة المعدنية فى ساحل العاج الماس الذى يستخرج من الأودية الفيضية وخاصة وادى نهر (بو) وهو رافد نهر (باندااما) ويبلغ الانتاج السنوى من الماس ١٠٠و٠٠٠ قيراط كذلك يعدن النحاس والذهب بكميات ضئيلة فى الدولة

وفى سنة ١٩٥٥ كشف مصدر غنى للمنجنيز عند ميناء (جران لاهو) غربى ابيدجان العاصمة

ويقدر الموجود بحوالى ٩٠٠ الف طن وفى سنة ١٩٦٠ كشف فى المنطقة نفسها عن مصدرين آخرين للمنجنير يقدر ما فيهما بحوالى ٤٦٠ الف طن ٣٠٠ الف طن.

وفى سنة ١٩٦٠ أيضا كشف عن خام الحديد فى جبال نيمبا بالقرب من جران لاهو ولم يقدر بعد احتياطى هذه المناجم .

٤ - الانتاج الحيوانى :

الانتاج الحيوانى ضئيل الأهمية فتبعا لآخر الاحصائيات نجده عبارة عن ٢٧٠ الف رأس من الماشية ، ٣٦٠ الف رأس من الأغنام ، ٤١ الف رأس من الماعز ، ١٢ حمار والف حصان

٥ - الصناعة والتجارة

كانت أهم اقتصاديات ساحل العاج تتمثل فى الزراعة وهذا هو شأن جميع المستعمرات الافريقية فقد كان الاستعمار يهتم بالانتاج الزراعى لسد حاجته أولا ثم يحول ما يحول الى انتاج صناعى ويقوم بتصديره الى مستعمراته وبذلك يستفيد كل الافادة من خيرات البلاد التى يستعمرها

فلما نالت معظم هذه المستعمرات استقلالها منذ عشر سنوات تقريبا أو أقل نجد انها بدأت تخطو نحو الصناعة بالتدريج ولذلك فهى فى أولى مراحل التصنيع .

وقد ساعد شق قناة (فريدى) التى تمت سنة ١٩٥٠ والتى تصل منطقة ابيرى Ebrie بالساحل على وصول السفن الى أبيدجان العاصمة وقد أدى هذا الى ظهور بعض الصناعات الحديثة النشيطة فيها .

وأهم هذه الصناعات اعداد المحصولات للتصدير كالبن والكاكاو والأخشاب وحفظ الفواكه . كذلك انشىء مصنع لزبدة الكاكاو ومصانع للاخشاب الميكانيكية ومصانع للصابون وعصر الزيوت

ويعانى ساحل العاج من نقص الأيدى العاملة ولذلك فهى تشجع السكان من اقليم الفلتا العليا على الهجرة اليها .

وتعتمد بعض الصناعات على محطة توليد الكهرباء على نهر (بيا) عند (أيامى) وهذه المحطة يمكنها توليد طاقة قدرها ١٨٠٠ كيلوات فقط . والحقيقة أن الظروف الطبيعية فى الدولة لاتساعد كثيرا على آمال كبيرة فى توليد الطاقة الرخيصة فالأنهار هنا معظمها قصيرة وليست متعددة المنابع كما هو الحال بالنسبة لنهر الفولتا فى غانا مثلا أو نهر النيل فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان .

هذا من حيث الصناعة أما بالنسبة للتجارة فان صادرات ساحل العاج تقدر بحوالى ١٣١مليون دولار والواردات تقدر بحوالى ١٠٢ مليون دولار وعليه فالميزان التجارى فى مصلحتها .

وأهم الصادرات الكاكاو والبن والأخشاب والموز .

أما الواردات فأهمها المنسوجات والمواد المعدنية والأسمنت ومواد الوقود والزيوت ويمثل البن ٥٠٪ من قيمة الصادرات والكاكاو ٢٣ر٤٪ والأخشاب ١٧٪ والموز ٣ر٤٪ والتفاح ١ر٧٪ والبلح ١ر٦٪

ومعظم هذه الصادرات تذهب الى فرنسا بنسبة ٥٢ر٥٪ ثم الجزائر ٩٪ والمغرب ٢٢و٪ والباقى الى دول أوربا المختلفة .

اما الواردات فتتمثل فى المنسوجات القطنية ٧ر١٪ والمعادن ٣ر٤٪ والدخان ٣ر٩٪ والسيارات ٣ر٥٪ والسكر ٣ر٢٪ والأشياء المصنوعة ٣ر١٪ والآلات والأدوات المنزلية ٢ر٩٪ والأرز ٢ر٩٪ والمنسوجات ٢ر٨٪ وقطع غيار السيارات ٢ر٦٪ والعجلات ٢ر٥٪ والأسمنت ٢ر١٪ والمنتجات الغذائية ١ر٩٪

واكبر مورد لساحل العاج فرنسا حيث تبلغ قيمة الواردات منها ٧٠ر٤٪ من القيمة الكلية والجزائر ١ر٥٪ والمغرب ر٥٪ والبقية من بقية دول آسيا وأوربا

٦ - المدن وطرق المواصلات

أبيدجان : عاصمة ساحل العاج منذ سنة ١٩٣٤ وميناؤها الهام على خليج غينيا وهى من موانى افريقيا المعدودة الكبرى .

وقد انشئت قناة (فريدى) سنة ١٩٥ لايصال السفن الكبيرة الى الميناء عبر بحيرة أيرى (ابيجان) ذات المياه الضحلة والشطوط الرملية التى يجلبها تيار غانا من الغرب للشرق والتى تسد الرمال الفتحة فى فترة انخفاض مياه البحيرة فأنشئت قناة عبر الشط الرملى خصوصا بعد قيام بعض

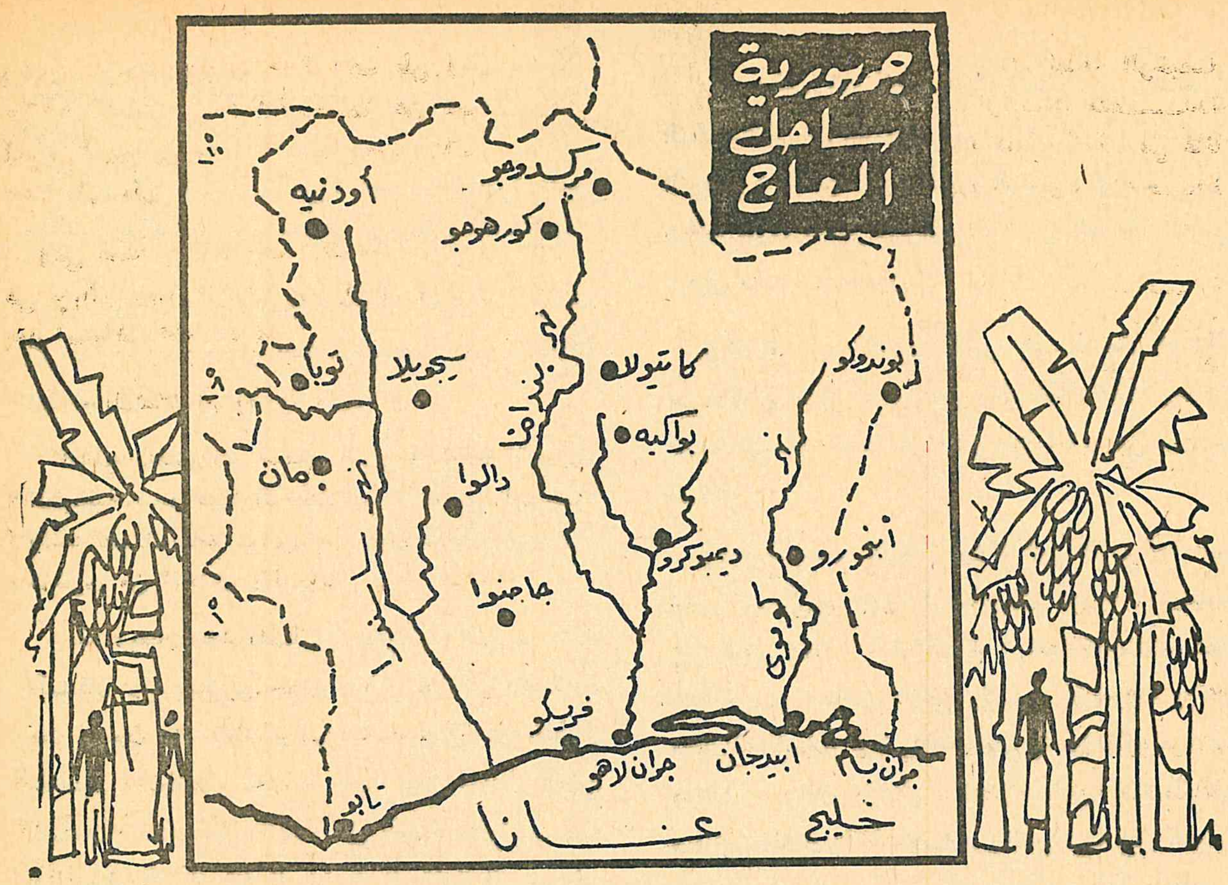

الصناعات وزيادة الحركة التجارية من صادر ووارد .

كما اقيم كوبرى يربط ضاحية (تريشفيل) بالميناء فازدهرت بذلك واستفادت فائدة كبرى

وتمتد السكك الحديدية من أبيدجان العاصمة الى الداخل الى مدينة بايو ديولاسو فى فولتا العليا ثم الى واجادوجو عاصمة فولتا العليا .

أما الملاحة النهرية فتؤدى دورها فى أنهار من الشرق للغرب هى نهر كوموى ، نهر بنداما ، نهر ساسندرا .

ويوجد أيضا بساحل العاج مطاران رئيسيان

السكان فى ساحل العاج

يبلغ عدد السكان تبعا لأحصاء سنة ١٩٦١ ٣ر٥٠٠ر٠٠٠ نسمة منهم حوالى ١٥ الف أوربى اما السكان الوطنيون فهم عبارة عن عدة قبائل كالصنغاى والديولا والآجنى والباولى والماندى وقبائل تتكلم لغة الكرو .

اما من حيث اللغه فيتكون السكان الوطنيون فى ساحل العاج من مجموعتين . مجموعة تتكلم لغة الكرو ويمثلون اسرة لغوية قائمة بذاتها تسود الأقطار التى تحف بخليج غينيا وتدعى هذه المجموعة بأسم (كوا Kwa) وهناك مجموعة أخرى تتكلم لغات (ال توى Twi) وهذه المجموعة تنتشر قبائلها فى ساحل العاج انتشارا كبيرا .

وسكان جمهورية ساحل العاج ينتمون الى الجنس الزنجى الصريح ومن أهم صفاته اللون الشديد السمرة والشعر اللولبى والقامة الطويلة والرأس الطويل المعتدل وبروز الفك وغلظ الشفتين .

ويسود النظام القبلى بين السكان الوثنين حيث تنقسم القبيلة الى عشائر ولكل عشيرة طوطم هو بمثابة شعار للعشيرة ويكون عادة عبارة عن حيوان من غير الحيوانات الأليفة وقد يكون من حيوان الأرض أو الماء ومن الجائز أن يكون نباتا أو صخرا

ويتبع الطوطمية نظام الأغتراب فلا يتزوج الرجل امرأة من عشيرته ولو حدث ذلك لكان كارثة للعشيرة كلها وبعضهم يتجنب عشيرة أمه أيضا

وهكذا يسود الأغتراب المجتمع الزنجى وخاصه الوثنى •

أما قبائل الماندى والديولا فهم زراع مهرة يدين معظمهم بالاسلام ولهم نشاط فى بعض الصناعات

والنظام الأقليمى يسوده النظام القبلى فى جهات الريف • وفى بعض البلدان يسود نظام النقابات المهنية للمشتغلين بحرفة معينة •

أما الصنفاى فهم شعب زنجى ولكن صفاتهم الطبيعية يبدو فيها أثراختلاطهم بالعناصر الشمالية واعتناقهم الاسلام قرب بينهم وبين القبائل الاسلامية الأخرى من الماندى والديولا

هذا ويقدر عدد المسلمين بحوالى ٥٠٪ من عدد السكان والمسيحيين حوالى ١٢٪ أما بقية السكان فلا يزالون على عقائدهم الوثنية • ولكن مع انتشار التعليم والحضارة خاصة بعد نيل ساحل العاج استقلاله فلابد من القضاء على العقائد الوثنية والتحول الى الديانة السماوية السائدة اليوم فى ساحل العاج الا وهى الديانة الاسلامية •

الاسلام فى ساحل العاج

جاء الاسلام منذ القرن الحادى عشر الميلادى بواسطة مرابطى السنغال الى افريقية الغربية الفرنسية (سابقا) والتى تشتمل اليوم على ثمانية وحدات مستقلة هى (موريتانيا ، النيجر ،السنغال مالى وغينيا وفولتا العليا وساحل العاج و داهومى)

ويسود الاسلام خمسة منهذه الوحدات المستقلة والتى صارت جمهوريات وهى موريتانيا والسنغال ومالى وغينيا والنيجر •

وبالرغم من الجهود الاستعمارية التى تبذل للمحافظة على الوثنية فان الاقبال على اعتناق الاسلام يزداد يوما بعد يوم • فبينما كانت نسبة الاسلام فى جمهورية ساحل العاج لاتزيد عن١٥٪ من عدد السكان فى فترة الاستعمار الفرنسى نجدها ارتفعت بعد ذلك ووصلت الى ٢٥٪ وهى الآن قد وصلت الى ٥٠٪ من عدد السكان بل هى فى سبيل الزيادة يوما بعد يوم

وقد دخل الاسلام ساحل العاج منذ القرن الثالث عشر من الشمال الشرقى عن طريق تجار القوافل (الماندية) وقبائل (البيجو) وبفضل سلالة هؤلاء أنتشر الاسلام ايضا فى الشمال الغربى وقوى ساعد المسلمين •

وكانت اكبر الدول تأثيرا فى انتشار الاسلام فى ساحل العاج دولتى مالى والسنغال الذى وصلت نسبة الاسلام فيهما الى اكثر من ٧٥٪ من عدد السكان •

وبلغ انتشار الاسلام ذروته فى القرن التاسع عشر عن طريق جهود (ساموری طورية) فيما بين عامى ١١٨٠ ، ١٨٩٨ م • فلما قدم الاستعمار الفرنسى الى ساحل العاج وفد المبشرون وبدأوا محاربة الاسلام ونشراللغة العربية واحلالالفرنسية محلها • وكان الأهالى يتلقون مبادىء الاسلام فى منازلهم آنذاك وأخذ الاسلام ينتشر فيما بين القبائل وخاصة القبائل التى تسكن شمال ساحل العاج • وكان التعليم الاسلامى مقتصرا على حفظ بعض آيات القرآن الكريم واستمر على هذا المنوال حتى قام الاستاذ (أحمد التيجانى أبو بكر) الذى تلقى تعليمه الاسلامى فى تونس بأنشاء أول مدرسة عربية نظامية اطلق عليها اسم (مدرسة التهذيب الاسلامى سنة ١٩٥٦) وتلاها بعد ذلك افتتاح بعض المدارس الاسلامية •

وفى سنة ١٩٦٠ انشأ الشيخ (زبير أبولادى) مدرسة أخرى لتعليم الصغار مبادىء اللغة العربية واللغة الانجليزية وفى سنة ١٩٦٢ انشأ الحاج مرتضى عبد الناصر معهدا عربيا اسلاميا فى أبيدجان العاصمةوفيه يدرس الطالب العلومالدينية من فقه وحديث وتجويد ويتلقى بعض ألوانالثقافة الاسلامية بالأضافة الى تعليم اللغتين العربية والانجليزية والحساب والتاريخ والجغرافيا •

ومن أهم المراكز الاسلامية فى ساحل العاج (أودينيه) سامبا تيجويلا ، طوبة فى الشمال الغربى ؟

ويوجد فى البلاد اكثر من ثلثمائة جامع والف مدرسة لتحفيظ القرآن هذا عدا المدارس الابتدائية والثانوية .

وأهم الطوائف المعروفة فى البلاد هى التيجانية والقادرية .

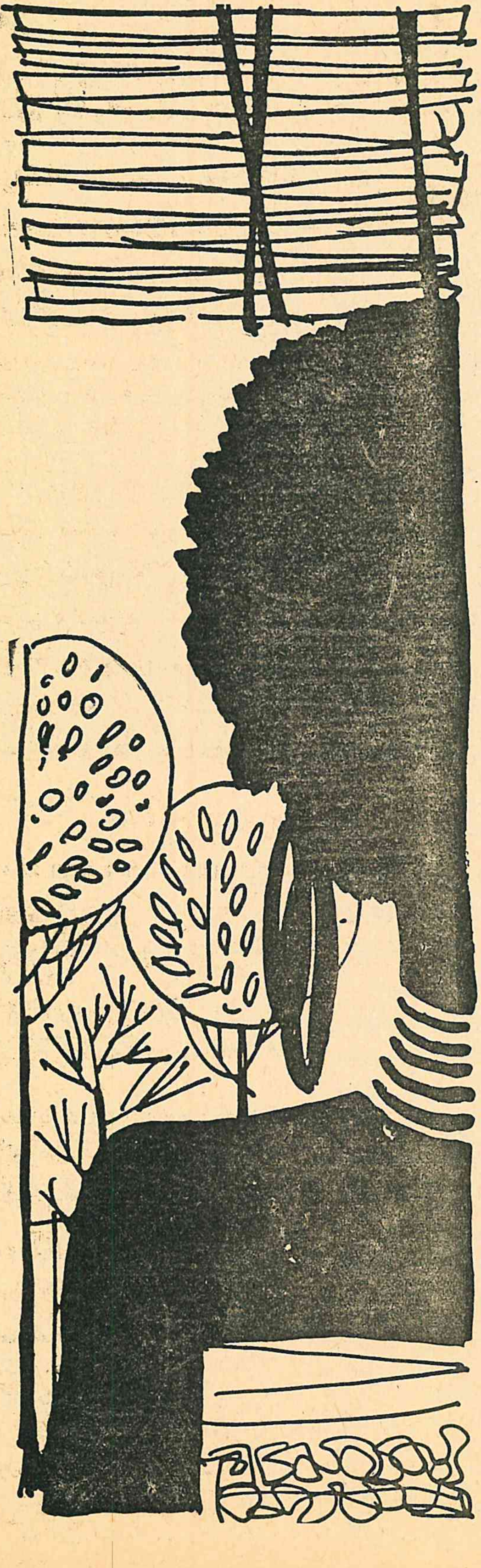

التاريخ السياسى لساحل العاج

ساحل العاج جمهورية مستقلة منذ اغسطس سنة ١٩٦٠.

وقد كان ساحل العاج ضمن المستعمرات الفرنسية فى غرب افريقية الأستوائى وبدأالأتصال الأوربى بساحل العاج منذ سنة١٦٣٧ على يدجماعة من الفرنسيين وظل الاتصال ساحليا حتى سنة ١٨٤٢ حين حصلت فرنسا على حقوق لها على الساحل وقد أخذت تمد نفوذها ورفعت علمها سنة ١٨٨٥ وأخذت تتوسع فى مد نفوذها عاما بعد عام حتى جاءت سنة ١٨٩٣ وكانت تحتل منطقة متسعة فى الداخل وفى هذه السنة ذاتها اعلنت ساحل العاج مستعمرة فرنسية وعاصمتها (جراند بسام) ثم نقلت العاصمة الى (بنجرفيل) وفى سنة ١٩٣٤ نقلت العاصمة الى أبيدجان وظلت الى يومنا هذا تمثل العاصمة والميناء الهام البحرى والجوى .

وفى يناير سنة ١٩٣٣ ضم جزء من فولتا العليا الى ساحل العاج وفى سنة ١٩٤٨ اعيدت مناطق متعددة الى فولتا العلياومن هذه المناطق (واجادوجو وكايا ، جاوا)

وتتكون الحكومة من ١٥ وزيرا والجمعية التشريعية من ٧٠ عضوا ينتمون جميعهم الى الحزب الديمقراطى الافريقى وهو اكبر الأحزاب فى منطقة غرب افريقية (الفرنسية سابقا) ورئيس هذا الحزب هو رئيس الجمهورية الحالى .

والعلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية ساحل العاجعلاقةطيبة وتقوم علىالتعاون المتبادل وقد بدأت العلاقات الاقتصادية فى الأزدهار كما توجد أيضا بعض الجاليات العربية هناك والأمل كبير فى زيادة التقارب والتعاون بين دول القارة الأفريقية فى سبيل تحقيق الوحدة الأفريقية قريبا باذن الله .

قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها

الأستاذ
عثمان عبد السميع العدل

— ١٤ —

* قصة انسانية على طريق الحقيقة كوسيلة وهدف

* الصحفي الذى بكى على شهداء فلسطين ..

* مرة أخرى ، اعتبارات المصلحة فوق اعتبارات الاخلاق فى الصحافة الغربية ..

* نيوتي ميرنز : خلية اقتصادية واجتماعية ومركز سلطة للصهيونية

* لمحات أولى من صورة جديدة وتجربة مواجهة مع الصهيونية العالمية فى موقع من مواقعها القديمة فى الغرب

ان البحث عن الحقيقة هو رسالة من أجل الرسالات التى نيطت بالانسان منذ الازل .. وهى تحصيل « العلم » و « المعلومات » عن الانسان والحياة والكون ، فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل . ومهنة الصحفي أو الكاتب أن « يبحث » عن الحقيقة وان يعمل علي نشرها بكل الامانة .. وكل المهابة والوقار الذى تتسم به رسالة «الاعلام» فى كل مكان ، أو بالاحرى الذى من المفروض نظريا أن تتسم به .

وليس كلامنا هذا خارج موضوع « قضية فلسطين » .. بل هو فى صميمها « قلبا وقالبا » .. وان كان وقفة تامل « ذات مغزى » .. واستاذن القارىء العزيز بان أسوق اليه هذه القصة ، على طريق « البحث عن الحقيقة » وتحصيلها ونشرها .

« كان القطار ينهب الارض بسرعة ليقطع المسافة بين مدينة « ابردين » فى شمال شرقى اسكتلنده بالجزيرة البريطانية الى جلاسجو فى الجنوب الغربى .. وفى احدى العربات جلس اثنان يتجاذبان أطراف الحديث .. وقد بدا عليهما الارهاق .. وساد جو المناقشة طابع الجدية ..

وبدت علائم الاسى والمرارة على ملامح احد الشخصين حتي انه كاد ينفجر باكيا .. وهو يقول :

« كيف كنا نعيش فى كل هذا الظلام بالنسبة للقضية الفلسطينية ؟! بل كيف يظل كل هذا القدر من الحقائق « مطموسة » عشرات السنين دون أن أعلم عنه شيئا . فى الوقت الذى من صميم عملي أن « أعرف » وان انشر وان أتكلم .. اننى لفى خجل شديد من نفسى .. وفى كل ما أمثله من تقاليد « الرسالة الصحفية » التى خذلتها حتى الان بقصورى وتقصيرى!

كان هذا الصحفي الشجاع هو « المستر ادم شانغ » مدير أخبار التليفزيون فى « فورموزا » وكان الشخص الاخر طرف المناقشة هو انا .. جمعتنا الصدفة بالاشتراك فى دورة دولية « للتليفزيون وصحافته » مقرها بريطانيا .. استمرت أربعة أشهر فى الفترة الاخيرة .

لم يكن الحديث الذى جمعنا .. أو اجتمعنا عليه هو الاول بيننا .. ولم يكن الاخير .. بل سبقته وتلته

احاديث حول قضايا السياسة .. وقضايا الانسان . كلها تقريبا « نبعت مني أو تطرقت » الى قضية فلسطين وبالذات قضية اللاجئين .. ولم يكن المستر ادم شانغ ممثل تليفزيون فورموزا هو الوحيد فى الدورة بلكان واحدا من ثلاثة عشر محررا اشتركوا من ثلاث عشرة دولة .. الا أن الحديث مع المستر شانغ كان له أكثر من مغزى .. وادى الى أكثر من نتيجة ..

أولا : ان المستر شانغ جاء من « فورموزا » وموقفها « العدائى جدا » من العرب معروف .. ومعروف أيضا مدى التصاقها بأمريكا وباسرائيل .. وان يصدر هذا الاعتراف عن رجل يعمل فى جهاز اعلام تملكه فورموزا لهو عمل يتسم بالشجاعة .. كما يدل أيضا على امكانيات هائلة يمكن اذا أحسن استخدامها أن تؤدى الي كسب المزيد من الاقلام الحرة والعقول المفكرة لصالح الحق عموما .. والحق الفلسطينى خصوصا .

ثانيا : فان المستر شانغ — كما عرفته — قد أبدى اهتماما عميقا بالاستفسار والاستقصاء، وأظهر اهتماما أعمق بالاصفاء !! وضعته أمامه من حقائق تاريخية عن الحركة الصهيونية كحركة سياسية تهدف الي خلق امبراطورية عنصرية يهودية فى الشرق الاوسط .. كما تهدف الى السيطرة على العالم ..

وحينما تطرق الحديث الى مشكلة اللاجئين الفلسطينيين .. كان المستر شانغ لا يكاد يعرف أبسط الحقائق عن أكثر من مليون عربي فلسطينى شردوا خلال عمليات استيلاء اليهود علي فلسطين فى عام ١٩٤٨ وما قبلها . واغرورقت عيناه بالدموع وهو يستمع الى شرح عن حالة اللاجئين فى قارس البرد وما يلاقوه من معاملة وكالة الغوث .. حينما كانت .. وما يلاقوه من « أهوال » الفقر والمرض .. فى انتظار حل بينما المناقشات البيزنطية تدور فى مجلس الامن وفى الجمعية العامة .. وفى غيرها من المحافل السلمية .. حول وسائل ايجاد حل سلمى .. أو مناقشة ما يصدر عن اسرائيل من اعتداءات .

وقلت لمحدثى : على رسلك ياصديقي .. ان مسئولية « الجهل بالحقيقة » لا تقع علي عاتقك وحدك .. وان كنت لا أعفيك منها .

فالشطر الاكبر من هذه المسئولية يقع على عاتق من « يعمدون » الى طمسها .. ويضعون فى سبيل ذلك الخطط ويرصدون الاموال أكداسا .. ويقيمون فى سبيل التضليل والتشويش صروحا عملاقة .. من صحف تحمل الكلمة المكتوبة .. أو اذاعة تبث كلمة عبر البحار والمحيطات مسموعة .. واذاعة مرئية تبث مع الكلمة صورة لا تعبر عن الحق .. بقدر ما تعبر عن باطل .. والباطل وسيلة هؤلاء القوم الي غاية مرسومة ..

وقال محدثي : تقصد صحافة الغرب واذاعاته .. قلت : نعم .. واقصد معها ايضا وكالات الانباء الغربية التي تنتهك شرف الرسالة الصحفية بان تخفي الحقيقة بشأن اللاجئين الفلسطينيين .. وبشأن القضية برمتها .. وبشأن الموقف في الشرق الاوسط . ولا تنقل سوى ما يخدم « مصلحة » اسرائيل دون « اعتبار لاخلاقيات العمل » .

وقلت : ان هذا يخالف نص الاعلان العالمي لحقوق الانسان .. في فقرته السادسة عشر .. والتي تضع اعتبار الامانة الصحفية شرطا اساسيا لممارسة هذا العمل النبيل : « البحث عن الحقيقة ونشرها »

ومن هذا المنطق حاولت صحافة الغرب عبر عشرات السنين طمس حقيقة « المخطط » الذي وضعه المؤتمر الصهيوني الاول في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ برئاسة تيودور هرتزل - وهو مخطط اقامة دولة يهودية صهيونية في فلسطين .

ثم ان ألسنة الكتاب واقلامهم لاذت بالصمت أمام مقررات اتخذها المؤتمر الاستعماري « ضم بريطانيا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال وهولنده » عام ١٩٠٧ والذي التقى مع المؤتمر الصهيوني حول هدف واحد : هو اقامة حاجز بشرى معاد في قلب الوطن العربي .. يكون بمثابة جسم غريب لا يندمج ولا يذوب .. ومن ثم يكفل تفتيت المنطقة العربية جغرافيا « بسبب وجوده » ، ويعمل على تفتيت الامة العربية « بسبب نشاطه » .. وكان الاسم الذي اصطلح عليه المؤتمران هو « اسرائيل » .

وهللت صحافة الغرب « ومعظم رؤوس اموالها يهودية صهيونية .. هللت لوعد بلفور .. الذي صدر عن بريطانيا عام ١٩١٧ ، وهو « وعد » قطعته بريطانيا بان « تمنح » اليهود وطنا قوميا ..

ولم تحر أقلام الكتاب في « العالم الحر ! » جوابا ازاء صيحات المظلومين والمضطهدين من عرب فلسطين الذين اعتقلتهم سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين بعشرات الالوف

وقال المستر شانغ : ان صحافة الغرب قد اشتركت في الجريمة .. جريمة اغتصاب أرض .. ووطن .. واشاعة الارهاب والقتل ..

قلت : لقد كان لها دور محدد .. فقد مهدت أذهان الناس في أوربا والعالم بان نشرت الكثير من المبالغات عن اضطهاد اليهود في المانيا .. ومهدت بان أوهمت بحق « تاريخى » لليهود في فلسطين ..

غير أن الدور الذي تقوم به صحافة الغرب الان وبعد قيام اسرائيل دولة للعدوان والتوسع بعشرين عام .. هو أخطر الادوار ..

قال : كيف ؟

قلت : لعلك تلاحظ أن كلمة واحدة لم ترد في الصحف البريطانية أو الاذاعات أو التليفزيون ، في هذه المنطقة - طوال الفترة التي قضيناها هنا - لم ترد كلمة واحدة عن اللاجئين الفلسطينيين .. والواقع أن اللاجئين الفلسطينيين الذين اخرجوا من ديارهم عام ١٩٤٨ لم يعد لهم « وجود » في وهم الصحافة الغربية .. أو على الاصح في طيات ايهامها للرأى العام في بريطانيا وامريكا وأوربا بان الامر الواقع الاسرائيلى هو فقط الجدير بالرعاية وبالاهتمام .. وبدموع التماسيح تنزفها الاقلام المأجورة لجلب المزيد والمزيد من العون الاقتصادى وأسلحة التدمير والقتل لتضعها في يد حكومة تل أبيب

وهنا هب محدثي مقاطعا : ان الموقف الان صعب حقا .. بسبب المساندة المستمرة من جانب امريكا خاصة لاسرائيل .. وان كانت هذه المساندة امتدادا طبيعيا لخطط أمريكا بعد أن « ورثت » على الصعيد العالمي مطامع الامبراطوريات الاستعمارية القديمة التي عقدت مؤتمر الاستعمار عام ١٩٠٧

قلت : صحيح ! ولكن الموقف مع هذا ليس مستحيلا .. فالشعوب لا تموت .. كما ان الرأى العام في بريطانيا والعالم برغم ما اعطي من « عقاقير » الدعاية الصهيونية في اذاعات وصحافة .. مازال حيا .. لم يمت .. والحقيقة دائما تفرض نفسها على الاسماع .. وعلى الوجدان الانساني .. فقط هناك العراقيل .. تضعها مصالح الصهيونية .. أو « اعتبارات المصلحة » دون اعتبارات الاخلاق في عمل أجهزة الاعلام في الغرب .. رغم شعار الـ ب.ب.س. الذي يستمد مباشرة من الانجيل .. ويقول ان هذه الامة « بريطانيا » سوف تتحدث بلغة السلام بين الامم »

ووصل القطار الى جلاسجو في تلك اللحظة .. وبعد لحظات كنا قد وصلنا الى « نيوتن ميرنز » تلك الضاحية التي تقع على ربوة عالية تشرف على المدينة الصناعية الكبيرة .. وبين الضاحية والمدينة يجرى نهر «الكلايد» حيث أضخم ترسانة لصناعة السفن ، التي تنطلق نحو المحيط لتجوب العالم .. في تلك الضاحية يقيم نحو ٦٠ ألف نسمة ٨٥٪ منهم من اليهود .. يملكون معظم أسهم صناعة السفن والحديد والصلب .. ويملكون سلطات واسعة لا حدود لها - فيما يبدو - في توجيه - أو على الاصح تضليل الرأى العام في هذه المنطقة من العالم

وكان هذا الحديث في القطار الاسكتلندى واحدا في سلسلة من اللقاءات حول « القضية ، في مجال الاعلام » .. امتدت على فترة أربعة أشهر .. وكانت الصورة من خلفنا مباشرة .. صورة مصانع الصلب العملاقة وأبراج الارسال لاذاعة الـ ب.ب.س ، وضاحية نيوتن ميرنز ومن بعيد كانت تبدو على حافة الافق صورة فيها اشراقة من أمل .

« للبحث بقية »

أضواء على التاريخ الإسلامي

مكانة فلسطين في العالم الإسلامي

الأستاذ محيي الدين الألوائي

اسرائيل .. التركة الاستعمارية فى الشرق

بدأ فى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى تدفق ملايين اليهود من أوربا الشرقية الى أوربا الغربية فمنهم الاثرياء الذين حملوا معهم اموالا طائلة استغلت فى المانيا وفرنسا وانجلترا فى صناعات البنوك والشركات التامينية وصناعات الجواهر وكذلك فى الشركات التجارية الكبرى ومؤسسات النشر والاعلان . وكان منهم فقراء معدمون . ولما اشتد نفوذ العناصر اليهودية الصهيونية فى أوربا كلها وتغلغلت فى الاحزاب السياسية وجميع مرافق الحياة فيها ، أجمع جميع الدول الاوربية مثل فرنسا والمانيا وبريطانيا وهولاندا وبلجيكا والدانمرك ايضا لاجل التخلص من منافسة أغنياء اليهود البشعة ، وللخلاص من الاقلية اليهودية الفقيرة التى تزاحم العمال على لقمة العيش ، والتى لم تحول ديانتها من اليهودية الى المسيحية .

وجدير بالذكر أن السياسة المزدوجة لرؤساء بريطانيا المحافظين فى هذا الصدد ، كانوا جميعا يمقتون اليهود مقتا شديدا ، وفى الوقت نفسه يدعون الشفقة عليهم والحرص على ايجاد وطن لهم يأويهم وينهى تشردهم ، ووجدوا ايضا أن تحقيق اهداف الصهيونيه فى ايجاد وطن مزعوم لهم فى فلسطين يتلاقى مع أهداف هؤلاء المستعمرين فى زرع دولة شاذة فى جسم العالم العربى ، لكى تكون بمثابة شوكة تقض مضاجع العرب والمسلمين وتهدر طاقاتهم البناءة حتى تصبح هذه الدولة الأجنبية تركة استعمارية – قديمها وجديدها – فى الشرق كله .

وفيما يلى بعض الادلة الصارخة على أن كبار الاستعماريين الغرب كانوا يشجعون اضطهاد اليهود فى سبيل تهجيرهم الى فلسطين مثل الصهيونية تماما بقصد احتلال قسم من أوطان العرب وطرد سكانه وتحويله الى قاعدة استعمارية تتحرك بارادة الاستعمار كيفما شاء . فقال رئيس الوزراء البريطانى اللورد « أشلى » فى العام ١٨٤٠ : ان زعم اليهود بأن لهم الحق فى عضوية البرلمان البريطانى يعتبر اهانة للمسيحية بينما قال وزير الخارجية فى ذلك الوقت المستر « بالمرستون » فى رسالة وجهها الى سفير بريطانيا فى استانبول طالبا منه اغراء السلطان العثمانى بالسماح لهجرة اليهود الى فلسطين . ان يهود أوربا يملكون ثروات طائلة وأى بلد يختارونه للاستيطان فيه سينتفع بالثروات التى سيحملونها اليه . ومن المعروف أن « بلفور » الذى اصدر وعد بلفور المشئوم فى عام ١٩١٧ قد صدر عنه قانون فى عام ١٩٠٥ اسمه « قانون الغرباء » للحد من هجرة اليهود الى بريطانيا ، بينما كانت تتدارس مع الصهيونيه العالمية امكانية اقامة دوله لليهود فى أوغندا أيضا . وقد بينت الأدله أن اعداء السامية فى أوربا من اليمينيين المتطرفين وقفوا هم فى مقدمة المؤيدين لاسرائيل ، ليس اعجابا بها وباليهود ، وانما اغتناما لفرصة تخليص مجتمعاتهم من هؤلاء اليهود بدعوى تقوية دولتهم . وقد كشفت الأوضاع أيضا عن ارتباط المصالح الاستعمارية بدعم اسرائيل للقضاء على الحركات التحررية الشعبية فى العالم العربى بوجه خاص وفى الشرق بوجه عام .

وأن نظرة عامة على تجارة اسرائيل مع الغرب ومعدل انتاجها وتصديرها وصناعاتها تؤكد ان هذه الدولة المزعومه ليست سوى عالة على أغنياء اليهود فى العالم وعلى الدول الاستعمارية التى أقامتها بقوة المال وحدة السلاح لاضعاف العالم العربى والاسلامى ، وكذلك يدل صندوق التبرعات اليهودى المنتشر فى العالم ومعدل منتجاتها المصدره الى أقطار السوق الأوربية المشتركة ، على أن البناء الشامخ الذى تحاول الصهيونية دائما ترسيخه فى أذهان الناس ، ما هو الا سراب يحسبه الظمآن ماء ، وفى الواقع انها تعتمد فى ميزانيتها وقوتها العسكرية على بعض الدول الاستعمارية التى حولتها الى قاعدة عدوانية يستخدمها الاستعمار العالمى وقت يريد تحطيم ما بناه العرب والشرقيون بدمائهم ، وما كسبوا من حرية وكرامة بكفاحهم .

واما بالنسبة الى صندوق التبرعات اليهودى المنتشر فى العالم ، ليجمع لاسرائيل ملايين الجنيهات من اليهود واصدقائهم وانصارهم وأعوانهم من مختلف أنحاء العالم ، فيكفينا أن نتذكر صناديق التبرعات الآتية . صندوق المنظمة اليهوديه ، صندوق التبرعات الفلسطينى المتحد ، الصندوق اليهودى القومى ، صندوق تأسيس فلسطين ، وهذا الى جانب التبرعات الاقتصادية والعسكريه الضخمة التى تصل الى اسرائيل من المصانع والشركات الكبرى اليهوديه المنتشرة فى أمريكا وفرنسا وغيرهما .

وشأن الصهيونيه فى الدعاية والمبالغة وتشويه الحقائق ، شأن من يعرف أنه مخطىء ويصر على الاستمرار فى غيه وخطئه . فلما قامت اسرائيل فى قلب العالم العربى والاسلامى كتركة استعماريه ، تلاقى بوق الصهيونية وبوق القوى الاستعمارية فى سبيل تصوير اسرائيل كدوله متمدينة ومسكينة ، وابدعت وسائل اعلام الصهيونية والاستعمار وأموالهما فى تحويل اسرائيل الى قاعدة يرتكز عليها الغرب ومصالحه فى الشرق كله ، لكى تجلب عطف الدول الغربيه كلها نحوها . ثم ادعت أن مدينة اسرائيل أضخم من أن يتفهمها جيرانها ، وأن أى عدوان فى الشرق الأوسط لابد وان يكون عربيا لا اسرائيليا ، وزعمت هذه الوسائل أن العرب هم الذين بدأوا العدوان، وارفقت ذلك بموجات ارهاب وتسلط على عقول الناس فى الغرب والشرق ، فلما قامت اسرائيل بعدوانها الأخير نجحت الصهيونية ولو لمدة قصيرة فى أفقاد الناس عقولهم بحيث حصلت منهم على تبرعات ضخمة وعلى مؤازرة كبيرة سواء من الحكومات أو الأحزاب السياسية أو وسائل الاعلام .

كل هذه الحقائق تدل على توطد النفوذ الصهيونى فى أوربا وأمريكا والتقاؤها مع أهداف الاستعمار فى الشرق . ويجب على كل من يعنيه الأمر فى عداله قضيه فلسطين وربطها بالعالم العربى والاسلامى أن يعرف اولا وقبل كل شىء طريقة فهم شعوب الغرب ومخاطبتها ، وهذا الفهم والتخصص فيه هما مفتاح نجاح الصهيونية فى التسرب بسرعه الى عقولها ، والتحقيق لاهدافها . ومن المعروف من الغربيين ، سواء منهم السياسيون أو الصحفيون أو المثقفون أو عامة الناس ، أنهم يستمعون الى حديث المنطق الهادىء ، ويهتمون بالرأى الرزين أكثر من حديث التهديد والتهريج ، وبعبارة اخرى أن التكون المزاجى والسلوكى الطبيعى للانسان الغربى يختلف عن الانسان الشرقى . ومن الحقائق الواقعية التى لا يمكن السكوت عنها أو التغاضى أن الشعوب الأوربية الغربية عموما كانت حتى وقت قريب تجهل كل شىء عن مليون لاجىء فلسطينى يعيشون عيشة مزرية نتيجة لانشاء اسرائيل فى أرضهم بينما كانت التبرعات تنهال لاغاثه اليهود ضحايا العدوان العربي المزعوم والدماء ترسل سخية للمصابين منهم ، وكانت الصوره التى لازمت العقول والمخيلات هى وقوع اسرائيل فى مصيدة العدوان العربى ، وعندما وقف بعض المثقفين من الغرب على الحقائق فى المعركة الأخيرة - مثلا - نفروا أشد النفور من الابتذال الصهيونى ، وبدأت الشعارات والمقالات تظهر هنا وهناك متهمة اسرائيل بالعدوان والعنصرية بل والنازيه الجديدة ، وصدرت فعلا مقالات فى بعض الصحف الغربية عن حقوق العرب المهدورة وضرورة مؤازرة كفاحهم العادل لتحرير وطنهم من الاستعمار والاضطهاد الصهيونى .

وأن الاتصال العادل المنطقى بالرأى العام العالمى المثقف هو السبيل الوحيد لكشف اهداف اسرائيل .. التركة الاستعمارية فى الشرق، ومناوراتها ومظالمها ، أمام العالم ، ولتطهير العقول والمخيلات التى تأثرت بالدعاية الصهيونية الخادعة وانحازت الى الباطل أكثر منه الى الحق المر . واخذت قضيه فلسطين مكانه خطيرة فى المجتمع الدولى اليوم وبدأت صورتها تتبدل بالتدريج من الموقف المبهم الذى خلقته الحملة الدعائية المدمرة المشوهه حتى تبين لكثير من المثقفين فى العالم بانهم كانوا ضحية مؤامرة مزدوجه من الصهيونية والاستعمار ، وأن قضية فلسطين فى ضوء الحق والتاريخ قضية حريه واستعمار وعدل وظلم ، وقد آن الأوان لكل مثقف أن ينظر اليها بعين الجد والانصاف .

الصبر والاقدام

قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا واكثروا من ذكر الله ، وان جلبوا وضجوا فعليكم بالصمت .

وقال على (رضى الله عنه) : رب حياة سببها التعرض للموت ورب منية سببها طلب الحياة .

اجمع كلمة قيلت فى الصبر قول أحد الحكماء : الصبر مطية النصر .

وقيل للمهلب بن أبى صفرة : انك لتلقى نفسك فى المهالك فقال : ان لم آت الموت مسترسلا أتانى مستعجلا ، انى لست آت الموت من حبه وانما آتيه من بغضه وتمثل بقول الحصين بن الحمام .

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن اتقدما

فكر وفن..

أدب • شعر • قصة
مسرحية • فن إسلامي

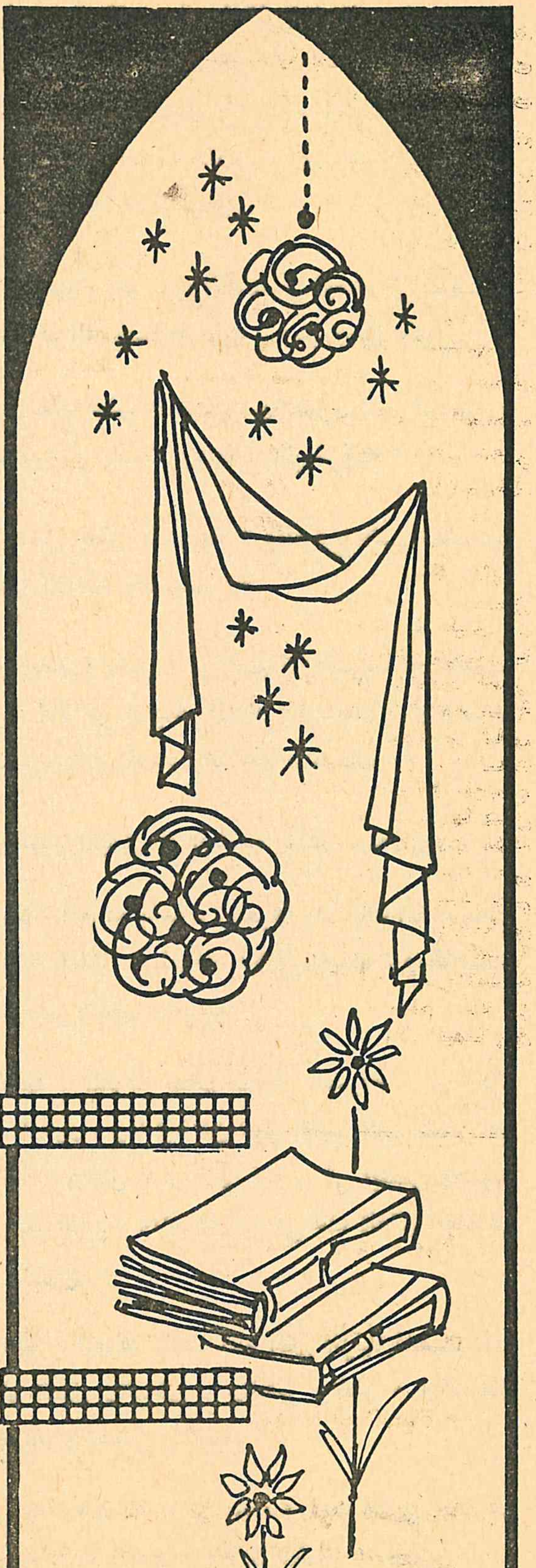

الاسلام الخالد و الاشتراكية

الأستاذ عبد المنعم صمارة

حقيقتان لابد أن نشير اليهما بشىء من التفصيل ونحن نريد أن نربط بين الاسلام والاشتراكية ، فاما الأولى فهى أن الاسلام الذى أوحى الى محمد - صلوا تالله وسلامه عليه - هو دين الفطرة .. الدين الذى ارتضاه الله سبحانه ليرسم به للبشرية كلها طريق الخير ، وأما الثانية فهى أن ماتضمنه من عدالة ومساواة هو الاشتراكية بعينها فأمر مقرر ثابت ثبوت هذا الدين وخلوده .

فليس من شك فى أن هناك حقائق ثابته خالدة لايتطرق اليها جدل أو خلاف .. وليس من شك فى أن على رأس هذه الحقائق ، كون الاسلام هو الدين الأول الخالد ؛ أو دين الفطرة الذى ارتضاه الحق تبارك وتعالى للبشرية منذ أن خلق الوجود جميعه ، بمعنى أن النواة الأولى لكل رسالة هى الايمان بالله الواحد ، والتزام العمل الصالح ، ومناسبة الرسالة للمرسل اليهم حسب طاقتهم ، وفى هذا المعنى يقول فضيلة الأستاذ سيد سابق :

(فالاسلام هو دين الله الذى أوحاه الى محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وهو ايمان وعمل :

والايمان يمثل العقيدة ، والأصول التى تقوم عليها شرائع الاسلام وعنها تنبثق فروعه ..

والعمل يمثل الشريعة ؛ والفروع التى تعتبر امتدادا للايمان والعقيدة ..

والايمان والعمل ، أو العقيدة والشريعة ، كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالاشجار ، أو ارتباط المسببات بالاسباب ؛ والنتائج بالمقدمات ..

ومفهوم الايمان أو العقيدة ينتظم ستة أمور :

أولا : المعرفة بالله ، والمعرفة باسمائه الحسنى وصفاته العليا ، والمعرفة بدلائل وجوده ، ومظاهر عظمته فى الكون والطبيعة .

ثانيا : المعرفة بعالم ماوراء الطبيعة ؛ أو العالم غير المنظور ، وما فيه من قوى الخير التى تتمثل فى الملائكة ، وقوى الشر التى تتمثل فى ابليس وجنوده من الشياطين ، والمعرفة بما فى هذا العالم ايضا من جن وارواح .

ثالثا : المعرفة بكتب الله التى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل ، والخير والشر ، والحلال والحرام والحسن والقبيح .

رابعا : المعرفة بانبياء الله ورسله الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى ، وقادة الخلق الى الحق .

خامسا : المعرفة باليوم الآخر ، وما فيه من بعث وجزاء ، وثواب وعقاب ؛ وجنة ونار

سادسا : المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظـام الكون فى الخلق والتدبير ٠

وهذا المفهوم للايمان ، هو العقيـدة التى أنزل الله بها كتبه ، وأرسل بها رسله ؛ وجعلها وصيته فى الاولين والآخرين ٠٠

(فهى عقيدة واحدة لاتتبدل بتبدل الزمان أو المكان ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام ـ والله سبحانه وتعالى يقول : شرع لكم من الدين ماوصى به نوحـا والذى أوحينا اليك ٠ وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (١)

وما شرعه الله لنا من الدين ؛ ووصانا به كما وصى رسله السابقين ـ هو أصول العقائد وقواعد الايمان ، لا فروع الدين ؛ ولا شرائعه العملية ، فان لكل أمة من التشريعات العملية مايتناسب مع ظروفهـا ، وأحوالها ، ومستواها الفكرى والروحى) (٢) ٠

ولقد كان من أسرار الخالق عز وجل اختـلاف عقليات الناس وتباينها فى التفكير والادراك ،الأمر الذى جعلها تختلف فى الدين ؛ وتعـرف حقيقته وهدفه ومصدره ٠٠ وكان من نتائج هذا الاختلاف تلك الفرقة التى لاحظناها على مدى العصور ، والتى حكتها الأجيال لبعضها جيلا بعد جيل، وتناولتها كتب التاريخ وقصصه من عصر الى عصر ٠٠ وكان من نتائجها التنابذ والشقاق والحـرب والخصام بين الأفراد والجماعات الى درجة تقطع بها مابينهم من الرحم الانسانى العام ، وأصبحت هداية الله لخلقه تتخذ مشارب مختلفة ؛ واديانا متعددة ، (وبذلـك تعددت الأديان فى الأرض ، وتنافرت هـداية الله للخلق ، والدين واحد فى السماء لا يهودية فيه ولا نصرانية ، وانما هو دين واحد ؛ وهداية واحدة ، تحمل نظاما واحدا ، من مصدر واحـد ، هو رب السموات والأرض ، وهو اله الناس اجمعين)

وليس من شك كذلك فى أن الاسلام الذى جاء به رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسـلم ـ هو خاتم الأديان كلها ، وانه الذى لادين بعـده ، والذى لن يقبل رب الخلق دينا غيره الى أن تقوم الساعة ٠٠ ولقد شاءت ارادة الله الواحد الاحد أن يعلن هـذا على الملائكة والأنس والجن منذ خلق الوجود ، وشاءت ارادته أن يخبر خبـر اليقين بأنه جل وعلا ارتضى الاسلام دينه ؛ وشرعته ، وحكمه ، وقانونه ليبلغ به الوحدانية الخالصة التى لاتحوم حولها ذرة من شك أو تشوبها أدنى شائبة من شرك ٠ وفى ذلك يقول الاسـتاذ الأكبر الشيخ محمود شـلتوت : **(ليس الاسلام كما يفهم كثير من الناس دينا جديدا وانما هو نص القرآن الكريم ـ دين الله أوحاه الى جميع رسله ، أرسل به أول رسول الى خلقه ، ثم أرسـل به رسله تترى لانهاض الناس على اختـلاف عقلياتهم ، وتنظيمهم حسب اجتماعاتهم ؛ حتى كملت الانسانية وبلغت رشدها فى العقل والتفكير، فأرسل محمدا يجدد ويصدق دعوة اخوانه الأولين ، ويكمل بما يقتضيه النضج الانسانى والرشد البشرى٠ وبذلك كان رسل الله كما صورهم رسول الله محمد بناة بيت واحد ؛ وسعادة واحدة ، ودعوة واحدة : مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملهـا وأحسنها الا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونهـا ويتعجبون ويقولون ٠٠ لولا موضع اللبنة ٠٠ فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين) ٠ (٣)**

وليس من شك مرة أخرى فى أن هذا الاسلام هو دين العقائد السليمة ، والأحكام الصـائبة التى لايغيرها تغير الزمان والمكان ؛ وانما هى ثابتة ثبوت هذا المكان بشماله وجنوبه ، شرقه وغربه ، ثابتة ثبوت البشرية حتى وان اختلفت فى الأجناس والطباع وفى الألوان واللهجات ، وفى التقاليد والعـادات ، وحتى فى المعتقدات والنظم الوضعية ٠٠ فعنـدما يخيل للناس أن الأرض تتزلزل من تحت أرجلهم ، وأن الدنيا تضيق أمام أعينهم ويسارعون الى البحث عن منقذ مما هم فيه من كرب ؛ أو فرج مما هم فيه من ضيق ، ومما يعانونه من شدة ؛ لايجدون لذلك سبيلا الا فى ذكر الله الناصر القـوى ، الرحمن الرحيم ، يقول الدكتور محمد وصفى :

---

١ ـ سورة الشورى : الآية ١٣ ٠

٢ ـ العقائد الاسلامية : لفضيلة الشيخ سيد سابق

٣ ـ من توجيهات الاسلام : للاستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت ، صفحة ٨٢ ٠

(ان هذا الدين هو الدين الذى فرضه الله على البشر منذ خلقهم ؛ جاء به آدم وأدريس ، ونوح ، وابراهيم ـ وآل ابراهيـــم ، وآل عمران ، وانه تم برسالة خاتم النبيين ، وان هذا الدين جاء به النبيون لأنه هو الدين الوحيد الذى يدعو الى الوحـدانية الخالصة التى لايشوبها ادنى شرك؛ وهو الذى يشمل العقائد الصحيحة والأحكام العامة التى لاتتغير بتغير الزمان او المكان ، أو بتغير أحوال الناس فى سلسلة حياتهم الانسانية على وجه الأرض ، مهما اختـلفت الوانهم ، وأجناسهم ؛ ولغاتهم ، وبيئاتهم ، ومهمـا تغيرت مهنهم وحرفهم وثقافتهم فى الحياة الدنيا، فهناك اديان وضعية يعتقد معتنقوها أنها تناسب بيئتهم ، الخاصة ؛ وتلائم عقول أفراد مجتمعهــم المحدود ، فاذا ماتغيرت بيئتهم ونزحوا بعيــدا عن مجتمعهم تعسرت عليهم الحياة، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ؛ ووجدوا أنفسهم عاجزين عن الاندماج فى المجتمع الانسانى ، وكأنهم غرباء عن هـذا العالم ، كعبدة التماثيل ، وعبدة النار وعبدة الجن وغيرهم من ذوى المعتقدات الباطلة التى لاتتفق مع الفطرة والطبع الانسانى السليم ؛ من الخـرافات والأوهام والأباطيل) ٠ (١)

ولقد كان من رحمة الله بعباده واشفاقه عليهم أن بعث اليهم الرسل بعقيدة الاسلام على فترات تتلاءم مع البشرية والانسانية وتطورها على مدى القرون ، ومع اختلاف البيئات ، وتقلبات الزمان، وتغير عقليات الناس جيلا بعد جيل ٠٠ ان الله جلت قدرته (لم يشأ أن يترك خلقه فى ظلمات الجهل ؛ تعبث بهم الأهواء ، وتضلهم المطامع والشهوات وتخـلوا بهم الشياطين ، ويسيطر عليهم ذوو المطامع والأغراض ، فأرسل اليهم الأنبياء والمرسلين على توالى القـرون والعصور ؛ يبينون لهم سبل الرشاد ، ويمـدونهم بالتعاليم التى تقوى عزيمتهـم ويزودونهم بالافكار الصالحة التى يستطيعون أن يهتدوا بهديها ، والتى تساعد على التمييز بين الظلام والنـور ، وبين الهدى والضلال ، وبين الطريق المستقيم والطـريق المعوج الذى يؤدى الى الهلاك والفشل والدمار) ٠ (٢)

١ ـ الارتباط الزمنى والعقائدى بين الانبياء والرسل للدكتور محمد وصفى ، ص ٢٤٧ ٠

٢ ـ نفس المصدر والصفحة ٠

نعود فنقول ان الاسـلام هو الدين الأول الذى ارتضاه الله لعباده منذ أن خلق آدم عليه السلام ، ولعل البرهان القوى على ذلك ماجاء فى قوله تعـالى للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه مبلغا خبر نوح عليه السلام : **(واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون ٠ فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجـرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) (٣)**

وقول نوح (وامرت أن أكون من المسلمين) هو البرهان الساطع على أن من سبقه كانوا مسلمين ، وهو عليه السلام قد أمر أن يكون على دينهم ؛ وأمر أن لايخالفهم فى العقيدة المسلمة التى أرادها الله لخلقه ٠٠ ولم يكن نوح هو وحده الذى أمر أن يكون من المسلمين كالذين سبقوه من المؤمنين بالرسـالة الخالدة ، فمن جاءوا بعده حذوا حذوه ، وكلهم آمن بمثـل ما آمن به ، ومن الأدلة على ذلك ماذكره القرآن الكريم فى قصة ابراهيم عليه السـلام : **(ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسـه ولقد اصطفيناه فى الدنيـا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ٠ اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ٠ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تمـوتن الا وأنتم** مسلمون) ٠ فابراهيم قد اسلم للواحد القهـار ثم وصى بها أبناءه من بعـده أن يكونوا من الذين يبتغون من الدين الذى اصطفاه الله لخلقه من قبل ومن بعد ، ووصى بها يعقوب بنيه كذلك وحذرهم من الموت على غير التسليم لله ٠

وجاء اسماعيل عليه السلام يحمل رسالة الاسلام مع ابراهيم ، ومن بعدهما اسحق ، والاسـباط ؛ ويوسف ، وموسى وانبياء بنى اسرائيل؛ يدل على ذلك

٣ ـ سورة يونس : الآيتان ٧١،٧٢

قوله تعالى : (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون)

ثم جاء داود وسليمان يدعوان الى الاسلام لله ، واعتنق المسيح ؛ سلام الله عليه ، رسالة السماء التى اعتنقها الأنبياء من قبله بدليل قوله تبارك وتعالى : **(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله**

قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) .. ولقد كان هناك قوم ، ممن لم يعاصروا هؤلاء الرسل والانبياء ، على دين الفطرة ؛ واعتنقوها وعاشوا عليها حتى نزول القرآن الكريم ؛ والله سبحانه وتعالى يقول : **(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين .**

وكان من الجن من يعبد الله على التسليم له سبحانه ؛ اتباعا لما أنزل على موسى وعيسى من قبل أن ينزل القرآن ، ثم نزل القرآن على الرسول الكريم حاملا رسالة الاسلام فكان أول من آمن به بالنسبة للوقت الذى كلف فيه بحمل رسالة الاسلام بدليل قوله تعالى : **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا** واليك المصير) (٤) .. وكان من الطبيعى ان يؤمن الرسول بما أنزل اليه من ربه قبل أن يدعو الناس الى الايمان به ، ولهذا أمره الله تعالى أن يؤمن بالاسلام أولا ، ثم يدعو الناس بعد ذلك الى أن يسلموا بدليل قوله تعالى : **(قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين . وأمرت لأن أكون أول المسلمين)** .. ثم قوله : **(قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم . قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) .. يقول الدكتور محمد وصفى :**

(لقد كان الرسول الكريم أول المسلمين بالنسبة للوقت الذى كلف فيه بحمل رسالة الاسلام ؛ والا فهو بالنسبة لاعتناق الاسلام على وجه عام ، ليس بسابق للنبيين والمرسلين فى اعتناقه ، فقد نطق بنفس اللفظ الذى نطق به نوح من قبل كما جاء فى سورة النمل : **(انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين)**

والخلاصة التى نريد أن نخرج بها من كل ماذكرناه عن الأنبياء والرسل ، وخضوعهم لله رب العالمين ، واعلانهم الاسلام له ، والطاعة لأمره ؛ والعمل بالدين الذى ارتضاه ، هى أن نؤكد خلود الاسلام ، فقد كان دين ابائنا واجدادنا ممن سبقونا منذ آدم عليه السلام ؛ وسيبقى دين أولادنا وأحفادنا من بعدنا جيلا بعد جيل الى يوم القيامة ..

وهكذا جاء الاسلام الذى نزل به كتابنا الكريم على لسان نبينا المصطفى والذى آمنا به ولن نرضى غيره بديلا عن اقتناع ويقين ، جاء هذا الاسلام جلاء لدين الفطرة الذى ارتضاه الله من قبل دينا للبشرية على مدى العصور ، فهو اذن وباليقين الدين الخالد الباقى بقاء هذا الوجود كله ، وما بعد هذا الوجود كله الى أن يشاء الله ؛ والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ونحن اذا أمعنا النظر فى كل ماقلناه نجد ان الاسلام الذى هو دين الفطرة هو الدين الذى رسم

الطريق الى الخير والنفع العام ، والى القوة والعزة ، والى الارتقاء والتقدم ، والى التعاون والاخاء ؛ والى العدل والمساواة ، والى عدم التفاضل بالغنى والجاه أو بالمال والجمال ، أو بالعزة والجبروت ، بل الكل يسجد أمام قدرة الحق تبارك وتعالى ، القوى القادر يسألون الغنى الرزاق الذى يعطى مايشاء لمن يشاء ، ويدعون الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته السموات والأرض .. ولكل أمام عظمته قد تساووا فى جميع مايملكون ، لايتميز منهم أحد الا من حفظ دينه : وأحسن عمله ، وصان نفسه .. ومادام هذا هو الاسلام الذى يحقق الكفالة الاجتماعية المطلقة والعدل الشامل فهو يقينا دين الاشتراكية الخالصة التى تهدف الى العدل والمساواة .

واذا ، فالاسلام هو الذى نادى بالاشتراكية منذ أن أوحى الى الرسول الكريم بالدعوة اليه ؛ ومنذ ان بعث به هاديا الى طريق الحق الذى ينتهى السير فيه الى معرفة الله تبارك وتعالى حق المعرفة ، والوقوف على قدرته سبحانه ، والايمان بوحدانيته وعظمته .. واذا ، فالاسلام هو الذى نادى بالاشتراكية منذ أن بعث الرسول مبشرا بالخير الذى يناله الناس من تقوى الله حق تقاته ؛ ومن امتلاء قلوبهم بحب التقرب اليه ومن خشيته ، ومنذ أن جاء نذيرا لمن تسوس لهم نفوسهم بالخروج عما أمر به أو مباشرة مانهى عنه .

ولم تكن دعوة الاسلام الى الاشتراكية كدعوة المفكرين والفلاسفة فى العصر الحديث ، اولئك الذين نظروا الى المذاهب التى سادت العالم منذ أن فكر الانسان فى التخطيط لحياته ، وفى وضع النظم التى تكفل له تحقيق رغباته واحتياجاته ؛ واسس العلاقات التى يجب أن تقوم بينه وبين غيره ممن يرتبط معهم بأنواع مختلفة من المعاملات الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الأدبية أو غيرها .. ولم تكن دعوة الاسلام الى الاشتراكية دعوة لمذهب معين من المذاهب التى يمكن أن يستنبطها الانسان من طريقة الحياة التى يحياها أو تحيط به .. ولم تكن دعوته لاسلوب معين من أساليب العيش ، ولكنها كانت دعوة عامة شاملة تريد تحقيق الخير للبشرية كلها ، ودعوة تضم تحت جناحيها الوجود كله ، وتنادى بالمساواة والعدل على أوسع نطاق يمكن أن يتصوره عقل ؛ أو يحيط به تفكير ، وينضاءل أمامه جميع ماتنادى به جميع الاشتراكيات المنتشرة فى عالم اليوم .. واذا فالاشتراكية فى الاسلام خالدة خلود الاسلام نفسه .

ونستطيع أن نقول بعد هذا كله ، ان الاشتراكية أصيلة فى الاسلام . وجدت معه ، أو هى جزء منه وكل الشعارات التى تنادى بها اشتراكيات اليوم ماهى الا قبس من نوره على ضوئه اهتدت ؛ وأخذت طريقها لمحاولة اسعاد البشرية التى حققها الاسلام فى كل أرجاء العالم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .. ولقد استقر الاسلام على أركان خمسة تحقق الأخاء ، والمساواة ، والعدل ، أو بمعنى آخر ؛ تحقق الاشتراكية التى أرادها الله للبشرية ؛ والتى هى النور لمن يريد العزة ، والكرامة ، والسعادة فى الحياتين .

كتاب عمر بن الخطاب إلى: أبي موسى الأشعري

وما حواه من قواعد أصولية

المستشار عبد الستار آدم

(٢)

في مقالي السابق بهذه المجلة الغراء نشرت نص كتاب عمر ، رضي الله عنه الى القاضي أبي موسى الأشعري .. وشرحت أولى فقراته واليوم أتولى بالشرح والتعليق الفقرات التالية .. وهي قوله ، رضوان الله عليه

« فافهم اذا أدلي اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك (أي ظلمك وجورك) ولا ييأس ضعيف من عدلك ». وابدأ بقوله فافهم اذا أدلي اليك .

أدلي اليك : أي رفع اليك الامر وجيء به اليك .

ويقصد عمر ، رضي الله عنه ، بذلك أن يقول لقاضيه : تنبه الى ما يقوله الخصوم وأحسن فهمه .

ويبدو أن هذا أصل ما يشترطه الاسلام في القاضي - من أن يكون عالما بحيث يعرف الأحكام ومسالكها ووجوه دلالة الألفاظ على المعاني ، وكل ذلك حتى يحسن فهم ما يقوله الخصوم .

أما قوله : فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له فان مراد عمر ، رضي الله عنه ، بذلك التحريض على تنفيذ الحق اذا فهمه القاضي اذ أنه لا خير في قول ان لم يكن له قوة تنفيذية .

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن الخصوم في صدر الاسلام كانوا اذا تنازعوا في حق ذهبوا بأنفسهم الى الحاكم أو القاضي ليعرضوا النزاع عليه ويسألونه أن يقول كلمة الدين فيه. فاذا قالها أذعنوا اليها وسارعوا بأنفسهم الى تنفيذها كأمر ديني واجب الطاعة . ومن ثم فقد كان المتقاضون أشبه بالمستفتين .. ولذلك فلم تكن ثمة حاجة آنذاك الى وضع قواعد ترتب كيفية تنفيذ الأحكام التي يصدرها القاضي .. ولما اتسع الاسلام وتعددت المصالح وكثرت المنازعات دعت الحاجة الى وجوب وضع قواعد لتنفيذ الأحكام ولذلك فقد أمر عمر قاضيه بأن يعمل على انفاذ حكمه .. ولعل ما قاله عمر ، رضي الله عنه ، في هذا الشأن هو قاعدة وجوب تنفيذ الأحكام بالقوة الجبرية .. وهذه القاعدة نص عليها قانون المرافعات رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٩ في المادة ٣٥٢ منه التي يجري نصها كالاتي :

« صورة الحكم التي يكون التنفيذ بموجبها تبصم بخاتم المحكمة ويوقعها الكاتب بعد أن يذيلها بالصيغة التنفيذية ولا تسلم الا للخصم الذي تضمن الحكم عود منفعة عليه من تنفيذه ولا تسلم له الا اذا كان الحكم جائزا تنفيذه » .

وبمثل ذلك قضت المادة ١٨١ من قانون المرافعات المدنية والتجارية الجديد رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ .

هذا ويلاحظ ان هذا القانون الجديد قد خص التنفيذ بعنايته فنص في المادة ٢٧٤ عى تعيين قاض للاشراف على التنفيذ فنصت هذه المادة على أن :

« يجري التنفيذ تحت اشراف قاض للتنفيذ يندب في مقر كل محكمة جزئية من قضاة المحكمة الابتدائية ويعاونه في ذلك عدد كاف من المحضرين » .

كما نصت المادة ٢٧٩ على أن :

« يجرى التنفيذ بواسطة المحضرين وهم ملزمون باجرائه بناء على طلب ذى الشأن متى سلمهم السند التنفيذى » .

أما صيغة التنفيذ المشار اليها فى قانونى المرافعات المنوه عنهما فهى أمر الى المحضرين المطلوب منهم تنفيذ الحكم للمبادرة بتنفيذه وأمر الى النيابة العامة ورجال الادارة والشرطة بان يعاونوا المحضرين على اجراء التنفيذ باستعمال القوة الجبرية متى طلبت منهم المعاونة .. وقد نصت على ذلك صراحة المادة ٢٨٠ من قانون المرافعات المدنية والتجارية الجديد فنصت فى فقرتها الاخيرة على ان الصيغة التنفيذية هى :

« على الجهة التى يناط بها التنفيذ ان تبادر اليه متى طلب منها . وعلى السلطات المختصة أن تعين على اجرائه ولو باستعمال القوة متى طلب اليها ذلك » .

■■

ثم مضى عمر ، رضى الله عنه ، يقول لقاضى البصرة فى كتابه المنوه عنه :

« آس الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

أى سو بين الخصمين عند سماعك اقوالهما فلا تخص احدهما بالبشاشة دون الاخر .

ويقصد أمير المؤمنين بنصيحته هذه ان يتحرى القاضى المساواة التامة والمماثلة الكاملة بين الخصمين ، بالا يرجح احدهما على الاخر بشىء قط ، بل يجب ان يكونا امامه سواء حتى يصل كل ذى حق الى حقه .. وهذا هو ما يسمى بالعدل أو العدالة .

قال تعالى ، وهو أصدق القائلين :

« ان الله يأمر بالعدل » .

وقال ، عز وجل :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا » .

وروى عن النبى ، صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« سو بين الخصمين فى لحظك ولفظك » .

كما قال : صلوات الله وسلامه عليه :

« اذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضى حتى تسمع كلام الاخر كما سمعت كلام الأول فانه أحرى أن يتبين لك وجه القضاء » .

ومن كتاب آخر لعمر أيضا ، رضى الله عنه ، الى عماله فى الأقطار ، طالبا المساواة بين الناس قوله :

« اجعلوا الناس عندكم سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ، اياكم والرشاد والحكم بالهوى وأن تأخذوا الناس عند الغضب ، فقوموا بالحق ولو ساعة واحدة »

ومما يذكر عن عدل القاضى فى صدر الاسلام ومساواته ، المساواة التامة ، بين الخصمين ما روى من أن يهوديا خاصم الامام عليا بن أبى طالب لدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما ، فقال له عمر : قم يا أبا الحسن واجلس أمام خصمك .. ففعل ولكن مع تأثر لاح على وجهه .. ولما انتهت الخصومة قال له عمر :

اكرهت يا على أن تجلس أمام خصمك؟ فقال على ، كرم الله وجهه : كلا ، ولكنى كرهت انك لم تلاحظ المساواة بيننا بقولك لى : يا أبا الحسن .

فانظر الى أى حد يرى الامام على وجوب المساواة بين الخصمين أمام القاضى فكره من أمير المؤمنين أن يناديه بكنيته حين قال له : قم يا أبا الحسن . (والمعروف أن المناداة بالكنية تشير الى التعظيم) .

ومما يروى أيضا فى هذا الشأن أن امرأة أتت الخليفة العباسى المأمون فى ثياب رثة متظلمة من أن ابنه العباس اغتصب ضياعها .. فأمر الخليفة قاضيه يحيى بن الاكثم أن يفصل فى الأمر بينها وبين ابنه .. فنظر فيه فى حضرة الخليفة .. وفى أثناء نظر النزاع ارتفع صوت المرأة على صوت خصمها ، العباس بن المأمون ، فزجرها أحد الحجاب . فقال له المأمون : « دعها فان الحق أنطقها والباطل أخرسه » . وبعد أن حكم القاضى برد ضياع المرأة اليها باشر الخليفة المأمون بنفسه تنفيذ الحكم على ابنه .

وبذلك فقد ضرب الخليفة المثل فى المساواة والعدالة بين الخصمين حتى ولو كان أحدهما ابنه .

هذا ومما يروى عن الامام الشافعى أنه قال :

« ان القاضى ينبغى أن يسوى بين الخصمين فى خمسة أشياء : فى الدخول عليه ، والجلوس بين يديه ، والاقبال عليهما ، والاستماع منهما ، والحكم عليهما » .

ومبدأ المساواة بين الخصوم عند سماع أقوالهم وابداء دفاعهم مبدأ مسلم به فى جميع القوانين .. وقد نصت المادة ١٢٢ من قانون المرافعات المدنية والتجارية رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٩ على الاتى :

« يجب الاستماع الى أقوال الخصوم حال المرافعة ولا يجوز مقاطعتهم الا اذا خرجوا عن موضوع الدعوى او تعدوا على النظام أو وجه بعضهم الى بعض سبا أو طعنوا فى حق أجنبى عن الخصومة »

يراجع فى كل ما تقدم :

١ – كتاب « اعلام الموقعين عن رب العالمين » تأليف العلامة ابن قيم الجوزيه تحقيق السيد الأستاذ الكبير محمد محيى الدين عبد الحميد .

٢ – كتاب « القضاء فى الاسلام بوجه عام » للسيد الأستاذ عطية مصطفى مشرفه .

وفى الاعداد القادمة من هذه المجلة الغراء سأتولى ، باذن الله سبحانه وتعالى ، بالشرح والتعليق باقى فقرات كتاب عمر ، رضى الله عنه ، الى أبى موسى الأشعرى .

والله ولى التوفيق والسداد .

الشباب والمسيرة الطويلة

الأستاذ عبدالحكيم النجار

ان وظيفة الانسان الحقة فى الكون هى العمارة والبناء ، يبنى الانسان نفسه بناء قويا ، لان المؤمن القوى كما تهدف رسالة الاسلام ، خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وأن يسهم فى بنـــاء أفراد مجتمعه كما يتكافل البناؤون فى اعلاء مئذنة .. كالكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ..

ولا شك أن الشباب فى حاجة الى البنـــاء الروحى والاعلاء النفسى والتنقيـــة العاطفية وتوجيه المدارك الى غاية عليـا وهدف سام وقبلة واحدة .. يلتقى عندها النـاس جميعا فى وحدة انسانية ووعاء من العدل والرحمة والمحبة حصين .

واذا كان العالم اليوم يعانى أزمة روحية شـــاقة تتخلل عواطفه ومشاعره فان المسلمين يتحملون عبئا جسيما فى تخفيف هذه الويلات المادية التى ترتنح تحت قيودها وأغلالهـا قوافل البشر .. وذلك لما ائتمنهم الله عليه من ثروة روحيـــة ومعين لاينضب من القيـم والمثـل والقدوة ..

والسلوك والآداب ..

ان « الشباب » فى مجتمعنا الجديد « نقطة الارتكاز » الى أهداف مجتمع المستقبل وهو الامل المنشود فى سبيل تحقيق الحلم الاكبر الذى تترجمـه الثورة الآن الى حقيقـــة حية .. تياهة .. والشـباب كقوة ضاربة فى جسـد التخلف والوهن .. والمتـــاهات الاستعمارية والامبرياليـة من حقــه أن نزوده بالوسـائل الايجابية الى جانب الشعارات الموجهة البناءة ..

مفهوم المسئولية

ان مفهوم « المسئولية » لدى الشباب .. يجب أن يتغيـر يجب أن تتحـــول الى المعنى الواســع .. ان المسئولية .. يجب الا تتوجه الى مضمون الشباب فى حد ذاته .. وانمـا الى الوطن العربى الكبير .

ان الصمود أمام الازمات فى الضيق والسعة على السواء .. والتفانى فى سبيل المجموع .. يجب أن تكون أبرز الاشارات فى طريق الشـباب الطويل الى المجتمع الاسمى .. « مجتمـع الايمان والحياة » .

ان أهم القيـــم الاشتراكية التى يجب أن تحيط باطـار الصورة المضيئة لجهود الشباب .. هى الدين .. والسـلوك والاسلوب .. بالقوى الروحية والايمان بالنصر وبمعنى الفدائية والعمـــل الجماعى والعلم والتطبيق العلمى ..

ومن فضل الله ونعمته علينا أننا نستطيع هنا أكثـر من أى بلد آخر أن نبين تاريخ الاسلام

.. ونستقرىء أحداثه ونتابع دقاته المنتصرة على أبواب العالم .. ولابد أن أضيف أننا نستطيع هنا وفى هذه المرحلة بالذات أكثر من أى فترة أخرى أن نضاعف الجهد .

وان الجمهورية العربية المتحدة تفتح أبوابها لشباب المسلمين من كل مكان ، أبواب الازهر وجامعته ومعاهده ، والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ومجمع البحوث الاسلامية ، وتيسر لهم وسائل العلم والمعرفة والدراسة الحرة .. لطلاب المعرفة وقصاد العبادة

.. ذلك أن مواكب العاملين ترنو الى اثارة من العلم الملهم .. وقبس من النور الروحى لنجدة البشر من ضراوة الصراع المادى الخليط وأثقال المادية الباغية ..

وحدة الامل

أن الشباب الذى خاض المعارك الاسلامية الخالدة ولم ييأس من النصر ، واستعذب الالم فى الكفاح عن الحق فى سبيل اقامة سنن الله وحماية عدله قد سجل اسمه فى سجل الخالدين بالدم والعرق .

فلو عرف شبابنا اليوم أن قوة الايمان حرارة لاتخمدها اكبر العوامل ، وصدق اليقين أعمق من أن تستأصلها قسوة فى سبيل تحقيق النصر ، والمبدأ الصادق أسمى من أن يبدله تعذيب ..

ان الدروس العظيمة التى خرجنا بها من هذه المعارك .. ووحدة الكلمة التى أرهبت الاعداء .. تذكرنى ببطولة « بورسعيد » مدينة واحدة على أرض مصر تحمل عليها أساطيل انجلترا وفرنسا فلا تخضع .

ان شباب العرب فى بقاع الارض تجمعهم اليوم وحدة الامل فى العودة الى الوطن الحبيب ووحدة الثأر للعروبة الجريحة ، وان وجد فى أرض العروبة من يشك فى هذه الحقيقة ليس عربيا خالصا تجرى فى عروقه دماء العروبة التى تشعل نار الثأر والثورة فى الشباب .. الرابض فى القناة وتعطى الثوار قوة تشحذ طاقتهم فى الكفاح

الفكر الثرى

ان الانسان العربى كان فارغا فاذا بالاسلام يملؤه ، ويفيض عليه من جوانبه ، واذا به يمنحه شخصية جديدة .. جدية .. كانت شخصيته القديمة أساسا لها ، ويظل ثلاثا وعشرين سنة مدة البعثة ، فى كفاح مرير ، وعلم مستزيد وتطور مستمر ، حتى ينتهى ذات لحظة الى ما يشبه الكمال وهو الذى تاقت نفسه الى الكمال المطلق بعد أن امتلأ بهذا الفكر الثرى بالاسلام ..

ان الحضارة والمدنية لم تقم أبدا على هذا الانسان المعقد الذى يوجد الآن فى دنيانا ، انما قامت الحضارة أولا — ولن تقوم حضارة بعد .. الا على هذا الانسان البسيط الذى يتميز بروح مؤمنة عالية ..

أما هذه المعطيات التى نسميها حضارة فليست من الحضارة فى شىء مطلقا .. وأما الحضارة فانما تقوم على هذا الانسان البسيط المملوء روحا والمملوء عقيدة والذى يعمل من اجل الله جلت قدرته وعظمت ارادته .

من وحى الروح

انما أريد أن أقول من وحى الاسلام ..

ان سلمان الفارسى كان يعمل فى الخندق ضعف عمل أى مهاجر ، وان عمار بن ياسر ، كان يحمل الحجرين بينما كان أقرانه يحملون الحجر الواحد .. فلم يكن هذا الذى كان يصنع هناك من وحى الاجر والقسر والظلام .. وما كان يصنعه سلمان كان بدافع من روحه ووحى ضميره النقى ليدفع عن المسلمين البلاء وينجح فى رسالته الفدائية ..

وما كان يفعله عمار ، كان من وحى الروح ، ليقيم المسجد ليظل صوت الحق مرفوعا .. يجلجل فى الآفاق ..

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وأنتم ذخيرتنا ومجمع قوتنا .. فطهروا صفوفكم .. ودعموا علمكم بالايمان .. فان الغد قريب .. والشمس ستشرق مرة .. ومرات باذن الله .

من معالم حكم الخلفاء الأول

الأستاذ صلاح عزام

عشت هذه الايام أتلمس المعانى الكبيرة وراء كلمات الخلفاء الاربعة الاول رضى الله عنهم استروح فيها آداب المدرسة المحمدية .. وكيف انهم كانوا على النهج لم يتغيروا .. ولم يبدلوا وانما ثبتوا ونفذوا ..

وكنت أريد فوق ذلك كله أن أعرف معالم الحكم عندهم .. وكيف كان فكرهم ومعرفتهم للولاية ومسئولياتها .

ووجدت الكثير .. الرائع المشرق ، وحرام علي أن أقف وحدى ازاء اللفظات المضيئة ..

و .. لنقرأ بعضها ..

– عندما تولي أبوبكر رضى الله عنه الخلافة .. وقف قائلا :

أيها الناس .. انى وليت عليكم ولست بخيركم .. فان أحسنت فأعينونى ، وان اسأت فقومونى .. الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتي آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل . ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله . فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم .

و .. « والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله .. »

و .. « فوالله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال»

و .. « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يعطونه لرسول الله لقاتلتهم عليه بالسيف .. »

ويحدد الخليفة الثانى خطوط حكمه الرئيسية فيقول :

فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يعتدى عليه حتى أضع خده علي الارض حتي يذعن للحق .

وانى بعد شدتى تلك أضع خدى على الارض لاهل العفاف وأهل الكفاف

ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها ..

لكم على الا أجتبى شيئا من خراجكم وما أفاء الله عليكم الا من وجهه . ولكم على اذا وقع فى يدى ألا يخرج الا فى حقه . ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم ان شاء الله تعالي وأسد ثغوركم .

ولكم علي ألا أبعثكم فى المهالك .. واذا غبتم فأنا أبوالعيال حتى ترجعوا اليهم

فاتقوا الله وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى ، وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحضارى النصيحة فيما وليت من أمركم .

و .. « بئس الوالى ان طعمت طيبها وتركت للناس عظامها .. »

و .. يخاطب الناس من الامصار يوما فيقول .. « ايها الناس انى والله لابعث عمالي اليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى هذا فليرفعه الي ، والذى نفسى بيده لامكننه من القصاص .. »

و .. « انى حريص على أن لا أدع حاجة الا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض فاذا عجزنا تآسينا فى معيشتنا حتى نستوى فى الكفاف .. »

و .. يأتى على بن ابى طالب .. رضى الله عنه ويملأ الدنيا بقواعد حكم خالده من المدرسه المحمديه رغم كل الظروف التى عاشها حوله .. ولم ينس لحظة أنه أمام معلم فى الوقت الذى هو فيه حاكم خليفة .. ولذا يقول للمسلمين ذات يوم

تعلموا العلم تعرفوا به .. واعملوا تكونوا من أهله .. ألا وان الدنيا قد ارتحلت مديرة .. وان الاخرة قد أتت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون . فكونوا من أبناء الاخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا وان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا .

ألا وان من اشتاق الى الاخرة سلا من الشهوات ، ومن أشفق رجع عن المحرمات . ومن طلب الجنة سارع الى الطاعات . ومن زهد فى الدنيا هانت عليه مصائبها .

الا وان لله عبادا شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة .. أنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة . صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة . اذا رأيتهم فى الليل رأيتهم صافين أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون الى الله فى فكاك رقابهم .

وأما نهارهم حلمـاء ، بررة أتقياء كأنهم القداح ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بهم من مرض ولكنه الأمر العظيم .

وعندما يطلب منه السماح لأصحابه بسبب خصومهم مثلما يفعلون يقول « كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانين ولكن قولوا ــ اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم . وأهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوى عن الغى من لج به

ويقف ذات يوم وسط جنده فيقول « لا تتبعوا مواليا .. ولا تجهزوا على جريح .. ولا تنهبوا مالا . ومن ألقى سلاحــه فهو أمن . ومن أغلق بابه فهو أمن .. »

.. ومرة أخرى يحدد الامام اداب الحرب والقتال فيقول « لا تقاتلــوا القوم حتى يبدءوكم فانكم بحمد الله على حجــة .. وتركهم اياهــم حتى يبدءوكم حجــة أخرى لكم عليهم فاذا قاتلتموهم فهزمتموهم ...

فلا تقتلوا مدبرا .. ولا تجهزوا على جريح .. ولا تكشفوا عورة .. ولا تمثلوا بقتيل .

فاذا وصلتم الى رحالهم فلا تهتكوا سترا ، ولا تدخلوا دارا الا باذن ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ..

و .. لا تقربوا النسـاء بأذى وان شتمنكم وشتمن أمراءكم وصلحاءكم .. واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون

وقبل هذا كله .. ويوم ولى أمــر المسلمين ..

قال رضى الله عنه فيما قــال : أأقنع من نفسى بأن يقال أمير المؤمنين ثم لا أشارك المؤمنين مكاره الزمان ؟

والله لو شئت لكان لي من صفــو هذا العمل ولباب هذا البر ومناعم هذه الثياب ، ولكن هيهات أن يغلبنى الهوى فأبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى ..

ومعالم كثيرة .. تركها لنا الخلفاء الاول .. تلاميـــذ الرسول العظيم المخلصين .. ما أحوجنا كما أقول دائما أن نعرفها . وان نقدمها لكل أتباع النبي صلى الله عليه وسلم .

رجال

كان المساء شــاحبا حزينا بعد أن اختلفت حمرة الشفق خلف قنن الجبال التى تحيــط بأرباض المدينـــة ، وكان القمر فى أخريات مطالعه لم يضىء جبينه بعد صفحة الأفـــق ، وكانت تسرى فى سكون الليل همهمة غامضة توحى بأن شيئا ما يحدث فى هذه الأثناء ، وقــد غلقت أبواب البيــوت ، وانقطع سير السابلة فى طرقات المدينـــة ومسالكها ، وأخذ الكرى بمعاقد الأجفان ، وطافت الأحلام بالنوام الا من أربعة رجال كانوا أيقاظا فى مسجد المدينة يحيطون بجثمان مسجى على سريره ، وبعـد أن جهزوه وصلوا عليه انزلوه فى هــدأة الليل الى الحفرة التى احتفروها بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووسدوا رأسه الى كتف الرســول ، ثم أهالوا عليــه التراب . وخــرج الأربعة من المســجد يلفهم ظلام الليل دون أن يدرى غيرهم من سكان المدينة أن خليفــة رسول الله أبا بكر الصديق قــد ووري التراب فى هذه الليلة .

ثلاثة من هـــؤلاء قد مضى كــل منهم الى داره يلتمس حظا من الراحة والنوم . هم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن أبى بكر ... أما الرابع فخرج من الحفرة ينفض يديه ويزيل أثر التراب عن ثيابه ، وعاد الى داره لا كما عاد الآخرون يلتمس النــوم والراحة ، أو ينشد الدعة والهدوء ، بل ليواجه أخطر التبعات التى ألقيت على عاتقه منذ تلك الليلة .. هذا الرابع هو الخليفة الجديد عمر بن الخطاب ، الذى استخلفه أبو بكر وهو على فراش المرض واختاره لرعاية أمور المســلمين فى أدق ساعات التاريخ وأحرجها !!

عاد عمر الى داره بعد أن أدى واجبه نحو ســلفه العظيم أبى بكر ، ووارى جثمانه ، عاد ليظل طول الليل ساهرا لم يغتمض له جفن ، يقلب الأمور على مختلف وجوههـــا ، ويفكر فى مصــير الشعوب الاسلامية التى ألقى أبو بكر مقاليدها بين يديه ، ووضع تبعاتها على كاهله .

وأخذ عمر فى هذه اللحظات يذكر مــا أحاط اســتخلافه من تذمر البعــض ، وانكارهم ذلك عــلى أبى بكر ، ومرت بذاكرته كل الظروف التى واجهها أبــو بكر حين ابتدر أصحاب الشورى بهذا الخاطر ، فهو يذكر ان أبا بكر حين اشتد به الوجع ، وأشفى على الموت ، خشى أن يترك الأمر دون أن يستخلف من ينهض بأعباء الموقف من كبار الصحابة ، وكان أبو بــكر حريا أن يترك الأمر كمــا تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهــل الرأى من صحابته يختارون من يشاءون ولكن الصورة القاتمة لاختلاف الأنصار والمهاجرين فى سقيفة بنى ســاعدة كانت تؤرقه فى مرضه وتزيد من وجعه ، فرأى أن يجنب المســلمين مــرارة الخلف ، وبخاصة بعد أن اتسعت رقعة الدولــة الاسلامية ، وترامت أطرافها ، ولم يعد الخلاف محصورا أمــره بين المهاجرين والأنصار أو ذر قرن الفتنــة ، واندلعت نيرانها ، فكان أخشى ما يخشاه الصديق أن يترك الأمر دون أن يبت فيه ، فيتفاقم الخــلاف ، وتتعثر فى حبائلــه الدولة الناهضة ، التى لهذت لتنــاجز أقوى

صناع التاريخ

الأستاذ محمود الهجرسى

دولتين فى العالم ، فيكون هذا الخلاف بداية النهاية لهذه الدولة الاسلامية .

وعمر يذكر أن أبا بكر حين وضحت امامه المسالك ، واقتنع بفكرته ورأى أن يجمع كلمة المسلمين على خليفة يتولى شئونهم من بعده ، أصبح فدعا اليه عبد الرحمن بن عوف ، فسأله عن عمر ؟ فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ، ولكن فيه غلظة !! فقال أبو بكر . ذلك لانه يرانى رفيقا ، ولو أفضى الأمر اليه لترك كثيرا مما هو عليه ، ويا أبا محمد لقد رمقته فرأيته اذا غضبت على الرجل فى الشىء أرانى الرضا عنه ، واذا لنت له أرانى الشد عليه ، وانصرف عبد الرحمن ، ثم دعا من بعده عثمان بن عفان ، فسأله عن عمر ، فقال عثمان . اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله ، ثم انصرف عثمان ودعا الصديق بعده جمهرة من المهاجرين والأنصار ، وعلى رأسهم أبو بكر سعيد ابن زيد وأسيد بن حضير يشاورهم فى هذا الأمر ، وسمع بعض الصحابه عما يقوم به الصديق من المشاوره فى استخلاف عمر ، فاشفقوا من غلظة ابن الخطاب وشدته أن يفرق ذلك كلمة المسلمين ، فاجتمع رأيهم على أن يهيبوا بالخليفه ليرجع عن عزمه ، وتكلموا فى ذلك الى طلحة بن عبيد الله الذى استأذن لهم فى الدخول على أبى بكر ، فدخلوا عليه ، وتكلم عنهم طلحة فقال : ماذا تقول لربك اذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه ، فكيف به اذا خلا بهم بعد لقائك ربك ؟؟ عند ذلك غضب أبو بكر ، وصاح بأهله . اجلسونى ، فلما أجلسوه قال وهو يكاد يتميز من الغضب : ابالله تخوفونى ! خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول اللهم انى استخلفت على أهلك خير أهلك ، ثم اتجه الى طلحة فقال له : أبلغ عنى ما قلت لك من وراءك !!

ويذكر عمر أن الصديق قضى ليله بعد تلك المشاورة مؤرقا ساهرا ، فلما أصبح دخل عليه عبد الرحمن بن عوف فبادره الصديق بالحديث فى هذا الأمر الذى أرقه وأسهره ، فقال . انى وليت أمركم خيركم فى نفسى ، فكلكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون له الأمر دونه ، وخشى عبد الرحمن بن عوف أن يضاعف هذا الغضب من علة أبى بكر فقال له : خفف عليك رحمك الله فان هذا يهيضك انما الناس فى أمرك بين رجلين ، اما رجل رأى ما رأيت فهو معك ، واما رجل خالفك فهو مشير عليك ، وصاحبك كما تحب ، ولا نعلمك أردت الا خيرا ، ولم تزل صالحا مصلحا !!

وخشى أبو بكر أن يبلغ هذا الخلاف عامة المسلمين فيتفرقوا شيعا وأحزانا ، فلما كان الصباح أشرف على الناس بالمسجد من حجرة فى داره ، وخاطبهم قائلا : أترضون بمن أستخلف عليكم ، فانى والله ما ألوت من جهد الرأى ، ولا وليت ذا قرابه ؟؟ وانى قد وليت عمر ابن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ، وأجاب الناس : سمعنا وأطعنا .. عند ذلك رفع أبو بكر يديه الى السماء وقال : اللهم انى لم أرد بذلك الا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم ماأنت به أعلم ، واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم ، وأقواهم عليهم ، وأحرصهم على ماأرشدهم ، ولما سمع الناس ذلك ازدادوا اطمئنانا لما صنع ..

استعرض عمر فى هذه الليلة كل هذه الأحداث التى صاحبت استخلافه ، واستعرض أيضا ما جرى بينه وبين أبى بكر حين دعاه بعد ذلك ، وعهد اليه ، وذكره بما يجب عليه من تحرى الحق ، وبأن الله ذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا لا يثنى على الله غير الحق ، فان فعل لم يكن غائب أحب اليه من الموت يحاسبه الله بعده فيثيبه عن الحق واتباعه ، ثم أوصاه بأن يتابع الحرب فى العراق والشام ، وأن يندب الناس لها من غير فتور أو تردد ، وقال فيما قاله له . اسمع ياعمر ما أقول لك ثم اعمل به ، انى لارجو أن أموت من يومى هذا ، فان انامت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وان تأخرت الى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ، وان فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد الى العراق ، فانهم أهله وولاة أمره وحده ، وهم أهل الضراوة بهم والجرأة عليهم . وفى هذه اللحظات التى أخذ فيها أبو بكر بيد عمر يوصيه وود عمر لو أنه خرج من هذا الأمر الذى ألقى على عاتقه ، وود لو أن الصديق برىء من مرضه ليواجه أدق المواقف فى تاريخ الاسلام والمسلمين .

تلك هى الصوره التى عاش فيها عمر تلك الليلة بعد أن نفض يديه من تراب أبى بكر بعد دفنه ، عاد وحده الى

داره ليعيش أحرج الساعات التى عاشها فى سنى حياته الحافله بجلائل الأعمال ، وليظل طول الليل غارقا فى تاملاته ، سادرا مع خواطره !!

ترى بماذا يستقبل عامة المسلمين خلافته اذا أصبح الصباح ، وبدأ يباشر مهام الخلافه ؟ وعن أى شىء سينكشف مستقبل هذه الأمة ، التى اندفعت الى حرب ضروس ضد أكبر ممالك العالم ، ووقفت جيوشها على مفترق الطرق فى أرض الشام والعراق ؟؟

كان عمر يدرك فى تلك اللحظات أن جيوش المسلمين بالشام قد وقفت جامدة لا تريم أمام قوات الروم ، وظلت على جمودها فترة طويله استبد فيها القلق بأبى بكر ، فاستنجد بخالد بن الوليد وجيشه وهو بالعراق ، لينسى الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد .. ومع ذلك فقد وصل خالد الى الشام ، ولم يرد على المدينة ما يطمئنها على مصير المعركة مع الرومان ، أو يبعث الأمل فى نفوس أهلها .

وكان عمر يدرك فى تلك اللحظات أيضا أن جيش العراق قد تراخت عزائمه حين فصل خالد بجيشه من العراق وسار الى الشام ، وأن خروج خالد بجيشه قد أشاع الانتقاض على جيوش المسلمين بالعراق ، ودفع بالكثيرين الى شق عصا الطاعة فى كثير من البلاد التى فتحها خالد ، ولم يستطع المثنى ابن حارثة أن يحتفظ بكل ما فتحه المسلمون من سواد العراق فارتد الى الحيره وتحصن بها ، وها هو ذا المثنى ابن حارثة يحضر بنفسه الى المدينة بعد ان تحرجت الأمور فى العراق ، ليضع الأمر كله بين يدى أبى بكر ، فاذا بأبى بكر يودع دنياه ، واذا بعمر يواجه هذا الموقف الجديد كما يواجه غيره من المواقف المختلفه .

لقد باتت الأنظار كلها تتطلع الى عمر .. ماذا هو صانع فى هذه الخطوب المدلهمة ؟ أيترك جيوش المسلمين فى الشام تلاقى مصيرها على أيدى الروم بعد أن توالت الأنباء بأن المعسكرين يقفان باليرموك وجها لوجه دون أن يجرؤ أحدهما على الالتحام بالآخر ، وأن جموع الروم أضعاف أضعاف جيش المسلمين ؟ وماذا يقول للمثنى بن حارثة حين يطلع الصباح وهو خليفه المسلمين والمسئول عن جيوشهم المحصورة بالحيرة ؟

وجاءت الساعة الموعودة ، وطلع على الناس صباح جديد ، وخرج عمر الى المسجد فخطب الناس وقال . أيها الناس ما أنا الا رجل منكم ، ولولا أنى كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت أمركم .. ثم قال : ان الله ابتلاكم بى وابتلانى بكم،وأبقانى فيكم بعد صاحبى فوالله لا يحضرنى شىء من أمركم فيليه أحد دونى ، ولا يتغيب عنى فآلو فيه عن الجزء والأمانة ، ولئن أحسنوا لاحسنن اليهم ، ولئن أساءوا لانكلن بهم .. ثم اتجه ببصره الى السماء ، وقال . اللهم انى غليظ فلينى ، اللهم انى ضعيف فقونى ، اللهم انى بخيل فسخنى !!

سمع الناس كلام عمر ، فتأثرت به نفوسهم، ورقت قلوبهم ، وأقبلوا جميعا على البيعة ، وبعد أن فرغوا من ذلك التفت اليهم فندبهم للذهاب الى العراق مع المثنى ، وذكر لهم وصية أبى بكر فى ذلك .

لم يستجب الناس لدعوه عمر ، ولم يتقدم أحد للذهاب مع المثنى .. فقد كان موقف جيوش المسلمين بالشام يبعث على القلق ، وفى الجانب الآخر جيوش تناجز دولة الفرس ، وقد ارتدت أمام الفرس الى الحيرة ، وللفرس فى نفوس العرب من قديم الزمان مكانة مرهوبه .. لذلك نظر الناس الى بعض حين فرغ من كلامه وتقاعسوا عن النهوض مع المثنى .

عاد عمر الى بيته ليفكر من جديد كيف يندب الناس الى العراق ، وكيف يسوسهم سياسة تجنبهم التخاذل والاستخذاء ، فاصدر أمره برد سبايا أهل الردة الى عشائرهم ، حتى يتألف بذلك قلوب العرب من شتى القبائل فيهرعون مع المثنى الى العراق ، وقابل الناس هذا الأمر بالدهشة والاستنكار ، لان أبا بكر أباح هذا السبى للمحاربين فى جيوش الردة . فكيف يخالفه عمر ؟؟ ولكن عمر كان يدرك دقة الموقف اذ ذاك، وألا سبيل الى جمع كلمة العرب لمقاتلة الفرس والروم الا بذلك ، فلم يبال انكار القوم ودهشتهم ، ورأى أن الموقف يحتاج الى شىء من الحزم والشدة ، فجمع الناس فى المسجد ، وخطبهم قائلا : بلغنى أن الناس هابوا شدتى ، وخافوا غلظتى ، وقالوا : قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله بين اظهرنا ، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه،فكيف وقد صارت الأمور اليه ؟ ومن قال ذلك فقد صدق . اننى كنت مع رسول الله فكنت عبده وخادمه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله بالمؤمنين رءوفا رحيما،فكنت بين يديه سيفا مسلولا حتى يغمدنى أو يدعنى فامضى ، فلم أزل مع رسول الله حتى توفاه الله وهو عنى راض ، والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به اسعد . ثم ولى أمر المسلمين أبو بكر ، فكان من لا تنكرون دعته وكرمه ولينه،فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدته بلينه ، فأكون سيفا مسلولا حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى ، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عنى راض ، فالحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد . ثم انى قد وليت أموركم أيها الناس ، فاعلموا أن تلك الشده قد أضعفت ، ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين ، فاما أهل السلامه والدين والقصد فانا أمين لهم من بعضهم لبعض ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الارض ، وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن بالحق وانى بعد شدتى تلك أضع خدى على الأرض لأهل العفاف ، وأهل الكفاف ، ثم ختم خطبته بانه سيرعى حقوقهم ، ويزيد فى أعطياتهم ، اعانوه على ذلك الأمر .

أدرك الناس بعد هذا الكلام العنيف الصارم ، أنهم أمام ارادة لا تقهر ، وان لا سبيل أمامهم الا الطاعه والخروج الى ميادين الحرب والاستشهاد هنا وهناك ، فاقبلوا يستبقون الخروج مع المثنى ، وعلى رأسهم أبو عبيد عمرو بن مسعود الثقفى ، الذى كوفىء على استباقه لهذه الدعوة بتولى امارة جيش المسلمين

وفى ظل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صنعت جيوش المسلمين وقادتهم الأعاجيب وانساحت الامبراطوريه الاسلاميه فى ظلال سيوفهم شرقا وغربا ، ووقف العالم مبهورا أمام هذه المعجزات .

وحدة التشريع والقضاء في البلاد العربية

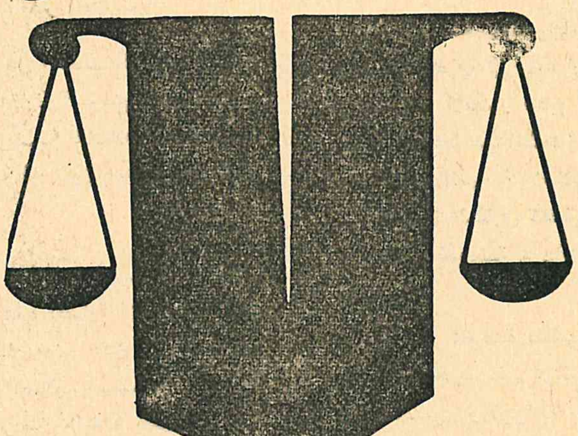

الأستاذ محمود كمال

(٢)

تكلمنا فى المقال السابق ، فى ايجاز على أن هذا الموضوع له أبعاد سياسية وتاريخية واجتماعيــة ، وأشرنا الى الناحيه السياسيه ، ثم قلنا ان الـكلام على الأبعاد التاريخيه والاجتماعيه يجب أن يكون مسـبوقا بالـكلام على (١) خصائص البلاد العربية و (٢) خصائص الشريعة الاسلامية كتشريع اسـلامى ، وكتشريع مقارن .

وقد أبدينا ما لدينا ، بما يتسع له مقال فى مجـلة ، عن خصائص الامـة العربيه ، وخصائص الشريعه كتشريـع اسلامى .

وبقى أن نتكلم عن خصائصها كتشريع مقـارن ، ثم عن النواحى التاريخيـة والاجتماعيه .

وفيما يلى مقارنة اجمالية سريعة ، فى سطور قليلة ، عن المبـادىء المؤسسة عليها أحـكام الشريعه الاسـلاميه ، والمبادىء التى تقـوم عليها القـوانين الوضـعيه عامه . ومن ذلك .

(١) أحكام الشريعة الاسلامية دينية ودنيوية ، بمعنى أنها تتكفل بالعقيـدة والايمان ، وبالعبادات من صـلاة وصوم وغيرهما ، كما تتكفل بالاخـلاق ، وتحث على الاستمساك بالفضيلة فى كل صورها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم هى تعنى ، أتم عنايه ، بالمعاملات بين الناس من بيع وشراء ، وغير ذلك ، وبالحفاظ على أمن الجماعه ، وعـلى أمـوالهم ، وأعراضهم . كمـا تعنى بتنظيم الاسرة ، وبالأحوال الشخصيه جمله كالزواج ، والطلاق .

أما القوانـين الوضـعية فتنصرف انصرافا كليا الى المعامـلات والعلاقات الدنيوية ، من بيع وشراء وحفـاظ على الأمن والأموال ، وأمثال ذلك ، ولا تعنى أى عناية ، بشىء من الروحانيـات . ولا تنظر الى الأخلاق والفضـائل الا نظـرة مادية محدودة .

(٢) المخالفات التى تقع ضد القوانين الوضـعية لا رقابه عليهـا اذا أفلت مرتكبها بوسيله من الوسائل ، أو نجـا من العقوبه ، بطريقه من الطرق ، أما الأحكام الشرعية فعليها رقيب عتيد لا يفلت من عقابه على مخالفتهـا ، سرا أو جهرا ، أى أحد من الناس ، لان الله ، سبحانه وتعالى ، يعـلم خائنة الاعين وما تخفى الصـدور ، وهـو بـكل شىء محيط .

(٣) أصول الأحكام الواردة فى التنزيل الحكيم كلها أصلية أبدية ثابتة ، لاتقبل أى تغيير فيها ، ولا يدخل عليهـا اى تعديل ، اذ القرآن الـكريم لا يخطىء ، لأنه من عند الله ، وليس من وضع البشر أما القواعد الفرعيه والجزئيه المستمدة من هذه الأصول والتى أجيز لولاه الأمور اصدارها حسبما تقتضـيه التطورات الاجتماعيه فى بيئة من البيئات ، فى زمن من الأزمان ، فهـى التى تقبـل اجراء التغييرات والتعديلات فيها ، لكى تكون صالحة لكل زمان ومكان ، ومن مصادرها الاجماع ، والقياس ، والاستحسان .

وقد سبق تعـريف كل من هـذه المصادر ، ويجب أن نلاحـظ أن اجماعا يلغى اجماعا سابقا كلما حدثت تطورات تستدعيه وأما أحكام القوانين الوضعية ونصوصها فكلها قابلة دائما لادخال أية تغييرات أو تعديلات عليها حسب تطورات البيئـات والحـالات الاجتماعيـة ، والضرورات الزمنيه .

هذا فضلا عن أنه قد يشوبها نقص أو خطـأ أو قصـور فى صياغتها ، ومدلولاتها ، بل قد يحدث انحراف فيها هى نفسها بسبب مؤثرات معينة ، أو مقاصد غير سليمة يقـع المشرع نفسه تحت تأثيرها عند قيامه بوضعها أو عند صياغتها .

ومن الأمثله على ذلك أنه قـد يحدث أن تكون بعض النصوص منقـولة عن تشريعات أجنبية نقلا غيـر مراعى فيه عادات وتقاليد البلد المنقولة اليه ، بل

قد تجيء هذه النصوص متعارضة مع هذه التقاليد والعادات تعارضا واضحا غير مستساغ ، وقد يوضع النص المنقول فى صيغة مؤدية غير المعنى الذى كان المشرع يقصد اليه عند النقل ، بسبب قصور فى العبارة أو فى التعبير من هذا المعنى .

وقد يحدث ان يتعمد المشرع الانحراف عن الجادة ، كما فى حالة ما اذا كان أجنبيا ومن اهدافه ، مثلا ، العمل لمصلحة دولة مستعمرة ضد مصلحة البلد الواقع تحت سيطرة الاستعمار

(أ) وقد استعرض الاستاذ على على الشريطى المحامى بعض وجوه المقارنة بين الشريعة والقانون ، فى مقال منشور بمجلة المحاماة جاء فيه « أحكام الشريعة كليه تتناول كل ما تتناوله القوانين الوضعية من تنظيم شئون الناس فى معايشهم وارتباطاتهم القانونية، وتقرير الأمن ، ودفع الظلم ، وتطهير الأرض من الفساد بالقدر المستطاع على حسب الاستعداد البشرى ، ويزيد المشرع الاسلامى على تلك القوانين بما يهذب النفوس ويزكيها ، ويحفظ العقل البشرى ويصونه ، فانك على حين تجد القوانين الوضعية تقف عند حدود تنظيم الحياه المادية ، وتترك كل انسان حرا طليقا فى شئونه الخاصة التى لا تضر بغيره الا فى حالات خاصة تقضى بها الظروف أحيانا ، تجد المشرع الاسلامى يسرى بروحه الطيبة ، وما احتواه من الأخلاق الانسانيه العاليه ، والفضائل السامية ، ومراقبة الانسان ربه فى كل اعماله وحركاته وسكناته ، سرا وجهرا ، وفى جميع نصوصه بما يسمو بالانسان الى حياة روحية سامية تليق بمستواه الإنسانى فوق حياته المادية ، وبذا يكون انسانا كاملا تربطه بغيره المودة والرحمة والاحسان فوق العدل ، وترى فى معاملاته مع غيره روح التسامح والأخوة والعطف والمحبة ، لذا كان مضموناً للشرع الاسلامى بمقتضى طبيعته تلك التى بيناها أن يكون شرعا أبديا عاما ، لأن الناس مهما ابعدهم الأهواء عنه فهم عائدون اليه عود الطفل الى أمه الرءوم، متى أحسوا بسوء ما صاروا اليه ، وتبين لهم الخطأ فى انحرافهم عنه »

(ب) ويقول المرحوم الدكتور على بدوى « ان التشريع الاسلامى له استقلاله عن غيره من التشريعات القديمة وانه يفوق ، فى كثير من النواحى ، غيره من التشريعات الحديثة ، ومن ذلك نظام الحسبة ، وهى وظيفة اجتماعية قانونية اسلامية تقابل وظيفة النيابة العمومية الآن ، ونظام العقاب بالتعزير ، وهو ترك تحديد العقوبة نوعا ومقدارا للقاضى فيحكم بما يراه تبعا لما يراه فى ظروف الجريمة ، وحالة المجرم ، ونفسيته ، وهو نظام يمتاز به الفقه الاسلامى ، وينادى به كبار العلماء فى القانون الجنائى فى العصر الحديث »

(ج) ويقول الأستاذ ليفى اولمان ، أستاذ علم مقارنة الشرائع بجامعة باريس « ان الشريعة الاسلامية بها كنوز وثروة علمية قد تكون هدى ونورا للعالم أجمع »

وقد لا أتجاوز الصواب اذا أنا فهمت من هذه العبارة أن الاستاذ ليفى أولمان يقصد معنى يفيد أن مبادىء التشريع الاسلامى صالحة لان تكون مبادىء تشريعية عالمية ، يمكن لكل أمة من الأمم أن تستمد منها قواعد قانونية صالحة تتفق مع متطلبات الحياة فيها

(د) ويقول الدكتور أزيكو أنسابانو « ان الاسلام اذا كان محدودا غير متغير فى شكله يتمشى ، بالرغم من ذلك ، مع مقتضيات الحاجات الظاهرة ، فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل ، فى خلال القرون ، ويبقى محتفظا بكامل ماله من قوة الحياة والمرونة ... (ولا يجوز) أن تهدم الخلافة هذا الهيكل العظيم من العلم الاسلامى ، أو أن تغفله، أو أن تمسه بسوء ، فهو الذى أعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتا ، وشريعته تفوق فى كثير من تفاصيلها الشرائع الأوربية » .

هذا وقد قرر جهابذة علماء القانون فى المؤتمر الدولى للقانون المقارن المنعقد بلاهاى سنة ١٩٢٧ أن الشريعة الاسلامية تنطوى على المبادىء القانونية عند أعرق الأمم فى المدنية والحضارة ، وأنها تمثل مدنية وحضارة عظمى ، لذلك قرر المؤتمر جعلها مصدرا من مصادر القانون المقارن » .

الناحية التاريخية :

منذ أربعة عشر قرنا ، حين ظهر الاسلام وعم الجزيرة العربية ، قامت فى تلك البلاد وحدة تشريعية كاملة دان لها عرب هذه الجزيرة جميعا .

وبداهة فان التشريعات التى سادت تلك البلاد ، حينذاك ، مستمدة من الاحكام القرآنية ، ومن السنة المحمدية على التفصيلات التى سبق أن أبديناها من قبل فى مقالات سابقة .

وما أن اتسعت الفتوحات الاسلامية، واستتب العرب فى الأمصار المفتوحة ، ودانت تلك الأمصار للدين الجديد ، الذى أخرجها من الظلمات الى النور حتى سادتها الشريعة الاسلامية، فاصبحت هى القانون السارى المطبق فى المسائل والمشاكل الدينية ، والدنيوية ، على سواء .

ولم تكن الوحدة التشريعية فى تلك العصور قاصرة على قوانين الاحكام والاصول والاجراءات « وانما كانت تشمل كذلك نظام القضاء ، وتعيين القضاة ، فكان القاضى فى أحد الاقاليم يعين من اقليم آخر » ، فى كثير من الاحيان .

وما زالت الشريعة هى السائدة فى البلاد الاسلامية كلها ، حتى فى تلك الأزمان التى كانت فيها بلاد الشرق الاوسط مقسمة الى شطرين « ٥٥٩ — ٥٦٤ هـ » شطر يتبع الخلافة العباسية القائمة فى بغداد ، وشطر يتبع الخلافة الفاطمية القائمة فى مصر .

هذا بخلاف أن الاندلس كان خلافة اسلامية قائمة بذاتها منفصلة عن الدولتين العباسية والفاطمية ، وكانت الشريعة مطبقة فيها كذلك .

وقد ظلت الشريعة هى قانون تلك البلاد جميعا ، ولكنها لم تقنن فى عهد من العهود الى أن قامت الخلافة العثمانية بتقنينها ، تقنينا جزئيا ، فقننت الاحكام المتصلة بالمسائل المدنية فى « مجلة الاحكام العدلية فى التشريع المدنى » ،

وطبقت هذه الاحكام فى البلاد العربية عدا « مصر وتونس والمغرب العربى » ، واستمرت الوحدة القانونية فى العراق ولبنان وسوريا والاردن وفلسطين واليمن والحجاز وليبيا الى ما بعد انهيار الدولة العثمانية سنة ١٩١٨ ما عدا ليبيا التى احتلها الطليان سنة ١٩١٢ » .

كما قام المرحوم « قدرى باشا » ، فى مصر ، بتقنين بعض الاحكام الشرعية فى كتابه « مرشد الحيران فى المعاملات والأحوال الشخصية والوقف » ومايزال هذا الكتاب مرجعا هاما .

فالوحدة القانونية فى البلاد العربية وحدة أصيلة ، عريقة ، تمتد جذور أصالتها وعراقتها الى قرون بعيدة ، وقد لا نجد وحدة مماثلة لها فى ذلك فى أى بلد آخر من بلاد العالم .

ثم لقد دارت الأيام دورتها التى لا مفر منها ولا مناص ، وعملت « حتمية التاريخ » عملها الذى تقتضيه طبيعة الاشياء فى الحياة الدنيا ، فتسربت عوامل الضعف الى تلك البلاد ، فانشب الاستعمار اظافره فيها ، فتفرقت كلمتها ، وانفصلت بعضها عن بعض جغرافيا ، واتخذت كل واحدة منها سبيلها فى مناحى الحياة ، وفى النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، واختلفت وسائل الحكم فيها ، ولم يكن بد ، وهذه هى الحال ، من أن ينفرط عقد الوحدة القانونية ، كما انفرط عقد الوحدة السياسية ، فتلجا كل منها الى النظم القانونية السائدة فى الدول المتحضرة بمقاييس العصر ، فتقتبس منها ما شاءت لها ظروفها الخاصة أن تقتبس من احكام وتشريعات .

وبداهة فان هذه الاحكام والتشريعات الماخوذة او المنقولة عن بلاد أجنبية لا يمكن ان تكون متطابقة ، فى الاغلب الأعم ، مع الشريعة الاسلامية ، ولا موافقة لها .

ومع ذلك ، ورغم القوى الاستعمارية الظاهرة والخفية ، الساعية دائما ، الى الفرقة لكى تسود هى ، فان الأمور فى البلاد العربية تسير ، بعد أن نالت تلك البلاد استقلالها ، وتحت تاثير عوامل القومية ، ووحدة المشاعر ، وتقرير المصير ، نحو التقريب فيما بينها ، بعضها وبعض ، فى التشريعات والاحكام القائمة أو التى تقوم مستقبلا ، اذ اخذت الواحدة منها تقتبس من شقيقاتها ما يلائم ظروفها من القواعد القانونية ، والأصول التشريعية ، ومثال ذلك (أ) أن سوريا وليبيا أخذتا القانون المدنى المصرى اخذا كاملا (ب) واخذه العراق بشىء من التعديل لا يمس جوهر مبادئه وقواعده

مع أن هذا التوحيد فى التشريع المدنى بين هذه البلاد وبين مصر قد هدم أوضاعا كانت قائمة فيها منذ زمن طويل .

والواقع أن هذا التقارب فى الأحكام والتشريعات الذى بانت بوادره ، وتبدت بشائره ، لم يحدث عفوا ، ولكنه قام على أسس سياسية واقتصادية . لها اعتبارات وتأثيرات دافعة قوية ، فمن ذلك أن تلك الدول اذ نالت استقلالها ، بعد جهاد عنيف ، ومجهودات جسيمة شاقة ، امتدت ببصرها الى استعادة وحدتها الشاملة التى اجتمعت عليها ، على مدى التاريخ الطويل منذ أن أفاء الاسلام عليها ، وأظلها بظله الظليل ، ثم تاقت الى جنى ثمار هذه الوحدة المأمولة ، تستمد منها الخيوية الدافقة ، والقوة الدافعة ، التى كانت تستمتع بهما منذ تلك الأزمان الغابرة ، لكى تتبوأ مكانها بين أعظم الامم حضارة ومدنية ورقيا ، ثم فطنت الى أنها لن تردع تلك المعوقات التى يغرسها الاستعمار فى طريقها الى غاياتها المنشودة ولن تقضى على آماله ، وألاعيبه ، وتحدياته ، بمختلف اشكالها وألوانها ، الا اذا أسرعت نحو تلك الوحدة المأمولة وحثت خطاها اليها ، وجرت فى اعقابها جريا لكى تلحق بها وتتعلق باهدابها ، فبدأت تتخذ أسبابها الى هذا الهدف الجليل .

ولعل الوحدة التشريعية هى ، فى تقديرنا ، أولى الخطوات نحو الوحدة الشاملة ، اذ اخذت تقود الى البلاد العربية ، شيئا فشيئا وعلى مهل ، وانه وان كانت هذه الخطوة لم تصل الى نهايتها ومداها بعد ، غير أنها سبوف تصل الى هذا المدى ، وهذه النهاية ، قريبا باذن الله .

وبقى أن نذكر أن المصالح الاقتصادية المشتركة بين هذه الدول قد اتسع نطاقها فى الأزمان الاخيرة اتساعا ملحوظا ، بسبب زيادة التعامل فيما بينها حتى لقد اخذت تعمل على محاكاة الدول الغربية فى اقامة سوق عربية مشتركة على غرار السوق الاوربية المشتركة ، كما تعمل على رفع الحواجز الجمركية أو التخفيف من آثارها الاقتصادية على أقل القليل ، وكما تعمل على الغاء القيود المفروضة على الانتقال من دولة الى اخرى ، مهما تكن أسباب ذلك ، تجارية او سياحية مثلا .

ولعل هذا الاشعاع الاقتصادى ، وهذا الاتجاه نحو التخفيف من القيود المفروضة على التعامل وتبادل الاسفار ، كلها امور مبشرة بخير منتظر ، فى اقرب مما نظن ونتوقع ، باذن الله

والى اللقاء فى مقال آخر فى الموضوع .

الجُنَّة

فى شرح عقيدة أهل الجَنَّة

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

لما من الله على بتأليف عقيدة أهل الجنة مع قلة مبانيها ، وكثرة معانيها ، واحتياج العامة والخاصة الى ما فيها ، شرح صدرى الى شرح يجاريها فى الاختصار ويكشف عن مخدراتها الأستار – ويبدى أدلتها من الكتاب والسنة للانظار حتى تعم فائدتها الصغار والكبار – كما أطنبت فى الكلام عن الاولياء ليتميز أولياء الرحمن من أولياء الشيطان ، ومن سلوكهم الى جنات النعيم ممن سلوكهم الى سواء الجحيم – والله المسئول أن يجعلها مقربة اليه – نافعة يوم العرض عليه داعية الى حب الاسلام من اطلع عليها من الأنام .

الحمد لله على التوحيد
للخالق المهيمن الحميد
ودائم الصلاة والسلام
على امام الرسل والكرام
من جاء بالاسلام دين آدم
ومن قفاه من هداة العالم
وكلهم نوابه الى الامم
وسبقهم سبق الجنود من حكم

الشرح :

الدين الاسلامى دين البشر كلهم والأنبياء نوابه – صلى الله عليه وسلم – الى من قبله .. فالدين الاسلامى الذى بعث محمد – صلى الله عليه وسلم – مجددا له ، ومزيلا ما علق به من ضلالات الأمم السابقة، أول دين وأن الله به خلقه ، فقد دان به آدم – عليه السلام – : « **ان الدين عند الله الاسلام** » ، وقد أوحاه الله الى المرسلين الأولين ، قال تعالى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه – كبر على المشركين ما تدعوهم اليه – الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب – وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم – وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم . وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا واليه المصير » .

فأنت ترى من هذه الآية أن الله لم يرسل سيدنا محمدا – صلى الله عليه وسلم – بدين جديد لأمة مخصوصة ، ولكن ليصلح كل الأديان السابقة مما طرأ عليها من مغالاة الغالين، وزيادة المفرضين ، وجهل الشارحين .. ويهدى الأمم للدين الأول الذى أرسل الله به سائر المرسلين .

وقد كان ابراهيم واسحاق ويعقوب وأولاده مسلمين .. قال الله تعالى :

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد

اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون، أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون »

ولقد طلب يوسف - عليه السلام - من الله حين مكن له فى الأرض أن يتوفاه مسلما . **قال الله تعالى: « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين »**

وكان نوح - عليه السلام - وهو ابو البشر الثانى مسلما ، قال الله تعالى :

« فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين »

وكان موسى وقومه الذين آمنوا معه مسلمين ، قال تعالى:

« وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » .

وكان عيسى والحواريون الذين آمنوا معه مسلمين .. قال الله تعالى :

« فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » .. وقال جل شأنه « واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » .

فاذا اعتنق أهل الأديان الأخرى الاسلام كانوا مطيعين لربهم موفين بعهد الله القديم الذى أخذه على الانبياء ، قال الله تعالى :

« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

فالاسلام هو دين الانسانية العام الخالد.. وجميع النبوات والرسالات السابقة على رسالة النبى - صلى الله عليه وسلم - كانت اعدادا لبنى الانسان أن يتلقوا هذه الرسالة الكاملة الشاملة التى ختمت بها الرسالات .. قال الله تعالى :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » وقال : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » وقال « وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » وقال : « ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ..

وما أطنبت فى هذا المقام الا لأذكر القراء الكرام بالآيات التى جاءت فى القرآن بأن الاسلام دين الانسانية الخالد العام ، ودين الأنبياء المكرمين والرسل السالفين ، ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين.(*)

دعا لما تدعو له الأحلام
وفيه ما تصبو له الأنام

١ - دعا النبى - صلى الله عليه وسلم - الى ما تذعن له العقول السليمة ، ويحن اليه البشر كلهم لتكفله بما يصلحهم فى الدنيا وينجيهم فى الآخرة، وفى صياغة أخرى .

دعا الورى جميعهم اليه
وفيه ما راحتهم عليه

فلا يختص بحكم من أحكامه بعض الناس دون بعض . قال **الله تعالى « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ».**

وقال ابن القيم: رسالة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهما عمومان محفوظان لا يتطرق اليهما تخصيص : عموم بالنسبة الى كل ما يحتاج اليه الناس فى أصول شريعتهم وفروعه وعموم بالنسبة الى المرسل اليهم ، فرسالته كافية شافية عامة لا تحوج الى سواها ولا يتم الايمان الا باثبات عموم رسالته ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذى تحتاج اليه الأمة فى علومها وأعمالها عما جاءت به، وقد توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وماطائر يقلب

جناحه فى السماء الا ذكر للامة منه علما ·

أما عمومها بالنسبة الى كل مايحتاج اليه الناس فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلمهم كل شيء حتى آداب التخلى وآداب الجماع والنوم والقيام والقعود والأكل والشرب والركـوب والنزول والسـفر والاقامة والصـمت والكلام والعزلة والخلطة والغنى والفقر ·· والصحة والمرض وجميع أحكام الحياة والموت ·

ووصف لهم العرش والكرسى والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة ومافيه حتى كانهم يشاهدون ذلك مشاهدة العين وعرفهم معبودهم والههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه بأوصاف كماله وجمال نعوته ، وعرفهم الأنبياء وما جرى عليهم من أممهم حتى كأنهم كانوا بينهم وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرف به نبى لأمته قبله ·· وعرفهم - صلى الله عليـه وسلم - من أحوال الموت وما يكون بعده فى البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ، ما لم يعرف به نبى غيره · وكذلك عرفهم - صلى الله عليه وسلم - مكايد الحروب ولقاء العدو وطـرق النصر والظفر ما لو علموه عملوا به لم يقم لهم عدو أبدا ·

عبد الناصر صانع السلام

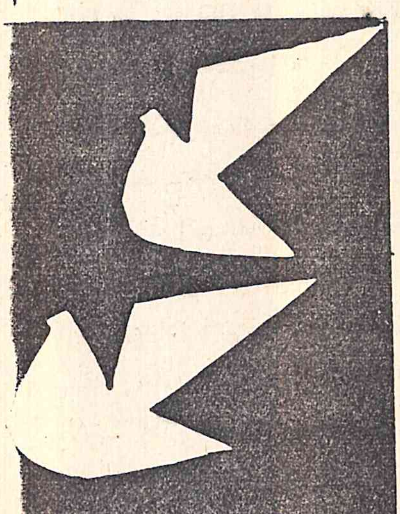

الأستاذ كامل عبد المجيد

« لن يكون هناك تناقض بين الثورة وشـبابها وبالـذات شبابها فى الجامعات » ·

« من خطاب عبد الناصر فى افتتاح الدورة الطارئة للمؤتمر القومى »

ان عقد الدورة الطارئة للمؤتمـر القومى للاتحاد الاشتراكى العـربى لمناقشة وعلاج الأحداث الأخيرة التى وقعت فى المنصورة والاسكندرية بكل دقائقها وتطوراتها وآثارها ، واذاعة كل ما دار فى هذه الدورة الطارئة على الهواء مباشرة على جماهير الشعب انما يحمل فى الواقع أكثر من دلالة ويتضمن معنى كبيرا يندرج تحت خط المواجهة الجديد الـذى تسير عليه سياستنا الداخلية بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ . وأول هـذه الدلالات - ان لم يكن أخطرهـا - هو أننا - استفادة من درس النكسة - نملك القدرة على المواجهة والمكاشفة وبالتالى نملك شجاعة المناقشة ، وذلك « شيء » - كما يقول صانع السلام - « فريد وجديد وايجابى وصحى فى تحـدى أسباب المشاكل وفى علاجها » . وهذا الاسلوب - بالاضافة الى انه يمنع هدف الأعداء من أن يتحقق فى وطننا - يجب أن يظل دائما رائدنا وسبيلنا فى علاج مشاكل المستقبل ، وذلك لأنه يحتكم فى كل ما يعترض طريقنا الى الشعب القائد أولا واخيـرا . وبذلك تخرس ألسنة الأعداء ونقضى على قوى الثـورة المضادة وشائعاتها وتحفظ على الجبهة الداخلية تماسكها الذى نحن أحـوج ما نكون اليه هذه الأيام .

وعلى هذا فان علاج المشاكل داخل هذا الاطار السياسى الجـديد يفسح المجال أمام الجميع لكى يعلموا ويحكموا ويقدروا ويزنوا الوقائع المطروحة أمامهم ، وبذلك فقط نساير منطق بيان ٣٠ مارس الذى ارتضيناه دليلا لعملنا فى هـذه المرحلة الدقيقة من حياتنا ، ونحقق للشعب القـدرة على التغلب على ما يعترضه من مشاكل فى ظرف يعمـل فيه أعداء الـوطن على دفع أسباب القلق الى اقصى ما يستطيعون ، وفى وقت تستدعى فيه مصلحة الأمن القومى للبلاد ومصالح الوطن العليا - أكثر من أى وقت سبق - حشد القوى وتوحيد الصفوف ، والتفاهم المتبادل لأسباب التذمر والضيق ، والتغلب عليهـا بمكاشفة صريحة تحقق لدى الجميع الوعى الشامل بالحقائق والصعاب .

ولا شك فى أن عناصر الموقف كما طرحت فى جلسات الدورة الطارئة للمؤتمر قد أفسحت المجال لحوار واسع داخل المؤتمر وخارجه ، وبذلك تكون قد افسدت محاولات القوى المعادية وقوى الثورة المضادة التى تسعى الى بلبلة الأفكار وتعتمد على بث الشائعات والاصطياد فى الماء العكر . وقد أسهم المؤتمر – دون شك – فى اتاحة جو التماسك والصمود عن طريق مناقشات أعضائه الفاهمة الواعية والمدركة لأبعاد الموقف بعد عرض الحقائق كاملة عليهم فى هذه الدورة الطارئة ، وبذلك يكون المؤتمر قد أسهم فى تحقيق صلابة الجبهة الداخلية وصمودها وتصميمها ، هذه الصلابة التى طالما حاول العدو تحطيمها لأنه – كما يفسر الموقف صانع السلام – « لم يستطع تحقيق الهدف الذى أراده من العدوان ، فهو لم يكن يستهدف تحقيق نصر عسكرى ولا مجرد تحطيم قواتنا العسكرية ، بل « انهدف العدو كان فرض الاستسلام السياسى .. وبدون الاستسلام السياسى لا يصبح للنصر العسكرى الذى حققه اية قيمة تذكر » .

ولأننا صمدنا ولم نستسلم سياسيا للعدو ، ولصمود جماهير الشعب وصلابة الجبهة الداخلية ، حاول العدو أكثر من مرة أن يمس هذا الصمود وأن يفتعل شرخا فى تلك الصلابة من أجل أن يصل الى ما لم يستطع تحقيقه بالعمل العسكرى وهو تحطيم الروح المعنوية وبث روح اليأس والهزيمة فى نفوس أبناء هذا الوطن .. وآخر هذه المحاولات .. هى أحداث الشغب التى وقعت فى الاسكندرية والمنصورة والتى أثبتت الوقائع يد العدو من ورائها يخطط لها وتحركها أصابعه فى لحظة غاية فى الحساسية من لحظات المواجهة معه .. وفى حقيقة الأمر – فان مالا يمكن انكاره – أن توقيت هذه الأحداث وحده يكفى للتنبيه الى أن للعدو دخلا فى اثارتها والتحريض عليها ، حتى بدون الحقائق التى أمكن اثباتها عملاء كلفهم العدو باحداث صدع كبير فى الجبهة الداخلية والنيل من قدرة القيادة السياسية ، فى لحظة أصبحت فيها زيادة هذه القدرات – المستندة الى تأكيد تماسك الجبهة الداخلية – شرطا حيويا لالزام العدو بالتخلى عن أطماعه واجباره على الرضوخ للحق العربى المغتصب .

ونخلص من هذا الى أن العدو وقوى الثورة المضادة حاولوا الوقيعة بين السلطة التنفيذية وبين الشباب عن طريق دس بعض العناصر العميلة داخل صفوف الطلاب لاحداث الصدع المأمول وصولا الى هدفهم الأول وهو تحطيم الجبهة الداخلية وكسر مقدرة الشعب على الصمود وصلابته فى مواجهة العدوان . ولكن صانع السلام كان سباقا الى الاشارة الى أن ما حدث لا يمكن أن يقوم به الشباب الواعى المؤمن ببلده ووطنه . « وانما حفنة من المنحرفين انقادوا دون وعى أو معرفة وراء تحريض بعض العملاء الذين كانوا يحاولون الاصطياد فى الماء العكر » وانطلاقا من هذا الفهم حدد الرئيس عبد الناصر فى مقدمة خطابه الى المؤتمر القومى اطارا عاما للمجرى الذى ينبغى أن يلتزم به النقاش داخل المؤتمر حول مشكلة الشباب والجامعات وهو : « انه لا ينبغى ولا يمكن أن يقوم تناقض بين الثورة وشباب الثورة وبالذات شبابنا فى الجامعات » ، وأن الحوادث المؤسفة التى وقعت لا يجوز بأى حال من الأحوال تحميل « جموع » الشباب مسئوليتها ، رغم أنه لا يمكن انكار أن قسطا من المسئولية يقع على قلة من الشباب « تصرفوا بالخطأ » ، وكان لهذا الخطأ أثره البالغ فى اتاحة الفرصة لعناصر خارج صفوف الشباب كى تستغل الموقف لأغراض تسىء الى تماسك الجبهة الداخلية وتخدم مخططات العدو والثورة المضادة . وقد ثبت بالفعل أن عناصر عميلة تلقفت فرصة الشغب والمظاهرات للقيام بعمليات تخريب ، تؤدى الى تغيير الحكومة وتشكيل حكومة جديدة تتعاون مع الغرب وتستسلم لاسرائيل .. كما أوضح صانع السلام للمؤتمر أن خطوط مناقشة هذه المشكلة ينبغى أن تنبنى على أساس أن الشباب هو جيل الثورة ، وأن الثورة هى الشباب ، واجبها أن ترشده وتعبئه وتقوده فى معركة الثورة المصيرية ضد العدو ، وأن القضية بالدرجة الاولى « هى مسألة فهم ومصير مشترك لوطن عظيم لابد له أن يقف وقفة رجل واحد من أجل شرفه ومن أجل أرضه ومن أجل عزة أمته ومن أجل حقوقها المشروعة » .. وهذا الشباب – الذى كان هدف المؤتمر الاول اسقاط فرصة الوقيعة بينه وبين السلطة التنفيذية – هو الذى تحدث عنه السيد الرئيس . وقال انه : « يمثل أمانينا وعدتنا للمستقبل لأن هذا الشباب هو الى حبيبجى فى يوم من الأيام يتولى الامور ويتولى القيادة فى هذا البلد ويسير بها – هذا الشباب علينا أن نوعيه وان نهيىء له الطريق ونضىء له هذا الطريق » .

وقد دارت المناقشات فى المؤتمر فى اتجاه الاسهام باقتراحات عملية تفسد على عناصر الشغب فرصة الانحراف بالشباب واجتذابه الى غير موقعه الطبيعى ، ونمو تحديد سبل توعيته سياسيا والاشراف الأمين على حشد طاقاته فى اتجاه يدعم معركة الصمود والنضال .

وفى حقيقة الأمر ، فان مبادرة القيادة السياسية بعقد هذه الدورة الطارئة للمؤتمر القومى قد أفسد على القوى المعادية للثورة غايتها ، كما أكدت هذه المبادرة أيضا قدرة القيادة السياسية على مواصلة طريقها دون أن تحيد عنه ودون أن تعترض مسيرتها مشاكل أو مشاغل تصرفها عن متابعة الهدف الأصيل فى ازالة آثار العدوان . بل ان المؤتمر قد افسح الفرصة أمام الشعب لمكاشفة داخلية تدعم من قدرات الصمود وتكشف عوامل القلق وتحقق ظروفا أنسب للحشد الشامل الكامل .

وليس أدل على جدوى هذه الدورة الطارئة للمؤتمر القومى من تتبع المناقشات التى جرت فيها ومجموعة القرارات التى أصدرها المؤتمر والتى تستهدف ضمان استمرار النضال واحباط مؤامرات العدو وقوى الثورة المضادة . فقد نصت قرارات هذا المؤتمر صراحة على تطبيق سيادة القانون لحماية مصالح الوطن ، واتباع سياسة حازمة وحاسمة مع القلة غير المسئولة التى أثارت وتثير الاضطرابات ، وعزل القلة المسئولة التى يثبت انها تبث سمومها بين الطلبة . كما نصت هذه القرارات على ضرورة عزل عناصر الثورة المضادة فى أى موقع ، وتدعيم العمل السياسى بين الطلبة وربطه بالاتحاد الاشتراكى مع ارساء أسس علمية سليمة للتربية السياسية فى جميع مراحل التعليم . وطالبت قرارات المؤتمر أيضا باتخاذ الوسائل التى تحقق للاتحاد الاشتراكى فاعلية أكبر فى قيادة الجماهير وتعديل جميع التشريعات التى تكفل ازالة ما يعترض الوصول الى هذه الأهداف ، وأيضا من أجل حماية القدرة على الصمود وسيلتنا الى النصر ، فطريق الصمود فى هذه المرحلة وتثبيت معالمه هو الخطوة الاولى نحو تحقيق الهدف الاكبر وهو «التحرير» .

ونردد مع صانع السلام قوله أننا نعرف الثمن الذى سندفعه فى هذا السبيل ، ومهما كان هذا الثمن غاليا فلن نتردد فى وفمه « حتى لا نستسلم أبدا » ولابد بعد ذلك « للشمس أن تشرق من جديد » باذن الله .

قطوف

الأستاذ على الجندى

الكذب على الرسول ! • عظمة حديث !

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) فليتبوأ •• معناه : فلينزل • وقيل : فليتخذ منزله من النار •

والفعل : اما دعاء بلفظ الأمر : أى بوأه الله ذلك أو هو خبر بلفظ الأمر : أى فقد استوجب ذلك ، فليوطن نفسه عليه !

قال العلماء - فى متن الحديث - : انه حديث عظيم فى نهاية الصحة • وقيل : انه متواتر •

وذكر البزار فى مسنده : أنه رواه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - نحو من أربعين صحابيا ! ثم لم يزل فى ازدياد •

وحكى الامام الصيرفى أنه روى عن أكثر من ستين صحابيا مرفوعا •

وبلغ بهم أبو القاسم بن عبد الرحمن سبعة وثمانين ، ثم قال : وغيرهم •

وروى بعض الحفاظ أنه روى عن أثنين وستين صحابيا ، فيهم العشرة الكرام المشهود لهم بالجنة ! قال : ولا يعرف حديث اجتمع على روايته (العشرة) الا هذا ؛ ولا حديث يروى عن أكثر من ستين صحابيا الا هذا !

وقال بعضهم : رواه مائتان من الصحابة ثم لم يزل فى ازدياد •

وقد اتفق البخارى ومسلم على اخراجه فى صحيحيهما من حديث على والزبير وأنس وأبى هريرة وغيرهم •

***

الشياطين تحدث !

فى صحيح مسلم : (ان الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل فيأتى القوم ، فيحدثهم بالحديث من الكذب ، فيتفرقون فيقول الرجل منهم : سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه يحدث) •

***

الطواعين المشهورة !

الطواعين العظام المشهورة فى الاسلام خمسة :

طاعون شيرويه بالمدائن على عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - فى سنة ست من الهجرة •

ثم طاعون عمواس بالشام زمن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وقد مات فيه خمسة وعشرون ألفا منهم أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل وامرأتاه وابنه •

ثم طاعون الجارف فى زمن ابن الزبير سنة تسع وستين ، هلك فى ثلاثة أيام فى كل يوم سبعون ألفا ، ومات فيه لأنس بن مالك ثلاثة وثمانون أو ثلاثة وسبعون ابنا ! ومات لعبد الرحمن بن أبى بكر أربعون ابنا !

ثم طاعون الفتيات : لأنه بدأ فى العذارى والجوارى بالبصرة وبواسط وبالشام والكوفة وكان يقال له : طاعون الأشراف - يعنى لما مات فيه من الأشراف وكان سنة سبع وثمانين •

ثم كان طوعون فى سنة احدى وثلاثين ومائة فى رجب واشتد فيما بعد فكان يحصى فى سكة المربد فى كل يوم ألف جنازة أياما ثم خف فى شوال •

***

هدى فى القرآن

هدى أتت فى القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

معدى بنفسه كقوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) وقوله تعالى : (وهديناه النجدين) •

ومعدى باللام كقوله تعالى : (الحمد لله الذى هدانا لهذا) وقوله تعالى : (قل الله يهدى للحق)

ومعدى بالى ، كقوله - تعالى - : (واهدنا الى سوء الصراط) •

وهدى المتعدية ؛ لغة أهل الحجاز ، تقول : هديته الطريق والبيت هداية : عرفته •

وغيره يقول : هديته الى الطريق •

***

حاش لله

حاش لله : أى تنزيها له ! ولا يقال حاش لك قياسا عليه ، وانما يقال : حاشاك ؛ وحاشى لك - بالشين مع الياء - •

***

الحواميم

آل حاميم وذوات حاميم : السور المفتتحة بها ، ولا تقل : حواميم ؛ قال الفراء : وأما قول العامة (الحواميم) فليس من كلام العرب ، وقال أبو عبيد : الحواميم : سور فى القرآن على غير القياس ، وانشد فيه شعرا ، قال : والأولى أن تجمع بذوات حاميم •

وكان ابن مسعود يقول : آل حم : ديباج القرآن •

وقيل فى (حم) : انه اسم الله الأعظم ؛ أو قسم ، أو حروف الرحمن مقطعة ، وتمامها : (الر - ن) •

***

زعطه :

يقول أهل الصعيد : زعطه ، ويريدون بها : طرده •

وفى اللغة : زعطه - كمنعه - : خنقه •

وذعطه - بالذال كمنعه أيضا - : ذبحه ، أو ذبحه ذبحا سريعا •

***

البصرة - بفتح الباء وضمها وكسرها - ثلاث لغات حكاها الأزهرى ؛ والمشهور : الفتح •

ويقال لها : البصيرة - بالتصغير - • والنسب اليها : بصرى - بفتح الباء وكسرها - وجهان مشهوران • بناها عتبة بن غزوان سنة سبع عشرة هجرية في خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وسكنها الناس سنة ثمانى عشرة ، ولم يعبد الصنم قط على أرضها •

ويقول السمعانى : البصرة : قبة الاسلام ، وخزانة العرب !

***

من دلائل النبوة :

عن أبى هريرة : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (نعى للناس النجاشى فى اليوم الذى مات فيه ، فخرج بهم الى المصلى وكبر أربع تكبيرات)

وفى الحديث معجزة خبرية ظاهرة باهرة ؛ لاعلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بموت النجاشى وهو فى الحبشة فى اليوم الذى مات فيه ، على بعد الدار ، وعدم وسائل الاتصال العصرية .

والنجاشى ـ بتشديد الياء وتخفيفها أفصح ـ ونونه مفتوحة ، وتكسر ؛ أو الكسر أفصح

قال ابن دريد : النجاشى : كلمة حبشية ، يقال للملك منهم نحاشى ، كما يقال : كسرى وقيصر

وقال ابن قتيبة : النجاشى بالقبطية . أصححه ـ بفتح الهمزة والحاء وأسكان الصاد ـ ومعناه عطية .

***

تكريم الرسول للعلم :

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (العلم ميراثى وميراث الأنبياء من قبلى) . (العلم فريضة على كل مسلم) . (مااسترذل الله عبدا الا حرمه العلم) (ما أعز الله بجهل قط ولا أذل بعلم قط) ر النظر فى العلم ساعة ؛ خير من عبادة ستين سنة) . (وزن حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليه) .

***

دفع العقوبة فى الغضب :

دفع أردشير كسرى الفرس الى رجل كان يقوم على رأسه كتابا ، قال فيه : اذا رأيتنى قد اشتد غضبى فادفعه الى . وكان فى الكتاب : أمسك فلست باله ، انما أنت جسد يوشك أن يأكل بعضه بعضا ، ويصير عن قريب للدود والتراب .

وكان للسندى والى الجسر غلام صغير قد أمره بأن يقوم اليه اذا ضرب الناس بالسياط فيقول له : ويلك ياسندى ؛ اذكر القصاص !

***

الجلوس مع الأدباء :

قال ابن الجهم :

لجلسة مع أديب فى مذاكرة
أنفى بها الهم أو استجلب الطربا

أشهى الى من الدنيا وزخرفها
وملئها فضة أو ملئها ذهبا

***

أساس العلم أربعة أمور :

قيل كان هناك فى الأندلس قول مأثور ، ينقشونه على أكثر معاهدهم العلمية ، وهو : (ان العالم يقوم على أربعة أمور : علم الحكماء ، وعدل العظماء ؛ ودعاء الصلحاء ، وشجاعة الشجعان .

***

كيف تكاتب الناس :

قال الحسن بن وهب : كاتب رئيسك بما يستحق وكاتب من دونك بما يستوجب وكاتب صديقك كما تكاتب حبيبك ! فان غزل المودة ، أرق من غزل الصبابة . ومن ذلك قول بعض العصريين :

رق مدحى كأنه تشبيب
ومديح الأصحاب عندى نسيب

***

محن الفاطميين :

قال العزيز بالله الخليفةالفاطمى ـ وقد مات بعض أولاده فى أحد الأعياد ـ :

نحن بنى المصطفى ذوو محن
يجرعها فى الحياة كاظمنا

عجيبة فى الأنام محنتنا
أولنا مبتلى وآخرنا

يفرح هذا الورى بعيدهم
طرا وأعيادنا مآتمنا

دين ودنيا

الأستاذ محمد المتولى الزطامى

دين الاخاء :

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم للبشرية جمعاء بتعاليم وتشريعات جمعت العرب على كلمة سواء وألفت بين قلوب المسلمين بوشائج من الايمان والاخاء ، وخلفت من الاشتات المتطاحنة أمة متحابة متآخية ، وبدلتهم بالفرقة اتحادا وعزة، وبالضعف سيادة وقوة ، فصاروا باسم الله اخوانا متحابين ، وغدوا باسم الحق أحرارا متساويين فى الحقوق والواجبات لا فرق بين عربى وأعجمى ، وأبيض وأسود الا بالتقوى والعمل الصالح وصدق قول الله « يأيها الناس قدجاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطا مستقيما » ، وقوله «لو انفقت ما فى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » ، وقوله « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » ، وقوله « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ».

وكان رسول الله صورة صادقة لماجاء به القرآن ودعا اليه الاسلام من أخلاقيات فكان لاصحابه خير قدوة وأعظم أسوة ، وكان القرآن لهم دستورا ونبراسا ، حفظوه ، وبلغوه وعملوا بما فيه ، فصاروا صورا حية للكمال الانسانى ، ونماذج مثالية للخلق الكريم ، توطدت بالله علائقهم ، وطبقوا شرعه كما أمر، فصفت قلوبهم ، وسمت نفوسهم ، وعظمت افكارهم ، وقويت عزائمهم ، ولازمتهم نية الخير فى جميع تصرفاتهم ، فاصبحوا رحماء فيما بينهم ، أشداء على الكفار ، وصار القوى بينهم ضعيفا حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف قويا حتى يؤخذ الحق له ، وأصبح للفقير حق معلوم لا منة يمتن بها عليه وعطاء ، وغدت العلاقة بينه وبين الغنى علاقة أخوة وحب وتقدير .

وبهذه الاخلاق العظيمة ، وبتلك المبادىء القويمة انتصروا على الأعداء ، وغيروا مجرى الحياة الى حياة أفضل ، وحققوا أعظم مبدأ عالمى ، وأسسوا دولة مؤمنة لا تغرب الشمس عنها دعائمها أمن واخاء ، وعزة وارتقاء ، وتحرر من الحسد والبغضاء وصدق قول الله « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » وقوله « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون» وقوله «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » وقوله « فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » وقوله « لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ، ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون » .

أمثلة عليا فى الاخاء :

ودولة الاسلام انما قامت على التعاون والحب والاخاء فهذه الصفات انما هى من لوازم الايمان الصادق ، وبدافع من الحب والاخاء نام « على » مكان رسول الله ليلة الهجرة ، والكفار يتربصون به الدوائر ، وينتظرون اللحظة الحاسمة للانقضاض عليه . وبدافع من الحب والاخاء هاجر ابو بكر مع رسول الله مفتديا له بنفسه ، وكان يقوم بحراسة رسول الله ، ويراقب ما حوله حين ينام ، وعندما هم رسول الله بدخول الغار طلب الانتظار وتقدم مستكشفا الغار . ولما اطمأن اليه ، تقدم قائلا لرسول الله : « ان أقتل فانا رجل واحد من المسلمين ، وان قتلت هلكت هذه الأمة » .

وبدافع من الحب والاخاء هاجر المسلمون الى المدينة حبا فى الدين ورحب بهم أهل المدينة ، وآثروهم على أنفسهم ، وآخى الرسول بين الأوس والخزرج ، ثم آخى بين المهاجرين والانصار اخاء بين أحرار ، وأصبح الاخاء فى العقيدة أقوى من اخاء النسب والدم ، حتى انه عندما حاول شاس بن قيس اليهودى اشعال نار الفتنة بين الاوس والخزرج، وأسرع اليهم رسول الله وذكرهم بقول الله « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » تعانقوا ، وأخذ يقبل بعضهم بعضا وهم يبكون .

وبدافع من الحب والاخاء كان على بن أبى طالب كرم الله وجهه المستشار الاول لابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم الى

أن قامت الفتنة ـ وطالما استشاروه فيما أشكل من أمر المسلمين ، وفيما استعصى من امور الدين .

وبدافع من الحب لله ، وتغليبا لصلة الدين على رابطة الدم قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه المشرك يوم بدر اتقاء لشره ، وتقديما لطاعة الله على طاعة الاب المشرك ، وابتغاء لرضوان الله ولقد أنزل الله فيه ((لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم))

وبدافع من الحب فى الله بذل المسلمون أرواحهم فى سبيل الله وهم فرحون فخلد التاريخ أسماءهم بين خوالد الاسماء ، وكتب لاعمالهم حظ البقاء وصدق قول الله ((والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)) وقوله ((والذين آمنوا أشد حبا لله)) وقول رسوله الكريم ((ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف به فى النار)) وقوله ((والذى نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين)) .

اخاء الاحرار :

والاخاء فى الاسلام انما هو اخاء بين أحرار متساوين ، ينادون بالحرية للبشرية جمعاء ويحاربون العصبيات ، ويهتفون بالاخوة الانسانية الشاملة مع جميع الناس، ويؤمنون بأن الناس متساوون فى الحقوق العامة والكرامة الانسانية ، اذ الناس نسلوا من أصل واحد ، وهم صائرون الى مصير واحد ، فليس هناك من تفاضل بينهم من حيث الطبيعة الانسانية انما التفاضل بالعمل الصالح الذى يرضى الله ، ويسعد به المجتمع قال تعالى ((وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)) وقال ((يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) وقال ((ولقد كرمنا بنى آدم)) وقال النبى عليه السلام ((الناس لآدم وآدم من تراب)) وقال ((الناس سواسية كأسنان المشط)) .

ولقد كان الاسلام بحق جامعة الحرية والمساواة والاخاء ومحرر العبيد منذ أربعة عشر قرنا ، فبالاسلام أصبح المسلمون أسرة واحدة ، وبه أصبح على بن أبى طالب القرشى العربى أخا لسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، واختير الرجل المناسب للمنصب المناسب بصرف النظر عن لونه وأصله ، فولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا الحبشى على المدينة ، وباذان الفارسى على اليمن ، وجعل زيد بن حارثة قائدا لجيش به أجلاء الصحابة ، وبالاسلام وصل المماليك الى مناصب الملك والوزارة والقيادة فى الدولة الاسلامية ، لأنها دولة لا تتعصب للون أو الجنس أو الدم ، وسجل التاريخ بكل تقدير أعمالهم البطولية فى قهر الصليبيين والفرنسيين وهزيمة المغول قال تعالى ((انما المؤمنون اخوة)) وقال ((فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)) وقال عليه السلام محذرا من الفخر بآباء غير مؤمنين ((أنتم بنو آدم وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام ، انما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها فى النتن)) وقال النبى عليه السلام ((لافضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى)) وقال ((ان أمر عليكم عبد مجدع ، أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا)) وقال ((ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية)) وقال عمر رضى الله عنه ((لو كان سالم مولى بنى حذيفة حيا لوليته عليكم)) .

والاسلام يعتبر الحرية أصلا بالنسبة لحياة الانسان، والرق امرا طارئا يجب أن يزول ، وعندما ظهر الاسلام ووجد الرق أمرا اجتماعيا ، ومبدأ اقتصاديا لدى الناس ، سلك كافة الطرق للقضاء عليه بالتدريج ، ولم يعترف الا برق نشأ فى حروب ، مشروعة لاعلاء كلمة الله مع كفار معتدين ، أو آل عن طريق الوراثة ، وعمل للقضاء على هذا الرق بصور كثيرة متعددة أدت للقضاء عليه ونادى بالاحسان الى الرقيق ، وحبب فى تحريره وجعل العتق كفارة لكثير من الاخطاء والذنوب ، وطالب المسلمين بمساعدة العبيد حتى يتحرروا ورصد جزءا من الزكاة ومن ميزانية الدولة لتحرير العبيد ، وجعل حياة الرقيق مصونة ، وعقوبة قاتله القتل . قال النبى صلى الله عليه وسلم ((المسلمون تتكافأ دماؤهم)) وقال ((من قتل عبدا قتلناه)) وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم أخا فقال ((من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس)) وقال ((ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجر فى موازينك)) وقال لابن مسعود عندما رآه يضرب غلاما بالسوط ياابن مسعود ان الله أقدر منك على هذا الغلام فسقط السوط من يد ابن مسعود ، وقال ((هو حر لوجه الله)) فقال عليه السلام ((أما لو لم تفعل للفحتك النار)) وقال على كرم الله وجهه ((انى لأستحى أن استعبد انسانا يقول ربى الله)) .

وعندما كان سيدنا عمر مسافرا الى بيت المقدس لتوقيع المعاهدة مع المسيحيين ، كان يتناوب ركوب الناقة مع غلامه ، وكانت نوبة الغلام عند دخول بيت المقدس ، فدخلاه ، والعبد راكب ، وعمر يمشى خلفه))

والمسلمون لم يدعوا أنهم ممتازون عن بنى البشر كما ادعى اليهود ذلك حيث زعموا أنم شعب الله المختار ، وكما زعم ذلك النصارى واليهود حيث ادعوا انهم من عنصر أسمى وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وانه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى والقرآن فند زعمهم بقوله تعالى ((وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق)) وقال تعالى ((وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)) ولقد سمعنا ورأينا فى العصر الحديث ، ما خلقه مدعو المدنية من عصبيات ، وطبقات ، وتفرقة وتحيز على أساس من العنصر أو الدم أو اللون ، فألمانيا افتخرت على أساس من الدم ، ورفعت شعار ألمانيا فوق الجميع ، والبيض استرقوا السود فى جنوب أفريقيا ، واستنزفوا خيراتهم ، وسفكوا دماءهم ، وسيطروا فى الولايات المتحدة الامريكية على الهنود الحمر والزنوج ، وأصبحت التفرقة لديهم عقيدة ، ونظام الطبقيات لديهم مبدأ ، فمنعوا السود من دخول مدارسهم ، ومستشفياتهم ، وأماكن تجمعهم وفنادقهم، ووسائل نقلهم ومواصلاتهم ، حتى السجون أفردوا لهم سجونا خاصة ، وحرموا عليهم تولى أى منصب ذى قيمة ، كما حرموا التزوج من البيض فى كثير من ولاياتهم واعتبروه باطلا ، فأين من هذا سماحة الاسلام ، والاخوة فى الاسلام ، والمساواة فيه !!

وأين من عدالة الاسلام ، والحرية فيه ما نراه فى القرن العشرين من فئات تذل بسبب لونها أو جنسها ، وحريات تسلب بأيدى مدعى المدنية ، ودماء تسفك بايدى ذئاب البشرية ، وأجسام تشوه بقنابل النابالم الحارقة !!

وللحرية فى كل وقت وحين مأساة فى فلسطين بلد الروحانيات وأرض العرب والمسلمين والقبلة الاولى للمسلمين، واليها كان اسراء رسول الله .

كل هذا يحدث فى القرن العشرين أمام سمع وبصر العالم كله ، ومجلس أمنه ومحكمة عدله الدولية ، وهيئة أممه المتحدة .

ولكن لابد لليل أن ينجلى ، وأن تشرق الشمس ، ولابد من انتفاضة ترجع الحق الى نصابه ، وتقضى على مجرمى القرن العشرين ، ومذلى الملونين وصدق قول الله : ((يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ، ولو كره الكافرون)) .

اعرف عدوك

الموشاف أو القرى التعاونية في اسرائيل

الأستاذ اسماعيل السوسى

ان سعى الحركة الصهيونية لاقامة وطن قومي فى فلسطين يعنى ضمنيا السعى لامتلاك الاراضى واقامة المستعمرات فيها لاغتصابها وهذا ما طالب به تيودور هرتزل للمؤتمر الصهيوني العالمى سنة ١٩٠١ بأن يجب أن تصبح كل مستعمرة مستقلة ذاتيا كتعاونية للمنتجين الزراعيين وفقا لمبادىء القانون وللتجربة وقد أصدر المؤتمر التاسع للمنظمة الصهيونية العالمية سنة ١٩٠٩ قرارا يدعو الى ادراج المستعمرات التعاونية ضمن برنامج نشاطها « فيتاليس هارى ـ تاريخ الحركة التعاونية فى اسرائيل الجزء الاول ـ لندن سنة ١٩٦٦ ص٣ »

وقد أصرت الحركة الصهيونية بعناد على خلق ارتباط بين اليهود والارض عن طريق اقامة هذه المستعمرات وذلك لتشجيع اليهود علي الزراعة بعد أن كانوا يتعاطون المهن التجارية والحرفية والمصرفية والوساطة فقط ـ وبذلك أصبح استعمار الارض حركة سياسية عامة ووضع هدف استعمار فلسطين زراعيا فوق كل الاهداف فى الحركة الصهيونية . ولقد أكد ذلك هوفين الرئيس السابق لبنك « لئومى لاسرائيل » حيث قال « لم يكن الهدف الاساسى من السياسة الزراعية للحركة الصهيونية أثناء فترة الانتداب انتاج المأكولات بل الاستعمار » جاء ذلك فى كتاب اقتصاد اسرائيل لرونبر أليكس لندن ١٩٦٠ ص ٩٩ .

كان معظم المهاجرين اليهود يفدون على فلسطين ولا يحملون معهم من الاموال ، والمعدات أو الاثاث ما يسمح لهم بالعيش حياة فردية مستقلة وكان المخرج العملي الوحيد أمام المهاجر اليهودى الذى يشعر بالعزلة أيضا وسط هذا المجتمع الجديد هو الاستجابة الى البرنامج الصهيونى فى دعوته للانتماء الي الكيبوتزيم التىسبق شرحها أو الموشافيم أى القرى التعاونية الزراعية .

نشأة الموشاف

مع بداية القرن العشرين بدأ شكل جديد من الزراعة الجماعية يشق طريقه الى الظهور فى الاوساط اليهودية فى فلسطين بالاضافة الى الشكل الذى برز الى الوجود وهو الكيونز ، وكان أساسها حركة « بيلو » وهي الاحرف الاولي بالعبرية لجملة فى التوراة تقول

(يابيت يعقوب تعال ونمشى) فى سنة ١٨٧٨ من مهاجرين من أوربا الشرقية . وتكونت الجماعة الاولى من ١٤ عضوا بينهم سيدة واحدة . واما المجموعة الثانية فكانت خمسة أعضاء وامرأة والثالثة من ثلاثة أعضاء ثم بدا يتوافد عليهم الاعضاء وكونوا أول موشاف وهو « ريشون زيون » واذا قبل انسان عضوا فى الموشاف عليه ان يتنازل كتابيا عن أى ملكية كانت وسينقل كل تضحية ويستثمر كل قوته لتنمية مصالح الجماعة وستكون هناك غلة واحدة للجماعة كلها وسيمنع أى فرد من الاخلال بهذه المبادىء حتى الممتلكات الشخصية التى أحضرها معه فانها ستكون ملكا للجماعة « فتالس هيرى تاريخ الحركة التعاونية فى اسرائيل ص ١٠ » وتقرر أن يكون التعاون فحوى حياة الفئة الطليعية من حركة بيلو على أن يقضى أفراد هذه الجماعة الفئة ثلاث سنوات فى كتيبة للعمل وهى فى ذلك تشبه الكوميون ولكن من أجل الاهداف القومية وبدون مصالح خاصة - وبعد الثلاث سنوات يرسل هؤلاء الاعضاء الى الموشافيم «جمع موشاف» كمدرسين ومستشارين ليدخلوا حياة التعاون ويقيموا مجتمعا جديدا يقوم على العدالة الاجتماعية والبعث القومى والروحي والسياسى والاقتصادى للشعب اليهودى فى سوريا وأرض اسرائيل «المصدر نفسه ص ١١» وكان على الجمعية أن تأوى وتدرب ٢٠ يتيما على العمل الزراعي وبعض الحرف ممن استشهد أبويهم فى الحرب أو على أيدى النازية باستقدام هؤلاء الأطفال بتوقيت من الصهيونية العالمية وبالرغم من كل الحماس الذى لقيته فكرة تاسيس الكيبوز فان فكرة الموشافا تعثرت كثيرا ولعل كثيرا من سكان الكيوتز كانوا يتمنون الهرب الي حياة الموشاف وبالاخص الاعضاء المتزوجين لان الحياة الزوجية تقوى من الميول الفردية وكذا لان الكيبوتز ينظم حياته باستقبال المتزوجين وان النصرة الاساسية لحركة الشباب كانت تسوى بين الرجل والمراة كما سبق فى البحث السابق .

وهكذا بدأ نوع جديد من المزارع يخلط بين المساواة الجماعية والمساعدة المتبادلة وهى المبادىء الرئيسية فى الكيبتزيم ومن مبادىء الشكل الفردى الخاص بالعائلة أو الاشخاص ، والمتزوجين وكانت الخطوة الاولى نحو بلورة هذا الشكل الجديد هو الاختيار الذى أجرت فى بداية هذا القرن بتوطيد العمال الزراعيين فى المناطق المجاورة للمستعمرات القائمة وهي التى بحاجة لايدى زراعية وانشأت هذه المستوطنات فى بئر يعقوب سنة ١٩٠٧ وعين غانم ١٩٠٨ وعالات يهودا ١٩٠٨ وكفار معلل ١٩١٤ وفى مستعمرة عين غانم مثلا وضعت أسس ومبادىء اجتماعية هامة مثل توزيع حصص أرض متساوية لجميع الاعضاء وبغض النظر عن التوارث المالية « وارين ودرايب كن نماذج للزراعة التعاونية فى اسرائيل تل أبيب سنة ١٩٦٠ ص ٢٧

ولقد كانت تجارب هذه المستعمرات الزراعية مرحلة هامة فى خلق شكل جديد من التعاونيات التى تشمل علي عناصر تعاونية وقروية فى ان واحد . وقد أقر المؤتمر الثالث لاتحاد العمال الزراعيين اليهود فى سنة ١٩١٣ المبادىء الاتية :

١ - الملكية القومية للارض .

٢ - المساعدة المتبادلة والتماسك بين المستوطنين .

٣ - اختيار المرشحين لعضوية المستعمرات من قبل العمال أنفسهم .

ولقد لعب كتيب صغير باسم «أسس المشاف أوف مريم » تأليف اليعازر فى سنة ١٩١٩ دورا هاما فى تحقيق أهداف المشافيم وقد انشا فى سهل هرج أمين عامر سنة ١٩٢١ موشاف باسم تاحالال قرب طريق حيفا - الناصرة . وبلغ عدد الموشافوت عام ١٩٤١ - ٨١٩٤٢ موشافوت كبيرة عدد سكانها ٤٥٤٧٩ وزرعت ٢٣٢٠ مزرعة خاصة ، ١٥٤٠ دونم جمصيات ، ٤٧٤ مزرعة مختلفة . وكذا ٣٨ موشافوت صغيرة عدد سكانها ٢١٣٤٤ وعدد المزارع الخاصة ٢١٦٧ وعدد مزارع الجمصيات ١٠٣٣ دونم وعدد المزارع المختلفة ١٠٥٢ دونم .

جاء ذلك فى كتاب نماذج متغيرة فى الزراعة الاسرائيلية تاليف هالبرن حاييم لندن سنة ١٩٥٧ ص ٧٥ أنواع الموشافيم » .

١ - موشافيم أو قديم «المستعمرات التعاونية لصغار الملاك والعمال » .

٢ - موشافيم شنيوميم «المستعمرات الجماعية لصغار الملاك » .

٣ - موشافيم أوليم «المستعمرات الخاصة بالملاك لصغار المهاجرين » .

٤ - كفاويم تتوفيم « القرى التعاونية » .

ويجب أن يكون أعضاء الثلاثة الاولي من الموشافيم المضافة الهستدروت وسنتحدث عنه فى الحلقة القادمة .

الجماعية فى الانتاج : ان الجماعة فى الانتاج والملكية كما تمارس فى الموشاف شنيونى شاملة ومطلقة فى الارض ومبانى المزرعة ومنشئات الرى والحيوانات وانتاج المزرعة كلها ملك مشترك لجميع أعضاء القرية وتشكل الارض وحدة اقتصادية كبيرة وتقسم الي أقسام لكل عضو . ويسمح فى بعض الموشافيم شنيوفيم أن يمتلك العضو قطعة صغيرة من الارض قرب بيته ليزرعها خضارا . ولكن غالبية الموشافيم شنيوفيم تمتنع حتى عن هذا الاسلوب ، وقد برزت مناقشات ايديولوجية فى السابق حول هذا الموضوع أما الان فقد أصبحت هذه المناقشات نظرية ذلك انه تبين أن زراعة هذه الرقعة الصغيرة لا يمكن أن تشكل مصدر دخل وانما هى هواية فقط ولهذا فانه ليس هناك اعتراض علي أن يمتلك شخص قطعة أرض صغيرة حول بيته يزرعها ببعض شجيرات من الفاكهة لانه ليس لهذه المزروعات قيمة اقتصادية .

ويتم العمل فى الانتاج والادارة جماعيا وفى كل مشاف يوجد منسق للعمل تساعده لجنة من الاعضاء مهمته تحديد عمل كل عضو ويتم ذلك كل مساء تماما كالكيبوتز ويطلب من الرجال أن يعملوا من ٨ الى عشرة ساعات ويطلب من النساء أن يعملن عددا معينا من الساعات فى القرية بالاضافة الى عملهن البيتي ويعتبر مجموع أعضاء الموشاف مسئولين مسئولية جماعية عن حياة كل عضو ومعيشة عائلته ويعقد فى كل شهر اجتماع عام للاعضاء لتقرير قيمة العلاوات التى ستدفع

للافراد كمصروفات شخصية لهم ويتولى ادارة الموشاف التأكد من تطبيق هذا القرار .

وتكون المؤسسات المنتجة مسئولة عن تعليم الصغار عن طريق المساهمة المشتركة بين جميع الاعضاء من الحضانة حتي المرحلة الثانوية وتدرس حالة الاطفال ونواحى تدريبهم فى الاجتماع العام وهذا الاجتماع هو الذى يقرر عما اذا كان هؤلاء الاطفال سيرسلون الى المعاهد الدراسية العليا وفقا لامكانيات الموشاف وليست وفقا لرغبات الاباء والامهات . وتقوم ادارة الموشاف أيضا بمسئولية تقديم المساعدات لوالدى أحد أعضاء الموشاف المقيمين خارجها والاهتمام بمطالب القرية .

المرأة فى الموشاف

يطالب النساء بالاضافة الي عملهن فى البيت أن يعملن ساعتين الى ثلاث ساعات لمدة خمسة أيام كل أسبوع وتقفى من العمل فترة قبل الولادة وبعدها وحين تمرض المرأة تقوم امرأة أخرى بالاعتناء بالعائلة بناء على تعليمات من منسق العمل فى القرية وتعمل النساء فى حقل الخضار وبيارات الفاكهة ومزارع الالبان وفى الحسابات وفى الدكان التعاوني وفى حضانة الاطفال وتختلف ترتيبات العمل للنساء من موشاف الى أخر فاليهود القادمون من دول اسيا وافريقية لا يرغبون كثيرا أن تعمل النساء فى الحقل بل يفضلون بقاءهن فى البيت أو دار حضانة الاطفال . ولا يزيد عدد ساعات العمل للمرأة التى ليس لها أطفال عن خمس ساعات ولا يقل عن ساعتين مهما كان عدد أطفالها أما الاساس الذى تحسب بموجبه ساعات عمل المرأة فهو أن هناك يوم عمل ثماني ساعات فى اليوم يخصم منه عدد الساعات الذى يجب أن تقضيه المرأة فى البيت ويشكل الباقى فى عدد الساعات التى توجب علي المرأة صرفه فى العمل فى المزرعة

الاستهلاك الفردى

ان الاجر الذى يتقاضاه عضو الموشاف شتيوفى لا يحدد حسب نوعية الانتاجية أو حسب نوع عمله بل حسب عدد الافراد الذين يعتمدون عليه وهذا يعنى أن دخل العائلة يتحدد تماما على أساس عدد أفرادها وان العائلات ذات العدد المتساوى يكون دخلها متساويا .

أما حصة الفرد من دخل الموشاف شنيوني متوزع على أساس علاوة صرف يحسب بموجب قاعدة معينة ، ففي شهر آب « أغسطس » ١٩٦١ نال كل عضو عامل فى الموشاف مبلغا شهريا قدره ٦٠ ليرة اسرائيلية ويشتمل هذا المبلغ على ثلاثين ليرة ٥٠٪ للطعام ، ١٦ر٢٠ ليرة ٢٧٪ للملابس ، ٣ ليرة ٢٪ للمعدات المنزلية ، ١٠ر٨٠ ليرة للنفقات الاخرى . اذا تغيرت أى من هذه البنود يقل كمية العلاوة دفعه ليتناسب مع هذا التغيير ويعلى العضو كل العلاوة دفعة واحدة فى السنة وله مطلق الحرية فى انفاقها على الوجه الذى يريده ويتسلم النساء والاطفال بين سن ١٣ ، ١٨ سنة العلاوة نفسها اما الاطفال من ١ سنة الى ٣ سنوات فيتسلمون ٦٠٪ من علاوة الطعام ، ٥٠٪ من علاوة الملابس ، ٢٥٪ من علاوة المصروفات المختلفة اما الاطفال بين ٦ : ١٠ سنوات فنسب علاواتهم ٨٠٪ ، ٧٠٪ — ٥٠٪ بالتتالى والاطفال من سن ١٠ الي سن ١٣ سنة ٩٠ ، ٤٥ ، ٨٠ بالتتالى ولا يعطى الاطفال علاوات خاصة لمعدات المنزل « المصدر نفسه ص ١٣٨ »

بينما الانتاج فى الموشاف جماعى كلى نرى الاستهلاك فرديا كليا . فكل عائلة تعيش وحدها حياة مستقلة فى بيت خاص بها . وتحضر وجبات الطعام وتقوم كل عائلة علي حدة وتشترى الملابس وأدوات المطبخ حسب رغبة كل عائلة . ينام الاطفال ويعيشون مع والديهم ويصرفون جزءا من ساعات النهار فى مدرسة الموشاف حينما تكون الامهات فى العمل ويستطيع العضو أن ينفق مخصصاته الشهرية كيفما أراد وان يشترى احتياجاته سواء من تعاونية الموشاف أو من أى مكان اخر . ان الموشاف يستند اذن علي مبادىء ثلاثة :

١ — الجماعية فى الانتاج والملكية

٢ — المساواة فى الدخل

٣ — الفردية فى الاستهلاك ، وأخيرا فان عدم استطاعة الموشاف فى جذب عدد كبير من الناس تعود الى أن هوايته ضائعة بين الكيوتز والموشاف.

التسويق والتموين التعاونى :

يجب أن يتم التسويق عبر قنوات تعاونية وأى انحراف عن هذا المبدء يعرض مرتكبه للعقاب وتشمل المرحلة الاولي عمليات التسويق على تجميع المنتجات من المزارع الى محطة التجميع فى الموشاف بواسطة سيارات الشحن التابعة للمحطة فى المحطة تتم عمليات الوزن ثم تسجيله لحساب المزارع أما المرحلة الثانية والخاصة ببيع المحاصيل فان البيع يتم عبر شركات تسويقية انشئت لهذا الفرض « نتوفا » وهى المؤسسة التسويقية التابعة للهستدروت وبعد بيع المحاصيل تدفع الشركة ثمن هذه المحاصيل للقرية ككل وتقوم ادارة الموشاف بتوزيع الارباح على المزارعين وتستقطع شركة « تنوفا » ٢ر٥٪ على منتجات البيض ، ٥ر٥٪ علي منتجات الطيور ، ١٠ر٨٪ على الخضار وهذه النسبة رغم أنها مرتفعة ولكنها ثابتة أما مصاريف النقل فاما علي أساس الكيلو أو التعريفة المتعامل بها .

تقديم المواد الانتاجية :

١ — يوجد بالموشاف مخزن مبيعات عام يدعى « تساركانيا » يبيع بالاضافة الى السلع الغذائية وغيرها من السلع الاستهلاكية مواد انتاجية كالاسمدة ومواد البناء ومعدات الرى ولوازم الشغل وقطع الغيار

٢ — مخزن تموينى يشتمل علي الحبوب ومأكولات الحيوانات ولا يقوم هذا المخزن بشراء احتياجاته من الخارج بل يقوم بانتاجه بنفسه .

وتنظم عملية تقديم المواد للعضو من المخزن بحيث انه لا يطلب منه ثمن للسلع التى يطلبها بل تقيد فى حساب خاص حتي ولو كان مدينا للموشاف ، هذا بالنسبة للسلع الانتاجية أما بالنسبة للبضائع الاستهلاكية فيجب أن تدفع مقدما نقدا

ولهذا النظام الجماعى فى تقديم المواد عدة فوائد منها :

١ - يحصل الموشاف على تخفيض وسلفيات حين يشترى بكميات كبيرة ، وهذا غير متوفر للمزارع الفردى .

٢ - لا يضارب الموشاف أثناء بيعه بالمعرفة .

٣ - ان هذا النظام يوفر على المزارعين أعضاء الموشاف كثيرا من الوقت الذى قد يضطرون الى صرفه فى الذهاب الى المدينة .

٤ - ان هذا النظام يضمن للاعضاء سلعا أفضل نوعية ومخزونة بشكل أكثر كفاية

تنظيم الحياة العامة :

ان السلطة العليا منوطة بالاجتماع السنوى العام الذى يضم جميع أعضاء الموشاف ومهمته انتخاب الهيئات المسئولة ومجلس الموشاف الذى يجتمع بصفة طارئة عند الحاجة واما اللجنة التنفيذية للموشاف فهي التى تبت فى الامور اليومية . وبالاضافة الى هذه المؤسسات الرئيسية يوجد فى كل قرية مؤسسات فرعية أهمها :

١ لجنة النشاطات الاقتصادية وهي اللجنة المسئولة من جماعة الانتاج والاستهلاك .

٢ - اللجنة الزراعية

٣ - لجنة المساعدات المتبادلة

٤ - لجنة النشاطات الثقافية

٥ لجنة الصحة العامة

٦ - لجنة القضاء

٧ - لجنة الدفاع

٨ لجنة الارتباط بين الاعضاء والجيش .

التعليم فى الموشاف :

توجد بالموشاف مدارس خاصة بها وتقوم كل مدرسة بزرع قطعة الارض المخصصة لها وتكون دروسها وفقا لاحتياجات الحياة الريفية وتشمل معظم مدارس الموشاف على المرحلة الابتدائية فقط ويساهم المركز الثقافى التابع للجامعة العبرية فى تنظيم المحاضرات فى الموشاف .

التمويل والاراضى .

تقدم دائرة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية من ميزانيتها قرضا لكل عضو فى الموشاف يشتمل على بيت من غرفة أو غرفتين ومطبخ والمنافع ومصمم بحيث يمكن توسيعه فى المستقبل - ومكان للبقر واخر للدجاج والمعدات اللازمة للرى والحرث ، وآلة لاقتلاع الحشائش الضارة والة لرش البذور ، وبقرة حلوب و ٢٠٠ دجاجة وتبلغ القيمة الاسمية الاجمالية لهذا القرض ٢٦٠٠٠ دولار .

ويسدد القرض فى فترة من ٢٠ : ٢٥ سنة تبدأ بعد خمس سنوات من بدء العمل وبفائدة ٥ر٣٪ وقد قام هذا القرض بحل كثير من المشاكل التي تواجه المستوطنين الجدد .

أما الارض فانها تؤجر الى المزارع من الصندوق القومي اليهودى لمدة ٤٩ سنة يتجدد العقد بعد انتهائه ويبلغ قيمة الايجار ٢٪ من مجموع دخل الفرد واما المساحة التى تؤجر للفرد فهى بين ٣-٤ هكتار « الهكتار يساوى ٣٠-٤٠ دونم » .

ويلاحظ فى انشاء الموشاف :

١ - المناخ

٢ - تركيب التربة

٣ - سمات طوبوغرافية واستراتيجية عامة

٤ - الموارد المائية

٥ الزراعه الموجودة فى المناطق المجاورة

٦ - أمكانات التسويق والمواصلات

ويجرى أولا تصوير المنطقة من الجو ثم وضع خريطة مفصلة تشير الى التلال والوديان والمنحدرات والاخاديد وعلي ضوء هذا تتحدد الارض التى ستزرع خضارا أو حبوبا أو فاكهة أو الاراضى التي لا تصلح للزراعة وتستغل كمراعى .

ويضم الموشاف من ٧٠ - ٨٠ مزرعة وتسعى وزارة الدفاع لانشاء شبكة مستعمرات بين كل موشاف ليكون خطوط دفاعية هامة ونقطة انطلاق للاعداء وتكون الموشافيم مراكز لتموين القوات العسكرية جاء ذلك فى كتاب « التخطيط الزراعى والمجتمع الريفى لاسرائيل »

بلجيكا - اليونسكو - بن ديفيد ، جوزيف سنة ١٩٦٤ ص ٤٢ »

مقارنه بين الكيبوتز والموشاف :

الكيبوتز والموشاف هما الشكلان الرئيسيان العامان للحركة الاستعمارية الصهيونية فى فلسطين المحتلة ولكنهما يختلفان عن بعضهما اختلافات هامة نوجزها فيما يأتى :

١ - الكيبوتز قرية يتراوح عدد سكانها ٣٠ - ١٥٠٠ نسمة

٢ - الارض فى الكيبوتز دائما ملكية عامة توزع علي المستوطنين بسند اسمى وكذا الممتلكات الاخرى كلها ملكية عامة

٣ - التسويق والعمل يدار مركزيا بمديرين منتخبين فى اجتماع عام .

٤ يربى الاطفال فى مراكز خاصة للحضانه وتقسم بيوت الاطفال حسب السن ويعين الاخوة مختلفى الاعمار فى أماكن مختلفة ويأكلون وينامون ويلعبون بعيدا عن بعضهم .

٥ يعود جميع الدخل فى الكيبوتز الى الجماعة وتؤمن حاجيات الاعضاء بالتساوى .

٦ - يتم تناول معظم الوجبات فى قاعة الطعام المشتركة .

٧ فى الكيبوتز مخزن ملابس جماعي

٨ تتدرب الجماعة الاولى أو نواة الكيبوتز فى مراكز تدريب خارج اسرائيل فى الاماكن التي يقيم فيها اليهود الذين سيهاجرون الى اسرائيل ويتدربون على الحياة الزراعيه الحياة فى الكيبوتز بشكل خاص أما الموشاف فقد سبق شرحه لذلك يجب على كل عربي أن يعمل على دراسة العدو الاسرائيلى وعلى الوقوف على مواطن ضعفه وأسباب قوته والعمل علي استعادة الارض السليبة واعادة الحقوق الى أصحابها الشرعيين .

التعاون
عنصر بناء

الأستاذ عبد المغني المنشاوي

يا لرحمة الله بعباد الله ، وبالحكمته الحكيمة التى خلقتهم وخلقت لهم ، لقد خلق الانسان ضعيفا بنفسه قويا بربه ، وبالتعاون مع أبناء جنسه ، فما يستطيع وحده أن يضطلع باعباء هذه الحياة التى تتفاوت أثقالها ولا أن يقضى مطالب العيش ولبانات النفس التى لا تنتهى آمالها من أجل هذا وضعت له حكمة السماء فى نظام دستور عيشه ، هذا العنصر الاساسى العجب ، عنصر الازدواج والمشاركة ، يستعين به على اقتحام الصعاب ، وتذليل العقبات فهذا آدم عليه السلام ، وهو الانسان الاول وأبو الخلق جميعا ، لم يكن فى وسعه أن يضطلع باعباء العيش وحده ، وقد ارتاح الله له برحمته فخلق له من نفسه خلقا لطيفا أليفا ، تجلى له فى شخص حواء التى ضمها اليه زوجا وشريكة ومعوانا ، تؤنسه فى وحدته ، وتعينه على أمره ، وتشاطره انجاز عمله .

فالانسان منذ وطئت قدماه ظهر هذا الكوكب الارضى ، يشعر فى قرارة نفسه بالحاجة الماسة الى من يقف بجانبه ، يظاهره ويملأ عليه فراغ دنياه ، انه حتى فى حياته البدائية لا يفتأ بمد يد الحاجة الى معونة غيره من المخلوقات الآدمية ، فان هى عزت عليه لجأ الى الحيوان ، يستأنس به ، ويتخذ منه الرفيق ان عز عليه الرفيق .

فالتعاون الذى يحس الانسان حاجته اليه فى كل وقت ، لن يكون البتة من مبتكرات المدنية والحضارة ، بل هو أمر طبعى صحب الانسان منذ نشأته ، تدفعه اليه الحاجة المشتركة الملحة من الحرص الحريص على دفع الشر عن نفسه ، والرغبة الراغبة فى جلب الخير لها .

ولكى يتجلى التعاون المثالى ، فى اطاره الرائع السماوى ، حددت رسالات السماء أهدافه وفصلت شرائعها أنواعه ، فنزل كتاب الله بقوله سبحانه :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب » .

فالتعاون على طاعة الله وبر الناس طاعة ، والتعاون على معصية الله وايذاء الناس معصية ولن يكون التعاون تعاونا الا اذا هدف الى تحقيق هذا الهدف الاسمى من طاعة لله وبر بالناس وانتظم فى سلكه عقد الحكمة القائلة : الفرد للمجموع والمجموع للفرد : فجنت منه الانسانية أفرادا وجماعات أطيب الثمرات .

من هنا يتبين من لم يكن قد تبين ، أن غريزة التعاون لا تكفى وحدها فى أداء رسالتها ، الا اذا ظاهرها على هذا الاداء ، توجيه عقلى ، وهدى سماوى ، فان حرمت معونة توجيه العقل وهدى السماء ، شجب هذا الحرمان أسمى أهدافها ، وفوت عليها أنبل غاياتها .

ويرحم الرحمن الدكتور منصور فهمى الذى يحاول أن يزيد هذا العنصر ايضاحا فى حديث له باحدى الندوات التعاونية فيقول :

رب معترض يقول :

اذا كانت نزعات التعاون متفرعة من فطرة الناس ، ومتصلة بطبيعتهم ، فهل هم فى حاجة مع ذلك لمن يوجههم للفطرة ، أو يناديهم للطبيعة ؟

لكن لا سبيل لهذا الاعتراض ، اذا تذكر المعترض أن الناس والجماعات البشرية ، قد ينصرفون أحيانا عن مراكز فطرتهم السليمة ، ويغفلون عن وحى طباعهم النيرة ، الى أن يهديهم هدى العمل والتفكير ، ليسنوا لغرائزهم نظاما يحد من شرورها وانحرافها .

فالحرص على صحة البدن وسلامته ، مع أنه ميل فطرى للانسان ، متأصل فى طبعه ، لم يحل تأصله فى الطبع ، دون توجيه العقل وهديه لايسر الوسائل لبلوغ العافية ، وتجنب كثير من الآلام حين تخضع أنفسنا لقواعد الصحة والتطبيب ، كذلك سنجد من العقل هاديا ، ومن العلم مرشدا الى أفضل الاساليب ، التى يجرى فيها التعاون لمصلحة الفرد ، ولمصلحة الامة وسلامتها على الرغم مما فطر عليه الانسان من معاونة أخيه الانسان .

والعجب العاجب أن يظلم الانسان نفسه ، ويتهم عقله ، بعد اذ يتخلى عن سلوك سبيل التعاون المستقيم ، فيتجرد من ثياب الانسانية الكريم ، ويتحامى توجيهات العقل الحكيم ، ويصبح فى حاجة أن يتلقى دروسا

عملية فى مدارس التعاون الحق، تمثلها أمام ناظريه بغاث الطيور وصغار الحيوان .

لولا غريزة التعاون فى الحيوان ، لانقرضت منها انواع كثيرة ، ولكنها حفيظة على نوعها وعلى نفسها بهذا التعاون الفطرى ، وهذا التضامن الغرزى .

وفى هذا المعنى يقول الدكتور الدرديرى :

ان تضامن صغار الحيوان فى الحياة، يقدم لنا دليلا محسوسا على ادحاض نظرية القائلين : ان الحياة للاقوى ، الذى ينفرد بالبقاء والسلطان ، وان الضعيف حكم عليه بالتلاشى والفناء ، فالتعاون والاتحاد بين صغار الجماعات من الحيوان وغيره ، أبدلاها من ضعفها قوة ، حتى صارت قادرة على مقاومة صروف الحياة المحيطة بها ، والاحتفاظ بحياتها ونوعها واستقلالها .

فالتعاون عند الكائنات الحشرية والحيوانية غريزة فطرية متأصلة فى أعماق النفس ، يتطلبها حب البقاء ، والرغبة الملحة فى الاحتفاظ بالنوع ، والخوف من بطش القوى .

وهذه الغريزة التعاونية تمتد جذورها فى نفس الانسان ، أكثر مما تمتد فى نفس الحشرات والحيوان ، ولها فيه كثير من المظاهر والدلالات ، بل لا نعدو جانب الحق ان قلنا ، ان حياة الانسان ، سلسلة من التعاون متصلة الحلقات .

فكيف يرضى الانسان لنفسه وهو العاقل القادر أن يتخلف عن النمل وهو المخلوق الضعيف فى جده ونشاطه . بل فى تفانيه فى العمل لصالح الجماعة ، وفى دقة نظامه .

يقول الدكتور يحيى أحمد الدرديرى عن حياة النمل العامل ما يدهش ويعجب ويطرب :

يعرف النمل باجتهاده ونشاطه وسهره على صالح الجماعة ، وصيانته لها ، فهو يسهر على تربية صغار النمل ، واليه يرجع القول الفصل فى اعلان الحرب ، وعقد الصلح مع الفصائل الاخرى ، التى من نوعه .

والنمل العامل يسهر على مصلحة الجماعة وحراستها ، وترى الفريق العامل حينما يشعر بخطر ، يحمل على اكتافه الصغار والمرضى والعجزة والقواعد ، وكذلك ما يدخره جميعا ، واذا عجزت احداها عن المشى حملتها رفيقتها على ظهرها ، وكذلك تتقدم لمساعدتها اذا جرحت أول ما تراها ، حتى تصل بها الى مكان حريز تستطيع فيه العناية بها .

ولو أرخينا لجياد الاقلام العنان فى ميادين تسطير ما هو من هذا المقام بسبيل ، لتحدثت عن مملكة النحل وروائع نظام خلاياه ، بعد اذ تحدثت عن النمل وما عالجه من دقة واحكام عند انشاء قراه ، وغير النحل والنمل من خلق الله الدقيق العجيب كثير وكثير ، لا يتسع المقام لاستيعابه ، ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

ان أى عمل يعالجه الناس ولايباركه الدين ، لا يثمر ثمرته ، ولا يؤدى رسالته ، ذلك بانه عمل نزعت منه عناصر الخير ، وتغلغلت فى ثناياه عناصر الشر .

والتعاون المبارك المثمر هو الذى رسم خطاه على هدى من الدين ، وضوء كاشف من الخلق الكريم، فمشى بين الناس هديا صادقا ، ومثلا رائعا وصين فى حراسة سماوية من زيف الزائفين واستغلال المستغلين .

ان اللبنات الاولى التى يؤسس عليها بنيان التعاون الحق ، يحتويها جميعها خلق كريم ، يدعو صاحبه الى عمل الخير ، وينهاه عن الشر حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ، ويسعى جاهدا لتوفير الجهد ، وتوحيد الصف واجتماع الكلمة ، وتوفر الثقة واستتباب الامن والنظام .

اذا أدركنا وجوب توفر هذا كله لانجاح الحركة التعاونية ، أدركنا فى سهولة ويسر مدى ما يؤديه الدين من مساعدات لهذه الحركة التعاونية المباركة ، فلقد جاءت الديانات كلها ، وقد ختمت بالاسلام خير دين ، لتنظم العلاقة بين الناس ، على أساس من التعارف والتعاون وتقديم الخير وتبادل المنفعة . وفى هذا يقول كتاب الله :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وثمرة التعارف التعاون . وفى هذا المقام يقول حديث رسول الله عليه صلوات الله :

« خير الناس أنفعهم للناس »

وليس من شك فى أن الدين الاسلامى قد استوعب كل ما من شأنه تذكير الانسان بواجباته نحو ربه ، ونحو مواطنيه ، ونحو الانسانية جمعاء ، وتحتوى هذه الواجبات كلها جملتان اثنتان : « عمل الخير ، والبعد عن الشر » وهى الواجبات نفسها التى استقاها التعاون من الدين ، ودعا اليها وأخذ التعاونين تحت لوائه بتنفيذها والسهر عليها .

ان التعاون الحق قد استوحى روحه ومبادئه من الاديان التى تجمعت محاسنها كلها فى خير دين ، دين الاسلام الذى ارتضاه لعباده رب العالمين .

وبحسب التعاون الصدق ، أن يروى ظمأه من المنبع الصافى لقول الحق سبحانه :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

ومن قول رسول الله عليه صلوات الله : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

وانه فى الحق خير شعار للتعاون، يدعو الى أن يكون الفرد للمجموع ، والمجموع للفرد ، ويلتقى فيه صدق النبوة الكريمة بحكمة الكتاب الكريم، وهل وراء هذين حلية يتحلى بها هذا الشعار الكريم ؟

هذا ، ولما أسفر صبح الثورة البيضاء ، وأضاءت شمسه جنبات الوادى ، كان توقيتها المبارك توقيتا لبداية مرحلة جديدة سعيدة من مراحل التعاون الضارب بجرانه فى جميع الميادين ، ايمانا بان أسلوب التعاون الحق هو الاسلوب الامثل لارساء بناء الاجتماع والاقتصاد ، على أساس من الاشتراكية والديمقراطية متين، تتحقق فيه العدالة ، وتتكافأ الفرص ، ويتاح لكل مواطن صالح جاد أن ينال جزاءه كفاء عمله ، فى ميدان حياة حرة كريمة .

امتدت يد الثورة المباركة آخذة بيد التعاون فى جميع الميادين ، فهذه أرض توزع على حائزين جدد حرموا ملكها مئات السنين ، وهذه الوان وألوان للتعاون جديدة ، يحتويها قطاع الزراعة ، وقطاع الصناعة وقطاع الاستهلاك ، وهذه جمعيات تعاونية مدرسية ، ومثلها لقطاع الاسكان ، وأخرى للثروة الحيوانية ، ومثلها للثروة المائية ، وهذه جمعيات تعاونية استهلاكية ، توفر للمستهلكين ما هم فى حاجة اليه من غذاء وكساء ، وتحميهم من جشع الجشعين واستغلال المستغلين .

ولقد كان لهذه الجماعات التعاونية على تعدد ضروبها ، واختلاف ألوانها أثرها المأثور فى رخاء العيش وبث الطمانينة ، وارتفاع مستوى الحياة، بعد اذ تغلغلت روح التعاون فى أعماق نفوس الشعب ، وانتظمت أساليبها الحكيمة جميع البلاد يأخذ دين الاسلام جماهير المسلمين باساليبه السماوية

الربانية الحكيمة ، ويلقنهم أصول التربية العالية والمبادىء السامية ، من صدق وأمانة ، وحق وعدل ، وتكافل وتعاون ، حتى يخرج للناس خير أمة أخرجت للناس ، أمة مثالية عجبا ، لم تشـؤها أمـة أخـرى سبقتها فى قوتها وعزتها ، وسيادتها ومجادتها .

فهذه مدرسة الصلاة تنتظم طلابها صفاصفا ، لتعلمهم بدروسها السماوية العملية ، ان أس النجاح اتحاد ونظام، وأداة النصر تكافل وتعاون ، يكفلان للمسلم ألا يسلم لغير مولاه ، الذى لا تخر لغيره الجباه ، وسر هذا يتجلى فى هذا البنيان المرصوص الذى يشد بعضه بعضا .

وهذه مدرسة الحج الـكبرى ، تستقبل الوف الالوف من طلابها يوم الحج الاكبر ، فتربط بين قلوب هؤلاء الطلاب برباط روحانى سماوى ، لا تستطيع يد الزمن له حلا ،ويصبح هذا الجمع الجميع مع اختـلاف أوطانهم ، على قلب رجل واحد،يهدف الى هدف واحد ، ويدين لعـزة رب واحد ، ولا يسع هذا الجمع الجميع الا أن يؤمنوا بأن لهم وطنا واحدا، أعز عليهم من كل الاوطان ، هو وطن الدين ورابطة الاسلام ، فالمسلم أخو المسلم ، لا يسـلمه ولا يظلمه ، والمسلمون على تعـدد أوطانهم ، واختلاف أجناسهم ، سواسية كأسنان المشط ، تتـكافا دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد عـلى من سواهم .

وليس عجبا بعد اذ تؤدى هـذه المدارس الدينية الكبرى رسالتها ، بامتزاج الارواح ، وتأليف القلوب أن يخف المسلم فى مصر لنصرة أخيه المسلم فى فلسطين ، وأن يلبى مسلم العراق نداء أخيه المسلم ولو بالصين

أيها الاخوة البررة المسـلمون المتعاونون، ان عدو دينكم وعدو عروبتكم، وعدو وطنكم ، يرصد منكم الغفـلة حتى تمكن ، ويتحفز للفرصة متى تحين فتعاونوا على البر بدينكم ووطنكم ، ولا يكون البر بهما الا بان تثبوا على أعدائكم وثبة تقصم منهم الظهـور ، وتدق الصدور ، بل تشجبهم جميعا من صفحة هذا الوجود .

يكلفنا الاسلام أن نكبت العدا
ونصليهمو حمى اتون من الحرب
ليلبث دين الله دين أعـزة
أعزهم القهار فى محكم الكتب
ويجرى بوادى النيل نهر كرامة
أعز على واديه من نيله العذب

مواقف خالدة في تاريخ الإسلام

الأستاذ عبد العال شعيب

فى تاريخ الاسلام مواقف خـالـدة ، تعتبر نماذج رفيعة ومثلا عليا ، يقتدى بهديها على مر التاريخ ، ومن أبرز هذه المواقف التى تعتبر حاسمة فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، السرية التى بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسـلم بقيادة عبد الله بن جحش رضى الله عنه فى عدد من المهاجرين ليستطلعوا أحوال أعدائهم القرشيين ، ويتعرفوا على انبائهم ، ومـدى اسـتعدادهم العسكرى ، الذى يعـدونه لمقاتلة المؤمنين وهم فى المدينة بعد هجـرتهم اليها .. وقد كانت هـذه السرية فى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، وتتجلى فيها دقة التنظيم ، واحكـام الأمن والسرية حتى لا يعلم الأعـداء بتحركات هذه الجماعة الاستطلاعية

وذلك أن الرسول كتب لعبد الله ابن جحش كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه الا بعد يومين من مسيره مبالغـة فى الكتمان ، فاذا نظر فيه ووعى ما كلفه الرسول به مضى فى تنفيـذه غير مستكره أحدا من أصحابه ، فسار عبد الله ، وكان أمينا كل الأمـانـة عـلى ما استودع من سر ، فلم يفكر فى أن يخلو الى نفسه ويفض الكتاب قبل مسيرة اليومين ، حبا فى الاستطـلاع ، لم يفعل ذلك لأنه مؤمن كامل الايمان ، ملتزم بتعليمات قيادته ، منفذ لأوامرها بكل دقة . وبعد يومين فتح الكتاب ، فاذا فيه : اذا نظرت فى كتابى هـذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا ، وتعلـم لنا من أخبارهم ، فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسـول الله أن أمضى الى نخلة ، أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ، فمضى ومضى معـه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد ..

هذا الموقف يتجلى فيه مبدأ التطوع للأعمال العسكرية ، وقبول القيام بها عن رضا وطيب خاطر ، لان الذى يقـوم بمثل هذه الأعمال ، ان كان مؤمنا بها راغبا فى أدائها ... ما يملك ...

وتشاور القوم فيما بينهم ، وكان ذلك فى آخر يوم من رجب ، ورجب من الأشهر الحرم التى يحرم القتال فيها والتى لها مكانة جليلة عند العرب جميعا ، وقالوا : والله لئن تركتم هؤلاء هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فتردد القوم ، وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، وقامت معركة قصيرة قتل فيها عمرو بن الحضرمى وأسر اثنان من المشركين ، وعاد عبد الله الى المدينة بالقافلة والأسيرين . وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يظنون أنهم بما فعلوا سيرضونه ، لقد عادوا بأسيرين وبغنائم كثيرة ، وهذه الغنائم جزء قليل مما صادره المشركون فى مكة من أموال المؤمنين الذين هاجروا الى المدينة ، فهو استرداد لبعض حقوقهم ، لكن الرسول قال : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، ووقف التصرف فى العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا ، فلما قال ذلك ، سقط فى أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا وعاتبهم اخوانهم المؤمنون فيما صنعوا ، وشنعت قريش ، وأثارت عليهم حربا نفسية فى سائر أنحاء الجزيرة العربية ، تقول : ان محمدا وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ، وكان لليهود فى اثارة الفتنة دور كبير ، وذلك شأنهم فى كل زمان ، فهم يكيدون للاسلام والمسلمين منذ ظهوره ، وما زالوا يدبرون له المكايد ويحيكون المؤامرات « ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » ، لقد قالوا عقب هذه السرية : ان عمرا بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله ، وهذا ايذان بقتال سينشب مع المسلمين ، فعمرو يعنى عمرت الحرب ، والحضرمى يعنى حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله يعنى وقدت الحرب ، الا أن الله جعل ذلك عليهم لالهم ، وأذلهم فى مواقف ... لهذه السرية ، وصدق الله العظيم ... فى بنى النضير من اليهود ... أخرج الذين كفروا من ... ديارهم لأول الحشر ، ... ، وظنوا أنهم ... فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » .

ولما أكثر الناس فيما صنعه عبد الله بن جحش وأصحابه ، نزل الوحى بقرآن يتلى من السماء حاسما هذه الأقاويل ، ومؤيدا مسلك عبد الله تجاه المشركين ، ومبينا أن الدعاية التى يثيرها المشركون فى هذا الشأن عليهم لا لهم ، لأنهم فتنوا المسلمين عن دينهم وهم فى مكة ، ومنعوهم عن البيت الحرام ، وكفروا بالله وبالمسجد الحرام ، وأخرجوا أهله منه ، بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، فالقتال فى الأشهر الحرم أهون من ذلك بكثير ، بل انهم لا يزالون يفتنون المؤمنين عن دينهم ، ويصبون العذاب الشديد على من بقى بمكة من المؤمنين وهم من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون سبيلا . قال تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله » أى ان كنتم أيها المؤمنون قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، واخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم « والفتنة أكبر من القتل » أى قد كانوا يفتنون المسلم فى دينه ، حتى يردوه الى الكفر بعد ايمانه فذلك أكبر عند الله من القتل « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ثم زكى القرآن الكريم عمل عبد الله بن جحش ورفاقه ، فقد نفذوا أوامر الرسول بأمانة وشجاعة وتوغلوا فى أرض العدو مسافات شاسعة ، يضربون مثلا رائعا فى الفدائية والتضحية ، والسمع والطاعة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، لذلك قال الله فى ذلك :

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » فلما نزل القرآن بذلك ، وفرج الله عن المسلمين ما كان بهم من خوف وقلق ، أخذ رسول الله الأسيرين والعير ، وتلك هى أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعمرو ابن الحضرمي أول من قتله المسلمون ، والأسيران وهما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون ..

هذه السرية بأبعادها الحقيقية تعتبر بدءا لمرحلة جديدة من مراحل نشر الدعوة الاسلامية ، فقد كان المسلمون قبلها فى مرحلة الصمود ، يتلقون الأذى ، ويتحملون الشدائد فى ايمان بالله لا يتزعزع ، وثقة بنصره لا تهتز ، وفى صمود واستبسال رائعين ، ومن هذه السرية دخل المسلمون مرحلة الردع ، ردع الأعداء ، والتصدى لهم فى حزم وقوة ، لقد كانت عاملا من عوامل الرعب للقرشيين الذين كانوا لا يزالون يمارسون الضغوط على من بقى من المسلمين بمكة ، وكأنها تقول لهم : كفوا أيديكم عنهم فقد صرنا أقوياء أشداء ، وكانت مع ذلك تحذيرا للمنافقين فى المدينة حتى لا يحاولوا أن يظهروا ما بقلوبهم من غدر بالمسلمين وكيدلهم ، والمنافقون فى كل زمان ومكان من أشد الناس خطرا على دعوات التحرير ، لأنهم يظهرون أنهم فى الصف ، وفى الحقيقة هم خارجون عنه ، بل هم من العوامل الهادمة له ، ولذلك قال الله فيهم « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » .

وكانت كذلك انذارا لليهود المقيمين بالمدينة وما حولها ، وكأنها تقول لهم : اكتموا عذركم ولؤمكم ومؤامراتكم فى قلوبكم - فلن تنالوا منا شيئا ، لأننا أصبحنا قوة يحسب لها حسابها .. ولهذا نرى المسلمين بعدها بقليل .

وبعد أقل من شهرين يتصدون لقوى الشرك والوثنية عند بدر ، وينشب القتال بينهما وتدور الدائرة على المشركين ، وينتصر المؤمنون بايمانهم بربهم وصمودهم فى موقفهم ، وذكر المولى تبارك وتعالى نبأ هذا النصر فى قوله : « وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم »

عمارة المسجد

المسجد الحرام بمكة في العصر العباسي

الدكتور حسن الباشا

ذكر صاحب مرآة الحرمين أنه أجرى بالمسجد الحرام فى العصر العباسى عدد من العمائر الهامة وقد قصد من هذه العمائر أن تصل ببنائه الى أقصى ما يمكن من الكمال الفنى والمعمارى اللائق به .

وكانت أولى هذه العمائر الهامة تلك التى حدثت فى عهد أبى جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين . وقد تولى أبو جعفر الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح الذى قضى فترة خلافته فى ارساء قواعد الدولة العباسية .

وفى عهد أبى جعفر استقرت أمور الدولة ، وثبتت دعائمها ، وعمرت خزائنها .

ومن المعروف أن هذا الخليفة كان قد اعتزم تحقيق خطة معمارية هائلة فى انحاء الدولة الاسلامية تضمنت تأسيس مدينة بغداد لتكون عاصمة الدولة ، وعمارة الحرم الشريف بمكة .

وقد تمت عمارة المنصور للمسجد الحرام بمكة على مرحلتين :

وابتدأت المرحلة الاولى فى سنة ١٣٧ هـ (٧٥٤م) وتم فى هذه المرحلة توسيع المسجد الحرام من جانبيه الشمالى والغربى بمقدار ضعف المساحة التى كان عليها ، وبناء رواق واحد فى الجانبين الجديدين ، وتشييد مئذنة بنى سهم ، بالاضافة الى تجميل المسجد بالنقوش المختلفة ، وتحليته بالذهب . وانتهت هذه العمارة فى سنة ١٤٠ هـ .

وفى السنة نفسها تمت المرحلة الثانية من عمارة المنصور التى اقتصرت على الحجر . والحجر بكسر الحاء وسكون الجيم رقعة من الارض تلى جدار

الكعبة ويحدها شرقا مقام ابراهيم وزمزم،ويطيف بها جدار يسمى الحطيم .

وقد ورد ذكر الحجر فى بعض الاحاديث النبوية الشريفة . ويستشف من هذه الاحاديث الشريفة أن قريشا حين أعادت بناء الكعبة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وقبيل بعثتـــه كانت قد أخرجت من مساحتها الاصلية نحو سبعة أذرع أو ثلاثة أمتـــار ونصف أضيفت الى مســـاحة الحجر ، وقد فعلت قريش ذلك لما قصرت بهـــا النفقة التى جمعتها من حلال عن بناء الكعبة على حدودها الاصلية ، وكان النبى صلى الله عليـــه وسلم يود أن يعيد هذا الجزء الى الكعبة ، ولكن عاقه عن ذلك أن الناس كانوا حديثى عهد بكفر ، وأنه لم يتوفر لديه النفقة اللازمة لهذه العمارة .

وعند ما أعاد عبد الله بن الزبير بناء الكعبـــة فى سنة ٦٤ هـ (٦٨٣ م) أدخل فيها تقريبا الجزء الذى كانت قريش قد أخرجته منهـــا ، ثم عاد الحجاج فأخرج هذا الجزء مرة ثانية ، وأعاد بناء الكعبة الى ما كانت عليه قبل ابن الزبير .

وقد حدثت عمارة المنصور للحجر أثناء قيامه بالحج فى سنة ١٤٠ هـ وذلك حين ساءه أن يرى حجارة الحجر بادية فأمر بتغطيتهابالرخام . ويقال انه أمر ان يتم هذا العمل فى نفس الليلة حتى لايرى هذه الحجارة فى الصباح التالى . وكان من جراء ذلك أن اضطر الصناع أن يعملوا على ضـــوء المصابيح . هذا وقد جدد رخام الحجر بعد ذلك عدة مرات .

أما العمارة الهامة الثانية التى أجريت بالمسجد الحرام فكانت فى عهد الخليفة العباسى المهدى بن المنصور .

وتعتبر هذه العمارة أعظم العمائر التى أجريت بالمسجد فى العصر العباسى .

ولقد عنى المهدى بعمارة الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة . واليه أيضا تنسب أهم العمائر التى أجريت فى الحرم النبوى الشريف فى المدينـــة فى العصر العباسى اذ كانت عمارته هى التى وضعت الحدود النهائية التى استقر عليها الحرم النبوى الشريف بعد ذلك .

وقد أمر المهدى بعمارة الحرم النبوى فى سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) وانتهت العمارة بعد حوالى ثلاث سنوات .

أما عمارة المهدى فى المسجد الحرام بمكة فقد تمت على مرحلتين أيضا .

وبدأت المرحلة الاولى فى سنة ١٦١ هـ (٧٧٧م) وفيها زاد المهدى فى المسجد رواقين على ما زاد أبوه ، وجدد رخام الحجر الذى كان قد وضع فى عهد أبيه ، كما أصلح مقام ابراهيم الذى كان قد انثلم لرخاوة حجره . وقد بعث بحوالى ألف دينار ضبب بها المقام من أعلاه وأسفله وكان ذلك هو أول تحلية للمقام . وقد تمت تقوية المقام بالذهب والفضة عدة مرات بعد ذلك ، ثم بنى فوقه قبة وصار يغطى بكسوة .

أما المرحلة الثانية من عمارة المهدى فى المسجد الحرام فقد تمت فيها كبرى العمـــارات التى أجراها المهدى فى المسجد . وقد أصدر المهدى أوامره بهذه العمارة فى سنة ١٦٤ هـ (٧٨٠ م) أى بعد أن كان قد انتهى من عمارة الحرم النبوى الشريف أو أوشك على الانتهاء .

ويقال ان المهدى عزم على هذه العمارة حين جاء لحج فى ذلك العام : اذ ساءه أن وجد الكعبة تقع فى شق من المسجد الحرام ولا تتوســطه ، فرغب فى أن تنقل الجدران القريبة من الكعبة الى مسافة أبعد بحيث تصبح الكعبة وسط الجدران الخارجية للمسجد .

وقد اعترض تنفيذ هذه الخطة عدة مشـــاكل أولها أن هذه التوسعة كانت تقتضى مبالغ طائلة من المال لا سيما لشراء عدد من الدور بعضهـــا يدخل فى مساحة المسجد ، والبعض الآخر فى الوادى ، وكان أصحاب هذه الدور يبالغون فى قيمة التعويض حتى أن الذراع المربع من الدور التى كانت ستدخل المسجد قدر بخمسةوعشرين دينارا ، ومن الدور التى كانت ستدخل فى الوادى بخمسة عشر .

ومن هذه المشاكل أيضا أن هذه الخطة كانت تستلزم توسيع المسجد من الجانب اليمانى ومن الجانب الغربى مما سيؤدى الى وقوع المسجد

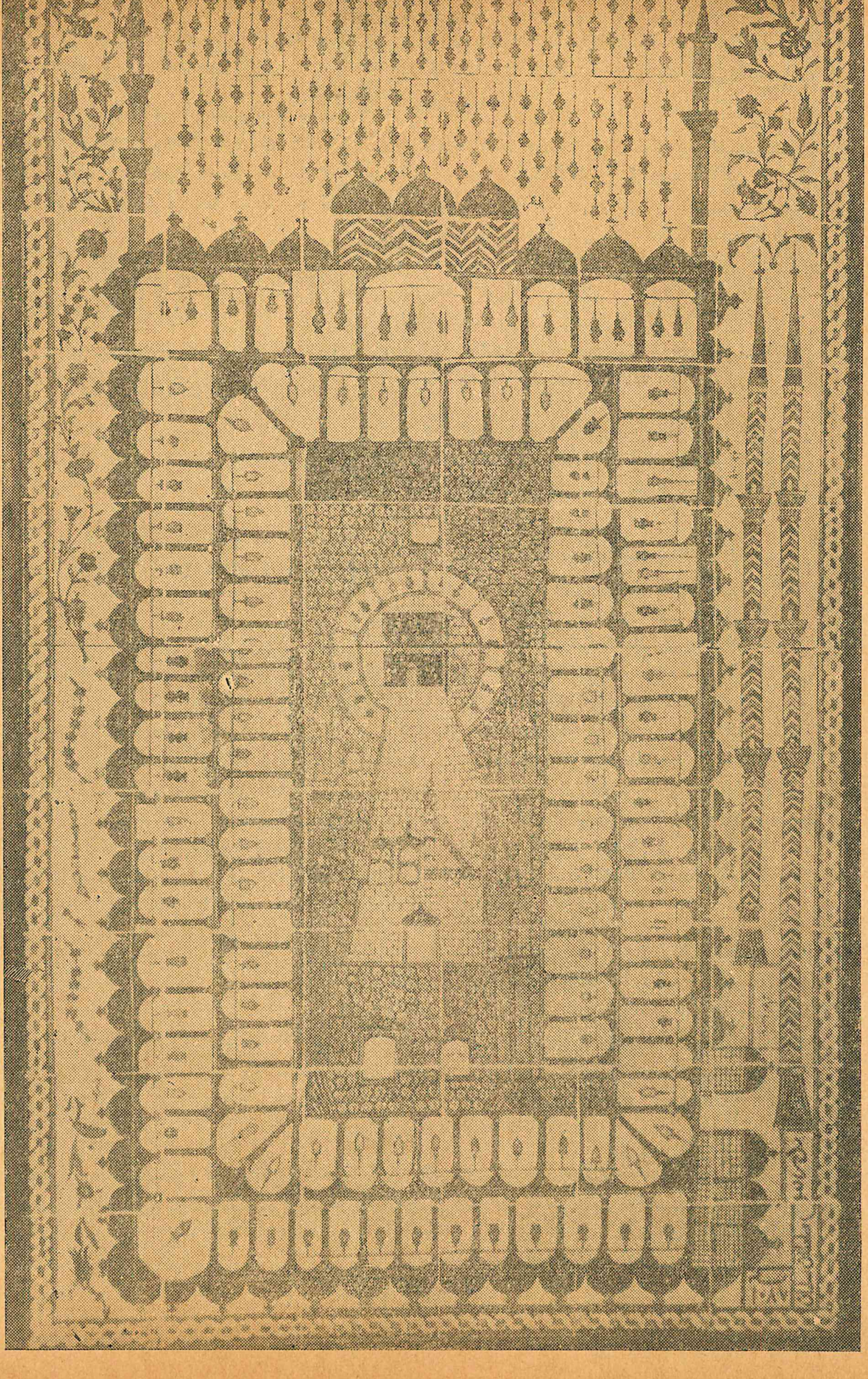

رسم المسجد الحــرام على بلاطات من القاشانى بتاريخ ١٠٨٧ هـ وعليها اسم السلطان سليمان

فى الوادى ، ويعرضه بالتالى للسيول القوية التى كانت تجتاح الوادى فى كثير من الاحيان .

وبالاضافة الى ذلك كانت العمـــارة حسب الخطة الجديدة تحتاج الى عدد كبير من الاعمدة الرخام ، ولذا كان من الضرورى تدبيــــر أمر الحصـــول على الرخام ، وتدبير وســيلة نقله الى مكة .

وقد حلت هذه المشاكل بفضل اصرار المهدى وعزيمة القائمين بأمر العمارة .

أما مشكلة المال فقد حلت بأن دبر المهدى قبل أن يغادر مكة المبالغ اللازمة التىدفع منها لاصحاب البيوت .

والحق أن المهدى بلغ من سخائه فى الانفاق على مشروعه أن قال :

« لا بد لى من سعة المسجد حتى تكون الكعبة فى وسطه ولو انفقت فيه جميع ما فى بيـــوت المال . »

ولحل المشكلة الثانية وهى تفادى أخطـــار السيول عمل المهندسون على تحويل مجارى مياه السيول ، كما لجأوا الى توسيع باب بنى هاشم أو باب على فى الطرف الجنوبى للجانب الشرقى وكان يستقبل الوادى ، وجعلوا ازاءه فى الجهة الاخرى من الطرف الجنوبى من الجانب الغربى للمسجد بابا آخر حتى اذا حدث وعظم السيل دخل المسجد من باب بنى هاشم وخرج من ذلك الباب الجديد دون أن يتطرق الى ســـائر أنحاء المسجد أو يخربه ، ويقـــابل هذا البـــاب خط الخزامية ، وكان يسمى باب الخرورة أو البقالية ، ويقال له الآن باب الوداع لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم .

أما بخصوص الرخام اللازم للعمارة فقد دبر استيراده من الاقطار التى يكثر فيها ولا ســـيما مصر ، وعمل على نقله بالسفن الى جدة ، ثم حمله على العجل الى مكة .

ونشط العمل فى العمـــارة فى سنة ١٦٧ هـ (٧٨٣ م) ، وظل قائما الى أن توفى المهدى فى سنة ١٦٩ هـ (٧٨٥ م) ، واستمر فى خلافة ابنهالهادى حيث تم الجزء الباقى من الجانب اليمانى ومن الجانب الغربى .

وبهذه العمارة صارت الكعبة الشريفـة تتوسط المسجد الحرام ، وكذلك استقرت حدود الجوانب الاربعة .

وعلى الرغم من أن عمارة المهدى للمســـجد الحرام بمكة كانت العمارة الاساسية التى أجريت فيه فى العصر العباسى والتى وضـــعت حدود الجوانب الاساسية التى بقى عليها المسجد بعد ذلك فيمـــا عدا بعض الزيادات الطفيفــة ، فان المسجد الحرام ظل ينال من عناية سائر الخلفاء العباسيين ورؤساء الدول الذين لم يألوا جهدا فى عمارته والعناية به وصيانته ، كما حرصوا على اصلاح ما كان يتخرب فيه .

ففى عهد هرون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م) أقام عبد الله بن عمران الطلحى أمير مكة مظلة للمؤذنين على سطح المسجد ليؤذنوا فيها .

وفى عهد المعتضد « ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢ م » أضيف الى مسجد دار الندوة وكانت فى شمال المسجد ، وكان طول هـــذه الزيادة من الشمال الى الجنوب أربعة وستين ذراعا ، ومن الشرق الى الغرب سبعين . وقد أقيم فى جوانب الزيادة الاربعة أروقة ذات أسقف من الســـاج مسامتة لسقف أروقة المسجد ، وبنى فيها مئذنة وشرف ، ووصلت الزيادة بالمسجد ، وجعل لها ثلاثة أبواب شارعة الىالطريق ، وفتح لها اثناعشر بابا فى جدار المسجد الحرام تعلوها عقود . وقد أدخل على هذه الابواب تعديل فى سنة ٣٠٦ هـ (٩١٨ م) بحيث صار المصلى فى دار الندوة يرى الكعبة كلها .

وفىسنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) فىخلافة المقتدربالله أضيف الى المسجد الحرام محل فى الجـــانب الغربى يعرف باسم باب ابراهيم ، وكان طولهذه الزيادة نحو سبعة وخمسين ذراعا وعرضها اثنين وخمسين . وصار الناس يصلون فيهـــا . وقد أقام الناصر حسين بن محمد بن قلاوون مسقى فى سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٧ م)

غير أن المسجد الحرام قد تعرض خلال هذا العصر العباسى لعمل بالغ الخطـــورة نزل على المسلمين نزول الصاعقة : ذلك هو سطو القرامطة على مكة ، وقلعهم الحجر الاسود من الكعبـــة الشريفة .

والقرامطة طوائف ظهرت فى العالم الاسلامى منذ أواخر القرن الثالث الهجرى (٩ م) واستمرت الى القرن الخامس (١١ م)

وقد اعتنقت هذه الطوائف مبادىء دينية واجتماعية وسياسية متطرفة مثل « الألفة » أو الحرية الجنسية المطلقة ، واباحة دماء مخالفيهم ودمائهم ولو كانوا من المسلمين • وعاث القرامطة فى كثير من أنحاء العالم الاسلامى فسادا ، واستطاعت بعض طوائفهم أن تثبت أقدامهافترات من الوقت فى أقطار اسلامية مثل جنوب العراق وسورية واليمن والبحرين ، وبقى بعض أتباعهم حتى وقت قريب فى بلاد اليمن ، وكانوا يعرفون بالمكارمة أو الباطنية .

وينتسب القرامطة الى أول زعمائهم حمدان قرمط ،وكان أصله من خوزستان وكان يشتغل بالتنجيم ، وقد بدأت آراؤه تظهر فى سواد الكوفة فى سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٢ م) ، وبعد أن كثر أتباعه اتخذ لدعوته مركزا بالقرب من الكوفة سماه «دار الهجرة » ، ثم قتل على يد الخليفة العباسى فى سنة ٩٢٥ هـ (٩٠٦ م) .

غير أنه كان قد أرسل فى سنة ٢٨١ هـ (٨٩٤م) الى البحرين أحد دعاته واسمه ابو سعيد الحسين بن بهران الجنابى . وقد استطاع هذا الداعية أن يؤسس ولاية للقرامطة فى اقليم على الشاطىء الغربى للخليج العربى ، واتخذ فى الاحساء عاصمة سماها المؤمنية .

واستولى ابو سعيد على اليمامة فى سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٣ م) كما غزا عمان فى جنوب شرق بلاد العرب .

واستفحل خطر قرامطة البحرين فى عهد ابنه وخليفته أبى طاهر سليمان : فقاموا بغزوات تخريبية فى جنوب العراق ، وقطعوا طرق الحج .

وكانت الطامة الكبرى فى سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠م) حين استولى ابو طاهر سليمان القرمطى على مكة ، ونكل بأهلها وزوارها ، ونهب أموالهم . ويقال ان القرامطة الذين غزوا مكة قتلوا ما يزيد على ثلاثين ألفا من المسلمين ، ودفنوا بعضهم فى بئر زمزم وفى المسجد الحرام . وقد زاد بغى سليمان القرمطى واشتد اعتداده بنفسه حتى انه يقال أنه ركض بفرسه وهو سكران ، ودخل المسجد الحرام ، وتقدم الى المطاف ، وطلع الى باب القلعة ، وأخذ يقول :

أنا بالله وبالله أنا
يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وخلع القرامطة باب الكعبة ، وأخذوا كسوته ، كما قلعوا الحجر الاسود من مكانه بالكعبة ، وأخذوه معهم الى بلاد هجر • وقد عرضت الحكومة العباسية على القرامطة ارجاع الحجر الاسود فى مقابل خمسين ألف دينار ولكنهم رفضوا وقالوا : « أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر » .

وبقى موضع الحجر الاسود خاليا الى أن أعاده سنبر ابن الحسن القرمطى فى سنة ٣٣٩ هـ (٩٥١ م) بناء على أمر الخليفة الفاطمى المنصور • وقدم سنبر بالحجر الاسود وقد شد بالفضة حتى لاينكسر نتيجة ما حدث به من شقوق أثناء قلعه. ووضعه سنبر بيده فى مكانه ، وثبته بعض الصناع بجص ، أحضره معه سنبر نفسه . ويقال ان سنبر قال فى هذه المناسبة : « أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله » .

وكانت فرحة المسلمين عظيمة بعودة الحجر الاسود الى مكانه بالكعبة الشريفة • وبقى الحجر الاسود محل رعاية المسلمين الذين عملوا على حفظه وصيانته .

وفى سنة ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) أحيط بطوق من الفضة ، وفى سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) تساقطت منه بعض شظايا فجمعت ثم عجنت بالمسك واللك ، وملئت بها الشقوق من جديد ثم طلى .

ويرجع احتفاء المسلمين بالحجر الاسود الى تأسيهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أخرج الستة : البخارى ومسلم وابو داود والنسائى والترمذى ومالك عن عابس بن أبى ربيعة قال : رأيت عمر رضى الله عنه يقبل الحجر ويقول : « انى أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك »

وزاد مسلم والنسائى فى رواية : (ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفيا)

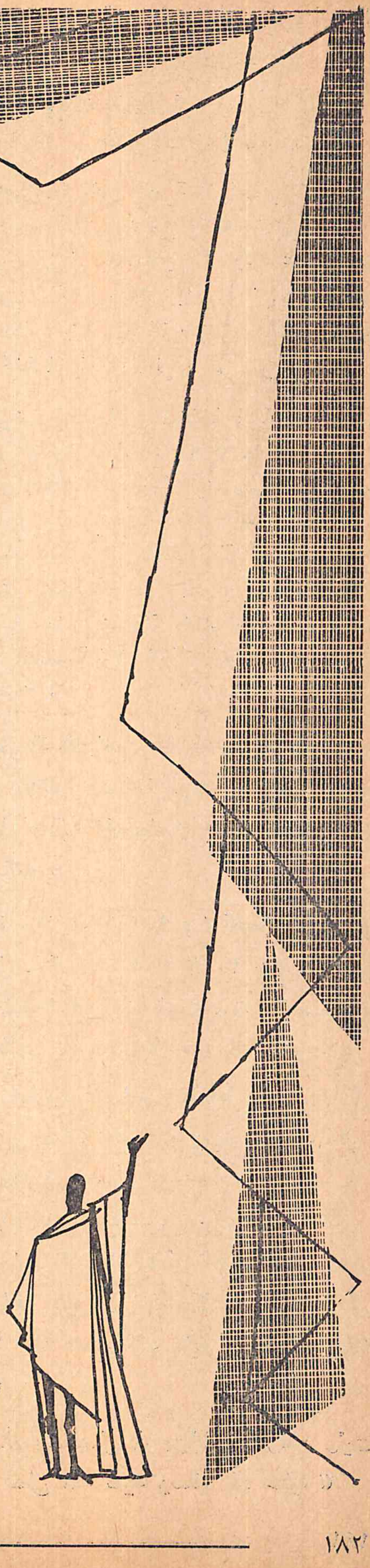

الحافظ الأمين

"قصة تمثيلية"

للأستاذ الكبير علي أحمد باكثير

المنظر
في بعض الطريق بين المدينة والشام

يرى خباب بن الأرت وصهيب بن سنان

خباب : صهيب بن سنان !

صهيب : خباب بن الارت .. ماوقوفك هنا ؟

خباب : أنتظر جمل أمير المؤمنين ..

صهيب : أترى أمير المؤمنين ينيخ في هذا الموضع ؟

خباب : نعم .. سألت أبا طلحة الأنصاري آنفا فعين لي هذا الموضع لنزول أمير المؤمنين

صهيب : اذن أنتظر هنا معك .

خباب : ضاع منك شيء ؟

صهيب : نعم ضاعت نعلي .

خباب : لا خوف عليها فسيجدها لك أمير المؤمنين لا محالة الا اذا سقطت من رجلك أثناء المسير ..

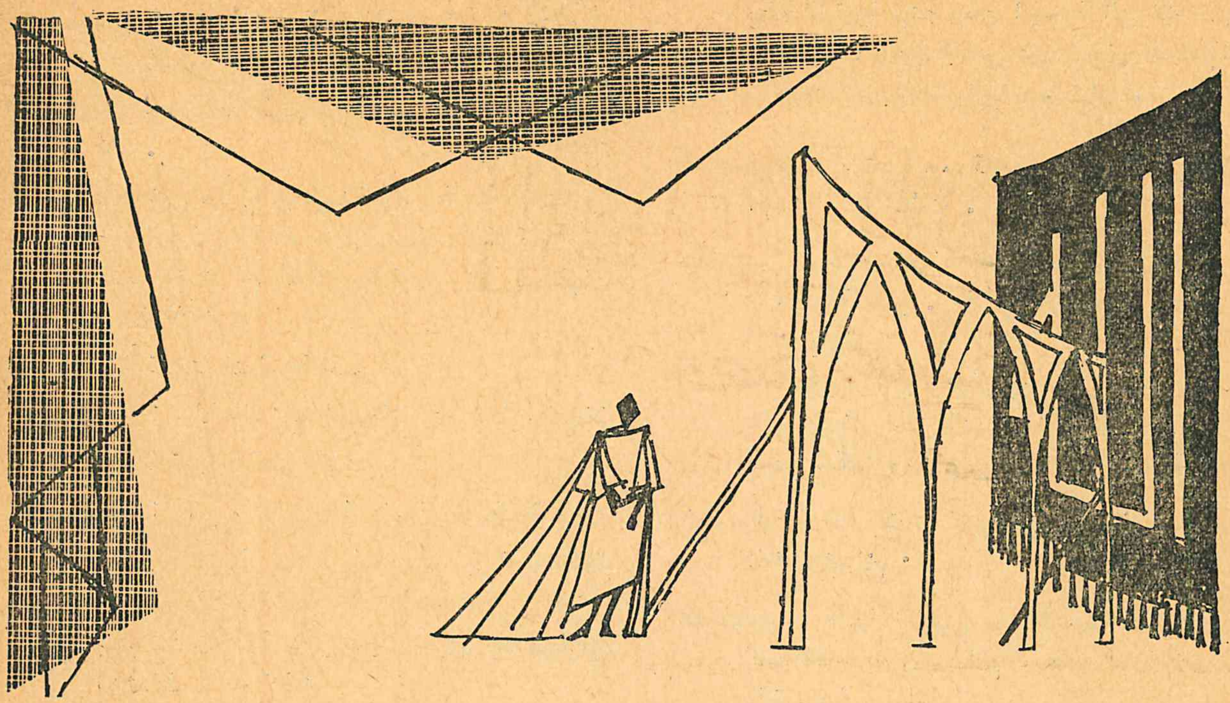

صهيب : كلا أنا موقن انى تركتها حيث أنخنا البارحة .. وأنت ياخباب ماذا أضعت ؟

خباب : خاتمى يا صهيب .

صهيب : خاتمك ؟ وتطمع أن يجده لك أمير المؤمنين ؟

خباب : ان شاء الله .. لقد أضعته أول من أمس فى مبركنا بتيماء فوجده أمير المؤمنين ورده لى غلامه أسلم .

صهيب : سبحان الله وما الذى جعلك تخلع الخاتم من أصبعك ؟

خباب : التيمم ياصهيب

صهيب : كان يحسبك أن تحركه فى أصبعك

خباب : لقد وضعته أمامى على الرمل وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره

صهيب : أنظر .. هذان رجلان قد أقبلا الينا .

خباب :-أبو سفيان بن حرب .. وصفوان بن أميه ..

صهيب : سبحان الله

خباب : أجل سبحان الله الذى جمعنا بهما اليوم فى سبيل الله !

(يظهر أبو سفيان وصفوان بن أميه فى الجانب الآخر من المسرح دون أن يلتفتا الى صهيب وخباب)

صهيب : ما لهما لا يسلمان علينا ؟ أستكبارا علينا بعد ؟

خباب : هيهات يا صهيب . بل استصغارا لقدرهما عن ذلك .

صهيب : الحمد لله الذى أذل سادات قريش وأعز المستضعفين .

خباب : أنظر .. ذاك جمل أمير المؤمنين قد ظهر من خلف التل .

صهيب : يالله قد بدا مثل المشجب مما عليه من المتاع .

خباب : أف للناس من بعده ياصهيب .

صهيب : صدقت يا خباب .. ان يجىء مثل عمر أبدا .. أنظر .. انه أناخ راحلته هناك.

خباب : لعل أبا طلحة بدا له فاختار ذلك المكان

أبو سفيان : هلم ياصفوان نمض اليه فنسلم عليه (يخرج هو وصفوان)

صهيب : هلم نتوجه نحن اليه ..

خبـــاب : على رسلك .. هو ذا قد رآنا فأقبل.

عمـــر : (صوته) السلام عليكما يا صاحبى رسول الله .

صهيب : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله .

(يدخل عمر وأبو عبيدة وأبو طلحة الانصارى وأسلم وكل واحد منهم يحمل شيئا مما كان على الجمل ثم يدخل خلفهم أبو سفيان وصفوان)

أبو طلحة : هنا ننزل يا أمير المؤمنين .

عمـــر : هذا الموضع الذى اخترته يا أبا طلحة؟

أبو طلحة : نعم يا أمير المؤمنين .

عمـــر : عمر وآل عمر فى طاعة أبى طلحة .

(يأخذ عمر فى تسوية الارض حوله واماطة ما عليها من الأذى فلا يسع الآخرين الا أن يصنعوا مثله ولكنه يتفوق عليهم جميعا فى النشاط والحركة)

عمـــر : اذهب يا أسلم فناد فى النـاس من سقط له متاع فليأت ليأخذه من أمير المؤمنين

أسـلم : سمعا يا أمير المؤمنين (يخرج)

عمـــر : (يفرش رداء على الأرض) اجلسوا ان شئتم

خبـــاب : لن نجلس يا أمير المؤمنين انما جئنا لما سقط من متاعنا .

عمـــر : أنتم أيضا من الذين يضيعون ولا يحفظون ؟

أبو سفيان : ونحن أيضا يا أمير المؤمنين .

عمـــر : هيه ترى ماذا أضعتم ؟

أبو سفيان : (يتقدم نحو عمر) أنا أضعت اداوتى يا أمير المؤمنين .

صـفوان : وأنا قوسى يا أمير المؤمنين (يتقدم نحو عمر)

عمـــر : على رسلكما لا تتقدما على من قدمه الله عليكما

أبو سفيان : ان أصحابى ينتظروننى هناك يا أمير المؤمنين .

عمـــر : (فى حدة) ويلك أتؤخر أصحاب رسول الله من أجل أصحابك ؟ هذا خباب ابن الأرت الذى عذبتموه فى الله فصبر وشكر ، وهذا صهيب الذى ترك لكم كل ماله بمكة لتخلوا بينه وبين الهجرة الى الله فأنزل الله فيه : **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد .**

صـفوان : لابأس .. قدمهما علينا يا أمير المؤمنين ان شئت .

عمـــر : تلك مشيئة الله يا صفوان بن أمية لا مشيئة عمر . ما على الأرض اليوم أحد أحق بالتقدم من هؤلاء الأربعة : خباب وصهيب وبلال وعمار بن ياسر .. وما أحد على الأرض أحق أن يتواضع لهؤلاء ويتحبب اليهم منكما ومن اشباهكما من مسلمة الفتح

خبـــاب : حسبك يا أمير المؤمنين فقد أكرمهم الله بالاسلام .

عمـــر : هيهات ليس من أكرمهم الله بالاسلام كمن أقام به الاسلام . هات ماذا فقدت ياخباب ؟

خبـــاب : فقدت خاتمى يا أمير المؤمنين .

عمـــر : (يخلع خاتما من أصبعه) أهذا هو ؟

خبـــاب : أجل يا أمير المؤمنين ..

عمـــر : أذكر أنى التقطته قبل ذلك ؟

خبـــاب : نعم يا أمير المؤمنين .. سقط منى أول من أمس فرده لى أسلم .

عمـــر : حذار ان تسقطه مرة اخرى فانى لن أرده عليك .

خبـــاب : فماذا أنت صانع به يا أمير المؤمنين ؟

عمـــر : لأجعلنه صدقة

خبـــاب : اذن تحفظه لى يا أمير المؤمنين عند ربى فلا يضيع أبدا .

عمـــر : وأنت يا أبا يحيى ماذا سقط منك ؟

صهيب : احدى نعلى يا أمير المؤمنين .

عمـــر : (يضحك) عندك النعل الأخرى .

صهيب : نعم .

عمـــر : أرنى

صهيب : هاهى ذى (يبرز النعل) ما يضحكك يا أمير المؤمنين

عمــــر : كيف كنت تمشى بنعل واحـدة ولم تفطن الى ذلك ؟

صهيب : كلا يا أمير المؤمنين لقد مشيت حافيا حين تركنا المبرك فلما حمت الشمس التمست نعلى فوجدت احداهما ولم أجد الاخرى .

عمــــر : (ينظر فى غرارة بين يديه ثم يخرج النعل) خذ يا أبا يحيى ولا تعد لمثلها .

ابو عبيدة : هلم الساعة ياأبا سفيان قبل ان يأتى الآخرون .

أبو سفيان : والله لئن قدمهم على كذلك لأتركن له متاعى ولا أسأله عنه .

عمــــر : اذن والله لا أبالى .. ماذا أضعت يا صفوان بن أمية ؟

صفوان : قوسى يا أمير المؤمنين .

عمــــر : قوسك ؟ تخرج للجهاد فى سبيل الله فتغفل عن سلاحك ؟

صفوان : لا أدرى يا أمير المؤمنين كيف غفلت عنها ؟ لقد ظننت أنى حملتها فى رحلى .

عمــــر : كان أحرى بك يا أبا أميـة لو نسيت عمامتك أو قلنسوتك .

صفوان : حنانك يا أمير المؤمنين هل وجدتها؟

عمــــر : لاينبغى لمن أضاع سلاحه أن نرده عليـه .

صفوان : هبها لى هـذه المرة يا أمير المؤمنين ولن أعاود .

عمــــر : والله لو كانت لغيرك ياصفوان بن أمية ما رددتها له . ولكنك أعرت النبى صلى الله عليه وسلم يوم هوازن أدراعك وسلاحـك وأنت مشرك فلا والله لاننسى لك هذا الفضل ابدا .. خذ يا أبا أمية (يعطيه قوسه)

أبو عبيدة : لقد أقبل الآخرون يا أبا سفيان .

عمــــر : ماذا سقط منك يا أبا حنظلة ؟

ابو سفيان : اداوتى يا أمير المؤمنين .

عمــــر : ويك هـل يغفل الرجل المسلم عن الأداوة التى يتوضأ منها للصلاة ؟

ابو سفيان : هذه الاداوة انما أشرب فيها ياأمير المؤمنين ولا أتوضأ منها للصلاة .

عمــــر : فكيف تتوضأ ويلك ؟

أبو سفيان : عندى اداوة أخرى للوضـوء يا أمير المؤمنين .

عمــــر : ما يدرينى لعل التى حفظتهـا هى اداوة الشرب

أبو سفيان : لا والله يا أمير المؤمنين .

(يدخل نفر من النـاس فيقفون حول أمير المؤمنين)

عمــــر : أنتم جميعا سقط لكم متاع ؟

النفــر : نعم يا أمير المؤمنين

عمــــر : ويحكم .. ألا يكفى أحـدكم نفسـه بنفسه ؟ الا يستحى أحدكم أن يكون كلا على غيره ؟ فكيف اذا واجهتم عدوكم وقد فقـد أحدكم سيفه والآخر رمحه والآخر درعه ولبس هذا احدى نعليه دون الاخرى والتمس ذاك لجام حصانه فلم يجده ؟

خبــاب : أنت الحافظ لنا يا أمير المؤمنين جزاك الله عنا خيرا .

عمــــر : ويحكم أو كل ساعة أبصر ما يسقط ؟ أو كل الليل أكلأ عينى من النوم لئلا يضيع لكم متاع ؟ أو ليس لى عمل آخر غير ذلك؟

أبو سفيان : أداوتى يا أمير المؤمنين

عمــــر : ما خطبها ؟

أبو سفيان : لم تردها لى بعد يا أمير المؤمنين !.

((ستار))

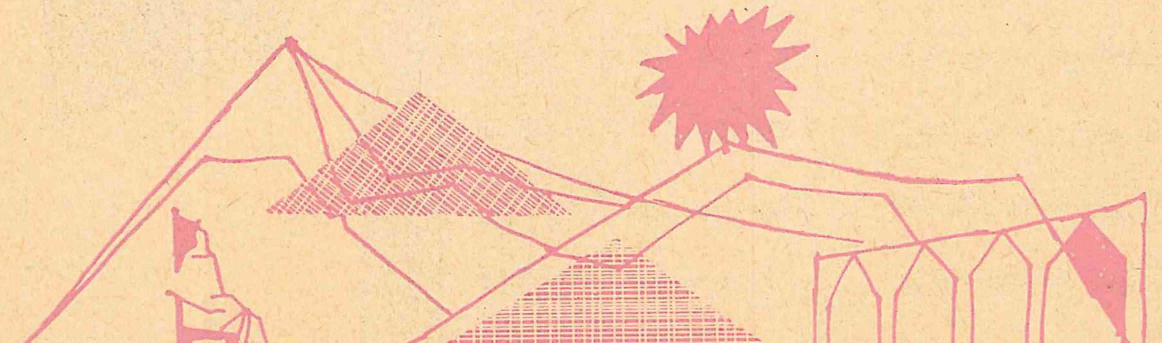

من وحى النبوة

صلى عليك الانبياء وسلموا

صلى عليك الانبياء وسلموا ... وملائك الرحمن حولك حوم
والارض تسجد يوم مطلع احمد ... لله شكرا والسماء تعظم
وتهلل الدنيا بمشرق نوره ... والكون باسم محمد يترنم
والماء يجرى فى القفار منابعا ... ويحى مولده المسيح ومريم
وتكبر الافلاك فى هام العلا ... وتضىء من نور النبى الانجم
ياخير من شرع الفضائل منصفا ... ان الزمان بما شرعت يقوم
جئت الخلائق نعمة أو منحة ... فكلاهما برىء الصدور وبلسم
الله جل جلاله خلق الورى ... حقا وعزته النبى الأعظم
بك بشر الانجيل عند نزوله ... واليك ينسب فى الحقيقة آدم
أرسلت مشكاة لتهدى عالما ... وبعثت بالدين الحنيف تعلم
انت الرحيق لكل نبع سائغ ... أنت المنار وانت وحى ملهم
فاليك تتجه القلوب جميعها ... شوقا بحبك كل قلب ينعم
وعلى شموع النور تهتف أمة ... بالحق تنطق بالرسالة تقسم
ابدا ستزحف بالنضال لغاية ... فوق المجرة دونها من يظلم

الشاعر
أحمد عثمان المراغى

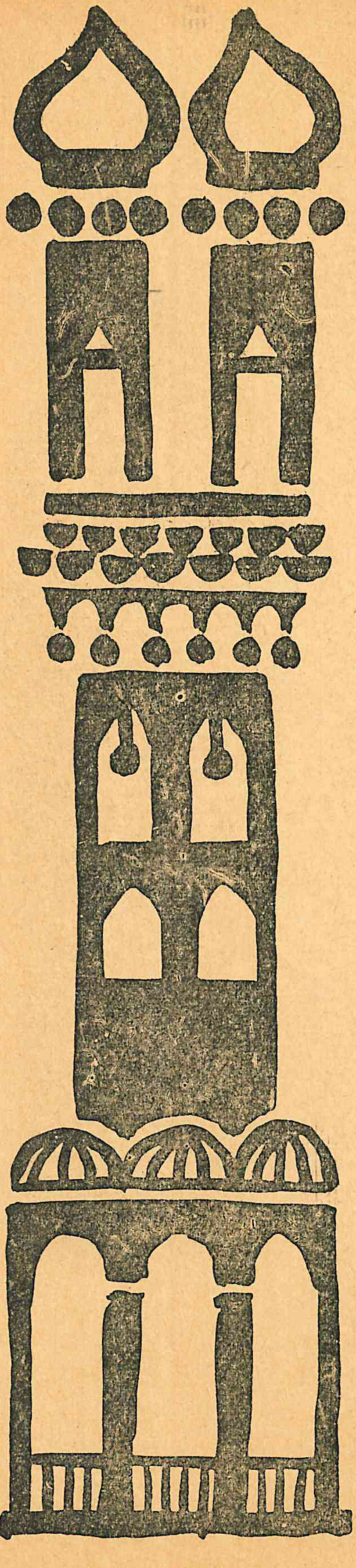

بالنصر فى سفر الزمان لموكب ... يمشى بهديك لن يسود الآثم

ابدا ولن يرقى على نصير الهدى ... نصر يزيفه العنيد المجـــرم

وعد من الله القوى لمنبـــر ... حر العقيدة بالهدى يتكـــلم

فالبيت بيت الله حيث يصونه ... جيش من الملأ العلى مكـــرم

تمضى الكتائب بالكفاح سلاحها ... دين وعزم ثابت لا يثـــلم

وتسير للنصر القريب عـزيزة ... وعلى ضفاف المجد سوف ترنم

تبت لمن زعموا النضال صنيعهم ... وهمو (الهوان) على المدى يتجثم

ياسيد الرسل الكرام تحيـــة ... من أمة عربيـــة لاتهـــزم

فسناهداك قيادها وزمامهـــا ... ورشاد ربك للاعزة مغنـــم

ورحاب فيضك قـوة وشآبة ... نحو العلا ومشارقه تتبســم

والصبر أوجده جهادك فى الورى ... والعزم عندك للحياة معـــلم

انا يارسول الله جئتك خاشعا ... وانا ببابك يامحمد أحـــرم

وانا برب الناس دمت موحـــدا ... وأنا على دين النبوة مســـلم

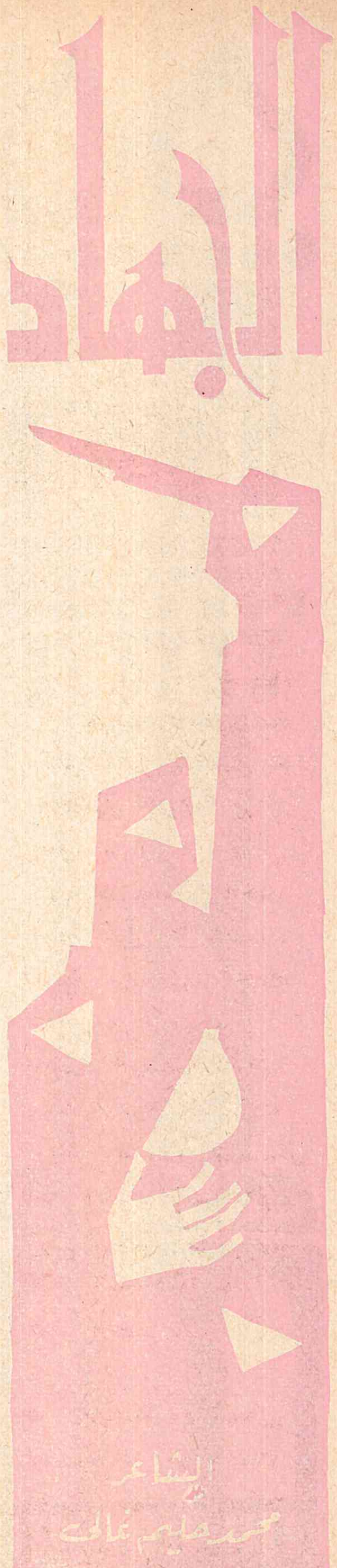

أى معنى يظلل الكون فينـــا   ان تداوى الانسان بالعدوان ؟!
هل رأى الناس ((لاجىء القدس))   هل عاش على الضيم مثله فى الزمان؟
سلب الأرض ، والحياة ، وأمسى   قصة الظلم ، والضنى ، والهوان
يأكل الجوع جانبيه ، وتفرى   لذعة البرد روحه فى امتهان
يالمأساته العجيبة .. ان ظل   شريدا يحوم حول المكـــان
والعدو المختل يعبـث فيـه   بالضحايا.. يعيث كالحيتان
يهدم (المسجد الكبير) ويمضى   لايبـــالى قداسة الأديـــان
انها القصة الكبيرة فى الظلم   تعالى بها وجود الجـــانى
لاضمير الانسان يعصـــم دنيا   ه .. ولا دين مشفق .. أو حان
(لا وصاياه) أبعدته عن الشر   ولاتاب عن خسيس المعـــانى
ملأ الغدر جـانبيه فهـــاجت   وقده الحقد فى حمى أوطانى
الجهاد الجهاد ياأمة النور ..   وأهـــل الكفاح ، (والقرآن)
كتب الله أن تكونوا جنـــودا   تحرس المجد غالى الاثمـــان
اشترى الأنفس النقية للنصـــ   ـــر فضاءت بالروح والريحان
ومشت فى الصفوف ليس هواها   غير يوم بجنة الرضـــوان
انها بيعة (الشهادة) للدين   لاعزاز أمة الايمـــــــان
الشهيد الذى يروح الى الله   سيلقى مغـــــانم الرحمـــن
فافتدوا (المسجد العظيم (ومسرى)   صاحب النور .. فى الحمى المزدان
وقفوا وقفة البطولة .. فالنصر   قريب . لعودة الأوطـــان

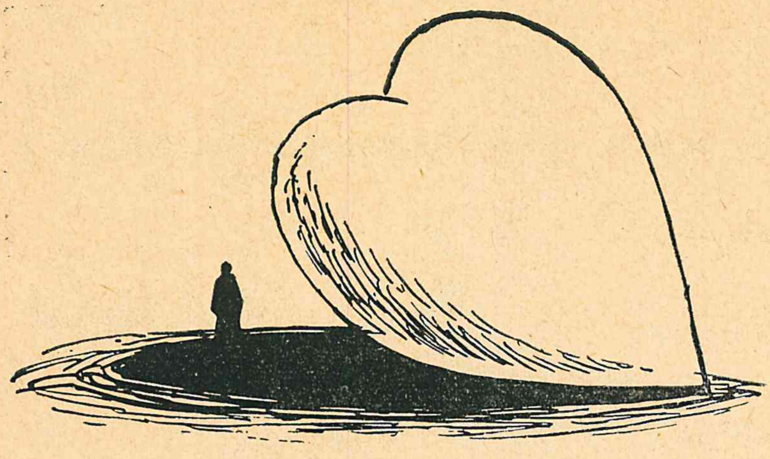

سجدة قلب

الشاعر عبد الله شمس الدين

عنـــد محراب ولائى بين خوف ورجـــاء
ســجد القلب ونادى يا لطيف اللطفـــاء
أنت رحمـــن البرايا أنت قهار القضـــاء
لا تدعنى فى شرودى والدجى يعوى ورائى
والأسى يعصـــر قلبى وهو يسرى فى دمائى
يرهب المجهول روحى بين ضــوضاء الخفاء
وأنا عجز وضـــعف دون حول أو دهـــاء
اننى يا رب عبـــد صيغ من طين وماء

* *

يا ولى الفضـــل هذى أدمعى فيهـــا ندائى
اتمم النعمة افضـــلا وادعنى دون ابتـــلاء
أنت يا ربـــاه حبى وبك اعتز بنـــائى
يا الهى لـــك كلى لك حمدى وثنـــائى
وأغـــاريد فـــؤادى فى صباحى ومسـائى
فى انطلاقات شـــعورى فى ابتهـالات دعائى
فى ابتســامى ودموعى فى نعيمى وشـــقائى

* *

أى لحـــن يا الهى هز بالحمد غنـــائى
كل شىء لك فيـــه قبســـات من ضياء
كل شىء قد تجـــلى بك فى هذا البهـــاء
بين صيف وخـــريف وربيـــع وشـــتاء
لك قلب الأرض يهفو منشدا لحن الســـماء

وحب البيت يُولعُهُ

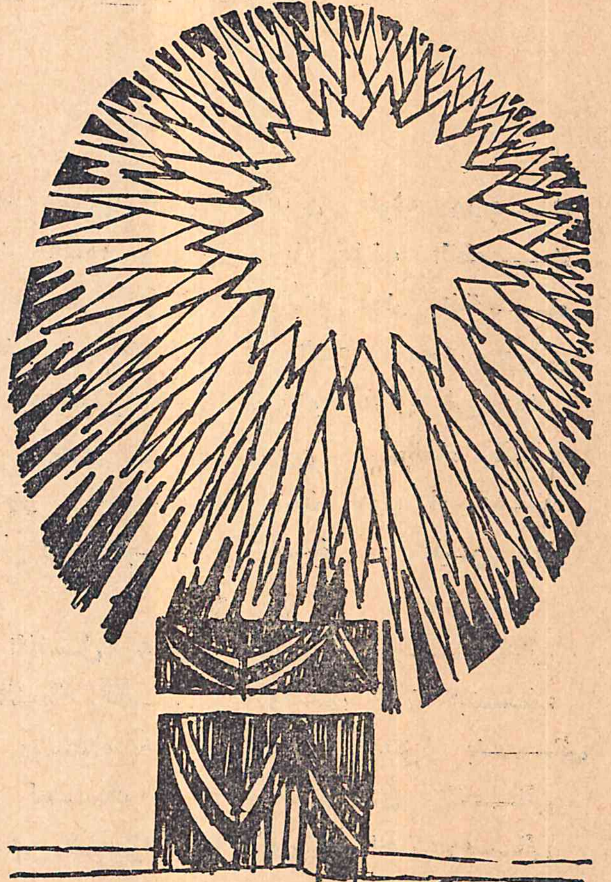

الشاعر محمود جبر
شاعر آل البيت

شوق تغالب أحشـــائى دوافعه
بين الشغاف وبين القلب موضـعه

كم ليلة بت أشـكو حرقة وجوى
قلب مشـوق وجفن فاض مدمعه

متيم يا رسـول الله غايته
منك الرضا وحب البيت يولعـه

كم ود يا مصطفى لو جاء معتمرا
يسعى اليك ونار الشـوق تدفعه

أهدى الرمال تحيـاتى وألثمها
فيبرأ القلب مما يأت يوجعه

وانظر الشمس عند البيت خاشعة
ترنو اليه بنـور أنت مطلعه

وأسمع الطير يشدو فى الحمى طربا
جار الرسـول فماذا ثم يفزعه

الحب والعدل والأمن الرفيق هنا
هنا الجمـال هنا يا قلب مرتعه

هل من سبيل الى اللقيا تعجل بى
كاد الهيام بمضنى القلب يفجعه

سكبت دمعى فما أغنت سواكبه
وسقت شعرى فما وفاك أروعه

وصنت سرى فما ألفيت جارحة
من شدة الشوق الا وهى تنزعه

سفينة من ولاء كاد قائدها
لولا العناية أن يلقاه مصرعه

فليس يدرى أموج البحر يخفضه
أم أن ما خاله يرديه يرفعه

وراح يزعم أن الدمع يتلفه
ورب ما ظن فيه الضر ينفعه

ليل المشوق كيوم الحشر معترك
من الهواجس قاس ليس يطعمه

خذوا علينا دروسا فى محبتنا
فكم لقينا هدى فيما نجرعه

خذوا علينا دروسا فى محبتنا
فرب منا أخ .. تهديك أصبعه

وكيف يخشى الأسى من زار روضته
وكيف من جاءه يسعى يضيعه

وكيف ينسى محب فى الهوى دنف
حاشاك ياسيدى والله تمنعه

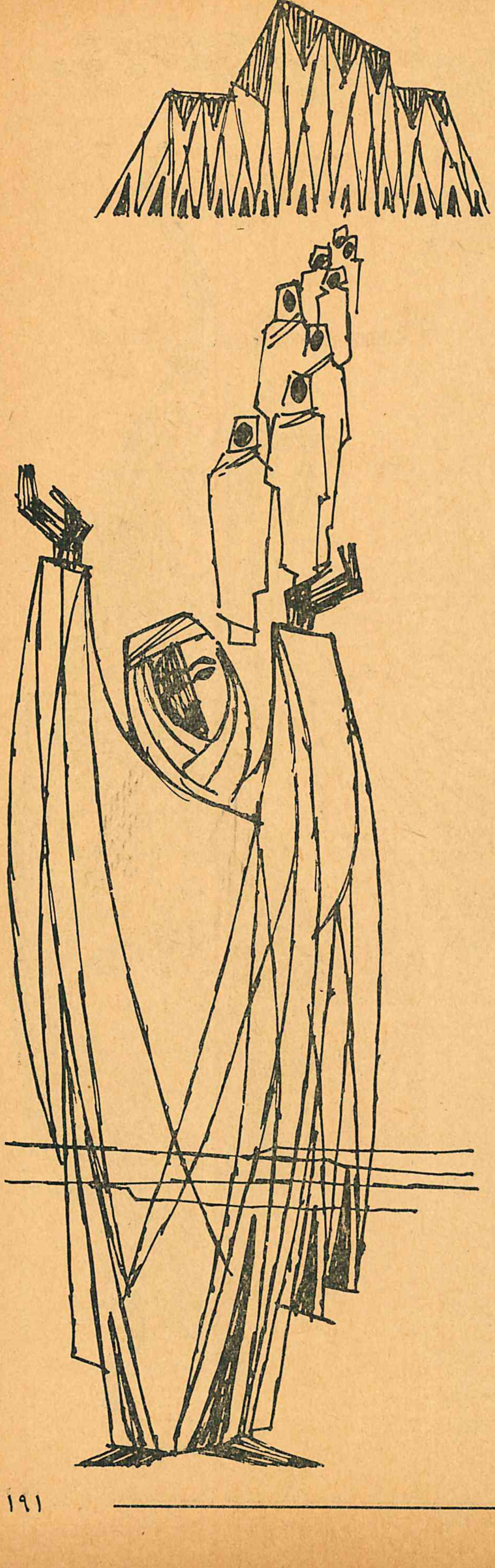

يا سيدى جاء ((كعب)) فى كبائره
وساق من شعره ما راح يبدعه

ونال من عطفكم ما كان يأمله
وحسبه بردة للخلد ترفعه

ومد قطب الورى كفا محببة
اذا بكفك يا مولاى تمتعه

وما يزال على أعتاب عترتكم
من عينه أنت يا ((طه)) ومسمعه

يا((مصطفى))المسجد الاقصى تملكه
من راح بالفجر والتفجير يفزعه

أضل أجناس أهل الارض من مردوا
على النفاق . . لهم فى((القدس)) ممرعه

أما فتى القدس من أعلاه منزلة
فهو الاسير وأدنى الوضع موضعه

يا رحمة الله للدنيا بأجمعها
أليس مسجدك الاقصى فتمنعه ! !

من أن يكون وطاء للألى فجروا
أو أن يكون لظلام يروعه

يا((مصطفى))المسجدالاقصى بكى حزنا
وهذه الآدمع الحرى تضرعه

فاضرع لربك يا طه لينصرنا
فأنت وحدك من يرجى تشفعه

يا سيدى يا رسول الله خذ بيدى
وسل ((حسينك)) عما بت أصنعه

آتيه صبحى وليلى أستقى نهلا
والمستقى من ((حسين)) أنت منبعه

أعيش والله فى نعماء دائمة
جار الكرام ترى ماذا يروعه

والله لو جلبوا لى الشمس ترضية
ما سر قلبى وقرب منك يقنعه

يا سيدى هذه الدنيا وزينتها
ليست تساوى حديثا عنك اسمعه

... صوت من القناة

الشاعرة روحية القلينى

هدمتموه وكان عشا   للهناء .. وللسعادة
بل كان محرابا ترتل   فيه ألوان العبادة
حولتمو البسمات دمعا   ت جرت فوق الوسادة
والجفن عالق فى أسى   وتحسر أبدا سهاده

***

جاءت الى من « السويس »   تئن من وقع المصيبة
فحياتها كانت من النعمى كأغنية رتيبة
قالت لنا ودموع عينيها من الشكوى حبيسة
أنا لا أطيق أرى اليهود تهدد الارض الحبيبة

* *

أطفالها من حولها يتساءلون .. ويصرخون
قولى لنا يا أم فى ثقة بأنا .. عائدون
نحيا على الأمل الجميل أجل سيمضى الغاصبون
سنعود رغم الغدر ، يا أماه تلعش الأمين

* *

فأجبتها لا تيأسى من رحمة الله العظيمة
سيمد للثوار فى ساح الوغى يده الكريمة
ويشل يا أختاه فى غضب .. يد الجانى الأثيمة
والله عون السائرين على الدروب المستقيمة

مناجاة

الشاعر أحمد عمر هاشم

يا خالقى قلبى رآكَ   وبكل خاطرة دعاكَ
بأنينه ، وحنينه   وخشوعه الباكى رجاك
هو لا يبالى بالحيا   ة ، فحسبه فيه لقاك
هو لا يبالى بالمما   ت فحسبه فيه نقاك
هو ان تجهمت الحيا   ة ، وساورته فى عراك
لا يستكين ولايذل ..   كفاه يا ربى نداك
سلك الطريق وحسبه   من هذه الدنيا رضاك
سبحانك اللهم لا   أحصى كمالك أو ثناك
يا رب كل علا تنا   هى فهو دونك فى علاك
هذى الحياة بكل ما   فيها تسخرها يداك
أنا فى الطريق اليك يا   رب الورى أهوى هواك
لى كل يوم خمس مر   ات أنعم فى حماك
حيث الصلاة ببيتك المعمور .. ما أسمى لقاك
وبكل عام رحلة   للروح فى عليا هداك
حيث الصيام المستقيـ   ـم المرتقى سامى علاك
الصائم القوام أمـ   ـسى فى الطهارة كالملاك
والعابد الأواب نا   ل شفاعة من مجتباك
والمذنب العاصى غفر   ت ذنوبه لما دعاك
والمدلج الحيران فى الـ   ـبيداء نال هدى هناك
والخائف الهياب قد   أمنته لما أتاك
وأنا طرقت الباب أسـ   ـتجديك فى خجل عطاك
حسبى تقى ، وسعادة   أن ليس فى قلبى سواك

من مآثر الإسلام

الأستاذ حسين السكري

لقد اختار الله ـ جل وعلا ـ الاسلام ليكون خاتم الأديان كلها ، وجعل أمته أمة وسطا ، فرسم لها طريق الاعتدال فى كل شىء ، واختصهابجزء كبير من رحمته،بل حضها على اتباع الرحمة، والتمسك بها ، وجعلها قبسا يشع فى كل زمان ومكان ، منذ ميلاد البعث المحمدى الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، لا بل حتى تقوم الساعة ويقف الناس ليوم الحساب ثم ياتينا رسول الانسانية ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيشفع لامته أجمعين، هكذا أراد الله أن تكون الرحمة نبراسا للامة ، لانها من صنع الله القدير ، « صنع الله الذى أتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون » والرحمة صفة من صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولازمة من لوازمه ـ جلت قدرته ـ لا تفارقه طرفة عين ، فهى جزء لايتجزأ من البسملة التى تفتتح بها كل شىء ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما قال «كل شىء لايبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر » ولا شك أن هذا مبدأ تأسيس هام فى حياة الامم والافراد ، كما أنها من أعظم المبادىء التى عناها الاسلام .

والرحمة لا يقف مضمونها أو مفهومها عندحد من الحدود ، فهى متشعبة وطرائقها متعددة ، وهى أيضا لازمة للكبيروالصغير، والقريب والبعيد على السواء فاذا تأملنا قول الله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا ، امايبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلاتقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » نجد ان هذا التوجيه الكريم يوصينابالوالدين خيرا ، والخير هنا يكون فى البر بهما ، وعدم الضجر والتأفف منهما ، ورعايتهما والسهر عليهما خصوصا اذا بلغا مرحلة الكبر ، وأصبحا غير قادرين على الكسب والعمل ، فلا يليق زجرهما ، بل يجب أن نخاطبهما خطاباكريما، فيه احسان اليهما ، وتكريم لهما ، وهذا بعض ما لهما علينا من أفضال وأعتقد أن هذا هو مفهوم الرحمة كما ينبغى هنا .

ولا يغيب عن الذهن أن الرحمةتستلزم الأدب فى الرد والمخاطبة، ومن هذا قوله تعالى « واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا » والمراد بالقول الميسور هنا كما ذكرعلماءالتفسير، القول اللين الذى لايقطع الأمل ولايخيب الرجاء، ومما لايختلف فيه اثنان أن الرحمة تربط بين الناس برباط قوى متين ، وتقرب مسافات البعد بينهم ، وتأسر نفوسهم ، وتطبعها بطابع الألفة والمودة ، ولقد تجلى هذا واضحا عندما فتح الرسول مكة ، والتقى بقومه وعشيرته الذين أخرجوه وآذوه ، ولم يتركوا بابا من أبواب الشر الا فتحوه له ، غير مبقين على أواصر القربى وصلة الرحم ، ولكن الرسول الكريم كان أكرم منهم نفسا وأكبر منهم قلبا،فقال لهم لما اجتمعوا حوله وهم يتوجسون خيفة،ويظهرالهلع فى أعينهم،ولكنهم يكتمون هذا حياء وكبرا ،قال لهم تلك القولة المشهورة التى سجلها التاريخ ، وذهبت تدوى فى سمع الزمن « يا أهل مكة ، ماذا تظنـون أنى فاعل بكم ، قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء » هذه هى الرحمة بعينها كما عناها الاسلام ، هذا هو التعاطف الانسانى الشامل الذى جعل النبى العظيم يملك القلوب ، ويقتلع منها بذور الضغن والشر ، ويغرس فيها الايمان والعدالة الاجتماعية، ومن هنا أشادمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صروح الاسلام ورسم الطريق الصحيح للانسانية الكريمة .

ولا أخال أحدنا يجهل ما حدث للنبى العظيم عندما أغرى سادة ثقيف سفهاءهم وغلمانهم فتعقبوه وهم يرمونه بالحجارةحتى سال الدم من قدميه الشريفتين فاتجه الى الله قائلا « اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى ؟ اللهم انى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح به أمر الدنيا والآخرة ، ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » يخرج هذا النداء من القلب ليدوى فى أجواء الفضاء ، ويصعد الى الملكوت الاعلى ، فينزل جبريل عليه السلام سريعا ، ويقول « يا محمد ان ربك يقرئك السلام ، ويخصك بالتحية والاكرام ، ويقول لك لو امرتنى أن أطبق عليهم هذين الجبلين لفعلت » فيجيب الرسول الرحيم قائلا : « اللهم أهد قومى فانهم لا يعلمون » فيعقب الامين جبريل « صدق من سماك الرءوف الرحيم » وأى رحمة تعدلها هذه الرحمة حقا انها الرحمة فى أسمى معانيها وأروع صورها ، فهو رسول الرحمة ، ومعجزته الخالدة هى الرحمة نفسها « وننزل من القرآن ما هو شـفاء ورحمة للمؤمنين » وصدق رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما يقول : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا » ولهذا نراه يضرب لنا أعظم الأمثلة فى ذلك عندما يترفق بسبطيه الحسن والحسين رضى الله عنهما حينما كان يمتطى أحدهما ظهره وهو ساجد للصلاة فيمهله ولايستعجله عطفا عليه ورحمـة به ، وكيف لا .. وهو القائل : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها وسقتها ، ولاهى تركتها تأكل من خشاش الارض »

وها هو أمير المؤمنين عمر الذى اشتهر بالشدة والصرامة يقدم عليه أحد الذين رشحهم للولاية ، فيراه وهو يلاطف ابنه الصغير ويقبله ، فيسأله الرجل : أتقبل ولدك يا أمير المؤمنين؟ ان لى عشرة أولاد ما قبلت واحدا منهم ، ولا دنا أحدهم منى ،

فقال عمر : « وما يدرينى أن الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك، وكان قد أمر بكتاب الولاية أن يكتب ، فأمر بأن يمزق ، وهو يقول: كيف يرحم الرعية من لا يرحم أولاده »

ثم نراه فى موقف آخر ، أعجب من هذا وأغرب ، نعم نرى عمر فى ذلك الموقف الانسانى الرائع ، وقد شاهد شيخا ضريرا يسأل على باب ، وعرف أنه من اليهود ، فسأله : ما الذى ألجأك الى ما أرى . قال : الجزية والحاجة والسن . فمشى به عمر الى منزله وأعطاه ، وأرسل الى خازن بيت المال يقول له : أنظر هذا وأضرابه ، فوالله ما أنصفناه ان أكلنا شبابه ، ثم نخذله عند الهرم ، وأجرى عليه الصدقة ، ووضع عنه الجزية وعن أمثاله من مساكين أهل الكتاب .

وهذاهو على بن أبى طالب الذى نهل من نبع النبوة ، وارتوى من عذبها نجده مثالا حيا للفارس البطل الرحيم فى أوقات اللين والعسر ، وفى معاملة الصديق والعدو . فقد صلى فى موقعة الجمل على القتلى من أصحابه ومن خصومه على السواء ،وليس هذا فحسب ، فالذى يدعو للدهشة أنه يظفر بعمرو بن العاص فيعرض عنه لينجو بحياته ، وهو يوقن كل اليقين من كراهية عمرو له وحقده عليه ، وتدبيره المؤامرات والدسائس ليضعف شوكته ، ثم نرقبه فى معركة صفين حين حال جند معاوية بين جيش على وبين الماء ، ولم يمكنوهم من الشرب ، وقد كانت رغبةعلى واضحة فى السلم ، وفى استمالتهم الى أن يخلوا بينه وبين الماء ، فلماأجلاهم سيدنا على عن الماء أمر جنوده على أن يقابلوا السيئة بمثلها ، فصاح فيهم ابن عم رسول الله : خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا عسكركم وخلوا عن الماء

ولقد لازمته هذه الرحمة وتلك المروءة حتى النفس الاخير من حياته ، فاذا به ينهى أهله عن التمثيل بقاتله ، أو التجاوز فى الثأر الى قتل غيره

ولو ذهبنا نسوق الأمثلة ونقدم البراهين لأعيانا الحصر وطال بنا المقام ، ولكنى على أيةحال سأسوق قصة أخرى وقعت حوادثها بعد عصر الرسول الكريم والصحابة الاجلاء . فبينما كانت احدى المعارك دائرة رحاها بين صلاح الدين والصليبيين، جاءت امرأة من نساء الفرنجة الى صلاح الدين ، فبكت بكاء يقطع نياط القلوب ، وضربت صدرها ، وشكت اليه ما فعله الجند من خطف ابنتها الصغيرة ولن يستطيع أن يرجعها اليها أحد سواه ، فرق صلاح الدين لمنظرها ، وذرفت عيناه بالدموع، وأمر فى الحال بالبحث عن صغيرتها وارجاعها الى أمها،وسرعان ما عادت البنية فأمر الفارس البطل بحمل المرأة على فرس ومعها ابنتها لتعود الى قومها مكرمة .

ولا أحب أن أذهب فى الاستقصاء والاطالة الى أبعد من هذا، ولكنى أنشد العبرة ، وأهدف الى التدبر والتأمل ، والانتفاع بتلك الامثلة الحية التى يزخر بها تراثنا الاسلامى الاصيل ، فحبذا لو تراحم الناس فيما بينهم وعطف قويهم على ضعيفهم ، وغنيهم على فقيرهم ، وكبيرهم على صغيرهم ، اذن لقويت الروابط ، وامتنعت الشكوى ، وساد الرخاء ، وعم الاخاء وحينئذ نجدد ما سلف من ماضينا التليد ، ومجدنا العتيد ، ويحق لنا أن نفاخر بمقدساتنا فى القديم والجديد .

الناصر

يثأر للإسلام

الأستاذ على الجمبلاطى

كان ذلك فى موقعة (مرج راهط) وهو موضع فى الغوطة من دمشق . كانت تلك الموقعة سنة اثنتين وسبعمائة هجرية بين جيوش (قان غازان) ملك التتار ابن (أرغون بن أبغا بن هولاكو) مخرب بغداد . وبين جيوش (الملك الناصر محمد بن قلاوون) وهو التاسع من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية والبلاد الشامية ولقد أدرك بها (السلطان الناصر) وأجناده الثأر من التتار عن الموقعة التى كانت سنة ٦٩٩ هـ فى (وادى الخازندار) وانكسرت فيها عساكر الناصر أمام جيوش غازان وهرب بعدها الملك الناصر وواصل التتار زحفهم الى ضياع الشام ونهبوا (الصالحية) وسبوا أهلها ثم أحرقوا (سوس) وأوقعوا بها النكال والدمار . وفى ذلك يقول القاضى جمال الدين أبو بكر قاضى عجلون من قصيدته (البشائر) التى نيفت على مائة وخمسة عشر بيتا يحث المسلمين فيهما على ادراك ثأرهم من المغول :

فخذ عزاءك فيهم انهم أمم
هم اللعاوس ان قلوا وان كثروا
هبوا الى (سوس) من أحلام رقدتكم
وسارعوا فى طلاب الثأر وابتدروا
ان تتركوهم فان القوم ما تركوا
يوما عليكم ولا أبقوا ولم يذروا
أما رأيتم وعانيتم وقد فعلوا
فى (الصالحية) ما لا تفعل التتر
أشفوا صدوركمو ان كنتم غيرا
على نسائكمو يا قوم واذكروا
فكم أراقوا وكم ساقوا وكم هتكوا
وكم تملوا بما نالوا وكم فجروا
فما قعادكمو عن أخذ ثأركمو
هبوا سراعا وخافوا اللوم يا غير
وسارعوا واقتلوهم انهم قتلوا
وبادروا وأسروهم مثلما أسروا

وبعد هزيمة السلطان وعساكره وما فعله التتار فى ضياع الشام من الخراب والنكال ، خاف أهل الشام وخرجوا الى (غازان) يطلبون منه الأمان وكان غازان قد تسمى (محمودا) وصار يقال له السلطان (محمود غازان) فأرسل الى (الملك الناصر) يطلب الصلح لانه أسلم ويريد حقن دماء المسلمين

ولكن الملك الناصر أبى ذلك لماعلم من خديعة غازان . ثم مرت الايام بأحداثها حتى جاءت الاخبار سنة ٧٠٢ هـ بأن أسيرا من أمراء (غازان) يقال له (قلطوشاه) قد دخل (حلب) على حين غفلة من أهلها ومعه طائفة من عساكر التتار وصاحبه (بولاى) وقد جاءوا بخديعة أخرى فزعموا أن بلدهم اضمحلت هذه السنة وقصدهم الاقامة بحلب حتى يشتروا لهم أرضا يفلونها ، ثم بعد أيام دخل منهم جماعة نزلوا (بالمرعش) فأرسل نائب حلب يكاتب السلطان بذلك . فلما وفاه هذا الخبر عين السلطان جماعة من الامراء المقدمين عدتهم ستة أمراء وعين ألف مملوك من المماليك السلطانية ، فخرجوا من القاهرة على الفور مسرعين فلما وصلوا الى (غزة) تواترت الاخبار بوصول غازان الى (الرحبة) وأن نائب الرحبة تلطف به وأرسل له بالاقامة مع ولده ، ومنعه من محاصرة المدينة ، فلما أن بلغ السلطان الناصر ذلك أحضر الامير (سلار النائب والاتابكى بيبرس الجاشنكير) وتشاوروا فى الامر فأشاروا على السلطان بالخروج قبل أن يتمكن العدو من البلاد فنادى السلطان فى جميع أماكن القاهرة للعسكر بالرحيل من كبير وصغير . ثم أن السلطان أحضر جماعة من عربان الشرقية ومن عربان الغربية ونادى بالنفير عاما ، وخرج مسرعا وكان معه الخليفة (المستكفى بالله أبو الربيع سليمان) الخليفة العباسى الثانى الذى كان يقيم مع الناصر بمصر ومعهم القضاة الأربعة وسائر الامراء والعسكر فلما رحلوا من (الريدانية) تقدم الاتابكى بيبرس الجاشنكير مع جماعة من العسكر قدام السلطان فلما وصلوا من الشام جاءت الاخبار بأن جيش غازان قد وصل الى قرب (حماة) فأرسل الاتابكى بيبرس يستحث السلطان فى سرعة الحضور فجد السلطان فى السير حتى وصل الى الشام فى مستهل رمضان من هذه السنة ولكنه لم يقم بالشام وبرز الى قتال عسكر (غازان) وكان مع السلطان من العساكر المصرية والشامية وعربان جبل نابلس نحو مائتى ألف مقاتل وكان مع غازان مثل ذلك أو أكثر وكان (قطلوشاه) قد وقف على أعلى النهر فصفت العساكر الاسلامية ووقف السلطان فى القلب وبجانبه الخليفة المستكفى والامير سلار النائب والامير بيبرس الجاشنكير وجمع من الامراء ووقف فى الجناح الايمن (الامير قبجق) بعساكر حماه والعربان وجماعة كثير من الامراء ، ووقف فى الميسرة الامير (بدر الدين بكتاش الفخرى) أمير السلاح وجمع من الامراء ومشى السلطان على التتار والخليفة بجانبه ومعهما القراء يتلون القرآن الكريم ويحثون على الجهاد ويشوقون الى الجنة . ثم عاد السلطان والخليفة الى مواقفهما وخلفهما الغلمان والاحمال والعساكر .

فلما تم الترتيب زحفت كراديس التتار كقطع الليل ، وكان ذلك فى وقت الظهيرة وتلاقى العسكران على (مرج راهط) تحت جبل (غباغب) فى السبت الثانى من رمضان فكان بين الفريقين هناك واقعة عظيمة لم يسمع بمثلها فيما سبق وكان (لسلار وجاشنكير) فى ذلك اليوم اليد البيضاء على المسلمين واستمروا فى القتال الى أن كشفوا التتار عن المسلمين وكانت النصرة يومئذ (للملك الناصر محمد بن قلاوون) على (غازان)، فقتل من الفريقين ما لا يحصى عددهم وأسر من عسكر غازان نحو الثلث وقتل من أمراء مصر تسعة غير من قتل من أمراء الشام (دمشق وحماة وحلب وطرابلس وغزة) وقتل من المماليك السلطانية والأمراء نحو ألف وخمسمائة مملوك .. هذا غير العربان والمشاة والعبيد والغلمان ، وقتل من التتار عشرون ألفا وقد كانوا يظنون أنهم جاءوا ليقضوا على المسلمين . وينتصروا كما غرتهم الموقعة الاولى فى (وادى الخازندار) وفى ذلك يقول (محمد البزاز المنجبى) يمدح السلطان :

داسوا بلادك لا يثنى أعنتهم
عن قصدها جهلهم والتيه والبطر

غرتهمو فلتة فى الدهر عن غلط
منها فحلت بهم من بعدها العبر

وأملوا أنها مثل التى ذهبت
فعودوا ودماهم فى الفلا غدر

قابلتهم بجيوش ما لهم من قبل
ببأسها فلقد قلوا وأن كثروا

أفنيتهم بليوث منك باسلة
وهل تقاوم آساد الشرى الحمر ؟

ولمادخل الليل حالت الظلمة بين العسكريين فالتجأ غازان وقائدهم (قطلوشاه) الى أعلى الجبل القريب منهم ، فلما صعد قائدهم الجبل رأى السهل والوعر كله عساكر فبهت وجمع أصحابه وشاورهم فيما يفعل وقد أرجفت بوقات السلطان قلوبهم فلم يلبث (بولاى) وخرج من تجاه (قطلوشاه) فى نحو العشرين ألفا من التتار ونزل من الجبل بعد المغرب وفر هاربا، وبات السلطان وعساكره على ظهر الخيول ، والطبول تضرب وتلاحق بهم حتى ارتفعت الشمس ، وشرع (قطلوشاه) فى ترتيب من معه ونزلوا فبرزت المماليك السلطانية بمقدميها وعملوا فى قتالهم عملا عظيما ، وكذلك فعل الامراء بمن فى وجهتهم حتى انتصف نهار الاحد فصعد قطلوشاه الجبل وقد قتل من عسكره الكثيرون واشتد بجنوده الجوع والعطش فصاروا ينسحبون فى الاودية أولا بأول فحمل السلطان بعساكره على من بقى منهم حتى صيروهم رمما وأسروا منهم ما شاءوا فامتلأت من قتلاهم القفار وضجوا كما قال فيهم القائل :

مشوا متسابقى الاعضاء فيهم
بأرجلهم بأرؤسهم عثار

اذا فاتوا السيوف تناولتهم
بأسياف من العطش القفار

فلما أيد الله المسلمين بنصره عادوا الى السلطان وعرفوه بهذا النصر العظيم فكتبت البشائر فى البطائق وسرحت الطيور بهذا النصر المبين الى (غزة) وعين السلطان الامير (بدر الدين بكتوت الفتاح) للمسير بالبشريات الى مصر . ثم كتب بهذا الفتح الاعظم الى سائر الاقطار ، ثم ان السلطان رحل من المكان الذى وقعت فيه الواقعة ، ودخل الى دمشق وبصحبته الخليفة المستكفى بالله والقضاة الاربعة ونزلوا بالقصر الابلق .. وكان يوما مشهودا أزينت له دمشق زينة رائعة فأقام بدمشق ما بقى من رمضان ثم قصد التوجه الى الديار المصرية فوصل الى القاهرة فى ثالث عشر من شوال وكان يوما أغر لا مثيل له ، والاسارى من عسكر التتار وأمرائهم أمامه فى قيودهم ورءوس من قتل منهم معلقة فى رقابهم .

وكما قضت دمشق شهر رمضان كله فى مسرات تتجدد والسلطان بينهم حتى صلوا معهم صلاة (عيد الفطر) كذلك كانت فرحة (مصر) بالنصر وسلامة سلطانهم (الملك الناصر محمد بن قلاوون) وأخلف الله تعالى بهذه الموقعة ما جرى على المسلمين من انكسار فى موقعة (وادى الخازندار) .. وقد بلغ الخبر (غازان) فاغتم غما عظيما وخرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على الموت وناله من القهر والهم ما لا مزيد عليه وفى سنة ٧٠٢ هـ (والملك الناصر) يقيم بالديار المصرية عزيزا منصورا ، ورد عليه الخبر بموت (غازان) بمدينة (السرى) وقيل ان زوجته قد دست له السم فمات مسموما وحمل الى (تبريز) ودفن بها وكان قد أخذ يجمع عساكره ليزحف بها على البلاد الشامية ثانية ليدرك ثأره ولكن كفى الله المؤمنين القتال وفى ذلك يقول الشيخ علاء الدين الوادعى :

لقد مات (غزان) بلا علة
ولم يمت فى السنة الماضية

بل شنعوا فى موته فانثنى
حيا ولكن هذه القاضية

وهكذا تمت الموقعة الفاصلة التى أكملت نصر المسلمين وقضت على التتار الغادرين وفى غد وانه لناظره قريب سيعيد التاريخ نفسه ويثأر للعروبة والاسلام زعيمنا الناصر جمال فى معركة المصير من شرذمة الصهاينة الآثمين كما قضى الناصر قلاوون على التتار المعتدين فى موقعة (مرج راهط) ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

المال بين النعمة والنقمة

الأستاذ منصور نسيم

ونحن اذا نظرنا الي التكاليف التي فرضتها التعاليم الخلقية على ملكية المال استنادا الى عقيدة الاستخلاف التي غرستها هذه التعاليم فى وجدان المسلم نجد أن نظام الملكية فى الاسلام يختلف عن نظيره فى الاقتصاد الرأسمالي حيث يكون للمالك السلطان المطلق فيما يملك بغير أى قيد عليه ، أما الاسلام فيفرض طائفة من التكاليف والالتزامات على المالك لمصلحة المجتمع وهذه التكاليف والالتزامات قابلة للقبض والبسط ، فتضيق وتتسع على ضوء الضرورات المحيطة بالمجتمع الذى يحيا فيه المالك ..

هذه التكاليف تقيد حق مالك المال من حيث انها تكاليف بأمر أو بنهى ازاء ما فى حوزته من المال ، تكليف بفعل يتصل بهذا المال ، أو تكليف بالامتناع عن فعل ، فهى ايجابية وسلبية ، وعلي الوجهين تقيد حرية المالك فى كيفية استثمار ماله ، وفى طرق التصرف فيه، كما ترسم له الوسائل الجائزة فى كسب المال ، فاذا لم يصدع مالك المال بهذه التكاليف كان آثما وظالما لنفسه ، وله فى الاخرة جزاء الظالمين ، واذا نهض بها فقد وعده الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة

ولكن ما دمنا نتحدث عن ملكية المال فى مجتمع اسلامي تقوم فيه حتما رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا وخلافة للنبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا فان الاسلام لا يترك تعاليمه الاخلاقية معلقة فى الفضاء بخيط من أهواء النفس البشرية ونزواتها ، بل يبادر الاسلام الى تحصينها بتعاليمه التى تبسط يد الشارع ويد ولى الامر فى حمل مالك المال علي احترام هذه التكاليف اذا لم يذعن لها طائعا بدافع عقيدة الاستخلاف ..

وتبدأ التكاليف الايجابية التي تمليها التعاليم الخلقية علي مالك المال هو أن يوجه نشاطه وكفايته الى استثمار ماله فى نطاق الوجوه المشروعة للاستثمار على نحو يفى بحاجاته وحاجات من يعولهم وفاء طيبا ، وبغير عدوان علي مصلحة الجماعة ، فالاسلام ، يبغض الفقر ويكافحه ، ويدعو المسلم الى الجد فى تنمية أمواله أخذا بنصيبه من الدنيا ، فكلما حسن مركزه المادى كلما استطاع أن يكون أحسن فى اسلامه ، وأقدر علي أداء فرائضه ، حتى العبادات التى فرضها الاسلام على المسلم لا يكون أداؤها ذريعة للتراخي فى نشاطه المادى وابتغاء فضل الله بكسب المال واستثماره ، وبشرط أن يكون هذا الكسب وهذا الاستثمار فى نطاق الوسائل التى أباحها الله لكسب المال واستثماره فاذا أبقي مالك المال ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع ، وكان هذا التعطيل متعمدا من المالك وطال أمده فانه يبوء باثم كبير ، لانه يكون جاحدا لنعمة الله فيما آتاه من مال ..

يأتى بعد ذلك التكليف الذى يدعو الى التزام المسلم بأداء قدر محدود من ماله لمصلحة الطبقات الفقيرة ، والمحرومة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وهى فريضة الزامية واجبة الاداء علي كل من اجتمع لديه نصاب الزكاة ، واذا امتنع المسلم عن أدائها كان هادما لركن من أركان الاسلام ، والزكاة لها فى العربية مداول مزدوج : الاول انها تزكية وتطهير للروح ، والثانى أنها تزكية وتنمية للمال ، فلها هدف روحى تعبدى ، ولها هدف اقتصادى نفعى ، هى أولا تزكى نفس مؤديها بما تتيح له من تدريب مستمر على حرمان النفس للبر بالغير ، وشفاء لها من سيطرة الشح عليها ، وهى ثانيا بما تبثه من تراحم بين طبقات المجتمع وما تنزع من غل عند الطبقات المحرومة للطبقات الموسرة تساعد على توزع الثروة فى ثنايا المجتمع ، وتحول دون تكديسها فى أيد قليلة ، وما يلازم هذا التكدس من مساوىء خطيرة اقتصادية واجتماعية .. « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » والمتأمل فى ترتيب هذه الاصناف من المستحقين للزكاة يجد أنهم يمثلون فى المجتمع طبقة تستحق عطف المجتمع اذا حرص المجتمع على أن يكون كالبنيان يشد بعضه بعضا .

هذه هي مصارف الزكاة الثمانية ، ومنها يتضح أن المصرف الاول والثاني

يتجهان الى علاج الفقر وتمكين طبقة الفقراء من ازالة أسبابه ، وان المصرف الثالث – عمال الزكاة – يتجه الي تمكين جباة الزكاة من مباشرة جبايتها وتوزيعها على مستحقيها ، أما المصرف الرابع فهو لتمكين المسلمين من تبليغ الدعوة لمن يجهلها ، والمصرف الخامس ، مصرف انسانى يتجه الي انقاذ كرامة الانسان من رق العبودية والرق ان زال الان رسميا فهو لا زال قائما فى استرقاق الشعوب ، والمصرف السادس والثامن يتجهان الي اسعاف ضحايا الظروف الطارئة التى لا يد لهم فى احداثها ، أما المصرف السابع فهو موجه الى خدمة المصالح العامة بغير تحديد ..

ولما كان الانفاق – سواء كان خاصا أو عاما ، فرديا أو حكوميا – يعتبر من أهم أركان الاقتصاد – مهما كان لونه – فان الزكاة الاسلامية تصبغ هذا الركن بصبغة انسانية تميز المجتمع الاسلامى عن المجتمعات المعاصرة ..

أما تكليف الانفاق فى سبيل الله فهو أوسع نطاقا من الزكاة التي لا تقع الا على نسبة محددة من مال المالك ، أما الانفاق فيمتد الي كل عطاء يخرج من ذمة المالك فى سبيل الله ، فى سبيل الخير العام .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان فى المال حقا سوى الزكاة » ثم تلا قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال علي حبه ذوى القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة » وهذا الفصل فى الاية الكريمة بين الانفاق والزكاة بالصلاة دليل على الاختلاف بين الانفاق والزكاة والنص علي كل من الانفاق والزكاة على حدة فى آية واحدة قاطع بان كليهما يختلف عن الاخر ، وانهما فريضتان مختلفتان ..

فالانفاق اذا فريضة الزامية فى أصلها ، واختيارية فى نطاقها ، بمعني أن تحديد الحصة التى ينفقها المسلم من ماله فى سبيل الله موكول الى محض اختياره واملاء ضميره ، واما الانفاق فى ذاته فمفروض عليه فرضا لا فكاك منه ، فالقرآن فى عديد الايات يرفع فريضة الانفاق فى سبيل الله الى مرتبة أعلى الفرائض والزمها فى تامين سلامة المجتمع الاسلامى ، يقول تعالى مخاطبا جماعة المسلمين : « وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » فهنا يساوى بين الانفاق فى سبيل الله ونجاة الجماعة من الهلاك ، ويجعل الاحجام عن الاضطلاع بهذه الفريضة بمثابة انتحار اختيارى يندفع فيه المسلمون نحو حتفهم ، وفى آيات أخرى نجد القرآن يساوى بين الانفاق فى سبيل الله وواجب بذل النفس فى سبيل الله ، بل انه ليذكر انفاق المال قبل بذل النفس : « تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .. « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » فالخيار اذا فى فريضة الانفاق فى سبيل الله مقصور على تحديد حصة الانفاق من مال المسلم ، فهذا التحديد متروك لمحض ارادة المسلم بعكس الزكاة التي حدد الاسلام حصتها ونصابها ومصارفها ..

أما التكاليف السلبية فتبدأ فى اجتناب الضرر فى كيفية استعمال المالك لماله ، بأن يمتنع عن استعمال ماله علي نحو يلحق الضرر بمال الغير أو يلحق الضرر بمصلحة الجماعة ، وقد أجمل هذا التكليف أمر الرسول صلى الله عليه وسلم .. « لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام » ونص هذا التكليف ينفى الضرر نفيا باتا فيفيد وجوب منعه مطلقا ، ويشمل الضرر الخاص والعام ، ويفيد أيضا دفعه قبل الوقوع بطرق الوقاية الممكنة ، ورفعه بعد الوقوع بما يمكن من التدابير التى تزيله وتمنع تكراره ، كما يفيد اختيار أهون الشرين لدفع أعظمهما ، لان فى ذلك تخفيفا للضرر عندما لا يمكن منعه بتاتا .

والتكليف الثانى يرد علي كيفية تنمية المالك لماله ، فحرم علي المسلم أن يلجأ الى تنمية ماله الى الربا ، أو الى الغش فى التعامل ، أو الي الاحتكار وغيرها من الجرائم الكامنة وراء طرق التنمية المالية الشائعة الان فى الحضارة المادية المعاصرة .

أما التكليف الثالث فيرد على كيفية ادارة المالك لماله اذا كان المال من الطيبات الاستهلاكية ، فيجب عليه الامتناع عن الاسراف وعن التقتير علي السواء ، لان كلا من الطرفين يتعارض مع مصلحة المجتمع ، فالتقتير وما يقترن به من اكتناز الذهب والفضة أو غيرهما من وسائل النقد يحول دون نشاط التداول النقدى ، وهو ضرورى لانتعاش الحياة الاقتصادية فى كل مجتمع فحبس المال تعطيل لوظيفته فى توسيع ميادين الانتاج وتهيئة وسائل العمل للعاملين . قال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .. كما أن التقتير يتعارض مع تعاليم الاسلام فى أن ياخذ المسلم نصيبه من الدنيا ، وان يتمتع بطيبات الحياة من غير سرف ولا مخيلة ، فكما أن الاسلام يعطى الفقير فضلة من اموال الزكاة يوسع بها على نفسه ، ويستمتع بما هو فوق ضروراته ، فاولي أن ينفق الواحد وأن يتمتع بالحياة متاعا معقولا ، وان لا يحرم نفسه من طيباتها قال تعالى « واما بنعمة ربك فحدث » والرسول يقول : ان الله يحب ان يرى أثر نعمته علي عبده ، فالشظف والمتربة مع القدرة انكار لنعمة الله يكرهه الله ، واما الغلو فى التبذير والاسراف فى ألوان الترف السفيه فيولد البغضاء فى الطبقات المحرومة ، ويربى الخطر الذى ينذر بهلاك المجتمع ، وقد أجيز لولى الامر الحجر على السفهاء . قال تعالي : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » وقوله .. « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »

وهكذا رسم الاسلام – فى سلوكه الاقتصادى طريقا وسطا بين النقيضين وقد سجلت هذه الوسطية الاية الكريمة فى قوله تعالي « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

يتبع ..

وحدة الأمة على قيثارة اقبال

الأستاذ عبد العليم المهدى

« تقول الاصنام فى المعبد .. لقد ولى المسلمون الادبار .

وترقص الاصنام فرحا .. لان سدنة الكعبة قد اختفوا .

وخلا مسرح العالم من حداة الابل .. فروا ومعهم قرآنهم !

ان عبيد الاصنام يسخرون منا .

أيها المسلمون .. أليس فيكم شعور ؟

ألا تحسون بضرورة وحدتكم ؟

وحدتكم من وحدانية الله !؟؟

هكذا قال محمد اقبال بن نور محمد ، الشاعر الفيلسوف الاسلامى الذى صنع بشعره دولة باكستان ، وما كانت باكستان أمله الوحيد ، فان قيثارة اقبال كانت تعزف لحنا أعظم ، هو تأكيد الذات البشرية ، سليلة آدم الذى سجدت له الملائكة ، وهو تحرير الفرد المسلم ، وتحرير الشعوب الاسلامية ، وهو الوحدة الاسلامية ، ثم الوحدة الاخوية ، يقودها المسلمون بالعلم المصبوغ بصبغة القرآن ، الى مجتمع تتحقق فيه رسالة الرحمة التى نزل بها النبى العظيم .

هذه لمحة سريعة الى فلسفة اقبال التى شغلت عليه كل حياته ، وقد تزعم بشعره حركة تجديد الفكر الاسلامى .. كان مقامه فى الهند مقام الامام محمد عبده فى مصر ... كلاهما صاحب دعوة عريضة وعميقة الى تحرير الفكر الاسلامى ، والتنبيه الدائم المستمر الى أن الاسلام دين متجدد تقدمى قادر على هضم كل المدنيات وهداية البشرية الى أفضل حياة . كلاهما كان يدعو دائما الى أن الاسلام لابد أن يقوم على العقل ، ولابد للاسلام أن يجدد الحياة كل صباح ، فالاسلام لا يقبل أبدا أن يكون نصوصا صماء ، أو طقوس كهنوت ، انه دين جهاد وعمل من اجل الحق والخير والجمال .

وتميزت فلسفة اقبال بانها تقوم أساسا على هذا المبدأ :

« ان المثل الدينى والاخلاقى الاعلى ، ليس نكران الذات ، بل تأكيد الذات .. الانسان الحقيقى لا يضيع فى الكون بل يضيع الكون فيه » .

لم يكن تحقيق هذا المثل سهلا فى نظر اقبال ، لانه قال :

« البارحة .. رأيت شيخا يطوف المدينة .. وبيده قنديل .. سمعته يردد فى صراخ مكتوم .. مللت حياة الجان .. والوحوش فى الغابات

انني أبحث عن انسان .

قلت : نحن مثلك .. نبحث عنه ولا نجده .

قال : غايتى البحث عما لا استطيع أن أجده .

ومضى الشيخ .. وبقى اقبال فى تأملاته يقول :

على كل انسان بذل كل جهده .

لكى يبحث عن ذاته فى ذاته ..

عليه أن يفعل فوق ما يستطيع ..

من أجل تنمية ذاته ..

النبى الكريم يقول :

« تخلقوا باخلاق الله » .

على هذه الطريقة كتب اقبال ونشر أحد عشر ديوانا من الشعر ، مؤكدا بذاته التى اكتشفها أن الانسان الذى سجدت له الملائكة ، قادر على أن يحلق بآفاقه الى مدار النجوم .

ورغم أن الشعر ثمرة الخيال ، فقد كان شعر اقبال ثمرة الواقع ، وجوهر الحق ، وأداة تكوين الفرد المسلم قوى البدن قوى الروح .

اقرأ معى قوله :

« لا يكون الانسان انسانا .. حتى يعمل فى هذه الحياة عملا هاما .. عملا لا يؤديه غير الشجاع .. من لايملك القدرة الخلاقة ليس انسانا . القدرة ثمرة القوة .. قوة البدن وقوة الروح .

ان الشجاعة ليست فقط فىمواجهة الخطر .. ولكنها قبل ذلك القدرة على حماية الايمان .. عندما تسوء الامور » .

ثم يدعو اقبال بقلبه لشباب الاسلام :

« يا الهى حرر أفكارهم من العبودية ..

اجعل الشباب معلمين للشيوخ ..

امنحهم قوة البدن والروح .

امنحهم قلب على بن أبى طالب ..

امنحهم حب أبى بكر الصديق ..

اعط الشباب يارب .. آلام قلبى وحبى وبصرى » .

هذا هو اقبال الشاعر الذى قال فيه الزعيم محمد على جناح أول رئيس لجمهورية باكستان : كان اقبال دليلى الى باكستان .. كان أول انسان عزف على قيثارة الايمان ، فبنى شعره دولة يجب أن تكون أمل الاسلام ..

ويمضى اقبال فى التعبئة الاسلامية فيقول :

« أمام المسلمين اليوم عمل كبير .. على كل مسلم أن يعيد التفكير فى دينه .. وحذار أن ينفصل عن ماضيه .. ان تحصيل المعرفة الحديثة .. طريقنا الوحيد للتقدم .. كل علم نضمه فى ضوء الاسلام لنؤكد للبشرية تقدمية الاسلام .

ان جوهر الاسلام ليس نظريات .. انه قادر على هضم كل المدنيات .. قادر على احتواء كل علوم الارض .. قادر على تجديد الحياة .

لنؤكد للبشرية تقدمية الاسلام .

ان احياء مجد الاسلام واجب بالعقل والمنطق .. بالفكر الحر والبحث المخلص ..

الدين ليس أمرا جزئيا ولا فكرا مجردا ..

الدين ليس شعورا مجردا أو عملا مجردا ..

الدين تعبير مجسم عن الانسان كله ..

لنؤكد للبشرية تقدمية الاسلام »

درس واحد

ولا يكتفى الطبيب الاجتماعى اقبال بوصف عظمة الدواء بالايمان .. ولكنه يسبق ذلك بتشخيص الداء .. ذلك فى قوله :

النبى العظيم يريدنا مجتمعا واعيا يقظا .. هل نحن كذلك ؟

عندما تخلى المسلمون عن الروح .. انهار سلطانهم السياسى .. وتغلغل فيهم النفوذ الاجنبى . فعزل العلم عن الدين .. ليكون علما بلا حقيقة .. وعزل الدين عن المجتمع .. ليكون الناس شخوصا بلا قلوب ولا أرواح .

هكذا تأخرنا .. هكذا تراجعنا .

تعلقنا بالعلم دون الروح ..

سرنا وراء الارتفاع الى أسفل ..

حقيقة الاسلام قائمة على الروح .

الانسان المادى ليس له واقع ..

على كل مسلم أن يعيد بناء نفسه ..

على الشعوب المسلمة أن تتحرر .

وفورا يجب أن تتحد ..

ثم تبنى حياتها مع البشرية .. ديننا رحمة لها جميعا .

هناك درس واحد وعيته فى تاريخ المسلمين ..

فى أحلك الساعات .. فى أحرج اللحظات .. عندما تهب أعاصير الخطر .

كان الاسلام هو حبل النجاة .

ولم يكن المسلمون .

ليتهم يركزون النظر على هذه الحقيقة ..

فورا تتجمع قواهم المبعثرة .

وتستطيعون استعادة كيانكم المفقود ..

وتنقذون أنفسكم من خراب شامل .

قرآنكم زاخر بالآيات الشريفة ... ميلاد البشرية .. واعادة تكوين البشرية .. كميلاد وبعث فرد واحد .

لماذا لا تقدمون الدليل على هذه الحقيقة ؟

لماذا لا تعيشون وتتحركون وتتكتلون كفرد واحد ؟

ان ما أقوله لكم سيظهر بوضوح .

حينما تتمكنون من بناء الذات .

الذات الجماعية .. تنظرون منها الى الحياة .

ارادة الايمان

ولا يكاد اقبال ينتهى من تاكيد الذات بعزة الانسان ، حتى يبدأ بلحن جديد لهذا التاكيد .. فهذا هو يقول :

« أومن فى أعماقى بان غاية الذات ليست أن ترى شيئا .. بل أن تكون هى نفسها بعض الشىء ! ان هذا الكون لم يخلق عبثا .. هناك رسالة يجب أن تؤدى فيه .. هنا على الارض مكان هذه الرسالة .. قدر على الانسان أن يسهم فى اداء الرسالة الكونية .. قد يكون هو الذى يكيف مصير نفسه .. بل ومصير الكون ايضا .

الدليل على حقيقة الذات ..

ليس فى قول ديكارت أنا أفكر .

ليس فى قول كانت : أنا أقدر .

بل فى قول الغزالى من قبلهما : أنا أريد .

وفى قول « الفقير » : ان آدم لم يهبط من الجنة الى الارض ليبقى فيها ، بل ليرتفع بفكره وايمانه وعمله الى الجنة مرة اخرى »

وقد عاد اقبال بفكره وايمانه وعمله الى الجنة مرة اخرى .

وكان ذلك فى ٢١ ابريل ١٩٣٨ ، منذ ثلاثين عاما ، يوم قال لصحبه وتلاميذه من حول فراشه :

النغم العذب الذى ولى قد يعود أو لا يعود ..

النسيم الذى يهب من الحجاز قد يهب أو لا يهب .

ان أيام « الفقير » بينكم قد انتهت ..

وقد يظهر أو لا يظهر بعدى عالم بسر الاسلام .

لكنى أحدثكم الآن عن سمة المؤمن .

انه يستقبل الموت باسما .

انه من الذى رضى الله عنهم .

ورضوا بجواره .. هنا على الارض وفوقنا فى السماء »

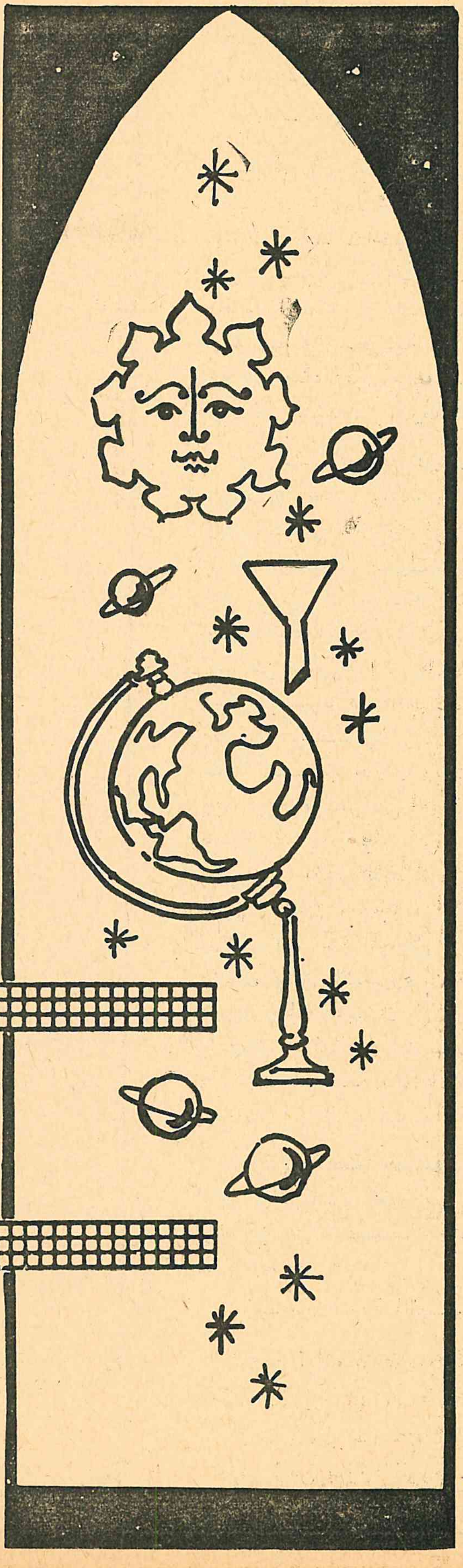

باب العلم

دلائل الحق في عظمة الوجود

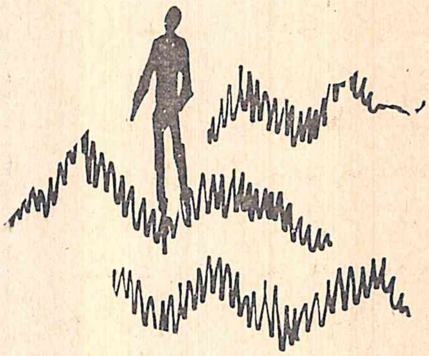

النوم مراحله ومظاهره

الدكتور عزت خيري

« هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون »

٦٧ – من سورة يونس .

النوم نعمة جليلة من نعم الله على خلقه ، وصنو أساسى لليقظة يصاحب كل منهما بالعديد من التغييرات الفسيولوجية والحيوية والكيميائية والعصبية بما يتفق مع كل منهما من حيث رسالته ودرجة النشاط اللازمة له .

والسائد ان النهار هو زمن العمل والكد والسعى وبالتالى فان ما يلزمه من طاقات ومقومات يتهيأ له فى الجسم عن طريق الغذاء والهواء وما يصاحب ذلك من عمليات وظواهر وتغيرات . والليل سكن يسترد فيه الجسم بعضلاته وأعصابه وخلاياه ما فقد أثناء النهار ويستكين ويستريح ويسترخى ويستعد بالتالى لنهار جديد ، وان كان النوم هو مظهر للسكون فان للنوم مراحل ودرجات ، كما أن لكل من هذه المراحل ظواهر ودلائل ليس بالضرورة أن تكون كلها فى حالة السكون بل ان منها ما يمثل أنواعا من النشاط والعمل خاصة فيما يتعلق بالمخ ومراكز الاعصاب فيه .

« ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »

٧٣ – من سورة القصص

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله أن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون »

٢٣ – من سورة الروم .

ومنذ عهد الفلاسفة الاوائل أمكن للانسان التفرقة بين نوعين رئيسيين من النوم ، نوم اليقظة « أو النوم الخفيف » والنوم العميق – أو ما يطلق عليه « السبات » .

وقد كان النوم كظاهرة الى عهد قريب مجال تخمين وغموض من حيث كنهه والتغيرات التى تصاحبه ، الا أنه فى السنوات القليلة الماضية، أمكن كشف اللثام عن خفايا النوم بواسطة اجهزة الرسم الكهربائى للمخ والاعصاب . وبواسطة هذه الاجهزة الحديثة أمكن تسجيل موجات المخ ، وتحركات العين والانشطة المختلفة للجهاز العصبى أثناء مراحل النوم المختلفة ، وتمكن علماء فسيلوجيا الاعصاب من التعرف على بعض خفايا النوم والاجزاء الخاصة من الجهاز العصبى التى تأخذ دورا فى عملية النوم ويمكننا فيما يلى تحليل الظواهر الاساسية المصاحبة للنوم .

دور المخ فى عملية النوم :

منذ حوالى ثلاثين عاما مضت اكتشف العالم الالمانى كلاو بواسطة جهاز رسم المخ ان النوم يمر بمرحلتين أساسيتين : الاولى تمثل فترة من النوم الخفيف يصدر خلالها لحاء المخ « الطبقة العليا الخارجية للمخ » موجات كهربية بطيئة ، والثانية مرحلة نوم عميق تزداد خلالها سرعة هذه الموجات . الا أن هذا الاكتشاف لم يلق آنئذ التفاتا ملحوظا الى أن كانت الخمسينيات من هذا القرن حيث توالت المشاهدات وسجلت الملاحظات عن ميكانيكية النوم وعلاقته بذبذبات المخ والجهاز العصبى .. ومن النتائج الهامة فى هذا الصدد ما توصل اليه العالم الامريكى كلايتمان Kleitman وتلاميذه ، الذين لاحظوا من الدراسة التى أجروها على الاطفال الرضع والبالغين ، ان فترات النوم الخفيف – الذى يوصف « بالنوم النشط» تصاحبها تحركات سريعة للعين من تحت الجفون المغلقة ، وقد وجد أن هذه الحركات لها علاقة بموجات صادرة عن المخ ، ويمكن أن يوجد نوع من الارتباط بين حركات العين وموجات المخ وبين فترات الاحلام ، مما أدى الى اعطاء نماذج للاحلام مرتبطة بالذبذبات والحركات المشار اليها .

وقد لاحظ العالم ديمنت Dement أن القطط تمر فى نومها بمرحلة نشاط مماثلة . وقد جرى العالمان الفرنسيان جوفيت Jouvet وميشيل Michel عدة تجارب على القطط بوصفها أكثر الكائنات نوما ، اذ تقضى حوالى ثلثى وقتها فى النوم . وقد بينت هذه الدراسات أن عملية النوم عند القطط تمر بمراحل مميزة تصاحبها علامات يمكن بسهولة التعرف عليها . فعندما ينكمش القط على نفسه ويتخذ شكلا متكورا مع ثنى الرقبة بما يدل على أن العضلات فى هذا الجزء محتفظة بنوع من الشد ولم تسترخى كلية بعد ، يبين هذا الوضع أن القط قد ذهب فى نوع من النوم الخفيف الذى يمكن أن يوقظ بسهولة . وبعد حوالى ١٠ الى ٢٠ دقيقة يغط القط فى نوم عميق وتسترخى عضلاته ويأخذ وضع استرخاء كامل ، ويصبح من الصعب ايقاظ القط الا باستخدام درجات عالية من الصوت او الصدمة الكهربائية. والطريف ان مرحلة من النوم الخفيف تمكث حوالى ٢٥ دقيقة ، فنوم عميق مرة أخرى وهكذا .

ومن الامور العجيبة أن حالة النوم العميق هذه التى تكون فيها العضلات مسترخية تماما يصاحبها حالة نشاط كبيرة فى المخ والاعصاب ، فقد لوحظ حدوث دفعات قوية من حركات العين من تحت الجفون المغلقة فى جميع الاتجاهات من الشمال الى اليمين أو من أسفل الى أعلا بينما تزداد فتحة انسان العين فجأة خلال هذه التحركات وتنقبض ثانية لتتخذ وضع النوم العميق .

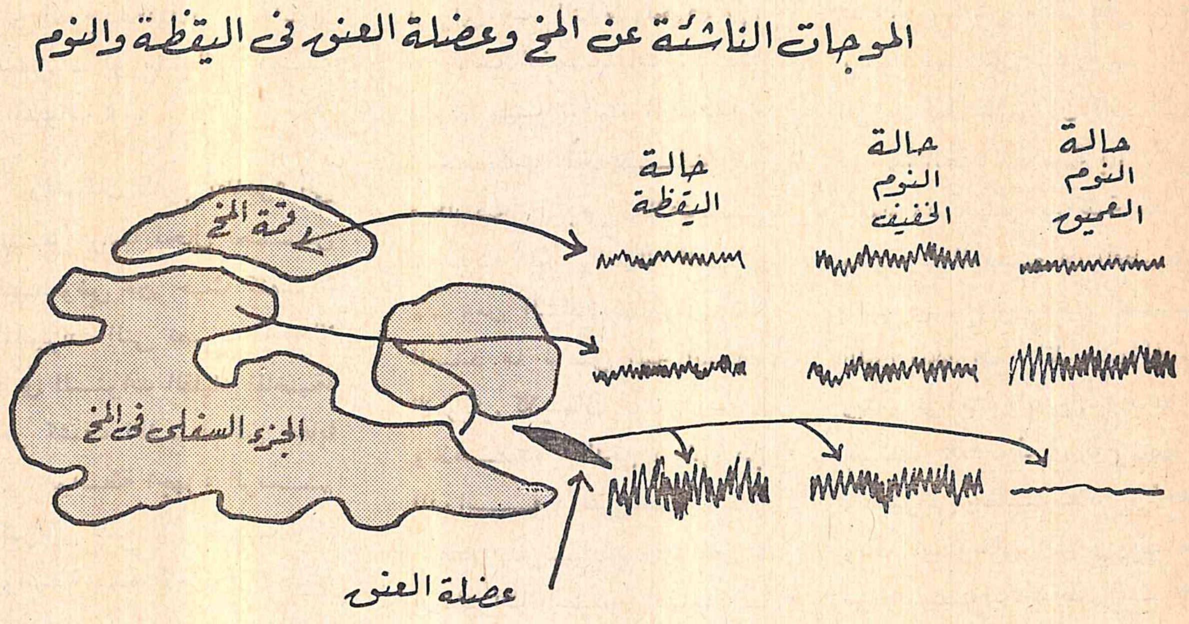

ومع هذه التحركات فى العين تحدث تموجات فى المخ تزداد سرعتها عن سرعة المرحلة الاولى من النوم الخفيف ، هذا الى جانب تحركات عضلية بين الحين والحين فى أجزاء مختلفة من الجسم .

وقد وجد أن هذه المراحل من النوم عند القط تشبه الى حد كبير ما يحدث فى الانسان مع اختلاف المدد فى كل مرحلة عند الانسان عنها فى الحيوان . وقد دل ذلك جميعا على أن حالة النوم العميق حالة معقدة تشتمل على عدة ظواهر بعضها يمثل استرخاء كاملا للعضلات والبعض الآخر يمثل نشاطا ملحوظا للجهاز العصبى . ويمثل الشكل المرفق (١) وضع القط فى حالات اليقظة والنوم العميق ، كما يبين الشكل رقم (٢) التموجات الكهربائية الصادرة عن المخ فى هذه الحالات والتموجات الصادرة عن عضلة العنق .

ميكانيكية النوم

وما يصاحبه من أحلام :

لقد كان البحث عن ميكانيكية اليقظة والنوم وطريقة الانتقال من احداهما الى الاخرى مجالا واسعا لدراسات وآراء الى أن كانت التجارب المشار اليها باستخدام أجهزة تصوير ذبذبات المخ وحركات الاعصاب ، فأصبح من الممكن تكوين فكرة مقبولة وقابلة للتطوير والتعميق عن هاتين الظاهرتين المتعاقبتين فى حياة الكائنات ، وقد أصبح من السهل التفرقة بين حالة اليقظة وحالة النوم فليس معنى النوم هو ببساطة انتهاء لليقظة ، بل ان النوم على وجه التحديد هو نتيجة لفعل أجهزة نشيطة تعمل على ايقاف — أو كبت — حالة اليقظة ، بينما انتهاء حالة اليقظة معناه أن الاجهزة والمراكز العصبية المسئولة عن هذه الحالة يتوقف عن العمل .

وبالتـــالى يمكن القـــول أن ميكانيكية اليقظة لهـــا نظامها الخاص وميكانيكية النوم لهـــا تنظيمها الخـــاص ويرتبط أحدهمـــا بالآخر بأن يتوقف عندما يكـــون الآخر فى حالة نشاط .

والمعجـــز فى الامر أن كلا النظامين منحة الهية تعمـــل ذاتية آنيـــة لأجل مسمى ، اذا توقف احدهما نشـــط الآخر ، ولا يفرق بين النـــوم العميق والموت الا أن الاول ألى يقظـــة نشيطة والثانى الى غير يقظة . سبحانه جل من قائل :

« الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

٤٢ – من سورة الزمر

« وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهـــار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون »

٦٠ – من سورة الانعام

هذا وقد أصبح من المعلوم منذ حوالى عشرين عاما مضت ان المخ يحتوى على مركز خاص مسئول عن حالة اليقظـــة وقد اكتشفه معا العـــالمان الامريكى ماجون Magou والايطـــالى موروزى Moruzz وهو مركز عصـــبى موجود فى المخيخ الاوسط أطلقا عليه اسم « النظام الشبكى المنشـــط »
Reticular Activating System
ويرمز له بالحروف RAS وان تنشيط هذا المركز وحفزه يؤدى الى اليقظة بينمـــا اتلافه يؤدى الى النوم الدائم فى غيبوبة .. وعلى ذلك فان ميكانيكيـــة النوم تتعلق بعمل جهاز خاص من شأنه كبت نشـــاط عصب اليقظة وتعطيله بصفة مؤقتة . وقد أمكن التوصـــل الى بعض النتائج التى تشير الى وجود مراكز عصبية تعمل اذا نشطت على تعطيل مركز RAS وبالتالى تكون مســـئولة عن النوم ، فاذا ما نشطت هـــذه المراكز توقفت حالة اليقظة . وبالعكس اذا أزيل الجـــزء من المخ المحتوى على هذه المراكـــز –وهى غالبا فى الجزء الاســـفل من قمة المخ – استمرت حالة اليقظة .

ويطلق على مراكز النوم فى المخ « نويات رافى » وهى واقعة فى خط الاتصـــال بين نصفى المخ العلـــوى والســـفلى ، وان الماده الفعالة فى هذه المراكز العصبية هى مادة شـــبيهـــة بالهرمونات تسمى السيروتونين Serotonin وان عمـــل هذه المراكز يعاكس عمل مركز اليقظة وينشأ عن تفاعلهما معا مايلاحظ من موجات كهربية بطيئة تصدر عن المخ فى المراحـــل الاولى من النوم – حالة النوم الخفيف – فاذا ماصارت الغلبة لمراكز النوم انتقل النوم الى حالة السبات العميق ونشـــطت الموجات الكهربية الصـــادرة عن المخ وزادت سرعتها .

هذا وقد أمكن التعرف على مراكز فى المخ تقع أسفل مراكز النوم العادى مســـئولة عن أحداث النـــوم العميق ويرتبط عملها بمادة شبه هرمونية أخرى هى مادة النورأدرينالين Norodrenalin

وتأسيســـا على ما تقدم فيما يتعلق بميكانيكية النوم العميق فقد أمكن التوصـــل الى بعض الايضاحات الاولية عن مصـــدر الاحلام التى ترى أثناء هـــذا النوم .

وقد فسر ذلك على أساس أن التركيبات والمراكز العصبية والتفاعلات الكيمـــائية الحادثة أثناء النوم والتى تتحكم فى مركز اليقظة وتعطله الى حين ، ينشأ عنها تذبذبات ذاتية تنتقل الى مراكز الابصار فى المخ بصـــفة أساسية وتحدث عنهـــا تلك الصور التى ترى أثناء الاحلام . هذا وقد ثبت بالدليل القاطع أنه بالرغم من هذه النبضـــات الذبذبية اثناء النوم فان الجهاز المحرك للجسم يكون خاملا تماما أثناء النوم العميق لأن عمـــل مراكز أعصاب حركة الجســـم يكون معطلا حينئذ .

كيمياء النوم :

يدل ما تقدم على أن هنـــاك تفاعلات كيمائية تصاحب عملية النوم سواء من حيث الانتقال

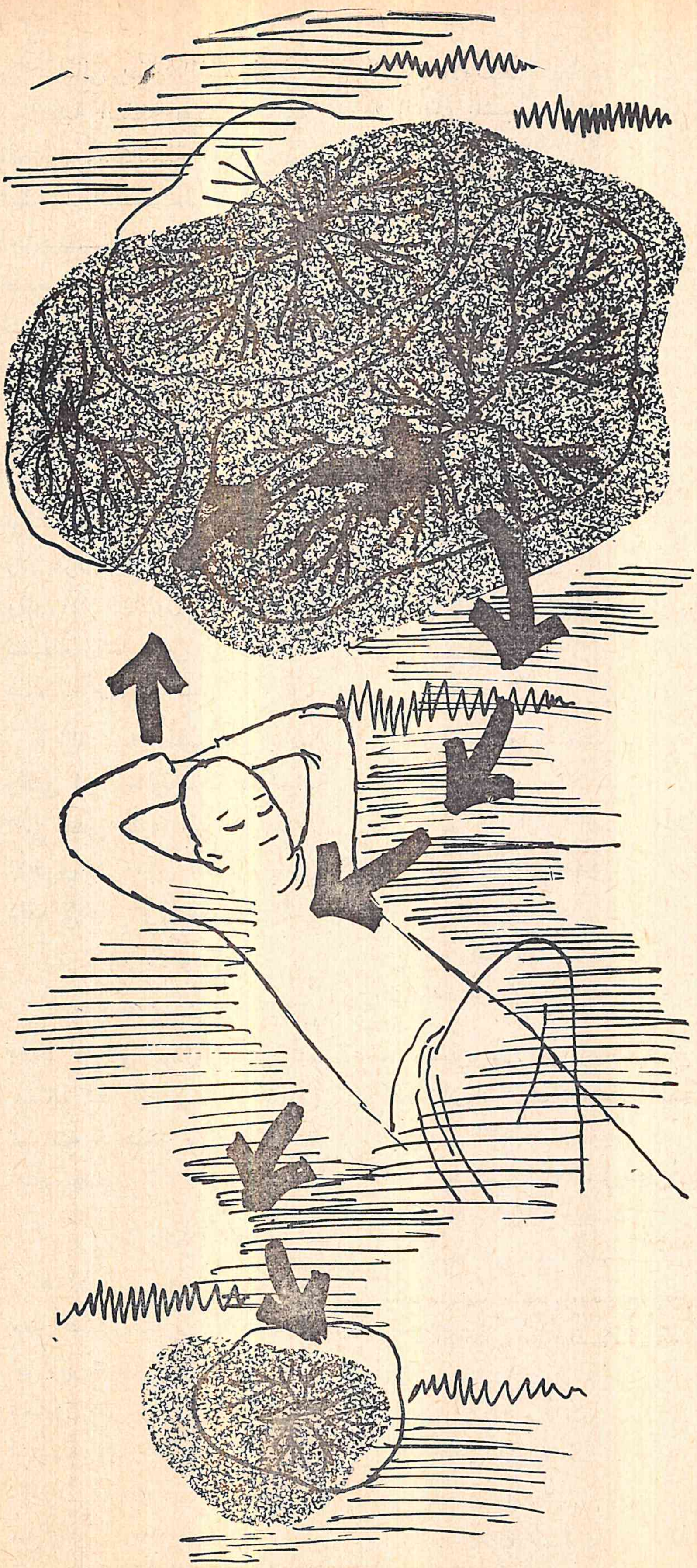

من حالة اليقظة الى حالة النوم الخفيف أو الانتقال من الحالة الاخيرة الى مرحلةالنوم العميق .. ويمكن القول بصفة عامة أن المراكز العصبية المسئولة عن النوم الخفيف كامنة فيما يطلق عليه « نظام رافى » ويصاحب عملها امتصاص مادة السيروتونين ، بينما مراكز الاعصاب المسئولة عن النوم العميق والواقعة أسفل المراكز الاولى يصاحب نشاطها امتصاص مادة النورأدرنالين . وكلا العمليتين تؤديان الى تعطيل عمل مركز اليقظةالمرموز له RAS كما تؤثران على باقى الاجهزة العصبية فى المخ خاصة ما تتصل بالاحلام .

وهناك من الدلائل التجريبية ما يبين أن حالة الانتقال من النوم الخفيف الى النوم العميق تحدث نتيجة لتفاعلات كيمائية بين أنزيمات تسمى مؤكسدات أحادى الامين وبين الاحماض الامينية فى الخلايا .

والخلاصة أن النوم وان كان فيه مايشبه الموت الأصغر للجسد من حيثتوقف الحركة والاسترخاء الكامل ، الا أنه يطوى نشاطا كبيرا لاجهزة عصبية ومراكز خاصة فى المخ، وان حفظ التوازن بين هذه المراكز وبين مركز اليقظة هو الذى يحفظ على الكائنات حياتها الى أجل مسمى لايعلمه الا الخالق القادرالقوى العزيز.

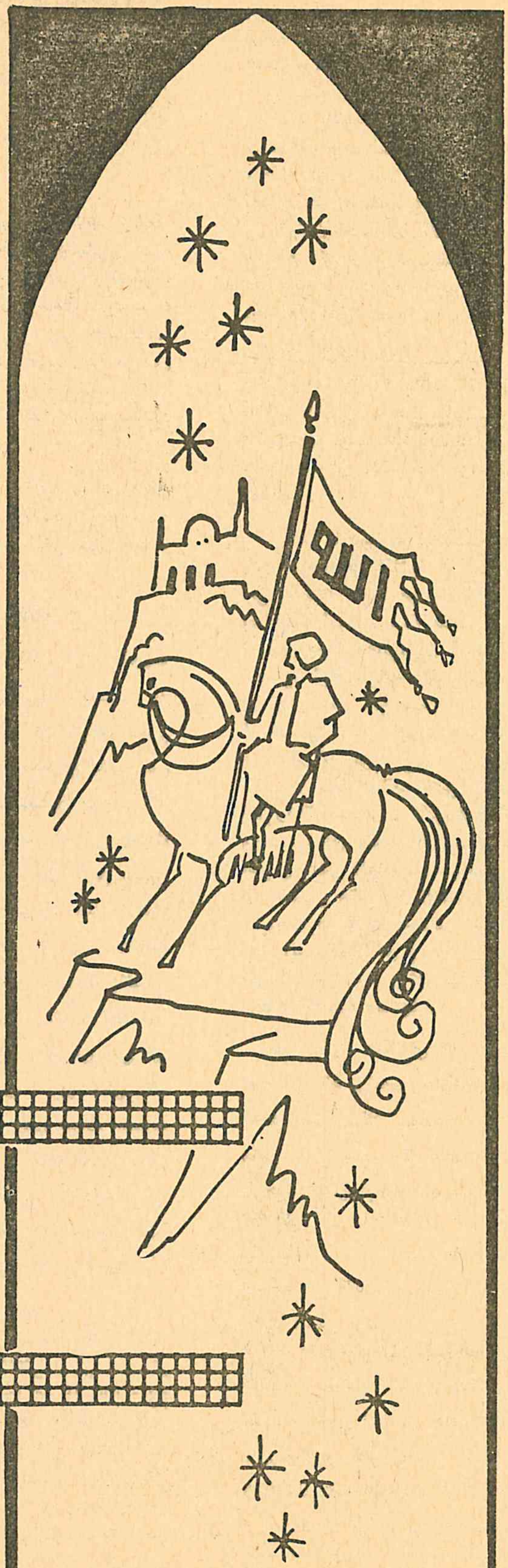

الخلفاء الراشدون
وأعلام الإسلام

إمام المفسرين

ابن جرير الطبرى

الأستاذ الرفاعى الباز

لعل فى تردد النظر فى تاريخ امام المفسرين وابن جرير الطبرى وأمثاله ما يحفز نفوسا كريمة أو يرفع هممـا وخيمة فانه لا فضل للانسان فى هذه الحياة الا بما يفعله من آثار نافعة وبحياة يعمرها بعلوم يحصاها وليس هناك أخلد للذكر وأجزل فى الثواب من علم يتركه المرء لينتفع به الناس وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « اذا مات بن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به ـ او صدقة جارية ـ أو ولد صالح يدعو له ..

نشاته :

نشأ الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التفسير المشهور والتاريخ المعروف ، فى القرن الثالث الهجرى ، وهو عهد نهضة علمية . وخاصة فى التاليف والتدوين وهى نهضة ترجع الى عهد المنصور العباسى وتبتدىء به وكان المنصور العباسى قد شجع العلماء وأغرى بالتاليف الأئمة والفقهاء وأمره فى موطأ الامام مالك وغيره مشهوربين الناس ،وناهيك بعصر المأمون الذهبى للغة العربية وآدابها ومعارف الدين والدنيا .

مولده ووفاته :

ولد الطبرى سنة ٢٢٥هـ وتوفى سنة ٣١٠هـ فهى خمس وثمانون سنة تقريبا قضاها فى جمع العلم والتصرف فيه مع ذكاء نادر وحفظ عجيب ، وتفزع وزهاده ، وتوفر على العبادة فطوف بالافاق يرتاد المعارف ما بين الرى ، وبغداد ، ومصر ، والشام ، والبصرة والكوفة وقد طال مقامه ببغداد حتى كانت وفاته بها .

وكانت بغداد كعبة القصاد وموئل الرواد وتحفة العالم والاديب ومجمع كل حسن وطيب وهى التى يقول فيها ابن هانىء ..

دخلنا كارهين لها فلما

بدأ يطالب الحديث بالرى وما جاورها فأكثر عن الشيوخ ولا سيما محمد بن حميد الرازى والمثنى بن ابراهيم الايلى . وغيرهما وحدث عن نفسه فى قصة يذكرها بعض المتصلين به . أنه دخل عليه هو وابنه فقال له فى حديث جرى كم لهذا سنه ؟ قال تسع سنين قال لم لم تسمعه منى . قال كرهت صغره وقلة أدبه فقال لى : حفظت القرآن ولى سبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين ورأى لى ابى فى النوم اننى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وكان معى مخلاة مملوءة حجارة وأنا أرمى بين يديه فقال له المعبر انه ان كبر نصح فى دينه وذب عن شريعته فحرص أبى على معونتى على طلب العلم وأنا حينئذ صبى صغير .

وانتقل رحمه الله من الرى وما جاورها الى مدينة السلام فاقام بها وكتب عن شيوخها فاكثر . ثم صار الى الكوفة فكتب فيها عن السلام ولزم المقام بها مدة وتفقه بها وأخذ فى علوم القرآن ثم غرب فخرج الى مصر وكتب فى طريقه بأجناد الشام والسواحل والثغور وأكثر منها . ثم صار الى الفسطاط سنة ٢٥٣ وكان بها بقية من أهل العلم فاكثر عنهم الكتبة من علوم مالك والشافعى وابن دهب وغيرهم . وهكذا ظل ينتقل ويأخذ كل علم من أهله وائمته حتى انتهى به المطاف الى مدينة بغداد وأفاض على الناس من علمه فى شتى الفنون وكتب مؤلفاته وما زال بها سراجا منيرا وشمسا مشرقة حتى قضى سنة ٣١٠هـ هذه هى حياته الحافلة بالتماس العلم والنهم فى جمعه من جميع منتجاته والاستنتاج والانتاج واذا فمنزلة ابن جرير جديرة بما وصف الخطيب البغدادى اذ يقول :

« وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره .

وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقرارات بصيرا بالمعانى فقيها فى أحكام القرآن . عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

ولقد اعجب به العلماء والمؤرخون وجمع أصحاب الفنون فى فنونهم وذكر الرواه عنه كثيرا من العجائب فقالوا : انه مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم أربعين ورقة وقالوا ان قوما من تلامذته حصلوا أيام حياته منذ بلغ الحلم الى ان توفى وهو ابن ست وثمانين سنة . ثم قسموا عليها اوراق مصنفاته فصار منها على كل يوم اربع وعشرون ورقة وهم يذكرون لذلك نظائر حين يتكلمون عمن اكثروا التصنيف . كأبى فرج الجودى ، وجلال الدين السيوطى وهل فى أحوال بعض المعاصرين من أمثال الدكتور طه حسين والمرحوم الاستاذ العقاد وغيرهما ما يقرب هذه الروايات فقد كان السابقون أفرغ بالا وأبعد عن شواغل المدينة ، وأقل منا أخذا فى حظوظ الدنيا ومتعها .

ولعل ميزة الطبرى التى لم يشارك فيها هى أنه يزاحم رجال الاختصاص فى اختصاصاتهم فلا يتخلف عنهم بل لقد سبق كثيرا منهم ولا سيما فى تفسيره الوحيد الذى جمع بين مسالك السلف فى الرواية ، والخلف فى دقة الفهم والدراية . فأبو جعفر مفسر بلغ مرتبة الامامة فى التفسير وفتن الناس بكتابه الذى انتشر منذ عهد وأكب الناس على قراءته يسرحون الطرف فى فسيح رياضه ويملاون العقول غذاء وكرعا من حياضه وهو تفسير خالد يتحدى كل عالم ومفسر حتى اليوم وقد ذكره الأمام المجتهد أبوحامد الاسفرائنى فقال فى شأنه « لو سافر أحد الى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا » ونقل الخطيب بسنده الى عبيد الله بن احمد السمسار قال ..

« ان أبا جعفر قال لأصحابه . اتنشطون للتفسير قالوا كم يكون قدره قال ثلاثون ألف ورقة فقالوا هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة ثم قال هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا قالوا كم يكون قدره . فذكر نحوا مما قال فى تفسيره ثم قال انا لله . لقد ماتت الهمم وهذا أن صح أكبر دلالة على همة ونشاط تضل الاذهان فى ادراكها وقد قالوا انه املاه من سنة ٢٨٣ الى ٢٩٠ ، ثم ان ابن جرير محدث عالم بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها كما وصفه الخطيب . وقد ذكروا فى تاريخه أنه كتب عن أبى كريب حده أكثر من مائة ألف حديث وهو عارف بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم . ولهذا فهو فقيه مستقل وامام مجتهد يذكر فى طبقات المجتهدين وهو لم يقلد الا فى صباه يوم ابتداء الفقه بمدينة السلام على مذهب الشافعى رضى الله عنه على أن له اتباعا يقلدونه من العلماء منهم أبو بكر المعافى المعروف بابن طراز .

وأبو جعفر المؤرخ المشهور الذى جمع تاريخ الدين فى كتابه مع تحر فى الرواية وقوة فى الاسلوب ، ثم هو فى علوم العربية أمام جليل دلت على ذلك كتابته فى التفسير وشهد له به أئمة العربية كأبى العباس ثعلب الذى يقول فيه انه من حذاق الكوفيين وكان قليل الشهادة لأحد بالحذق .

وسأحيلك على نبذة مما كتب عنه أبو محمد عبد العزيز بن محمد اذ يقول كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه لجمعه من علوم الاسلام ما لم يجتمع لأحد من هذه الأمة ولا ظهر من كتب المصنفين واشتهر من كتب المؤلفين ما ظهر له . كان عازفا عن الدنيا تاركا لها يرفع نفسه عن التماسها وكان كالقارىء الذى لا يعرف غير القرآن وكالمحدث الذى لا يعرف الا الحديث وكالنحوى الذى لا يعرف الا النحو وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم واذا جمعت بين كتبه وغيرها وجدت لكتبه فضلا على غيرها .

وقد روى عنه بعض منظومات تدل على ذوق فى الأدب وبصر ، فأحصى بأساليب العرب ومن ذلك قوله :

خلقان لا أرضى طريقهما
بطر الغنى ومذلة الفقر

فاذا غنيت فلا تكن بطر
واذا افتقرت فته على الدهر

رحم الله ابن جرير وجعل منه فى امتنا أسوة صالحة كريمة .

على بن الجهم
شاعر أهل السنة

الأستاذ عبده بدوى

مولده :

يعتبر الشاعر « على بن الجهم » من الشعراء الذى يشم فى شعرهم عبير القرآن وهذا الشذى الرقيق للسنة بل وأكاد أقول ان الانسان يرى أحيانا من خلال شعره « الجنة ! »

ونحن اذا تركنا هذا الخلاف الكبير الذى دار حول كونه من قريش أو من غير قريش ؟ وهل ولد فى مرو أو ولد فى بغداد ؟ واذا نحينا كثير من التفصيلات حول حياة هذا الشاعر .. فاننا سنصل سريعا ونحسم الى انه ولد عام ١٨٨ هـ وان أجداده فى الأصل كانوا يسكنون مكة ثم ذهب واحد منهم الى البحرين ، وفى البحرين يبدو أن والده عانى كثيرا من تكاليف الحياة ، فقد قيل أنه كان يرهن خاتمه « على شىء من الطعام »

فى بغداد :

المهم أن الاسرة انتقلت الى بغداد ، وأن الحياة قد أقبلت عليها كأروع ما يكون الاقبال ، وانه من خلال هذا رأينا « على بن الجهم » يذهب لتلقى تعليمه فى واحد من هذه الكتاتيب التى كان يذهب اليها طلاب العلم فى هذه العصور ، وهناك يروى أن ولعه بالشعر كان مبكرا ، فقد قيل انه وهو فى المرحلة المبكرة فى السن ، وفى أحد الكتاتيب الذى نعرف من وصفه أن التعليم به كان مختلطا بين البنين والبنات ، قد أخذ لوحا ثم كتب عليه هذا البيت من الشعر الذى يقول

ماذا تقولين فيمن شفه سهر
من جهد حبك حتى صار حيرانا

فما كان من الفتاة التى يميل اليها الا أن أخذت اللوح ثم كتبت عليه هى الأخرى هذا البيت من الشعر الذى يقول

اذا رأينا محبا قد أضر به
جهد الصبابة أوليناه احسانا

.. المهم انا رأيناه يعى علوم عصره ، ويظهر تفوقا فى الشعر ، بحيث رأيناه بعد ذلك واحدا من النجوم الكبيرة التى زينت العصر مثل أبى تمام ، والبحترى وأحمد ابن أبى فنن ، ولما كان الشاعر فى هذه الفترة لا يلمع الا اذا ربط نفسه بقصر الخلافة . فانا نسمع أن المأمون قد سمع به ، ولكن لم يتم بينهما لقاء ، وحين ولى الخلافة «المعتصم» رأيناه — يمدحه بقصيدة أولها

وليت فلم تدع للدين ثأرا
سيوفك والمثقفة الدوامى

ولكنه لم يستطع أن يلمع فى أفق المعتصم ذلك لأن هذا الخليفة كان كأخيه المأمون يقرب المعتزلة ويرى رأيهم ، أما الشاعر فقد اختار لنفسه دربا لم يحد عنه وهو درب أهل السنة .

وحين آلت الخلافة الى « الواثق » نراه يقرب منه بحذر ، ونراه يمدحه بشعر ممتلىء بالفتور ، ثم ينسحب

تماما من دائرة الضوء التى كانت حول الواثق ذلك لأن الواثق كما قيل ، كان من أشد القائلين بخلق القرآن ، وكان من أجل هذا « يدعو اليه ليلا ونهارا سرا وجهارا »

ثم كان أن تغير الأمر حين آلت الأمور الى « المتوكل » فهو ابتداء قد رأى الناس تنصرف عن هذه الدعوى الجديدة التى يرفع من أجلها السيف على الرقاب وسواء أكان المتوكل ذكيا الى الحد الذى حين رأى مشاعر الناس تنصرف عن الخلافه رأى أن يعيد اليهم مايحبون أو أن هذا كان ايمانا صادقا منه بما يراه أهل السنه فى مواجهة المعتزله .. سواء أكان هذا أو غيره ، فان التاريخ يذكر لنا انه رفع محنه القول « بخلق القرآن » عن الناس ، وأحاط نفسه بأهل السنة ، ويمكن التعرف على هذا من قول السيوطى فى تاريخ الخلفاء

« استقدم المحدثين الى سامرا وأجزل عطاياهم ، وأكرم وفادتهم ، وأمرهم أن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية ، وجلس أبو بكر بن أبى شيبة فى جامع الرصافة ، فاجتمع اليه نحو من ثلاثين ألف نفس ، وجلس أخوه عثمان فى جامع المنصور فاجتمع اليه نحو من ثلاثين ألف رجل أيضا ، وتوفر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا فى الثناء عليه ، والتعظيم له حتى قيل . الخلفاء ثلاثة . أبو بكر الصديق فى محاربه أهل الردة وردهم الى الاسلام ، وعمر بن عبد العزيز فى رد مظالم بنى أمية الى الناس ، والمتوكل فى رده الناس الى السنه »

فى هذا المناخ الذى آلت فيه الأمور الى أهل السنة ، والذى أصبح رايته الحقيقية أحمد بن حنبل الذى كان يستشار فى الكثير من الأمور .. رأينا على بن الجهم يزدهر شعره ، ويقف الى جانب هذا النظام الجديد الاثير عنده ، واذا كان على بن الجهم الى جانب ميله الى أهل السنة كان يقف الى جانب العباسيين ضد العلويين ، فان هذا قد أرضى الخليفة المتوكل الذى كان يبالغ فى كره العلويين الى حد انه أمر بهدم قبر الحسين ، وبأن يبذر مكان القبر ويسقى ، وبأن من يوجد فى هذا المكان يوضع فى السجن ، والى حد أن أحد ندمائه كان يقلد بين يديه الامام على بن أبى طالب وهو يشرب ويضحك ، فما كان من ابنه المنتصر الا أن غضب لهذا وقال « يا أمير المؤمنين ان الذى يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك ، فكل أنت لحمه اذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه »

.. وعلى كل فقد كان المتوكل حلما من أحلام « على بن الجهم » وكان أن اقبل عليه مادحا ، « ما أكثر ما ظهر فى هذه الفترة اقتباسه فى شعره من القرآن الكريم ، الى حد انه حين وصف المتجنيق الذى استعمل فى فتح ارمينية ، استوحى سورة الفيل .. وهكذا يكون هذا الشاعر فى هذا الوقت المبكر قد اهتدى الى هذا العالم الرائع الذى يمكن استغلاله فى القرآن ، لا بدافع الافتعال أو التظاهر ، ولكن بدافع الايمان الصادق .

ولما كان المتوكل قد قربه كثيرا الى نفسه ، فان هذا قد أوغر الصدور عليه بحيث رأى نفسه فى آخر الأمر فى السجن ، وفى السجن نسمع منه هذه القصيدة الجميلة فى الشعر العربى ، والتى يقول فيها

قالوا : حبست . فقلت : ليس بضائرى
حبسى ، وأى مهند لا يغمد ؟

أو ما رأيت الليث يألف غيله
كبرا ، وأوباش السباع تردد

والشمس لولا انها محجوبة
عن ناظريك لما أضاء الفرقد

ولما كان من سجنه قد هجا آل طاهر الذين كانوا قريبين من المتوكل ، فانا نراهم يعملون على قتله نفسيا قبل قتله ماديا ، ذلك لأنهم أمروا بأن يخرج من سجنه عريانا ، ثم سير به الى باب يسمى باب « الشاذياخ » وهناك رفع على صليب طيلة نهار وبعضا من ليل ، وعلى هذا الصليب بدأ يقول قصيدته الباكية التى أولها :

لم ينصبوا بالشاذياخ صبيحة الا
ثنين مغمورا ولا مجهولا !

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم
شرفا ، وملء صدورهم تبجيلا

ما عابه أن بز عنه لباسه
فالسيف أهول ما يرى مسلولا

ان يبتذل فالبدر لا يزرى به
أن كان ليلة تمه مبذولا

أو يحبسوه فليس يحبس سائر
من شعره يدع العزيز ذليلا !

ان المصائب - ما تعدت دينه -
نعم وان صعبت عليه قليلا

والله ليس بغافل عن أمره
وكفى بربك ناصرا ووكيلا

هل تملكون لدينه ويقينه
وجنانه وبيانه تبديلا ؟

ولتعلمن اذا القلوب تكشفت
عنها الأكنة من أضل سبيلا ؟

وحين وصل أمر هذه الأبيات التى كان ينشدها عاريا على الصليب الى طاهر بن عبد الله عفا عنه

ومع انه نجا من الموت الا أن حياته قد دمرت تماما بعد هذا الحادث ، فكان بعد هذا الموقف المهين يهرب من الناس ويجد عزاءه فى التردد على القبور ، وقد سمع وهو يقول عند القبور

يشتاق كل غريب عند غربته
ويذكر الأهل والجيران والوطنا

وليس لى وطن أمسيت أذكره
الا المقابر اذ صارت لهم وطنا

وكان أن فارق الشاعر خراسان وهو يكاد يموت من الحسرة ، ولكنه حين وصل الى بغداد ، وجد أن الناس لا يقبلون عليه كما كان الحال فى الماضى ، وكان أن اختلت حياته ، واقدم على ما لا يليق به بعد أن كان يوصف بانه من « كملة الرجال ! »

.. ولكن الشاعر يفيق على زلزال يهز الخلافة فقد رأى المتوكل يقتال بأيدى رجاله ، ورأى الأتراك يمدون ظلا ثقيلا على الحياة ، وفى الوقت نفسه رأى عدوان الروم على الثغور ، واذا هذا الشاعر كان يحس بالعار ، وبالخجل من الحياة ، يفيق الى نفسه ، ويذكر التزامه بالاسلام والمسلمين ، ويخرج لحرب الروم بعد أن تجرأوا على حدود المسلمين ، وقتلوا الكثيرين ، ولقد كانت هذه الحرب أشبه بالحروب الشعبيه ، ذلك لأن الاغنياء قدموا الأموال ، والفقراء قدموا الأرواح ، أما الخليفة فكما يقول الطبرى : لم يجهز عسكرا ، ولم يبعث جيشا !

وكان أن سار الناس الى « الثغور » الاسلاميه لحمايتها ، وقد كان فى مقدمة السائرين « على بن الجهم » رغم انه كان قد تجاوز الستين عاما ، ولكن موته كان حزينا ذلك لأن قتله لم يكن بأيدى أعداء المسلمين ، وانما كان بأيدى جماعة من الأعراب قد خرجت لتنتهب بعض الفرق المسافرة الى الثغور !

وهكذا كان موته حزينا ، فقد سمع والدماء تنزف منه يقول

أزيد فى الليل ليل
أم سال بالصبح سيل

ذكرت أهل دجيل
وأين منى دجيل ؟

وحين نزعت عنه ثيابه وجدت رقعة فيها هذان البيتان

يا رحمتا للغريب فى البلد النا
زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أصحابه فما انتفعوا
بالعيش من بعده ولا انتفعا !

خاتمه :

.. وهكذا اختفى صوت من أصوات الاسلام الرائعة .. اختفى وهو مضرج بالدم الذى ما زال يتدفق كلما امتدت يد الى ديوانه ، الى حد الاحساس بأن ما وراء الغلاف مثلما وراء الجلد .. الدم .. والدم الغزير !

يحيى ابن معين البغدادي

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

امام الكتاب وسيد الحفاظ وفارس الميدان فى معرفة الرجال الحافظ المتفنن العالم الذى انقادت له الآمال فلم يدركه فى سيره سابق ولم يلحقه فى خطوه لاحق كان أبوه من نبلاء الكتاب كتب لعبد الله بن مالك ثم صار على خراج السرى وفى ذلك العصر الذهبى عصر أبى جعفر المنصور ببغداد ولد يحيى بن معين فى قرية من قرى الانبار يقال لها نقيا بينها وبين بغداد اثنا عشر فرسخا وعلى ثراها نشأ ابن معين ونما عوده فتأدب بادب أهلها الذين سارت بفضلهم الركبان ومع هذا الفضل الذى كان حديث الرائح والغادى كان مولى من موالى العرب وفى ذلك يقول عباس العنبرى ليحيى بن معين ياأبا زكريا من أى العرب أنت قال لست من العرب ولكنى مولى للعرب .

موت أبيه : وقبل أن تتفتح أكمام تلك الزهرة مات حارسها وترك له ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفقها كلها على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه وسئل يحيى كم كتبت من حديث رسول الله فقال كتبت بيدى هذه ستمائة ألف حديث وروى عنه الحديث كبار الائمة منهم محمد بن اسماعيل البخارى وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى وأبو داود السجستانى وكان بينه وبين الامام أحمد بن حنبل من الصحبة والالفة والاشتراك بالاشتغال بعلوم الحديث ما هو مشهور حتى كان يقول ابن حنبل كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث وكان يقول ها هنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين يعنى يحيى بن معين وقال ابن الرومى ما سمعت أحدا قط يقول الحق فى المشايخ غير يحيى بن معين وغيره كان يتحامل بالقول .

انصافه وشعره ، قال يحيى بن معين ما رأيت على رجل قط خطأ الا سترته وأحببت أن أزين أمره وما استقبلت رجلا فى وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين له خطأه فيما بينى وبينه فان قبل ذلك والا تركته وكان ينشد كثيرا ويقول :

المال يذهب حله وحرامه
طرا ويبقى فى غد آثامه

ليس التقى بمتق لالهه
حتى يطيب شرابه وطعامه

ويطيب ما يحوى وتكسب كفه
ويكون فى حسن الحديث كلامه

نطق النبى لنا به عن ربه
فعلى النبى صلاته وسلامه

علمه وحديث الناس فيه ، يقول على بن المدينى انتهى العلم بالبصرة الى يحيى بن أبى كثير وقتادة وعلم الكوفة الى اسحاق والأعمش وانتهى علم الحجاز الى ابن شهاب وعمرو بن دينار وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة الى سعيد بن أبى عروبة وشعبه ومعمر وحماد بن مسلمة وأبى عوانه ومن أهل الكوفة الى سفيان الثورى وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس ومن أهل الشام الى الاوزاعى وانهى علم هؤلاء الى محمد بن اسحق وهيثم ويحيى بن سعيد وابن أبى زائدة ووكيع وابن المبارك وهو أوسع هؤلاء علما وابن مهدى ويحيى بن آدم وصار علم هؤلاء جميعا الى يحيى ابن معين

حدث عبد الخالق بن منصور قال سمعت أبا سعيد الحداد يقول لولا يحيى بن معين ما كتبت الحديث

ويقول ابن الرومى كنت عند أحمد بن حنبل فجاءه رجل فقال يا أبا عبدالله انظر فى هذه الاحاديث فان فيها خطأ قال عليك بأبى زكريا فانه يعرف الخطأ ويقول العباس الدورى رأيت أحمد بن حنبل فى مجلس روح بن عبادة سنة خمس ومائتين يسأل يحيى بن معين عن أشياء يقول له ياأبازكريا كيف حديث كذا وكيف حديث كذا فما قال يحيى كتبه ابن حنبل .

العلماء ويحيى بن معين : يقول هارون بن معروف قدم علينا بعض الشيوخ من الشام وكنت أول من أنكر عليه فدخلت عليه

فسالته أن يملى على شيئا فاخذ الكتاب يملى على فاذا بانسان يدق الباب فقال الشيخ من هذا فقال أحمد بن حنبل فاذن له والشيخ على حالته والكتاب فى يده ولا يتحرك فاذا بآخر يدق الباب فقال الشيخ من هذا قال أحمد الدورقى فاذن له والشيخ على حالته والكتاب فى يده ولا يتحرك فاذا بآخر يدق البابفقال الشيخ من هذا قال عبدالله بن الرومى فاذن له والشيخ على على حالته والكتاب فى يده ولا يتحرك فاذا بآخر يدق البابفقال الشيخ من هذا قال أبو خيثمة زهير بن حرب فاذن له والشيخ على حالته والكتاب فى يده ولا يتحرك فاذا بآخر يدق الباب فقال الشيخ من هذا قال يحيى بن معين قال فرأيت الشيخ ارتعدت يده وسقط الكتاب من يده وسئل أبو داود أيما أعلم بالرجال يحيى أو على بن عبدالله قال يحيى عالم بالرجال وليس عند على من خبر أهل الشام شىء وسئل على أبو صالح بن محمد من أعلم بالحديث يحيى بن معين أم أحمد بن حنبل فقال اما أحمد فاعلم بالفقه والاختلاف وأما يحيى فأعلم بالرجال والكنى ويقول ابن المدينى كنت اذا قدمت الىبغداد منذ أربعين سنة ماكان يذاكرنى الا أحمد بن حنبل وربما اختلفنا فى الشىء فنسال أبا زكريا يحيى بن معين فيقوم فيخرجه ويقول ابن الرومى سمعت بعض أصحاب الحديث يحدث باحاديث يحيى ويقول حدثنى من لم تطلع الشمس على أكبر منه فقال وماتعجب سمعت على بن المدينى يقول ما رأيت فى الناس مثله ويقول الحسن بن البراء سمعت عليا يقول لا نعلم أحدا من ولد ابن آدم وكتب من الحديث ماكتب يحيى بن معين ويقول أبو سعيد الحداد الناس كلهم عيال على يحيى بن معين فقال صدق ما فى الدنيا احد مثله سبق الناس الى هذا الباب الذى هو فيه لم يسبقه اليه احد وأما من يجىء بعد فلا ندرى كيف يكون .

بصره بالحديث ودقته : يقول يحيى بن معين انى لاحدث بالحديث فاسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه وكان يحيىبن معين يحج فيذهب الى مكة على المدينة ويرجع على المدينة فلما كان آخر حجة حجها خرج على المدينة ورجع على المدينة فاقام بها يومين أو ثلاثة ثم خرج حتى نزل المنزل مع رفقائه فباتوا فرآى فى النوم هاتفا يهتف به يا أبا زكريا اترغب عن جوارى فلما أصبح قال لرفقائه امضوا فانى راجع الى المدينة فمضوا ورجع فاقام بها ثلاثا ثم مات فنادى الحزامى من أراد أن يشهد جنازة المامون على حديث رسول الله فليشهد وكلم الحزامى الوالى فاخرجوا له سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل عليه فصلى عليه الوالى ثم صلى عليه مرارا ودفن بالبقيع وصلى عليه صاحب الشرطة وذلك لسبع ليال بقين من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقد استوفى سبعا وسبعين سنة رحمه الله .

***

الإمام الألوسى

منذ أواسط القرن الثامن عشر الميلادى « الثانى عشر الهجرى » بدأت اليقظة العربية الاسلامية الحديثة متمثلة فى صيحة التوحيد المنبعثة من قلب الجزيرة العربية ومن الازهر وهذه الصيحة التى انطلقت الى آفاق العالم الاسلامى فتجاوبت أصداؤها فى كل مكان . ومنذ أوائل القرن التاسع عشر «الثالث عشر الهجرى» ومن خلال حركة الغزو الاستعمارى الضخمة ، برز مجددون وأعلام حملوا لواء اليقظة وكان أبرزهم فى هذه المرحلة : رفاعة الطهطاوى فى مصر ، وخير الدين فى تونس والالوسى « نعمان أبو الثناء » فى العراق .

كانت دعوة التوحيد وتصحيح المفاهيم بالتماس المنابع الاولى للاسلام من « القرآن » نفسه دعوة متجددة على العصور لاتتوقف وكانأبرز من دعا اليهاشيخ الاسلام «ابنتيمية» وتلميذه ابن القيم ثم مضت فترة ، لم يتوقف فيها الدعاة وان ظل صوتهم خافتا ، حتى تجددت الدعوة فى منتصف القرن الثامن عشر ، فاستمع اليها العالم الاسلامى كله ، واتصل بأسبابها الفكرية كل داعية ومصلح ، تلك هى دعوة الامام ابن عبدالوهاب ولقد كانت المرحلة الاخيرة من حياة الدولة العثمانية قد غلبت فيها نزعة الجبرية واختلطت بالصوفية على نحو أشاع التواكل والتخلف فى عالم الاسلام فكان لابد من صوت جهير تتبعه أصوات تحملهذا اللواء .

وكان صوت الالوسى فى العراق من الاصوات الحية المؤثرة فى هذه المرحلة وفى ظل جمود فكرى يسنده نفوذ سياسى له طابعه التقليدى البعيد عن مفهوم الاسلام .

ومن هنا كان الدعاة الى التوحيد والتماس منابع الاسلام الاولى من القرآن على حذر شديد ، وهم يعيشون فى ظل النفوذ العثمانى ، ومن هنا كانت لباقة الشهاب الالوسى ومرونته وبراعته فى عرض مفاهيم التوحيد من خلال تفسيره للقرآن فى موسوعته « روح المعانى »

ولذلك فقد كان يعرض فى تفسيره لآراء أهل الكلام وأهل التصوف ، وأهل السنة على نحو يتيح للاراء التى يرعاها ان نبرز تاركا للقارىء أن يحكم ويقتنع .

فهو يرى كما يرى الغزالى أن أهل الكلام شغلوا الناس بالمساجلات والرد على أرسطو وأفلاطون وان أهل التصوف غلبوا المواجيد والاذواق وان الطريق الاسلم والاقوى هو منهج القرآن نفسه . وقد هاجم الفلاسفة الالهيين ودعاة الباطنيين وهاجم مدعى التصوف ، وعارض كل مذهب ودعوى ونحله خارجة عن منهج القرآن ومفهوم الاسلام فى وسطيته وتكامله وشموله وبساطته .

مجدد الاسلام في العصر الحديث

الأستاذ أنور الجندي

وهو حريص على أن يحسن الظن بالصوفية الصادقين ، ولكنه هاجم دوما دعاة رفع التكاليف والمتحللين من قيود الشريعة .

ومن خلال آثاره تبدو دعوته الواضحة الى الشريعة الاسلامية السمحة السهلة ، « ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك »

وتعد موسوعية « روح المعانى » هى أعظم أعماله ، انشأها فى تسع مجلدات فى اشد الاوقات ضيقا وحرجا ، بدأها عام ١٢٥٢ هـ وانتهى منها ١٢٦٧ هـ وأقام خمسة عشر عاما فى العمل بها . يقول « لم أزل أسود الاوراق فى تحرير ما افضت على حتى بيض نسخة عمرى المشيب ، وأجدد النظر بتحدبق الاحداق فيما أفضت به المشايخ ، حتى بلى برد شبابى القشيب ، هذا مع ما قاسيته من خليل غادر ، وخليل حائر وزمان غشوم ، وغيوم وأبلها غيوم »

ولم يقف الالوسى عند التفسير وأن كان أكبر أعماله ، وفيه وضع آراءه ونظرياته التى تقوم على البعث والتجديد والاحياء ، والارتباط بالقيم الاساسية والتماس المفاهيم الاساسية للاسلام وشجب كل ما دونها .

غير أن غايته هذه لم يكن يكفى فيها عمل واحد ، ولم يكن « روح المعانى » وحده هو العمل المرتجى فى هذه المرحلة الدقيقة ، ولكنه آمن بالكلمة المقولة ، ولذلك كانت له مجالس حافلة ، اتصل بها صفوة الشباب الذى تصدر الحياة الفكرية والأدبية فى العراق من بعد ، وكانت مداخله الى الاصلاح من بابى الأدب والتاريخ .

ومن هنا فان عظمة الألوسى ـ على حد تعبير الاستاذ عباس الفزاوى ـ تتجلى بأكثر ما تتجلى فى مجالسه الادبية والعلمية ، وما بث فيها من « روح ثقافية تدريسية » هذه المجالس قد تحدث الناس عنها ، وشدت اليها الرحال من كل أنحاء العراق وقصده الطلبة بالاغلب ، فاستمعوا اليه واستجازوه وكان مجلسه مجمعا لأرباب الفضل والعلم كما وصفه الكثيرون ممن شهدوه ، وكأنما قد وكل اليه شأن التربية والتعليم ، والحركة العلمية ، فى وقت لم تكن به ادارة للمعارف ، وكان عمله يهدف الى بناء أجيال جديدة مدربة للعمل بمفاهيم جديدة تحمل طابع ايجابية الاسلام وحركيته ، وتجنح عن طوابع الجمود والجبرية التى كانت متفشية ، وهكذا كان طابع اليقظة المستمدة من مفاهيم التوحيد التى بعثها الامام محمد بن عبد الوهاب مستمدا اياها من شيخ الاسلام « ابن تيمية » علامة على عصر جديد وأجيال جديدة

وكان الألوسى يردد دوما كلمته التى حفظتها له مقاماته .

« يا بنى عليكم فى باب العقائد بعقيدة السلف فانها أسلم بل انها من انصف يعلم أنها أيضا أعلم وأحكم ، لانها أبعد عن القول على الله بما لايعلم »

وعن طريق الأدب وطريق التاريخ أتاح الالوسى لفكرته أن تتسع وتعمق ، فقد دعا الى التحقيق فى العرض لاحداث التاريخ والبعد عن الجوانب الشخصية والعاطفية والتماس الحقيقة المجردة العلمية ، وطالب المؤرخ بأن يكون « حياديا » لا ينساق مع التيارات المتنازعة .

وحاول الالوسى نفسه هذا فى تراجمه وكتاباته التاريخية واستعلى عن ارضاء الاقوياء بغير الحق ، وهو « أول مؤرخ فى عهده بدأ عمله العلمى بنفسه ثم درب تلاميذه فاختطوا طريقته » ويرى الفزاوى وهو من خيرة تلاميذه انه لولا أبو الثناء وآثاره والعصبة الادبية التى التفت حوله من تلامذته وغيرهم لندر وجود المؤرخين المعاصرين ، وقد تولدت فى عصر الالوسى حركة تاريخية تولدت وامتدت واطردت من بعده ، وتكونت كتيبة أدبية من علماء الادب .

ويرى عباس الفزاوى أن العصر الحديث فى العراق يبدأ ١٢٤٧ هـ ـ ١٨٣٢ م ويصح أن يسمى عصر الالوسى وهو عصر لم ينقطع بوفاته بل امتد مائة سنة .

وهكذا أتاحت له علاقته بالادباء فى عصره ، عن طريق مجالسه الأدبية ،وعلاقته بالشعب عن طريق عمله فى الافتاء ، وعن طريق الطلاب عن طريق صلته بالتدريس ان أصبح الرأى العام كله ممثلا فى توجيهاته ، محاطا بفكره ، فهو مشغول دوما جالسا فى حلقته أو ماشيا الى مسجده يحل المشكلات

وكان فى قصور الولاة ودوائر الحكام صدى للرأى العام ونائبا عنه متحدثا ومطالبا بحلول لمشاكل الجماهير ، وحين اضطرو الى ترك مناصبه الرسمية قنع بالعمل فى المجال العام ، ولم يتوقف عن توجيه المسلمين ودعوتهم الى الاصلاح ، عاملا فى مجال التربية والتكوين النفسى بأكثر من عمله فى أى مجال آخر ، فقد كان يعرف حقيقة الخطر الذى يكمن فى الاعماق ، وهو ذلك الطابع من الجبرية وروح الاستسلام والتواكل التى رانت على آفاق المسلمين فأفسدت عقلياتهم وكانت مصدر ما أصابهم من انهيار اجتماعى وسياسى ، أتاح الفرصة لعدوهم لغزوهم والسيطرة عليهم

وقد مرت حياة الالوسى بين اليسر والشدة ، والفقر والغنى ، والأمن والاضطهاد ، واستطاع فى كل مرحلة من هذه المراحل أن يكون « المؤمن القوى الثقة بالله » فهو قد ولى الافتاء فى الثلاثين من عمره ، وكان ذلك مبكرا بالنسبة للعلماء ، ولكنه ماكادت حياته تنتعش ويتسع رزقه ،حتى خصص للفقراء والغرباء من الطلبة جانبا من موارده ، فأخذ ينظم لهم أمور الطعام والكتب والخدمات الاخرى ،« وأمست داره مدرسة وهو عميدها » وبلغت دروسه أربعة وعشرين درسا فى اليوم ولما أصابته المحنة احتمل الضيم صابرا حتى ليقول :

«مما اتفق لى انى بعت ثياب الشتاء لشراء قرطاس ، وطالعت على نور القمر حيث أعوزنى نبراس وكم قاسيت من شدائد تذيب الجلاميد »

يقول محمود العبطه : انه ذاق مرارة الفقر والحرمان فى طفولته والسجن والهوان فى شبابه ، وقد أوصى تلامذته وأبناءه أن يكونوا علماء حلماء أبرارا أتقياء ، يجدوا فى طلب العلم وأن يحلوا علمهم بالأدب الرفيع ، وأن يحفظوا نفائس الاشعار ويرووا طرائف الاخبار وان يكونوا يدا واحدة وأن يوقر صغيرهم كبيرهم ويعطف كبيرهم على صغيرهم .

وملخص حياة الألوسى الكبير انه ولد ١٨٠٢م (١٢١٧ هـ) وتوفى ١٨٥٤م (١٢٧٠ هـ) أى أنه عاش حياة قصيرة لم يتجاوز الخمسين ربيعا الاقليلا . ولكنها عريضة خصبة ، وقد حضر عهد المماليك وعهد الدولة العثمانية باستيلائها على العراق ، وشهد الانقلاب السياسى والعلمى والأدبى .

الأستاذ الإمام

أسفاره

الأستاذ عبد السميع البطل

الأسفار اسفار ، حكمة نطق بها المتقدمون ، ويقصدون بأسفار الثانية أنها جمع سفر وهو الكتاب الضخم ، فالجملة تشبيه ، يشبهون الأسفار بالكتب فى فوائدها للمسافر ، والحقيقة أن الأسفار خير من الكتب المقروءة ، لان المسافر يرى ويسمع ويوازن بين البلاد التى زارها أو مر بها فيفيد علما وتجربة ، وخبرة بأحوال الأمم ، لذلك أمر الله - تعالى - بالسفر فى قوله « قل سيروا فى الارض فانظروا » أو لم يسيروا فى الارض فينظروا » غير أن الذين يكتسبون من السفر قليل ، لأنأغلبهم يطلب بالسفر الترويح عن النفس ، او التجارة مثلا ، وقل أنيسافر للنظر فى سنن الله فى خلقه ، أو ليفيد بعلمه أو تجاربه ، أو يتعرف على أحوال الأمم ، وبين هؤلاء القليل الاستاذ الامام - عليه الرحمة - فقد كانت أسفاره كلها لخدمة الاسلام والمسلمين ، والتعرف على أحوال الشعوب ، ولقاء علمائها وزعمائها للعظة والاعتبار ، سواء سياحته فى أمم الشرق أو أمم الغرب .

يقول الشيخ : أما السفر الى البلاد العثمانية ومعاشرة كثير من المسلمين غير مسلمى مصر ، فقد كان من نتائجها عندى أنى عرفت حق المعرفة أن مرض المسلمين نشأ من أمرين : الاول الجهل بدينهم وابداع ما لم يكن منه والصاقه واختلاط ما هو من الدين بما ليس منه ، حتى صار ما هم عليه دينا أجنبيا عن أصل الدين الاسلامى الطاهر الرفيع ، والأمر الثانى استبداد الحكام الظالمين من المسلمين فى جميع أقطار الارض ، وقدسافرت بعد ذلك مرات الى أوربا وأفريقيا فكان أثر الاسفار فى بلاد المسلمين زيادة البصيرة فى ذلك الذى عرفته لاول مرة ، رأثر الاسفار فى أوربا قوة الامل فى اصلاح أحوال المسلمين فما من مرة أذهب الى أوربا الا ويتجدد عندى الامل فى تغيير حال المسلمين الى خير منها ، وذلك باصلاح ما أفسدوا من دينهم وتشحيذ عزائمهم الى معرفة شئونهم ، وامتلاك ناصيتها بأيديهم دون أفراد ظلمتهم ، وهذه الآمال وان كانت تضعف فى نفسى عندما أعود الى ديارى لكثرة ما ألاقى من العنت ، وشدة ما أصادف من المصاعب ، وسوء ما أرى من

تخرج الالوسى من مدرسة « عاتكة خاتون الكيلانى » وجرى له احتفال عظيم وقد تلقى مفاهيم التوحيد على أستاذه علاء الدين الموصلى وقدتتلمذ عليه أربع عشرة سنة ، وكان له خير معين على تفهم دقائق العلوم المنقول منها والمعقول وكان أستاذه حاد الذكاء ، حاد المزاج معا ، فلما أعلن آراءه عارضه العلماء التقليديون معارضة شديد « وقد راى من جفوة العلماء ما راى فلم يبال‌شيئا، واستطاع بثباته وصموده أن يتغلب على المصاعب ، وكان ذلك من أسباب نجاحه وذيوع صيته وظهور مفاهيمه وكلما زادت ثقافته عظم فى أعين تابعيه »

قلد عام ١٢٤٨ منصب افتاء السادة الاحناف وظل فى هذا المنصب الخطير يشتغل بالتدريس والتاليف ، وفى هذا المنصب ظهرت واهبه واتصل به الادباء والعلماء على مختلف طبقاتهم وأمسى بيته نادى علم وادب .

وكان دائم الاتصال بالادباء والعلماء من كل مذهب ونحله ، وقد عاش ينمى ثقافته بقراءة الكثير مما كتب فى اللغات التركية والفارسية ، وله رحلات متعددة منها رحلته الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج وزيارته للقاهرة حيث طبع تفسيره « روح المعانى »

ويرى مؤرخو الالوسى انه قد تولدت فى عصره حركة يقظة فى مجال الفكر والتاريخ أزعجت الدولة العثمانية بالاضافة الى موقفه الحر فى مجابهة الولاة ، كل هذا دفع الدولةالعثمانية الى عزل الالوسى عن « الافتاء » فانصرف الى التدوين والتاليف واتجه بهمة عميقة الى تمام تفسيره وتعليم تلاميذه بعد انتوقف عمل الافتاء ، غير أن هذه الأزمة استمرت طويلا، وعزلت الالوسى عن مختلف موارد الرزق حتى عمله فى جامع مرجان ، ولما كان قد فقد كل ما أتيح له من موارد « فقد عضه الفقر بنابه حتى باع كتبه وأثاثه وحاجاته لتغطية نفقات أهله وعائلته الكبيرة بثمنها ، حتى لم يبق فى بيته من أثاث واشياء ما يباع وأستمر على ذلك ثلاث سنوات حتى كاد على ما يقول ان ياكل الحصير على مداد التفسير » هنالك شدرحاله الى العاصمة العثمانية « استامبول » فسافر ١٨٤٥م شبه هجرة واتصل بشيخ الاسلام عارف حكمت وقدم له التفسير فقابله ببرود غير معهود ، وجرت بينهما مناظرات ووجهت اليه رتبه قضاء ارضروم وعاد الى بغداد بعد عامين .

وقد شاهد فى تركيا مدى ما وصلت اليه من انحلال وضعف مما دفعه الى العمل على بعث روح اسلامية عربية تكون مستعدة لحمل الرسالة ومواجهة ما يراد بالعالم الاسلامى فالف رسالة الجهاد وأسماها « سفرة الزاد لسفرة الجهاد »

كما كتب مذكرات رحلاته فى ثلاث مؤلفات . نشوة الشمول، نشوة المدام ، غرائب الاعراب . فاذا أضفنا هذا الموقف الى المواقف التى عاشها فى مواجهة الولاة وفى معارضة العلماء ، عرفنا الى اى حد تاثرت أعصابه مما عجل بموته المبكر ، فقد عرف بارادة قوية فى مواجهة الاحداث ، وفى حياة الفقر ، مع الاصرار على احتمال المكاره والحيلة فى الخروج من المازق مما كان بعيد الاثر فى تكوينه النفسى والجسمانى

وبالجملة فقد ارخ الالوسى للعصر ، وفتح الافاق للفكر الاسلامى المتجدد ، وتابع دعوة التوحيد وقد مضى الى خطته فى مجال الادب والتاريخ والعقائد والتفسير والمجالس الادبية والمدارس والفتوى .

وقد أحصى للالوسى اثنين وعشرين مؤلفا فى مقدمتها :

- روح المعانى فى تفسير القرآن (٩ أجزاء) طبع مصر ١٣٠١ هـ
- الاجوبة العراقية على الأسئلة الايرانية .
- الأجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية .
- غرائب الاغتراب ونزهة الالباب فى الذهاب والاقامة والاياب ١٣١١ هـ .

انصراف المسلمين عن النظر فى منافعهم ، وشدة عداوتهم لانفسهم وقوة رغبتهم فى تمكين ظالميهم من رقابهم ، وحبهم فى الاستعباد بهم لغير سبب معقول - لكنى متى عدت الى أوربا ومكثت فيها شهرا أو شهرين ، تعود الى تلك الآمال ، ويسهل على تناول ما كنت أعده من المحال ، ولا تسألنى عن السبب فى ذلك ، فانى لا أستطيع تفصيله ، ولكن هذا ما تحدثه الاسفار فى نفسى !؟

هنا كلام الشيخ فى تأثير السفر فى نفسه ، وهو يشعر بانه كان يتأثر بالبيئات الاوربية وما يرى فيها من النشاط والتزاحم على الكسب ، والتسابق فى خدمة بلادهم ، وارتقاء علومهم وصناعاتهم ، ولذلك كان يقول عندما يريد السفر الى أوربا : اننى أذهب لاجدد نفسى ، أى فقد أخلقتها معاشرة الكسالى واليائسين .

سفره الى الاستانة

قبل أن يسافر الى الآستانة التى بدأ بها زياراته ذكر ذلك للورد كرومر ضمن حديث له ، فقال له اللورد ، أظن أنك لاتسر بهذه الزيارة ولا بأس من أن تعرف حال هذه العاصمة القديمة ذات التاريخ القديم وقد سافر الشيخ مع ذلك ، ولما استوت به السفينة بادر الى قصر يلدز مقر السلطان ، ولما علم السلطان أمر بتبليغه سلامه وصدرت الارادة السنية بأن ينزل الاستاذ فى دار من أحسن دور الضيافة ، وورد أن والدة الخديو أمرت بأن ينزل فى قصر من قصورها .

كان طبيعيا أن يزور الاستاذ الامام شيخ الاسلام هناك ، ولشيخ الاسلام هناك مقام رفيع ، ومركز خطير ، ولم يعزل الاتحاديون السلطان عبد الحميد عن الخلافة الا بعد أن أفتاهم شيخ الاسلام بوجوب خلعه ، لذلك ما كاد المقام يستقر بالشيخ حتى توجه الى زيارة صاحب الدولة والسماحة جمال الدين أقطا شيخ الاسلام فبادر الى الاذن بدخوله ، وتلقاه بالترحاب ، ثم أشار الى الحاضرين بالخروج ليخلو المجلس للزائر الكريم ، ثم افتتح الكلام شيخ الاسلام ، وكان موضوعه العلم والعلماء ، وتقصير العلماء فى واجبهم ، وقصورهم عن معرفة ما يجب أن يتحلوا به من التوسع فى الثقافة التى تؤهلهم لان يعرفوا حال زمانهم ، ليستطيعوا أن يقوموا بالواجب الذى يفرضه عليهم دينهم ، وكان لهذا الحديث صدى فى جرائد مصر وأوساطها .

وقد خرج الاستاذ من الآستانة بهذه العقيدة وهى « لا يمكن لشخص مستقيم السيرة أن يجد عملا ، أو يصيب خيرا فى الاستانة ، وعلى كل ذى دين أن يفر منها بدينه وببقية نفسه .

ومنها « أنه لم ير بيئة فى العالم ، ولم يكن يعقل وجود بيئة كالآستانة فى سوء تأثيرها فى العقل والفكر والقلب ، وأن ذهنه كان هناك كممسوحا كأنه لم ينقش فيه شىء من العلوم والآراء .

ولما عاد الاستاذ من الاستانة ، استقبل استقبالا حافلا وهنىء بقصائد كثيرة ، وكان فى انتظاره جماهير من العلماء وكبار الموظفين والقضاة والوجهاء ، وتقاطر الزوار والمهنئون على بيته فى عين شمس ، ولم يكن يعهد فى هذا الزمن حفاوة بعظيم كتلك الحفاوة بالاستاذ

سفره الى أوربا

ليس الاستاذ بالغريب عن أوربا ، وليست هذه أول سفرة له فيها ، فقدسافر الاستاذ فى شبابه بدعوة من أستاذه السيد جمال الدين لينشئا جريدة العروة الوثقى فى باريس ، وقد سافر الى لندن فى أثناء ذلك لخدمة القضية المصرية ، وعرف الكثير عنها وعن أهلها ، وسافر مرة ليتعلم اللغة الفرنسية ، وأخرى لحضور دروس آدابها فى مدرسة جنيف الكلية التى تعقدها فى الصيف للسائحين وسبق له رؤية المدارس الفرنسية العالية ، وسافر فى احدى السنين لزيارة أعظم مدارس الدولة الانجليزية ككلية أكسفورد وكمبردج ، وقدصحبه كبار العلماء هناك وزار كثيرا من اساطينهم الذين أنواعليه كثيرا ، وتمنوا لو أقام بينهم زمنا طويلا ، ومن هؤلاء الفرنسيين الفيلسوف غوستاف لوبون ، الذى ذهب الاستاذ الى داره للتعرف به ، وشكره على تأليف كتابه حضارة العرب فوجده مصطافا وحين علم بذلك أسف وأرسل الى الاستاذ يعتذر ويشكر .

زيارته للفيلسوف سبنسر

كان شيخا مريضا ، وقد نهاه الاطباء عن كثرة مقابلة الناس ، وعن الحديث أكثر من عشر دقائق ، ولكنه سر من الاستاذ ودعاه الى الغداء معه ، وأطال الحديث فى فلسفة الدين والاخلاق والافكار المادية وسياسة أوربا ، ومما يستوقف النظر فى حديث الفيلسوف قوله : ان الحق عند أهل أوربا للقوة ، فقد علق عليه الاستاذ الامام بعد خروجه من الزيارة بقوله :

ماذا حركت منى كلمة الفيلسوف « الحق للقوة » جاءت منه مصحوبة بشعاع الدليل ، فأثارت حرارة وهاجت فكرا ، لوجاءت من ثرثار غيره كانت تأتى مقتولة ببرد التقليد ، فكانت «تكون» جيفة تعافها النفس ، فلا تحرك الا اشمئزازا وغثيانا .

هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد فى راحة الانسان ، وتوفير راحته ، وتغزير نعمته « أعجزهم » أن يكتشفوا طبيعة الانسان ، ويعرضوها على الانسان حتى يعرفها فيعود اليها ، هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد اللامع المضىء ، أفلا يتيسر أن يجلوا ذلك الصدأ الذى غشى الفطرة الانسانية ، ويصقلوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحانى ؟

حار الفيلسوف فى حال أوربا ، وأظهر عجزه مع قوة العلم ، فأين الدواء ؟ الرجوع الى الدين الحق الدين هو الذى كشف الطبيعة الانسانية وعرفها الى أربابها فى كل زمان لكنهم يعودون فيجهلونها اه

سفره الى الجزائر وتونس

ذكرت الجرائد الاوربية خبرسفر الاستاذ الامام الى تونس والجزائر فأسرع الدساسون الى السعاية به الى حكومة الجزائر يتهمونه بأنه سافر ليحرض المسلمين على الخروج على حكومة فرنسا ، كما كتبوا مثل ذلك الى الآستانة يوم عزم على زيارتها ، وقد ظنوا أن هذه السعاية ستؤثر فى الزيارة والزائر ، ولكن خاب ظنهم ، فقد تلقته الحكومة هناك بالترحاب الذى يليق بمركزه ، ومكانته العلمية والأدبية والاجتماعية وان لم يمنعها ذلك من بث الجواسيس حوله فى كل مكان ، وهو لم يكن يجهل ذلك ولا تخوفه ، لانه لم يكن يريد بالزيارة الا الاتصال بالمسلمين وارشادهم الى دينهم الحق وأمثل الطرق لاحيائه واحياء لغته ، وقد اجتمع بكبار العلماء ووجد له هناك طائفة من العلماء والمثقفين الذين تأثروا بمذهبه فى الاصلاح وتشبعوا بتعاليمه التى تنشرها بينهم مجلة « المنار » لتلميذه الاول وناشر أفكاره أستاذنا السيد محمد رشيد رضا .

وفى تونس ألقى درسا عظيما فى « العلم والتعليم » وفى الجزائر ألقى تفسير سورة « والعصر » وقد طبعا وألحقا بتفسير الفاتحة والناس يقبلون على قراءة ذلك كله .

زيارته لصقلية

فى عودته من تونس والجزائر ألم بصقلية المامةخفيفة زار فيها آثار العرب، هناك ووصف فيها قصر الملك « روحار » وكنيسة فى « يلرم » والكنيسة الكبرى والاديان ، وبين هذا الوصف ما اتصف به الرب من التساهل وتساءل : أين هم الآن ؟!

وتحدث عن المكتبة العمومية ودار المحفوظات وما فيها من آثار العرب وقلمه فى هذه الرحلة أدبى فكاهى

سفره الى السودان

قبل أن يتوجه الشيخ الى السودان لزيارته ضمن البلاد التى رأى أن يزورها فى شتاء سنة ١٣٢٢ هـ رأى أن يأتى البيوت من أبوابها ، حتى لا تؤول هذه الزيارة بغير ما قصدت له ، كما جرت بذلك عادة المحالين النمامين ، فاخبر بذلك سردار

الجيش المصرى حاكم السودان العام فى أول يناير سنة ١٩٠٥ فجاءه الجواب من وكيل حكومة السودان بمصر ونصه :

فضيلتلوا أفندم مفتى الديار المصرية

نبدى لفضيلتكم أن سعادة أفندم السردار أظهر ارتياحه التام من رغبتكم لزيارة السودان ، وعليه فمرسل طيه الاستمارة اللازمة للسفر بموجبها مجانا من الشلال الى الخرطوم ببوسطة يوم الاحد المقبل الموافق ١٥ الجارى كما قررتم ، وطيه أيضا الاستمارة اللازمة للعودة من الخرطوم الى الشلال مجانا وأقبلوا وافر للاحترام

مدير المخابرات بمصر
الامضاء بالانجليزية

وللشيخ فى السودان مريدون من طلبته وعارفى فضله ، فقد كانت حكومة السودان لثقتها بالشيخ تعتمد عليه فى اختيار قضاة الشرع ورئيسهم من علماء مصر المتازين بالعلم والاخلاق كالمرحومين : الشيخ محمد شاكر والشيخ محمد هارون والشيخ محمد مصطفى المراغى ، ومن طلبته المدرسين بكلية غوردون الشيخ الخضرى والشيخ عبد الوهاب النجار .

وقد انهالت علىالاستاذ الدعوات ، وكلها يرجو ويلح أصحابها فى الرجاء أن ينزل الشيخ ضيفا كريما عندهم ، سواء من رجال حكومة السودان أو من المصريين ، من هذه الدعوات : دعوة السكرتير القضائى ، وقاضى القضاة ، وجماعة الموظفين المصريين والزبير باشا والسيد الميرغنى

وصف اقامته بالسودان

استقبل الاستاذ استقبالا حارا حافلا ، وكان الحاكم العام مسافرا ، ولما علمت اللادى ونجت بقدوم الاستاذ ، طلبت اليه أن يحضر فى المساء الى سراى الحاكم العام ليتناول معها الشاى ، وكان أينماحل تتقاطر عليه الناس للاستفادة من علمه واحاديثه ، وكانيفتش المحاكم ويزور المدارس ويناقش طلبتها وزار كلية غردون ، وسأل طلبتها وسر من اجابتهم .

زيارة الاستاذ نادى الموظفين

انشا هذا النادى المصريون مسلموهم ومسيحيوهم ليكون مجتمعا لهم يستغنون به عن مقاهى الأروام ، وقد دعوا الاستاذ لزيارة النادى وشرب الشاى معهم ، فوعدهم ، ولكن أسر اليه بعض المخلصين أن الخمر تحتسى فى النادى ، فأراد أن يتخلص من وعده ، وشعروا بمن أطلع الاستاذ على ما كان سببا فى انصرافه عن دعوتهم بعد ما وعدهم بها ، فاخذوا يسلقونه بألسنتهم ، وأطلت رؤوس الشقاق ، فاخذ بعض المقربين الى الاستاذ يبين له سوء عاقبة تأخره عن الزيارة ، وانه سيحدث صدعا بين المصريين ، ورجاه أن يتلافى الأمر ، فحول الشيخ الحديث معه الى سؤاله عن أحواله فى السودان وصلته برؤسائه على طريقة أسلوب الحكيم ، وعند غروب شمس ذلك اليوم كان الاستاذ فى النادى ، وكان مزدانا بالاعلام وسعف النخل والأزهار، وعند الفراغ من التحية قام الاستاذ فشكر لهم تلك الحفاوة البالغة ، ومدح انشاء هذا النادى الذى يلم شملهم ، ثم طفق يبين لهم مضار الخمر ، وان أهل أوربا أخذوا يحرمونها على أنفسهم ، وان لم يحرمها عليهم كتابهم ، وضررها فى السودان وهو قطر حار اشد من ضررها فى غيره ، واذا كان بعض الاعضاء يشربها لأن دينه لا يحرمها ، فانه لا فائدة فى الاجتماع اذا لم ينزل بعض الاعضاء عن بعض مشتهياته ، ابتغاء مرضاة أخيه ، وحفاظا للوحدة فعاهدوه على ترك الخمر ، ولكنهم عادوا لما نهوا عنه بعد مغادرة الشيخ للسودان .

دعوة الضباط له فى ميسمهم

دعا الضباط الشيخ الى العشاء فى ثكنتهم ، وكانوا فى استقباله بمختلف رتبهم ، وبعد العشاء قام هذا الجمع الحاشد والشيخ فى وسطهم ممتطيا جوادا مطهما ، الى نادى الضباط المصريين « وعلى ذكر ركوب الشيخ جوادا أذكر أنه كان فارسا ممتازا فى ركوب الخيل حين كان شابا قبل أن يطلب العلم بالمعهد الاحمدى » وكان الضباط قد أعدوا حفلا عظيما ، وقد رجوا صاحب العطوفة حسين فخرى باشا ناظر المعارف والاشغال المصرية ، أن يشرف النادى وكان بالخرطوم وقتئذ وبعد تناول الشاى هم فخرى باشا بالانصراف ، وأراد الاستاذ أن يتلو تلو فخرى فى الانصراف فاستوقفه الجميع ورجوه أن يروى غلتهم بكلمة من كلماته نسجلها هنا ، وهى من اختصار الاستاذ الاديب المؤرخ الشيخ عبد الوهاب النجار :

كنا نسمع عنكم فى وقت الحرب ما جعلنا نسميكم شياطين الحرب ، وقد شاهدت الآن من أعمالكم الجليلة ، وآثار العمران التى تمت بأيديكم فى السودان ما يسوغ لى أن أسميكم ملائكة السلاح،لايشك مطلع على هذا الرقى الذى أراه فى السودان فى أن العامل منكم يقوم من العمل فى السودان بما لا يقوم به أربعة فى مصر ، ولو قيل لى هذا الكلام وأنا فى مصر ما صدقت ، لقد قمتم أيها الضباط بالاعمال التى عهدت اليكم فى السودانأحسن قيام ، وان ما شاهدته من آثار المدنية التى تمت بأيديكم ليجعلنى مع شدة ميلى الى النظام والدستور أتمنى أن تكون الحكومة المصرية حكومة عسكرية لينالها من التقدم على أيديكم ما ناله السودان .

« هذه الفقرة الاخيرة كانت أمنية الكثيرين فى ذلك الوقت »

ثم حثهم على الاجتماع والائتلاف ، وانه يود أن يكون هذا النادى ناديا للضباط حقيقيا يجتمعون فيه لاسترشاد بعضهم ببعض فى المشكلات ، واستفادة بعضهم من تجارب الآخرين والا يكون نصيبه الهجران ، وقعودهم على قهاوى الاروام ، وختم كلامه بالدعاء لهم وتوفيقهم للسداد ، وكانوا يصفقون له عند انتهاء الجمل تصفيقا طويلا متكررا .

هذا هو الاستاذ الامام فى السودان ، كانت زيارته نصحا وارشادا وتشجيعا ، كما كانت اصلاحا وترميما ، فقد رأى أحسن الله اليه أن مسجد أم درمان بحالة سيئة فتبرع له بعشرة جنيهات لتكون أساسا لعمل اكتتاب لجمع مقدار من المال يبنى به ذلك المسجد أو يصلح به جزء من مسجد الخليفة ، وقد وعد أن يسعى لدى ديوان الاوقاف بمصر ليقرر مبلغا لا يقل عن أربعمائة جنيه لاعادة بناء جامع الخرطوم الذى خربه الدراويش وتركوا جدره مهدمة .

وزار الاستاذ مدرسة البنات التى تديرها الراهبات ، وبعد الزيارة سأل عن مدرسة للبنات المسلمات فقيل له : انهن يتعلمن فى هذه المدرسة فعقد النية على أن يسعى لانشاء مدرسة اسلامية لتعليم البنات المسلمات فى الخرطوم ، ولكن الموت كان أسبق وأقوى .

وكانت مدة اقامته فى السودان موسما وعيدا ، كما كانت ندوات ثقافية يسأل كل سائل عما يشكل عليه ، وهو يميطاللثام عن كل مشكلة ، وكان الحاكم العام يقدره ويعنى به ، ويسأله عن ملاحظاته على الكلية والمحاكم الشرعية فيدله ، واذا رأى ملاحظة قيدها فى مذكرته لينفذها فى الوقت المناسب من ذلك أن قانون الحكومة السودانية يقضى أن الموظف الذى يقل راتبه عن خمسة وعشرين جنيها فى الشهر يركب فى الدرجة الثانية دون الاولى لا يستثنى غير قاضى القضاة والمفتى والمفتش ، فشكا قاضى الخرطوم للاستاذ فعرض الأمر على الحاكم العام ، فطلب اليه أن يكون نزول قضاة المديريات بالدرجة الأولى أسوة بقضاة مصر الشرعيين ، فأجيب الى طلبه .

بعد انتهاء الزيارة المباركة عاد الاستاذ بالقطار من الخرطوم البحرية مشيعا بمثل ما استقبل به ، بالدعوات الطيبات ، وكان ممتلئا سرورا بمشاهداته، واجتماعاته ، وما أثمرته منالخير للاسلام والمسلمين .

« للترجمة بقية »

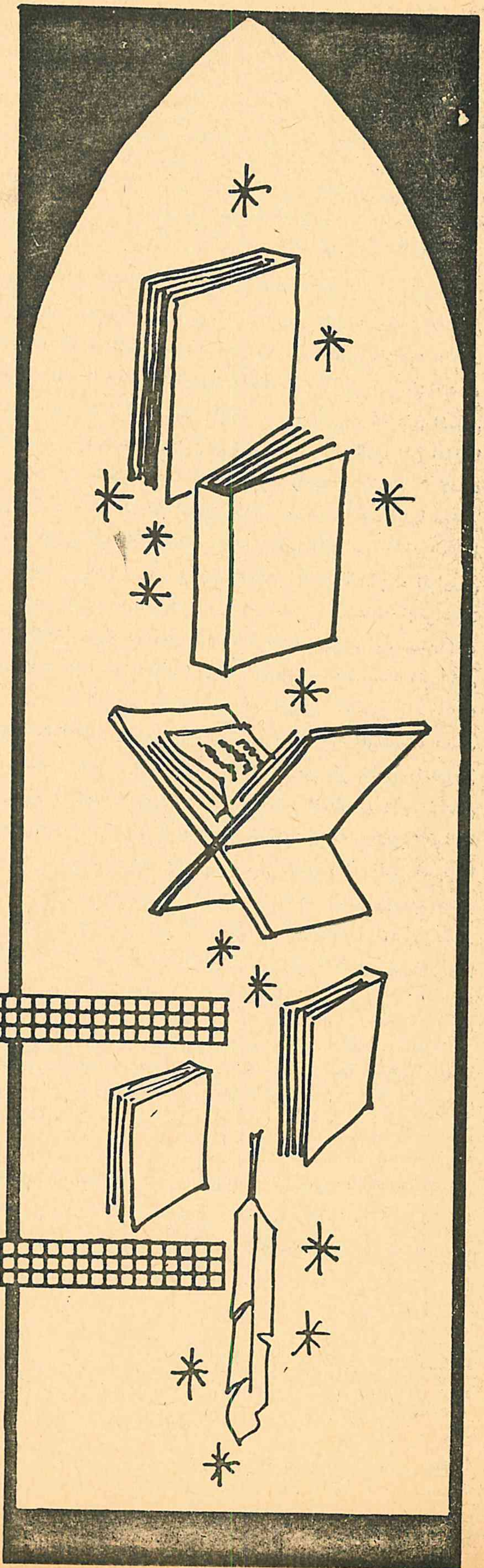

المكتبة الإسلامية

المخطوطات النفيسة الغالية

الأستاذ عبد الجواد الأصمعى

ذكرنا على صفحات هذه المجلة فى مقالين سابقين نماذج لبعض صفحات من المصاحف الشريفة النادرة التى لانظير لها فى مكتبات العالم المحفوظة بمعرض دار الكتب والوثائق القومية ، وهى ثروة فنية وتاريخية فخمة لا تقدر بثمن من الفن الاسلامى الرائع : خطا بانواعه المتعددة ، الكوفى العربى ، والكوفى المملوكى المزخرف ، والثلث العادى والجلى ، والنسخ. ونقشا وزخرفة عربية صميمة ، وتذهيبا بالذهب الخالص الذى مرت عليها الآن مئات السنين وهو حافظ على رونقه .

ونذكر فى هذا المقال أسماء المخطوطات القيمة النفيسة الغالية النادرة المثال ، القليلة الوجود ، المحفوظة بخطوط مؤلفيها ، أو مكتوبة منذ مئات السنين ، ومحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية ، ليسهل للعالم الباحث ، والطالب المنقب معرفة أسماء المراجع التى يريدها ، والهدف الذى ينشده فى بحوثه من مراجعها ، نظرا لاتصالنا بدار الكتب منذ سنة ١٩١٢ م حيث كنا نعمل مع أستاذنا العالم الجليل والباحث المحقق شيخ العروبة المرحوم « أحمد زكى باشا » فى تصحيح وتحقيق الكتب التى أحضرها بالتصوير الشمسى من مكتبات الآستانة لمشروع : « احياء الآداب العربية » فى عهد ساكن الجنان المغفور له « أحمد حشمت باشا » وزير المعارف فى ذلك العصر ، وبقينا معه الى سنة ١٩٢١ نسهر معه الى الساعة الثانية صباحا وكان يلازمنا بصفة دائمة فقيد اللغة والادب « حفنى ناصف بك » و « الشيخ أحمد الاسكندرى » تغمدهما الله برحمته الواسعة .

ومن سنة ١٩٢١ – ١٩٥٤ كنت موظفا بالقسم الادبى بالدار لتصحيح وتحقيق وعمل الفهارس الفنية الوافية بالمناسبات لما نشرته الدار من مطبوعاتها : كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى ، وعيون الاخبار لابن قتيبة ، وكتاب الامالى لابى على القالى ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، وغيرها . أى ما يقرب من ستة وخمسين عاما . ومن سنة ١٩٥٤ الى الآن سنة ١٩٦٨ وكاتب هذه السطور على اتصال دائم بالدار للمراجعة والبحث فيما يتعلق بانجاز مايدونه من مقالات للنشر ، أو كتب مؤلفة ، ونسأل الله تعالى العون والتوفيق ، عملا بالحكمة البليغة الرائعة : « اطلب العلم من المهد الى اللحد » .

ونبدأ بالمكتبات الجليلة التى ضمت اليها ، وفى مقدمتها : « الخزانة التيمورية » ، فنذكر « نوادر المخطوطات » التى اختارها العالم الجليل المدقق ، والباحث المحقق المرحوم «أحمد تيمور باشا » وكتب فهارسها بخطه لتكون بمعرض خزانته ، وقد خصص له غرفة خاصة بالدار ، وهى أول غرفة على اليمين للصاعد ، ومكثت عدة سنين ثم تلاشت وردت الكتب الى أماكنها بالخزانة ، ويشغل مكانها الآن « مركز تحقيق التراث » لاعادة طبع الكتب التى نشرتها الدار وقام بتصحيحها وتحقيقها موظفو القسم الادبى فى ذلك العهد ، وهم زملائى القدامى الذين انتقلوا الى رحمة مولاهم ، ومن بينهم السادة الاساتذة الاجلاء البارزين فى اللغة والادب ، نذكرهم فى هذا المقام تخليدا لذكراهم : الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر (محمد الخضر حسين) ، محمد عبد الرسول ، أحمد زكى العدوى ، محمد البرهامى منصور ، عبد الرحيم محمود ، أحمد الزين (الشاعر العبقرى) أحمد عبد العليم ، ابراهيم اطفيش ، أحمد عبد الرحيم ، محمد صادق عنبر (الكاتب البليغ) ، أبو بكر لطفى المنفلوطى (شقيق الكاتب العبقرى مصطفى لطفى المنفلوطى) ، تغمدهم الله برحمته الواسعة ، وأسكنهم فسيح جناته ، لانهم أضافوا للمكتبة العربية أصدق وأوفى خدمة للمطبوعات التى نشرتها الدار ، وكان لهم الفضل الاكبر فى خدمة العلم والادب ونشر المعرفة ، ثم خلف من بعد خلف قضوا على القسم الادبى بالدار وأماتوا احياء التراث الذى ظل سنين طويلة تشع أضواء أنوار مطبوعاته على العالم العربى شرقا وغربا .

ونذكر أسماء هذه الكتب ، وهى نوادر المخطوطات التى اختارها المرحوم « أحمد تيمور باشا » ووضعها بنفسه وقلمه لتكون بمعرض خزانته مرتبة على الحروف الهجائية ليسهل مراجعتها .

(أ)

أقوم الوسائل فى شرح وترجمة الشمائل الترمزية للمولى أحمد بن خير الدين الايدينى المشهور بخواجه اسحاق الازميرى المتوفى سنة ١١٢٠ هـ . نسخة مجدولة بالذهب كتبت سنة ١١٦٦ هـ بالتركية – ٢٣٦ حديث .

(ب)

بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز – للعلامة مجد الدين الفيروزابادى مؤلف القاموس . نسخة كتبت سنة ١١٧٢ هـ – ٢٢٩ تفسير .

بغية الطالب فى معرفة الضمير للمطلوب والطالب والمغلوب والغالب – لابى معشر الفلكى المتوفى سنة ٢٧٢ هـ . نسخة كتبت سنة ١٢٨١ هـ وبها صور – ١٢٧ غيبيات .

(ت)

تحفة الموازين لمن أراد الرئاسة فى الهندسة من أهل القوانين – وهو فى استعمال المدافع وعملها وما يتعلق بها من الذخائر ، ترجمة الشيخ محمد بن الطاهر بن حسن الشاطبى الحنفى التونسى فى زمن الباى محمد الصادق باشا أمير تونس، وكانت ترجمته سنة ١٢٧٥ هـ ، وبه صور متقنة للمدافع وغيرها، وهو ١١٤ بابا – ١٨ فروسية .

(تنبيه – وضعنا هذا الكتاب بالمعرض مع أنه من التاليفات الحديثة لغرابة موضوعه) .

تخميس البردة لناصر الدين الفيومى ، أوله :

★ مابال قلبك لاينفك ذا ألم ★

نسخة جيدة قديمة الخط جاء بآخرها أنها كتبت (برسم الجناب العالى السيفى قرقماس الشريفى من طبقة الاربعين الملكى الاشرفى عز نصره) – ٣٦٢ شعر . ترجمة خريدة العجائب لابن الوردى الى التركية ، قال فى كشف الظنون : « انها لرجل من الاروام » .

نسخة كتبت سنة ١٢١٣ هـ وبها الصور الآتية :

(ص ٣) الكرة الارضية على ماصورها به ابن الوردى

(ص ٣٣) صورة مقياس النيل (ص ٧١) دائرة بها صورة الكعبة المشرفة – ١٥٩ بلدان .

تفسير الجلالين : الجلال المحلى والجلال السيوطى نسخة نفيسة مجدولة بالذهب كتبت برسم محب الدين بن اجا صاحب دواوين الانشاء بالديار المصرية وسمائر المماليك الاسلامية ، كتبها أحمد بن مسعود النابلسى وهو مشرف على التسعين سنة ٩١٤ هـ – ٣٢٧ تفسير . تفسير القاضى البيضاوى المسمى بانوار التنزيل .

نسخة دقيقة الخط مجدولة بالذهب فى مجلد واحد ، كتبت سنة ١٠٤٠ هـ – ٣٥٦ تفسير .

تفسير الكواشى من علماء القرن السابع ، فرغ منه سنة ٦٤٣ هـ وهو بخط العلامة أحمد بن محمد بن ظهيرة ، كتبه سنة ٧١٧ هـ ١٣٥٠ تفسير .

تقويم الكواكب السبعة السيارة – لاحد علماء اليمن فى أول القرن التاسع . وضع فى أوله جداول لتواريخ الانبياء والخلفاء وملوك اليمن الى سنة ٨٠٧ هـ .

نسخة قديمة الخط بلا تاريخ ، وبها فى ص ٦٢–٦٣ دائرتان للقمر لبيان زيادته ونقصانه . وفى ص ٦٤–٦٥ صورة البروج وحلول القمر فيها . وفى ص ٩٣ صورة خسوف القمر – ٢٧٤ رياضيات .

(ج)

الجزء الاول من أنوار التنزيل ، وهو تفسير القاضى البيضاوى

نسخة كتبت برسم الملك الظاهر وكملت سنة ٨٣٨ هـ .

والجزء الثانى منه بخزانة فن التفسير – ١١٤ تفسير جزء من جامع الاصول لابن الاثير الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، مكتوب عليه الثانى ، وهو من الزاى الى الظاء ، وغالبه مضبوط بالحركات ، وهو قديم الخط وبأوله لوحة مذهبة مكتوب بها انه الجزء الثانى – ٢٥٣ حديث جزء من ربعة بخط قديم حسن ، كتبه على بن جعفر بن أسد بن على الكاتب . وفى وسطه كتابة بانه كان للسلطان الملك نور الدين الشهير ، وانه وقفه سنة ٥٦٢ هـ – ٥٠٣ تفسير .

(خ)

خريدة العجائب لزين الدين عمر بن الوردى .

نسخة بها فى ظهر ص ٤٢ صورة الكعبة المشرفة ، وفى ظهر ص ٤٣–٤٤ صورة الكرة الارضية ، وليس بها صورة الحرم – ٧٦ بلدان .

– نسخة أخرى كتبت سنة ١٠١٧ هـ ولم يبق من صورها الا نصف الكرة الارضية – ٨٣ بلدان .

– نسخة أخرى بها فى ص ٤–٥ صورة الكرة الارضية – ١٨٥ بلدان .

الخصال المكفرة للذنوب – للحافظ ابن حجر العسقلانى – نسخة بها نقص ، وبأولها لوحة من أبدع ما يكون من النقوش العربية ، والجلد مزركش بأسلاك الفضة (المخيش) وبه رؤوس مسامير من الفضة – ٣٠٦ حديث .

(د)

الدر المنظم فى السر الاعظم ، ويسمى بالجفر الصغير وبمفتاح جفرالامام على عليه السلام – تاليف الشيخ كمال الدين أبى سالم محمد بن طلحة البسطامى المتوفى سنة ٦٥٢ هـ .

نسخة كتبت سنة ١٢٧٧ هـ ، ونقلت عن نسخة كتبت سنة ٩٧٣ هـ ، به ١٧ صورة ، وبآخره دوائر ومربعات بها كتابات ورموز – ١٢٢ غيبيات .

الدر النضير فى التجويد

نسخة قديمة الخط ومجدولة ومحلاة بالذهب ، كتبها المملوك تانى بك من مصر باى من طبقة البرهامية الملكى الاشرفى – ١٣٣ تفسير .

دلائل الخيرات – ملونة الورق حسنة الخط والنقش والتذهيب ، وهى بخط الحافظ محمد سعيد من تلاميذ عمر الرصفى ، كتبها سنة ١٢٣٤ هـ . وكانت هذه النسخة لجدنا محمد تيمور كاشف – ٣٠٦ تصوف

– نسخة أخرى حسنة الخط والنقش والتذهيب ، وهى بخط السيد محمد نورى تلميذ حسن وهبى ، كتبها سنة ١٢٦٩ هـ – ٣٠٨ تصوف .

– نسخة أخرى حسنة الخط والتذهيب والنقش ، وبها لوحة مذهبة بديعة النقوش ، وفى ص ١٤ صورة الحرمين : المكى والمدنى ملونتين ومذهبتين ، وهى بخط السيد أحمد المعروف بحمدى ، كتبها سنة ١٢٣٥ هـ – ٣٠٧ تصوف .

– نسخة أخرى بخط مغربى ، وفى ص ٤٥ صورة المقام النبوى وليس بها صورة الحرم المكى – ٣٠٩ تصوف .

ديوان صفى الدين الحلى .

نسخة نفيسة قديمة الخط ، محلاة التراجم بالذهب – ٢٦١ شعر .

ديوان ابن نباتة المصرى جمال الدين محمد ، جمع بدرالدين البشتكى . نسخة جيدة كتبت سنة ٨٣٠ هـ – ١٠٦ شعر .

« للمقال بقية »

من ذخائر السيد : عبد الرحيم القنائى فى الأدب القرآنى

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

الموعد ٢٠ رمضان عام ٥٨٧ هـ برباط السيد عبد الرحيم القنائى بقنا فى الساعة العاشرة مساء المحاضر السيد الفاضل شيخ قنا السيد عبد الرحيم القنائى قال .

بسم الله الرحن الرحيم . نعوذ بالله من شرور أفكارنا وشرور أبصارنا وشرور أسماعنا وشرور ألسنتنا وشرورجوارحنا ومن الشر الذى يأتى الينا . ونسلم لله مقاليد أمورنا ليتصرف فيها برحمته وفضله وعفوه وجوده وكرمه سائلين الله من ضعفنا قوة ومن عدمنا بقاء فى رحمته حتى نستكمل العمل الذى يرضيه ليرضى به عنا ويتقبله خالصا لوجهه الكريم وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد .

وقفنا فى الشرح أمس عند الباب الثانى من دعائم الاسلام . ألا وهوالعمل. قال الله جل شانه (بسم الله الرحمن الرحيم . وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) . وقد اختتمنا درس أمس بالاية الكريمة (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) .

يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم. صلوا على رسول الله . الامة الاسلامية خير الامم جميعا بدليل القرآن الكريم (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وذلك لانها أمة كفاح وعمل وأمة أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأمة هذا شانها كفيلة أن تنجح وكفيلة ان تخطلنفسها طريقا فى ميدان هذه الدنيا لتستفيد وتفيد . والله جل شأنه يقول لصفوة خلقه ورسله وأنبيائه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وما تكون فى شأن) أى شأن أنت فيه يا رسول الله كل شأن هو عمل وكل عمل هوشأن فى شئون ومن شئون الحياة الدنيا التى تعمل فيها وأن مدرسة العمل ليست ضيقة المبانى أو قليلة الاتساع ولكنها كبيرة متسعة لا حد لها ولا يحددها الا كسلان غارق فى ملاذ الحياة ولهوها .

ولكن الذين أوتوا الدين الاسلامى فدرسوه واتبعوه وتعمقوا فى أوديته وساروا فى دوربه بالعلم متفقهين لابوابه لا شك أنهم واصلون الى العمل المنتج المثمر الذى يعود عليهم بنفع ذاتىوعائلى واجتماعى فى الحياة الدنيا وفى الحياة الاخرى .

واصحاب الاعمال الناجحة نادرون وليس معنى هذا أن يرى الانسان نفسه عظيما فيأبى أن يعمل فى تجارة لانه يراها أقل بكثير من عظمته وجاهه وها هو نبينا صلى الله عليه وسلم كان نبيا أو فى دمه النبوة سوف تصل اليه قبل أن يرسل قد عمل راعيا للغنم بالاجر وعمل تاجرا بالاجر ثم جاءت النبوة له فحمل الحطب مع أصحابه ليعد طعاما ولهذا فان الحرفة لا تحط من شأن الرجل بل الرجل هو الذى يحط شأن الحرفة .

والانسان يعمل بجسده وعقله وبهذا يكون ناجحا مكرما وعلى شرط ان يكون هذا العمل مما يصل به العبد الى ربه فيرضى عنه ويباركه وكل عمل كان بالجسد دون عقل فهو عمل باطل وكل عقل يعمل بدون الجسد أى يترك الامر لغيره فهو مفرط فى ثروة ومبذر فى مال . لان العمل بالجسد والعقل هو المال وخزائنه .

والعمل أصل نجاح العباد وعمران البلاد ولا مصيبة على الانسان أشد من أن يتمتع بكل مطالبه وتصل اليه جميع مآربه بدون كد أو تعب . والامة ليس من بين شعبها ميل الى العمل والكد والكدح يجب حذفها من بين الامم ووجب عزلها لانها أمة مريضة .

(يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) ملاقيه بما فعلت وقدمت وتركت

فكل الاعمال المبنية على مبادىء صحيحة لاغراض حميدة لابد أن تنجح وتنتج نتائج محموده هذا فضلا عن أنها ترقى شأن الانسان وتصلح من عاداته وصفاته وتحرك همة غيره للاقتداء به وليس على الكل أن ينجحوا فى كل الاعمال سويا ولكن كل على قدر اجتهاده واستحقاقه ولهذا فان ما ورد فى آية الكدح كان لها معنى كبيرا جدا اذ أنه لا يناسب البشر أن تكون طرقهم سهلة ميسورة بل الاحسن والاجدر أن يكون الانسان مضطرا أن يعمل بالكدح وأن يعيش فى دوامة العمل المستمر من أن يرى رزقه سهلا ميسورا وممهده لينا طريا .

وبالتجارب ثبت أن الذين يدخلون معركة الحياة وزادهم قليل يكونون أكثر رغبة من غيرهم فى الاقبال علىالاعمال حتى أن ذلك عد شرطا لازما للنجاح فى الاعمال . ويجب ان يفهم كل الناس ان الاعمال كلها تؤدى الى أعمال الاخرة وثوابها ما دام العمل فيما يرضى الله فليس معنى هذا أن الصلاة والصيام والعبادات هى وحدها التى نسميها أعمال الاخرة ولها عليها الجزاء والمحاسبة . لا . بل ان رجلا يقوم بماله وقدراته ليقيم مصنعا يستوعب

مئات من الراغبين في العمل ثم ينقدهم أجرهم فهذا عمل يؤدى حتما الى الجزاء الحسن فى الاخرة بل هو عمل من أعمال الاخرة ومن لم يتعلم صناعة ولا عمل فهو حقير .

والامام عمر بن الخطاب يقول : (انى لارى الرجل فيعجبنى فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى) .. هناك الكثير من الناس ينسبون فشلهم فى حياة العمل الى الزمن والزمن برىء منهم ومن معتقداتهم وهؤلاء هم المتشائمون الذين يحصدون ثمر أهمالهم وعدم اهتمامهم بحياتهم والسعى فيها ولها كما أمر الله .

والاية الكريمة التى ذكرناها فى موضوع الدرس هى آية واحدة من كثير فى كتاب الله قد جمعت الوصايا والاتجاهات العقلية والنفسية والجسمانية تحض على العمل الذهنى والجسمانى (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون عملا فكل ذلك عمل وعمل منتج مثمر دنيا وأخرى وكفى أن الله هو الشاهد عليه حتى تسلك به مسلك الاتقان فى كل أعمالك وتلبس لباس الجد فيه وتشمر عن ساعدك فيزيد ربحك الدنيوى والاخروى (اذ تفيضون فيه) .

والاحسن للانسان أن يقوم بعمل واحد دقيق يدركه من أن ياتى بأعمال متعددة يكسوها عدم الاتقان والكثير لا يشعر بهذا الضرر بل لا يعيره اهتماما ومن لم يكن مدققا فى عمله فهو غير أمين عليه .

والمحافظة على أوقات العمل هى من أهم مميزات نجاح الاعمال فالرجل الذى يخرج الى عمله صباحا فى الساعة المبكرة ويبدأ دورته فيه ويجعل من هذا الموعد الميزان الدافع لاستكمال عمله هو فى الحقيقة الرجل الامين الناجح وليعلم الناس ان الوقت هو المال هو الذهب هو الفضة هو الثراء فكم من ساعات تضيع على ابن آدم وهو يجس فى مجالس المسامرة وبذلك تضيع عليه أرزاقه والتى لم يحسب لها الحساب ولهذا فانا لا أقبل فى مجلسى كما عرفتم الا الرجل المتزوج العاصم لدينه والذى له عمل يتكسب منه قوته وقوت من يعول .

والزوجة أساس دفع الرجل لان يعمل والا لو كانت كل الدنيا لسماع لعلوم لبطل حال الدنيا وذهب بهاؤها وكثر فقرها ولكن وجب على كل انسان أن يخصص وقتا لزيادة معرفته ثم وقتا آخر للعمل والتكسب ويجب أيضا ان يجعل الانسان الراحة بعد العمل لاقبله فان الراحة قبل العمل يسورها الشيطان فيصاب الانسان بالعجز والكسل .

والكسل موجب للخيبة واذا أعتاد الانسان هذه الحالة سعت اليه البطالة وتملكته هذه الخصلة فتقيده بسلاسل الكسل والفشل والخذلان وكلها من صفات الفقر . وكل شى يمكن استرداده اذا ثابر الانسان عليه وعمل باجتهاده فمثلا المال يسترد بالاجتهاد . والعلم يسترد بالاستذكار والدرس . والصحة تسترد بالدواء والاستشفاء .

وأما من ضيع وقته فلا يستطيع أن يسترده أبدا ومهما أوتى من قوة . فالزمن الذى يمضى لا يعود .. لا يعود فى الاجل . ولا يعود فى العمل . ولا يعود فى الرزق والطاعة لله .

ولذلك من لا يهتم بالوقت لا يهتم بالعمل ولا يستحق أن يؤتمن عليه .
ومن طباع ابن آدم صفات متممة ومحسنة للعمل فسرعة البديهة والثبات ضروريان لكل انسان ولا سيما للذين يشغلون المناصب الكبرى ويديرون الاعمال الهامة الشاقة فقائد الجيش مثلا وجب أن يكون سريع البديهة والخاطر متثبتا ثابتا ولا يكفى ان يكون القائد قد حمل معه من صفات البطولة وانه كان محنكا . ولهذا فان القائد الحكيم هو القادر على تدبير أمر جيشه من كافة الوجوه فى الاكل والطعام والراحة والعتاد والسلاح والقيام بالواجب مع الاعتناء بكل فرد من جنوده وفى أقل وقت وأسرع خاطر .

ومن أهم الامور المؤدية لنجاح الاعمال الامانة ومن كانت هذه خلته وتلك صفته أشتهر اسمه بين الناس ودر عليه الرزق بسبب الامانة . والامانة تؤدى الى الاتقان كما تؤدى الى سعة الرزق ولهذا كانت أولى الاعمال امتحانا فى صفة الامانة هى التجارة فصاحبها منكر لذاته مستقيم صادق ومن ترك هذه الصفات خسر الدنيا والاخرة وقد كانت هذه الصفات من صفات حبيبنا ونبينا صلى الله عليه وسلم عندما كان يتاجر مع خديجة فى مالها حتى لقبوه بالامين .
وكثير من الناس يرى الغاشين والمخادعين ناجحين فى اعمالهم فيأسف على أمانته وعدم تداول سلعته . ولكن الزمن كفيل بان يرد الحق لنصابه وغدا يكشف أمر الغاش والمخادع فينصرف الناس عنه ويبقى الى الابد فقيرا وتعود الامانة الى صاحب الامانة ويعرف الناس فضل صاحبها فيوالونه ثقتهم ويقبلون على معاملته .

لقد خرج الاسلام ليحارب البطالة ويحض على العمل . والامام عمر بن الخطاب يقول (لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) وسئل معاوية رضى الله عنه عن المروءة فقال هى (العفة والحرفة) . وجاء رجل الى الحسن بن على كرم الله وجهه فقال له (انى أنشر مصحفى فاقرأه بالنهار كله) فقال له الحسن (اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك وما لا بد منه لرزقك ورزق من تعول).

والانسان بفطرته مساق الى العمل لانه أعتاده فاذا لم يعمل طلب العمل لان فى كل عضو من أعضائه له حركة وفى بطلان حركة أى عضو شلل له فيصاب الانسان بالعجز لان الانسان كالالة فاذا لم تعمل هذه الالة أصيبت بالصدأ . فالعمل اذا خلاصة الفكر والحياة فرصة لا تعوض والعمل كامن فى النفس ولكنه يحتاج الى محرك والمحرك للعمل هو الطموح فى الانسان فان كان الانسان عاملا عظيما مراعيا لله ولحقوقه كان العمل عظيما ووصل للنهاية بنجاح .

وكثير من الناس يعمل بنفسه فيشرف على جميع أعماله ويقف عليها ولا يأبى ذلك ويجده مفخرة وعزة وسؤددا . والكثير أيضا يكل أمره الى غيره من العاملين والصناع ولكن الاول ناجح نجاحا أكيدا لان النشاط بالاشراف الذى يؤديه يكسبه الوقوف على كل صغيرة وكبيرة فى عمله فيصلح الخطأ ان وجده بخلاف غيره فانه يدارى الخطأ خوفا من صاحب العمل .
والعمل بنفس الانسان دليل على سلامة الفطرة وعلى ان الانسان يقدر نفسه حق قدرها أى انه يضعها فى الموضع الطبيعى لها . لا كبرياء ولا تهاون ولا كسل . وليس معنى هذا اننا ندعو لان يعمل الانسان كل أعماله بنفسه ولكن لا أقل من أن يشرف على الكبير منها بنفسه فعلا وأن ينصح فيما تبقى منها بعد ذلك وبأيدى الاخرين وهذا مانسميه بالاعتماد على النفس .

يقول الله تعالى (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) وفى هذا توجيه للزارع لمراعاة أرضه التى يقوم بخدمتها والعمل فيها حتى يجنى ثمار ذلك مع المداومة على هذا العمل حتى يؤدى واجب الشكر للذى خلق فسوى وأنبت الرعى ويقول الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) ويقول جل شأنه (انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) ويقول أيضا (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها) .

وفى هذا نرى أن العمل شرط أساسى فى أقامة الحياة الدنيا وعمرانها وان الله جل شأنه أمر بذلك حتى يستقيم الناس فى معاشهم وحياتهم التى أعدها الله لهم ((ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) . نسأل الله الكريم ان يجعلنا من الذين أنعم عليهم برضوانه وحببهم فى العمل الصالح

الذى يرضاه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وغدا نتمم باقى الدرس ان شاءالله تعالى .

يوم ٢١ رمضان عام ٥٨٧ هـ بالرباط بقنا فى الساعة الثامنة والنصف .

عاد السيد عبد الرحيم القنائىلالقاء درس رمضان فقال : بسم الله الرحمن الرحيم الدعامةالثالثة فى الدين الاسلامى الاخلاق .

الرسول العظيم والمعلم الكبير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مؤسس الاسرة الاسلامية المحمدية هو أحسن الخلق أخلاقا وأطيبهم نفسا وأزكاهم عقلا وأرجحهم رأيا وانظفهم سريرة وأقومهم طبعا واكيسهم معاملة وأجملهم خلقه واكملهم خلقا .

ويكفى فى وصف أخلاقه الاية الكريمة قال الله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) ونبى كريم هذا وصفه المعروف المدروس بشهادة ربه الذى أرسله للناس كافة ثم هاديا ومبشرا ونذيرا تصفه السيدة عائشة رضوان الله عليها فتقول (كان خلقه القرآن) ومعنى هذا أنه لا نقص ولا عيب فيه ولا شاردة توجب الشك فى أى أمر من أموره ولا واردة تجعلنا فى حاجة الى دليل لنزيد تحسينا فى وصف أخلاقه صلى الله عليه وسلم . فالذى أخلاقه القرآن الكريم سام فوق السمو وعال فوق العلو وكامل فوق الكمال وعظيم فوق العظمة وسمح فوق السماحة . وأمة هذا معلمها أمة عظيمة لو انها أقتدت به واقتبست عنه وسارت فى الطريق الذى رسمها لها بأمر من عند ربه جل شأنه . ولعل أول وصية انذر بها أمته تلك الخطبة التى ألقاها حين قدم المدينة قال :

(أيها الناس . فقدموا لانفسكم . تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه وليس لها راع . ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجب دونه ألم ياتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك . فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق ثمرة فليفعل . ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هذه كلمة احتوت العلم والعمل والاخلاق .

ثم هذه الخطبة التى كانت آخر خطبة ألقاها عليه الصلاة والسلام وسميت بالوداع قال عليه الصلاة والسلام .

أيها الناس . اسمعوا قولى فانى لا أدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لا ربا وان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله .

وأن كل دم فى الجاهلية موضوع وان أول دمائكم أضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . أيها الناس ان الشيطان قد يئس من أن يعبد بارضكم هذه أبدا ولكنه أن يطلع فيما سوى ذلك . فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

أيها الناس . انما النسيىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليه . ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان.

أيها الناس . اسمعوا قولى واعقلوه.

فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا .

لكم عليهن الا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه . وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة . فان فعلن فان الله قد أذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عواق لا يملكون لانفسهن شيئا وأنكم انما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلغت .

وقد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه .

تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين أخوة فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم الا هل بلغت ؟ .

قال الناس . اللهم نعم . وقال صاحب الدعوة الاسلامية . اللهم فاشهد يا أخوة فى الله . يا أمة محمد الرؤوف الرحيم . هذه أول خطبة قالها معلمكم العظيم وهذه آخر خطبة قالها انها دستور كامل للعلم والعمل والاخلاق ما ترك شيئا الا ذكره ولا قانونا الا حض على اتباعه ولا طريقا الا أوضحها ثم أشهدكم على أنفسكم . فشهدتم له بالابلاغ واشهد هو عليه الصلاة والسلام ربه عليكم عالم الغيب والشهادة اليس فى هذا القول شروط الاخلاق العظيمة . نعم . هذا القول هو كل الاخلاق . فما معنى ذلك .

الخطبة الاولى فيها أول كلمة الحض على العمل (فقدموا لانفسكم) وان الانسان لابد وان يقدم خيرا ليجد خيرا مثله ولهذا كان حسن الخلق هو الدافع لعمل الخير .

ثم أنذركم رسول الله بان الموت يأتى فجأة وانكم تتركون هذه الدنيا بغتة ثم تسألن عند ربكم دون حجاب ألم يأتكم رسولى ؟ ثم أعطاك رزقا وأفاض عليك من نعمه فماذا فعلت ؟ وهنا يقف حسن الخلق دافعا للشكر على النعمة وعاملا قويا لمعرفة فضل سيدك جل شأنه عليك .

ثم حذرك الرسول الامين من مخالفة الله وورودك عليه صفر اليدين ليس أمامك غير جهنم تصلاها مذموما مدحورا. ثم بين لنا عليه الصلاة والسلام أدنى الاحسان بشق ثمرة أو بكلمة طيبة .

ثم جاءت الخطبة الاخيرة يهيب بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع قوله وأنه قارب اللحاق بالرفيق الاعلى. ماذا قال .

حرم القتل والسلب والنهب وان هناك عند الله حسابا فيسألكم عن أعمالكم . وعن أخلاقكم . وعن علمكم . وعن الامانة فليؤدها الذى أؤتمن عليها . ثم حرم الربا والاخذ بالثأر ظلما . وحذرنا من الشيطان وخبثه وبين لنا معالم الحياة الدنيا بأيامها ولياليها . ثم أبان حق الزوج والزوجة وكل الزمه بواجباته ثم وصى بالنساء خيرا لضعفهن ثم وضع أساس الهداية والاخلاق لنلجأ اليه عند طلب المعرفة . كتاب الله وسنة رسوله .

ثم أوضح لنا علاقة المسلم بالمسلم وأرسى قواعدها بأن تقوم على الاخلاق الحميدة المؤدية الى العمل الحسن وحسن المعاملة .

يا أخوة . يا أمة محمد العظيم . كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من (العلم والعمل) فقالوا فتعلمنا القرآن والعلم . ومن تعلم القرآن فقد حسنت أخلاقه . وبهذا فالدين الاسلامى دين علم وعمل واخلاق .. القرآن الكريم هو الاخلاق السامية وكلام رسول اله وحديثه مأخوذ منه

وعلى نمطه . فاسمعوا قوله عليه الصلاة والسلام حيث وصاكم فى خطبة الوداع. انظروا الى هذا الحديث ايضا وتعلموه واعملوا به وله . قال عليه الصلاة والسلام (ان الله طيب يحب الطيب . نظيف يحب النظافة . كريم يحب الكرم. جواد يحب الجود . فنظفوا افناءكم وساحاتكم . ولا تشبهوا باليهود يجمعون الاكب فى دورهم) ومعنى الاكب الزبالة ثم انظروا لاخلاق صحابة الرسول المتبعين لاوامره .

لما أرسل أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد بن الوليد لقتال المرتدين كتب له (أعلم ان عليك عيونا من الله ترعاك وتراك . فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياة . ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة) .

وأوصى هارون الرشيد عبد الملك بن صالح فقال .

أنت تاجر الله لعباده . فكن الضارب الكيس ان وجد ربحا أتجر والا احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفا من احتيال عدوك عليك .

يا أخوة فى الاسلام . العلم بدون عمل وأخلاق لا يستفاد من صاحبه والعمل بدون علم ولا أخلاق فاسد فى اتجاهاته .

والاخلاق بدون علم ولا عمل صاحبها متواكل وليس فى الاسلام متواكلون الكل يسعى ويعمل ليأكل مما عملت يده كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) .

سؤال

وهنا سأل السيد يوسف ابو الحجاج الاقصرى السيد عبد الرحيم القنائى هذا السؤال قال هل وصل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى أخلاق الرسول وهل وصل السابقون الى هذه الاخلاق.

فأجاب السيد عبد الرحيم القنائى قال :

يا أخ يوسف . الاجابة عن هذا السؤال بصفة اجمالية . لا . لان الذى (خلقه القرآن) وصفا وأصلا ليس كمثل الذى اتخذ الرسول أسوة حسنة وليس الشىء الكامل كقطعة مأخوذة منه. فالسابقون من الانبياء كانوا على خلق حسن كريم . ومن اتبع رسول الله من بعده وعمل بوصاياه وسار على نهجه هم على خلق حسن كريم . والنور المرسل من المصباح ليس كالمصباح نفسه فالرسول عليه الصلاة والسلام مصباح المخلوقات جميعها وهؤلاء جميعا اشعاع من نور هذا المصباح . ومن هذا وصفه ربه بانه على (خلق عظيم) . لانه اصل وما تفرع من أخلاقه فهى فروع للاصل وهنا عاد السيد يوسف ابو الحجاج بسؤال آخر قال .

أنا عملت بما يعمل الرسول صلى الله عليه وسلم تماما الا اكن فى هذه الحالة مساويا لاخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال السيد عبدالرحيم القنائى . انت يا يوسف جئت الى ساحة الرسول صلى الله عليه وسلم خال من كل شىء وجلست تأخذ نصيبك وعملت واجتهدت حتى وصلت الى مقام أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن رسول الله جلس الى ربه وجاء للناس كاملا بأخلاقه لم يقتبس من مخلوق . ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام (أدبنى ربى فاحسن تأديبى) .

وبهذا انعدم فضل الناس على رسول الله . وبقى عليه الصلاة والسلام لربه فادبه ورباه بمعرفته (الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) تلك أسس الاخلاق الزاكية تولاها الله بنفسه فغرسها فى شخصية حبيبه صلى الله عليه وسلم .

والبرهان الاخر يا أخ يوسف يقول الله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) ولا تطلق الرحمة والرأفة هذه على أى مخلوق ابدا مهما أوتى من العطف والشفقة وفى هذه الصفات سر لا يدركه مخلوق ولكن يعلمه الخالق (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) فالنور رسول الله نور بأخلاقه ورأفته ورحمته نور بكماله الظاهر والباطن . نور كله حتى فى الابتسامة التى يبتسمها كلها أدب وحياء. حتى فى المشية التى يمشيها كلها أخلاق ورعاية . حتى فى الكلام الذى يتكلمه علم ومعرفة ووصاية . وختاما للرد على الأخ يوسف لم يبلغ مبلغ أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوصف الذى وصفه ربه فقال (وانك لعلى خلق عظيم) بأسرار سر تمكين الاية فى باطنها وبأنوار اضواء جمال تكوين الآية فى ظاهرها مما لا يعلمه الا الله ورسوله . لم يبلغ مبلغه فى أخلاقه صلى الله عليه وسلم لا فى السابقين قبل الاسلام ولا فى اللاحقين بعد الاسلام ولانه خاتم الانبياء والمرسلين ولانه يقول (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) .

« سؤال » ..

وهنا سأل أبو الحسن الصباغ القوصى شيخه السيد عبد الرحيم القنائى قال يا مولانا . نجد فى كثير من آيات الكتاب المبين فيها عتاب لرسول الله صلى الله عيه وسلم أو يفهم منها ذلك . ومن الايات مثلا (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) (عفا الله عنك لم أذنت لهم) فأجاب السيد عبد الرحيم القنائى قال :

يا أبا الحسن . ليس هذا عتاب من الله لرسوله . ولا رفض لطلب صدر من حبيب لحبيبه ولا افشاء سر أوفيه قدح لنبينا صلى الله عليه وسلم . ولكن كل هذا قول كريم من الله لرسوله حتى يزداد الحب الذى هو أصل رسالة رسول الله بينه وبين ربه . فهى تلك ملاطفة لدوام اتصال قلب شاكر ذاكر هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم نحو خالق كريم يحب محمدا نبيه ورسوله. ثم انظر يا أبا الحسن كيف فرق الله بين مقدار الرسول عنده وبين مقدار أمة الرسول فى آية واضحة المعانى والبيان ظاهرة فى المقارنة والمقدار قال الله تعالى :

(ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذابا مهينا) هذا قول الله فيمن آذى الله ورسوله .

ثم قال جل شأنه (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) هذا قول الله فيمن آذى المؤمنين والمؤمنات .

انظر يا أبا الحسن الفارق بين وضعين وفى حالتين متشابهتين حال الرسول عند ربه . ومقدار المؤمنين والمؤمنات ، وما ذلك الا لعلو قدر الرسول ومكانته بأخلاقه التى تميزت عن كافة المخلوقات بشىء هو سر عند رب العالمين مما لا يمكن أن نساوى بأخلاقه أى أخلاق أخرى من العالمين (والله أعلم) (ان الله وملائكته يصلون على النبى) لم يشرف بهذا احد سواه والى هنا نستغفر الله العظيم ونتوب اليه.وفى هذه الليلة ولدت ليلة القدر . وسوف نبدأ غدا درسها ان شاء الله تعالى .

ونختتم هذه الذخائر لنتابع مع القراء الباقى فى العدد القادم وفقنا الله لما يحبه ويرضاه والسلام عليكم ورحمة الله .

من تراثنا الإسلامي

كتاب العقد النفيس للإمام احمد بن ادريس

١

عرض وتلخيص : محمد بدر الدين سالم

قال رضى الله عنه ، ان المصلى اذا وقف للصلاة فانه يكبر الله قائلا الله أكبر الله اكبر ، وهى تكبيرة الاحرام للصلاة ، فينسى المصلى كل شيء سوى الله ، ويسبح فى الكبرياء والعظمة ، ثم كلما انتهى الى نهاية فى الكبرياء فالله تعالى كبرياؤه فوق ذلك ، ولذلك يجدد التكبير عند الركوع وعند السجود فيقول الله أكبر أى أكبر مما انتهيت اليه فى السباحة فى كبريائه ، فيتحقق عجز الانسان عن أن يسبح فى جدول من بحور كبرياء الله عز وجل .

وقال رضى الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقف لاصحابه مواقف كثيرة ليعظهم ويذكرهم بالله ويعرفهم به ، فقد مر ذات ليلة بأبى بكر رضى الله وهو يخافت فى صلاته ثم مر بعمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يجهر فى صلاته ثم مر ببلال وهو يقرأ من القرآن آيات من سور مختلفات فلما كان الغداة سأل أبا بكر عن مخافتته يريد أن يستفهمه عن قصده لان كل واحد منهم له فى فعله ذلك قصد ونية ، فقال : قد أسمعت من ناجيته ، فقال ارفع صوتك قليلا ، ثم سأل عمر فقال : لارضى الرحمن واطرد الشيطان وأوقظ الوسنان ، فقال اخفض صوتك قليلا ، ثم سأل بلالا فقال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال لا ، فاذا شرعت فى سورة فأتمها ، وفى ذلك يقول الله عز وجل : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » .

وسئل رضى الله عنه عن الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم رضنى بقضائك حتى لا احب تأخير ما عجلت ولا تعجيل ما أخرت ، فقال ان معناه التسليم والتفويض لله تعالى حتى أن المصيبة العظيمة تكون عند وقوعها أحب اليك من عدم وقوعها ، وان كانت النفس لا تشتهى الا عدم وقوعها فان الخير لك فى وقوعها باعتبار المآل ، فان الله سبحانه لا يفعل الا ما يعود عليك نفعه فان المصائب مقدمات للنتائج ، لو أطلعت عليهم لتمنيت وقوع المصيبة عند عدم وقوعها ، فان الله ربما منع عنك ما تشتهيه نفسك ويرغبه هواك ولكن الخير لك فى منعه ، ألا ترى أن الصبى ربما أنس الى النار فسعى نحوها ، والمشفق عليه يدرؤه عنها فيبكى من ذلك المنع ، ولكن لو علم أنها تحرقه حمد المانع له بعد سعيه اليها ، وذلك التسليم لله هو الذى أوصى به ابراهيم بنيه ويعقوب حيث قال تعالى « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وانتم مسلمون» ثم انظر الى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما رماه النمروذ فى النار ، فتعرض له جبريل عليه السلام وهو فى الهواء فى الطريق الى النار ، قال الك حاجة ؟ أما اليك فلا ، واما الى الله فبلى - أى نعم - قال سل ربك ، قال علمه بحالى يغنى عن سؤالى ، فهذا غاية التسليم عند وقوع الحادثة .

وأما عند كون الدعاء عبادة ، فدعاؤه - أى دعاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام - كثير ، كما فى قوله :

« رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى أنه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون »

فتأمل موافقة الدعاء للمقام ومطابقته للحال .

وقال رضى الله عنه فى معنى قوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان»

فمن ناحية اللغة فهى « ولمن خاف فى مقام ربه جنتان ، فحذف الخافض « فى » ، مثلها فى ذلك مثل قوله تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى » ، حذف الخافض (فى) كذلك .

ومن ناحية المعنى يحسن أن نعرف أولا من هم الذين عناهم الله سبحانه وتعالى بالخائفين فى مقام ربهم ، وقد ورد ذكرهم فى بعض آيات متفرقات من القرآن الكريم ، قال تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » وقال تعالى فى آية أخرى : « وقليل من عبادى الشكور » وقال جل شأنه فى آية ثالثة « وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » « ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ، واذن لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ، ولهديناهم صراطا مستقيما ، ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليما » .

والذى يسترعى انتباهنا أن الله سبحانه وتعالى قد علم عنهم أنهم قلة فى الارض ، فقال تعالى فى الآية الاولى « ما فعلوه الا قليل منهم » ، وقال فى الثانية « وقليل من عبادى الشكور » وقال فى الثالثة : « وقليل ما هم » ومعنى ذلك أن أولياء الله تعالى الذين يخافون مقام ربهم هم نفر يسير جدا من عباد الله موزعون فى أنحاء الارض على مر العصور والأجيال تكاد لا تعرفهم .

وقد يكون فى تفسير هذه الآيات ما يهدى الى امكان تمييزهم ، فمعنى « ولو أنا كتبنا عليهم أن أقتلوا أنفسكم » هو الذى عناه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « موتوا قبل أن تموتوا » وهو الفناء عن الخلق والحياة مع الحق ، ومعنى أو اخرجوا من دياركم ، أى من صفات البشرية الى صفات الربوبية وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « تخلقوا باخلاق الله » ، ثم يقول تعالى « ما فعلوه الا قليل منهم » .

والآية الكريمة الثانية « وقليل من عبادى الشكور » فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له الصحابة لما نزل قوله تعالى : « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا » ، انه صلى الله عليه وسلم قام الليل عابدا راكعا ساجدا حتى تفطرت قدماه ، فقال الصحابة أتتكلف هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ ، فاتصف بالعبودية ووصف نفسه بالشكور وهذا أعظم المقامات الذى لا يدركه الا الخواص .

والآية الكريمة الثالثة ، فان معنى قوله تعالى « ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا » أى أنهم اذا فنوا عن الخلق وكانت حياتهم مع الحق تعالى ، وخرجوا عن صفات البشرية وتخلقوا باخلاق الله تعالى ، كان الله سمعهم الذى يسمعون به وبصرهم الذى يبصرون به ويدهم التى يبطشون بها ، فأى خير وأى تثبيت أشد من هذا ؟ قال تعالى « واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما » والاجر الموصوف بالعظمة هو مشاهدة الله سبحانه وتعالى فى الآخرة ، لانه أعظم الاجور ، وما بغيتهم سواه ، ولا طمع لهم فى جنة ولا لهم خوف من النار .

اذا تذكرت اياما لنا سلفت
أقول بالله يا أيامنا عودى
كأننى يوم يأتينى كتابكم
ملكت ملك سليمان بن داود

ثم ذكر سبحانه آلاءه عليهم فقال : « ولهديناهم صراطا مستقيما » وهو صراط الله العزيز الحكيم ، ثم قال تعالى « ومن يطع الله والرسول ، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » فهذا المقام هو الذى وعد الله الخائفين فيه بجنتين ، فقال تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ولنعد الى ما كنا فيه من تفسير لهذه الآية الكريمة ، فقد بينا أن ثواب الخوف من الله ، انه جل شأنه وكماله يصير لهذا الخائف سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، فاصبح فى مقام ربه ، ومن صار فى مقام ربه ، فقد دخل الحمى وبلغ الامن الذى لا خوف فيه ولا حزن ، فمن خاف فيه ربه ، فقد أدى حق الادب بوقوفه فى مقام العبودية على ما هو فيه من المقام العالى ، وهو مقام ربه ، وهذا هو أعظم المقامات الذى لا يدركه الا الخواص ، وهو الخوف فى مقام الامن ، وفى هذا المقام جميع الانبياء ومن أراد الله من أوليائه ، ومثوبته جنتان ، احداهما الجنة الحقيقية ، والثانية مشاهدة الله سبحانه وتعالى فيتجلى عليهم الحق تعالى فينعمون بهذا التجلى الاعظم .

ولكن .. ما جزاء من زل فى هذا المقام ؟ قال الله تعالى « فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم » أى اذا زل من صار فى هذا المقام ، فذاك هو الخطر العظيم ، لانها زلة من مقرب ، وفى صفة العزيز الحكيم غاية التوعد ، أى عزيز أن يدركه من زل بعد ما كان سمعه وبصره ، فان كثيرا من القريبين صاروا بسبب زلة من الابعدين ، كابليس .. واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه .

وقال رضى الله عنه ، ان الله سبحانه وتعالى غيور على عبد قلبه المؤمن الذى يحبه - ان يسكن فيه حب غيره ، فما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، والقلب لا يسع الا حب واحد ، وهذه الغيرة من الله جل وعلا ، هى التى أدب بسببها نبيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اشتد فى قلبه حب ولده اسماعيل ، فأمره بذبحه ، وهى أيضا التى أدب بسببها نبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام لما اشتد فى قلبه حب ولده يوسف ، فغيبه عنه ، وهى التى أدب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشتد حب عائشة رضى الله عنها بقصة الافك ، لينكسر قلبه فلا يبقى فيه الا الله تعالى .

واذا صفا قلب العبد وتطهر حتى بلغ حد قوله تعالى فى الحديث القدسى « لم تسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن » ، فلابد اولا أن يذبح حتى يفنى عن بشريته ، فلا يبقى الا الحق تعالى ، فبه ينطق وبه يبصر ، وبه يسمع ، وبه يبطش ، وبه يمشى ، قال تعالى « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » ، والله سبحانه جل

شأنه ملك الملوك ، فاذا دخل قرية عبده المؤمن أفسد أهلها ، وأهلها بشريتها ، والبشرية ذليلة ، والعزة لدولة الحق وسلطانها ، وحينئذ ينادي منادى الجبار ، « لمن الملك اليوم » ؟ يخاطب بعد الاضمحلال في عين العدم جميع الآثار ، ثم يجيب نفسه لما لم يجد سواه « لله الواحد القهار » .

وقال رضى الله عنه في مدح التخلى عن الناس والعزلة عنهم ، قال الله تعالى في مريم عليها السلام :

« فاتخذت من دونهم حجابا ، فأرسلنا اليها روحنا » . وقال تعالى في ابراهيم عليه الصلاة والسلام « فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ، وهبنا له اسحق ويعقوب » ، فنتيجة الوهب تحصل من مقدمة العزلة .

وقال رضى الله عنه ، الايمان مصدره القلب ، فاذا آمن الانسان بالله تعالى ايمانا صادقا عرفه ، واذا عرفه خافه وخشيه ، قال تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، ألا ترى الى الصحابة رضى الله عنهم لما آمنوا بالله تعالى ايمانا صادقا وآمنوا برسوله صلى الله عليه وسلم ، لم يتكلوا على عقولهم في شيء ، بل آمنوا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبلته عقولهم أو لم تقبله ، فان القبلة كانت في صدر الاسلام الى بيت المقدس بقوله صلى الله عليه وسلم ، وقد قبلوا ذلك ، ثم لما تحولت الى الكعبة تحول صلى الله عليه وسلم وتحولوا معه وآمنوا وصدقوا ولم يبق للعقول مجال ولا رأى ، فسعدوا السعادة الابدية ، وتبينت لهم من بعد حين مصلحة استقبالهم الكعبة ، وأن من آمن بالله وصفاته وافعاله وكلامه وقدرته كما يعلمها لنفسه جملة وتفصيلا انما علمه الله ولم يتوصل الى معرفته بعقله ، ولا بفهمه ، قال الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وأى جهاد أعظم من درء الشكوك التى ليست الا من الشيطان ، وقال الله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » وأى تقوى أعظم من ايمان العبد بربه كما يريده ويرتضيه ويعلمه لنفسه ، اللهم اجعلنا من الذين جاهدوا فيك فهديتهم سبيلك يا أرحم الراحمين .

وقال رضى الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى السيدة عائشة رضى الله عنها فقال : اياك ومجالسة الموتى ، قالت يارسول الله من الموتى ؟ قال الاغنياء ، فسماهم النبي صلى الله عليه وسلم موتى ، لان كل عبد شغلته النعم عن المنعم فهو ميت مدفون في قبر ما هو شاغل له منها ، فحياة النفس ذكر الله تعالى والشغل به عما سواه ، وموتها شغلها بغير الله تعالى ، قال تعالى « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » فمعنى زكاها أى زكى نفسه بذكر الله تعالى ومحبته ، وكلما ازداد ذلك ازدادت حياة النفس ، ومعنى دساها اى دفنها في قبر شهواتها .

وقال رضى الله عنه ، انظر الى قول الله تعالى « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك ، في أى صورة ماشاء ركبك » ، فهذا من باب تلقين الحجة للمخاطب ليقول غرني كرمك ، فاذا قال كذلك فاز ونجا ، فان الغرور اذا كان منشؤه الثقة التامة برحمة الله وكرمه فهو غرور محمود ، ولكن الواقع أن غرور الانسان منشؤه عدم التصديق وعدم الايمان ، وهو ما ذكره الله تعالى على أنه سبب غرور الانسان « كلا ، بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين » فكانت أعماله السيئة أنه مكذب بيوم الدين ، لا أنه مغرور برحمة الله .

قال رضى الله عنه ، ان الدعاء انما هو تشريف وتكريم لباب المناجاة والكرم والا فهو سبحانه وتعالى أعطاك يا ابن آدم كل ما أنت مفتقر اليه بسؤالك حالا – لا مقالا – بان جعل لك جميع ما في السموات والارض ، وخلق فيك ما تنتفع به من الاعضاء والجوارح ، ثم هو أيضا يعلم حاجتك التى تسأله قبل أن يخلقك وقبل أن يخلق السموات والارض ، وانما العبرة والحكمة في أمره سبحانه لك بالدعاء انما هو اظهار سر كرمه تعالى وأنه يجازى على كل شيء من جنسه جزاء وفاقا ، وذلك انه تعالى أمرنا باجتناب مانهانا عنه والائتمار بما أمرنا به وجازانا على ذلك – وله العزة والكبرياء – بأن استجاب لدعائنا وانتهى عن نواهينا ، فانك تقول في الدعاء اللهم اغفر لى فيستجيب بان يغفر لك ، وتقول اللهم لا تخزني ، فينتهى سبحانه وتعالى فلا يخزيك ، ولذا قال تعالى شانه « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » أى فليستجيبوا لى بالائتمار بما أمرتهم به والانتهاء عما نهيتهم عنه ، فاذا كانوا كذلك ، فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فأستجيب لدعائه وانتهى لنهيه – سبحانه وتعالى ما أكرمه – ومع هذا فان المصلحة في ائتمار العبد لما أمر به تعالى وانتهائه عما نهى عنه ، عائدة عليه ، واستجابة دعائه كذلك عائدة عليه ، والله سبحانه وتعالى غنى عن الجميع ، فانظر الى هذا الكرم ، سبحان الجواد الكريم لا اله الا هو .

وقال رضى الله عنه ، ان قلب ابن آدم ميزانه ، فانظر في قلبك ، فان وجدته حين تقف لسماع قول انه اطمأن به ، وان حب الدنيا قد خرج منه وانك استغنيت بما عند الله ، فهذا هو العلم النافع ، وما جمع هذه الاوصاف سوى كلام الله وقول رسوله الكريم ، فعليك أولا وبالذات أن تكون من الذاكرين الله كثيرا وذلك بدوام قراءتك القرآن ، والتمس منه الهدى فقد شهد الله له بالبينات والهدى ، فقال تعالى « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » . ولا تلتمس الهدى من غير ما التمس منه الصحابة والصالحون من التابعين ، فما أخسر صفقة من استبدل قال الله وقال رسول الله بقول فلان قال فلان ، أتراه نورا وكلام الله ورسوله ظلمة؟!

وقال رضى الله عنه ، قال الله تعالى « واعلموا أن فيكم رسول الله » وقال تعالى « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله » ، فمن صفا قلبه من امته وتوجه به الى الله بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تفجرت من قلبه ينابيع الحكمة وأخذ قلبه أنوار العلم الالهى ، فقوى بقوة الواسطة صلى الله عليه وسلم ، ومن كان كذلك فهو الوارث الذى قال فيه النبى الكريم « العلماء ورثة الانبياء »

وكن من الذين استجابوا لله وللرسول ، فالله تعالى يقول : « ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » اللهم انى أسألك بنور وجه الله العظيم الذى ملأ أركان عرش الله العظيم وقامت به عوالم الله العظيم أن تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم ، وعلى آل نبى الله العظيم بقدر عظمة ذات الله العظيم في كل لمحة ونفس عدد ما في علم الله العظيم ، صلاة دائمة بدوام الله العظيم ، تعظيما لحقك يا مولانا يامحمد ياذا الخلق العظيم ، وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك ، واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ، ظاهرا وباطنا ، يقظة ومناما ، واجعله يارب روحا لذاتى من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم . آمين .

الإسلام دين الهداية والإصلاح

عرض وتلخيص: محمد محيي الدين سالم

دارت شبهات ، واتهامات عديدة وجهها بعض الأجانب المغرضين للاسلام دفعها الاستاذ محمد فريد وجدى بأسلوبه السلس ، وبراهينه المقنعة خلال الفصل الأخير من كتابه : الاسلام دين الهداية والاصلاح .

وفى مقالناهذا نتتبع آراء هؤلاء المغرضين وحقدهم على الاسلام فيدعون انه دين حربى محض . ويرد عليهم المؤلف أنه ثمة حقيقة لا جدال فيها وهى أن الاسلام لم يكن فى يوم ما دين اعتداء ، بل كان وما زال دين سلام وتسامح ، ومودة واخاء ... تلك الحقيقة يجب أن يدركها المسلمون، وان يدركها هؤلاء الذين لم يؤمنوا بعد بأن الاسلام سلام فى اسمه .. سلام ساعة نزوله .. سلام فى سلامه .

واذا قيل أن الاسلام فرض على رسوله والمؤمنين الأولين الحرب للدفاع عن أنفسهم ، وازالة الوثنية من جزيرة العرب ، وانه لكونه دينا عمليا يساير سنن الوجود ، وتطورات الانسانية، أباح لذويه الحرب اذا دعت اليها ضرورة الاجتماع ، وهى لاتزال داعية اليها فهذا صحيح ليس عليه منة ذام ، وأشهر الاديان العالمية تشاطره هذه الصفة ، وتزيد عليه فيها شدة بنسبة تقدمها فى الظهور .

ودليل ذلك أنه عندما تصل الانسانية الى درجة من الرقى تسمح للمتخاصمين أن يحلوا منازعاتهم بالتحكيم تقززا من اللجوء الى ازهاق الارواح البشرية .. كان الاسلام سباقا حيث أمر ذويه فى قوله سبحانه وتعالى « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وهناك أيضا من أقوال مفكرى الغرب المنصفين ما يجب اتهامات زملائهم .. فهذا المسيو هنرى دوكاسترى يقول فى كتابه « الاسلام تأثرات ومباحث » : وبعد أن دان العرب للاسلام واستنارت قلوبهم بهذا الدين برزوا فى حال جديدة أمام أهل الارض كافة .. هو حال المسالمة ، وحرية الافكار فى المعاملات اذعانا منهم لماورد فى القرآن من التوصية بمحاسنة الناس بعد تلك الآيات التى كانت تنذر القبائل المارقة كقول الكتاب الكريم: « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » « واصبر على ما يقولون ، وأهجرهم هجرا جميلا » .

هكذاكانت تعاليم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن دخل العرب فى الاسلام ، وقد اقتفى أثره فيها خلفاؤه من بعده .

ويقول دوزى العالم الكبير : « ان هذا الفتح لم يكن ضارا باسبانيا ، وما حدث من الهرج والمرج بعده لم يلبث أن زال باستقرار الحكومة المطلقة الاسلامية فى تلك البلاد ، وقد أبقى المسلمون سكانها على دينهم ، وشرعهم ، وقضائهم » .

ويقول درابر المدرس بجامعة نيويورك بالولايات المتحدة فى كتابه : المنازعة بين العلم والدين « عامل العرب اليهود فى الاندلس فى ظل الحكومة الاسلامية احسن معاملة حتى أثروا وأصبحوا ذوى مكانة فى الأدب والفلسفة » .

ولعل من أشد التهم التى يوجهها بعضهم الى الاسلام بعدا عن الحقيقة ، ومخالفة للبدهيات التاريخية والاجتماعية قولهم أن الاسلام لم يثبت أنه دين ترق متظاهرين بنكران تلك الانقلابات الضخام التى أوجدها فى الاجتماع والعلم والفنون والسياسة مما لم يجسر على نكرانها مؤرخ من أى دين كان ... ولم يجرؤ على اغفال ذكرها عالم اجتماعى من أى مذهب كان ، لاشتراك العالم كله فى التأثر بها على أقدار شتى . والاستاذ فى دفعه لهذه التهمة يقول : « وكيف لايكون ما أوجده الاسلام انقلابات حقيقية ، وهو قد أشاد بذكر العلم حتى جعله مناط السعادة فى الدنيا والآخرة فقال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون » . وقال « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وقال « وقل رب زدنى علما »، وقال النبى صلوات الله وسلامه عليه ـ « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقال « خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت » وقال « من علم علما فكتمه ألجمه الله بلجام من ناريوم القيامة » .. الى آيات وأحاديث لا ينالها العد فهل من عجب بعد هذا اذا اندفع المسلمون وراء تحصيل العلم اندفاعا لايوجد فى تاريخ الجماعات مايشبهه حتى أصبحت عواصمهم بعد ردح من الزمن عواصم للعلوم والفنون ، ورجالهم أئمة للاراء والمذاهب .؟ »

ونمضى مع ما تبقى من الكتاب الى أن يطالعنا بحث شيق عن المرأة ومكانتها فى الاسلام ، وعن محاربة الاسلام للرق .. يقول الاستاذ : « وكان قدوم الاسلام عهدا ميمونا للارقاء ، كما كان عهدا ميمونا للعالم كله ، فهو لم يكتف بالتوصية بهم ، والتلطف فى معاملتهم ، ولكنه ساواهم بالاحرار ، وقرر أن من قتل عبدا قتل به ، وجعل للارقاء حقوقا فى مستوى حقوق الاحرار .

واعترف الاسلام قبل كل شىء بأن الابيض والاسود سواء ،كما ان العربى والاعجمى سواء كذلك أمام القانون .. فقال ـ صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى أو بعمل صالح » .

فهدم بهذا الاصل الاصيل حوائل الالوان التى كانت تحول دون اقرار العدل فى نصابه فى جميع البلدان .

ثم قرر للارقاء الحقوق نفسها التى للاحرار ، بل جعل للارقاء ـ وهو أمر مدهش ويدل على غاية التلطف بالضعفاء ـ مزايا ليست للاحرار ، وذلك أن العبد اذا ارتكب جريمة فعليه نصف ما على الحر من العقاب ... سرت هذه التعاليم فى المسلمين الاولين ، وجرى عليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعمل فولى بلالا وأصله رقيق حبشى المدينة ، وفيها وجوه العرب وساداتهم ، وولى مولاه أسامة بن زيد قيادة الجيش وفيه أبو بكر وعمر .

أما بالنسبة للمرأة فلقد مرت بها منذ فجر التاريخ عهود لم تحس فيها بوجودها الذاتى ، ولا حتى بكيانها الآدمى ، بل كانت هملا لا يحسب الرجال لها حسابا ، وكان لا وجود لها بين الرجال ، بل كانوا أكثر من ذلك كله يعاملونها معاملة الأرقاء . وليس فى تاريخ التطورات التشريعية ما هو أعجب مما أحدثه الاسلام فى الشئون النسوية ، فقد أوجد فى حالتها انقلابا لايزال بينه وبين أرقى الامم بون بعيد .. ويلقى الاستاذضوءا على ما كانت عليه المرأة فى القرن السابع للميلاد ـ وهو العهد الذى بعث فيه خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما آلت اليه فى ظل الدعوة المحمدية فيقول : « كانت المرأة مستعبدة فى كل مكان ، وليت ذلك كان بالمعنى المعروف للعالم اليوم .. ولكنها كانت ضحية للغطرسة والقسوة الى أبعد الحدود .

ولكن الاسلام أحدث انقلابا فى حالة النساء لا من ناحية اتخاذهم آلات للشهوات ، ولكن من ناحية احياء حقوقهم الطبيعية واحلالهن من المجتمع فى المكان اللائق بهن حيث تظهر خصائصهن، وتشرق مزاياهن ليتم للمجتمع جميع عوامل التكامل والوصول الى أبعد غايات الرقى الاجتماعى .

وقد راعى الشرع الاسلامى ذلك فجعل لهن حقا فى الميراث ، ووهبهن جميع الحقوق المدنية التى للرجال حتى حق التملك ، والتعامل على ضروبه كافة ، وفتح لهن جميع باحات العمل من تجارة وصناعة الخ .. ولم يوصد فى وجوههم بابا من أبواب الحياة ، غير باب التبرج والتهتك .

وأيضا أباحت الشريعة الاسلامية للمرأة التعلم ، بل جعلته فريضة عليها فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . بهذا النص صار الاسلام أول من قرر تعميم التعليم بين الجنسين على السواء.

والمرأة المسلمة لا تفقد بزواجها شيئا من استقلالها المالى ، فتظل على حريتها فى التصرف بما لها وأملاكها .. وليس عليها أن تتقيد برأى زوجها فى معاملاتها الاقتصادية ، فتبيع أملاكها أو تؤجرها أو ترهنها .. لا تصدر فى ذلك كله الا عن ارادتها الشخصية .

هذه الحقوق الممنوحة للمرأة المسلمة ، لم تحلم بها أية فلسفة الى اليوم .. وقد منحها الاسلام للمرأة لاجزافا ، ولكن لرفع نير العبودية عنها ، وهو النير الذى لا تزال تحمله جميع نساء العالم الى اليوم .. وبقصد وضع حقوقها الطبيعية موضعا شرعيا لا يمكن نقله ولا تأويله .

فلو كان الاسلام يعتبر المرأة رقيقة لزوجها ، أو لو كان لا يعتد بحقوقها من ناحية عملية لما قرر فى أمرها هذه المبادىء التى لا يوجد فى العالم الاسلامى من ينكرها أو يتأول فيها ، وقد أجمعت المذاهب الفقهية عليها اجماعا لايتطرق اليه الضعف من أية ناحية .

ثم هناك أمور أخرى تتعلق بالمرأة فى الاسلام وهى اباحة الطلاق وتعدد الزوجات .. تلك الامور التى تنبنى على حكم أخلاقية انسانية ... فعندما شرع الاسلام أقر امكان الطلاق مع التكريه فيه فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ان أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

وهو انما أباحه اذا وصل الزوجان الى درجة من التباغض لا تمكن معها المعاشرة راميا بذلك الى ضرورة سيادة التواد والتراحم فى الاسرة ، معترفا بأن فى الحياة منازعات لا يحسمها غير الفراق ، ولكنه فى حالة الطلاق أحاط المرأة بكل ما يعقل من ضروب الحماية .. فجعل من واجبات الزوج أن يسرحها باحسان وأن لا يرهقها أو يسلبها أمتعتها وعليه أن يوفيها بمؤخر صداقها وعليه أن ينفق عليها حتى تنقضى عدتها ، ولا يكون لديها مانع من التزوج بسواه .

فالاسلام باباحته للطلاق والحالة هذه ـ وهو دين عملى أساسه مسايرة التطورات البشرية والانقلابات المدنية ـ لم يرد أن يكون دينا خياليا يقصره على المعابد ، ويكون بين الناس وبين العمل به عقبات لا يمكن تذليلها .

أما مسألة تعدد الزوجات فان الاسلام لم يوجدها أيضا،ولكنه جاء فوجد الناس كلهم يبيحونه الا الأمة المسيحية .. كان العرب فى جاهليتهم من أكثر الامم تعديدا للزوجات ، فرأى الاسلام أن يتوسط فى الامر فجعل للتعديد حدا لا يتعداه ، وقرر أن من أقدم على هذا الامر لزمه العدل بين الزوجات حتى قال الله تعالى : « فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة »

وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما بعث يوم القيامة وشقه ساقط »

على أن للاسلام من اقراره مبدأ التعدد غرضا بعيد الغور فى الاصلاح الاجتماعى لا يدركه الا نافذو البصر فى العلم ، وهو أنه أعلم أن من الرجال من لا يمكن أن يردعهم عن المضى فى شهواتهم رادع ، وأن العقوبات المشددة والنصائح المؤكدة لاتكفى فى كبح اندفاعاتهم الجنسية فأباح لهم التعدد لا ليجد هؤلاء لهم مخرجا من الحرج فقط ، ولكن ليحمى المرأة من شر مستطير وقعت فيه المرأة الغربية ، ولقيت فيه من العنت وهوة العهر مالقيت.

ويتساءل البعض فيما يتساءلون عما قدمه الاسلام علاجا لمشكلة الفقر تلك المشكلة التى تشكل خطرا داهما على الأمة التى تصيبها .

ويقدم لنا الاستاذ المؤلف عرضا مبسطا لهذه المشكلة ، وموقف الاسلام منها .. يقول : « لقد أوجد الاسلام نظاما اقتصاديا استوعب جميع المبادىء العمرانية المخففة من خطر الفقر ، والمنجية من آثاره .. فأجبر الأغنياء على دفع صدقة عن أموالهم، والصدقة فى عرفه هى الزكاة ، والزكاة ضريبة اجبارية على كل ذى مال تجبى منه باعتبار أنها أموال حكومية لاغراض اجتماعية فهى غير الصدقة التى تثبط الهمم وتغرى بالكسل ، وقد جعل الاسلام أمر التصرف فى هذه الأموال للحكومة ، فهى التى تعمل بما تمليه عليه الحاجة الوقتية والحالة الاجتماعية .

ولم يهمل الاسلام ازاء هذا الحل بقية الاصول العمرانية المخففة للفاقة فدعا الى الهجرة فقال تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة »

وعنى عناية خاصة بالحث على التعاون فقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »

وهكذا فالاسلام بهذه التشريعات قد مزج الاصول المخففة للفاقة وجعل من مجموعها نظاما آليا محكما يعمل فى المجتمع عمل الاداة المنظمة للحركة الاقتصادية فمنع بفرض الزكاة تركز المال كله فى أيد معدودة ، وسن بالحث على الهجرة انتقال العدد الزائد من المجتمع الى البلاد الاخرى تخفيفا للضغط عليه ، وجعل من حثه على التعاون هيئة تصلح للتوفيق بين العمل ورأس المال .

ويخطىء الذين يزعمون أن محمدا كان يعانى فى أول أمره من الحرمان ، ولذلك حث على الصدقة ، فانه لما توفى والده كفله جده عبدالمطلب سيد قريش الذى كانت داره مثابة للقادين والرائحين .. فلما مات جده كفله عمه أبوطالب ، وهو من أشهر سادات قريش ، ولم يكن النبى نفسه عاطلا عن العمل ، بل بدأ عمله وهو صغير فى الرعى فلما ترعرع اشتغل بالتجارة ، ومازال بها حتى بعثه الله رسولا للعالم كافة ، ولم ينقل أنه كان على فاقة ، أو أنه كان يشكو من الحرمان والفقر .

وبعد فتلك افتراءات مفرضة ، وشبهات محمومة لا يراد منها غير تشويه عظمة الاسلام دين الله الخاتم ، ومكانة رسوله الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

بل تشويه تلك المعالم التشريعية الانسانية الخالدة التى ستظل تحمل للناس فى كافة أقطارهم وأمصارهم ، ومهما كانت نحلهم ، ومقدساتهم علامات هداية ، واصلاح ، وعبر لمن أراد السير على الطريق السوى .. طريق الحق .. طريق الله .

ونحن نودع هذا البحث الطيب نقف لنحيى صاحبه المرحوم محمد فريد وجدى أحد دعامات الفكر الاسلامى الواعى ... وكتابه هذا يعد من خيرة الكتب التى تتناول مبادىء ديننا الحنيف بالتحليل الدقيق ، وتوضح أسراره ، وأهدافه .

والى لقاء جديد ان شاء الله .

الإسلام روح المدنية

تأليف

المرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني

عرض وتلخيص

ابراهيم محمد الفحام

مقدمة :

مؤلف هذا الكتاب ، هو المرحوم العلامة الشيخ مصطفى الغلايينى ، الرئيس الاسبق للمجلس الاسلامى بلبنان ، وأحد تلامذة المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده .

وكان من الكتاب والخطباء والشعراء ذوى المؤلفات العديدة. كما كان عضوا بالمجلس العلمى العربى بدمشق . وقد توفى - رحمه الله - فى سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥) م .

والذى دعاه الى تاليف هذا الكتاب ، الذى نشرت أول طبعة منه فى سنة ١٩٠٧ ، هو الرد على افتراءات اللورد كرومر ، على الاسلام ، التى تضمنها كتابه (مصر الحديثة) .

وسنقدم عرضا وتلخيصا لهذا الكتاب ، فى السطور الآتية :

المدنية وشريعة الاسلام :

ذكر كرومر أنه لاينتقد الاسلام كدين ، بل كشريعة تعوزها المرونة ، ولا تصلح الا للزمن الذى ظهرت فيه . ونحن نتحداه، ونتحدى كل من يشاركه هذا النقد ، أن يستدل على زعمه بآية من آيات القرآن ، أو بحكم من أحكام الفقهاء المتقدمين كأبى حنيفة وأبى يوسف والشافعى ومالك ، وغيرهم من أساطين الأمة . وهذا الامام مالك يعد المصالح المرسلة أصلا من أصول أدلة الشرع . بمعنى أن المصلحة تراعى ولو خالفت النص ، لان حكم الله انما شرع لمنفعة العباد . فهل هناك أدل من ذلك على مرونة الشريعة الاسلامية ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

غير أن جهل بعض المتأخرين هو الذى أثار تلك المطاعن فى الاسلام . فقد أوصدوا الباب دون من يريد أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنة رسوله ، بدعوى أن الفقهاء السابقين قد استخرجوا من الاحكام مالا يمكن الاخذ بسواه . ولم يعلموا أن فضل الله يؤتيه من يشاء فى كل زمان ومكان ، وأن حكم الله يدور مع المصالح العامة ، وأن حكم الفقهاء الذين استندوا فيه الى القياس ، أو الاجتهاد ، لا يناسب الا الزمان الذى كانوا فيه ، وأن العلماء المتقدمين أوجبوا أن يوجد فى كل عصر مجتهدون يشرحون للناس مايناسبهم من أحكام الدنيا والدين .

والاسلام برىء من أولئك الذين يحرمون الاشتغال بغير علوم الدين ، ونسوا أن علوم الدين تتسع فى الحقيقة لكل ما يعين على فهم الكتاب والسنة ، فيدخل فيها الطب والطبيعيات والجغرافيا والفلك ، وكل مايسمونه اليوم بالعلوم العصرية ، وقد أشار القرآن والسنة الى كثير من قواعد هذه العلوم .

ومما يحسن الرد به على ادعاءات كرومر ، أقوال المفكرين الاوروبيين الذين برئوا من التعصب ، واعترفوا بفضل الاسلام . ومن هؤلاء القس طيلر رئيس الكنيسة الانجيلية ببريطانيا الذى يقول : « الاسلام ينشر لواء المدنية التى تعلم الانسان مالم يعلم ، والتى تقول بالاحتشام فى الملبس ، وتأمر بالنظافة

والاستقامة وعزة النفس . فمنافع الدين الاسلامى لاريب فيها ، وفوائدها من أعظم أركان المدنية ومبادئها . »

وقال جيبون : « ان الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا فى أحكامها ، من أعظم ملك الى أقل صعلوك . فهى شريعة حيكت بأحكم وأعلم منوال شرعى ،ولا يوجد مثله قط فى العالمين » .

وقال دروى : « بينما أهل أوروبا تائهون فى ظلام الجهالة ، لايرون الضوء الا من سم الخياط ، اذ سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية ، من علوم وأدب وفلسفة وصناعات وأعمال يدوية ، وغير ذلك ، حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت فى الامم . واغتنم منها أهل أوروبا فى القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنون عظيمة » .

ووصف السياسى الفرنسى (ليون روش) الذى أقام فى البلاد الاسلامية ثلاثين عاما ، الاسلام بقوله : « انه أفضل دين عرفته ، فهو دين انسانى طبيعى اقتصادى أدبى . ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضعية الا وجدته مشروعا فيه »

كما قال : « بحثت عن تأثير هذا الدين فى نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما . بل وجدت هذه النفوس على ما مثال مايحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف ، فى عالم لايعرف الشر واللغو والكذب . فالمسلم بسيط ، لايظن بأحد سوءا . وهو لايستحل محرما فى طلب الرزق » .

ثم قال : « انه دين المحامد والفضائل . ولو أنه وجد رجال يعلمونه الناس حق التعليم ، ويفسرونه تمام التفسير ، لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين ، وأسبقهم فى كل الميادين .

مقارنة بين المدنيتين الاسلامية والمسيحية :

زعم كرومر أن الداء العياء الذى يحول دون تمدن المسلمين هو دينهم ، وبالغ فى تفضيل المدنية الغربية المسيحية على المدنية الشرقية الاسلامية . ونسب تأخر الشرقيين المسيحيين ، الى تأثرهم بمواطنيهم المسلمين .

ولا ندرى ماذا يقصد بالمدنية الغربية المسيحية ، ونحن لانجد فى الانجيل مايؤيدها فالانجيل يأمر بترك هذا العالم الفانى ، والانقطاع عن الدنيا ، ومسالمة المسىء ، فهل هذا ما تأخذ به المدنية الغربية اليوم ؟

ان المدنية الغربية التى يتباهى بها كرومر اذن ليست مسيحية ، لان المسيحية ديانة أخروية ، وليست ديانة دنيوية .

أما الدين الاسلامى فهو دين أخروى دنيوى ، يوجب على المرء أن يأخذ بنصيبه من تهذيب النفس والعقل ، والتحلى بمكارم الاخلاق ، كما يوجب عليه أن يأخذ باسباب دنياه التى ترفه عيشه .

والذى نراه الآن من مدنية أوروبا ليس مما تأمر به المسيحية، بل انها تناقضه ، ولا يستدل بعمل الاوروبيين ومدنيتهم ، على أن ذلك من آثار دينهم .

أما المدنية الاسلامية فيتحدث عنها تاريخها المشرق . يوم أن كان بقرطبة وحدها ثمانون مدرسة فى منتصف القرن الرابع للهجرة . ولم يوجد عالم أوروبى بالرياضيات الا كان كل ما تعلمه من العرب . وأخذ الاوروبيون عن العرب صناعة الورق والبارودوالسكر والخزف وتركيب الادوية ، وصناعة كثير من المنسوجات ، ودبغ الجلود ، وتربية دودة القز ، كما أخذوا عنهم زراعة الارز وقصب السكر والقطن والزعفران والسبانخ والرمان والتين .

يقول المؤرخ الانجليزى روبرتسون : « فى الزمن الذى كان يتدارس فيه العرب هذه العلوم وينشرونها فى بلادهم ، كانت أهالى أوروبا فى حالة لازالوا يندبونها حتى اليوم . ولم يستيقظوا من ذلك الجهل المفرط والنوم العميق ، الا بواسطة شروعهم فى تلك الغزوات الصليبية الوحشية التى أجروها مع المسلمين ، حيث مروا فى غزواتهم وسيرهم جهة بلاد أورشليم بأرض نضرة ، لحسن زراعتها أكثر من أراضيهم ، وبدون متمدنة أكثر من دولهم ، ووجدوا فى آسيا آثار تلك العلوم والفنون التى كان قد أسسها وأعان على تحصيلها الخلفاء العباسيون » .

وقد بلغ من مدنية أسبانيا الاوروبية ، أنها أحرقت ـ كما قال مؤرخهم كوندى ـ مليون وخمسين ألف مجلد من كنوز العلوم العربية ، عندما احتلوا قرطبة ، وأتلفوا محتويات سبعين مكتبة عربية فى أنحاء الاندلس .

وقد تقبل المسلمون كثيرا من النظريات الحديثة ، بصدر رحب ، بينما حوربت بكل قسوة ووحشية فى العالم الاوروبى .

التعصب فى الاسلام :

زعم كرومر أن الاسلام يبث روح التعصب فى أهله ، ويجعلهم ينفرون ممن لايدينون به . وقد جهل أن القرآن يأمر بمعاملة الناس جميعا بالحسنى ، حتى الذين صارحونا بالعداوة والاذى فقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) .

وليس أدل على نفى التعصب عن المسلمين ، واتساع قلوبهم لمحبة البشر جميعا من قول الرسول : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » وقوله : « الخلق كلهم عيال الله . فأحبهم اليه أنصفهم لعياله » فلم يخص وجوب المعاملة بالحسنى المسلمين ، بل شمل كلامه الناس جميعا .

ولقد قام الاسلام بالدعوة لا بالحرب ، ولم يشرع الحرب الا لحماية أتباعه من عدوان أعدائهم المتعصبين . وقد مكث الرسول ثلاثة عشر عاما يدعو قومه بالحكمة والموعظة الحسنة . لم يشهر على أعدائه سيفا الا بعد أن بلغ الصبر المنتهى .

فهل يقابل ذلك بما رواه التاريخ عن الخليفة المعتصم العباسى عندما توفى طبيبه المسيحى (سلمويه) فامتنع عن الطعام حزنا عليه . وأمر باحضار جنازته الى الدار ، وأن يصلى عليه بالشموع والبخور على عادة المسيحيين ، فصلوا على مشهد منه ، وهو خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين .

وقد أمر الاسلام بحسن معاملة غير المسلمين ، فقال النبى : « من آذى ذميا فقد آذانى » ومن نظر فى التاريخ وجد المسلمين يهتمون بتخليص أسرى رعاياهم من أهل الذمة ، كما كانوا يهتمون بتخليص أسراهم من المسلمين ، سواء بسواء .

القصاص فى الاسلام :

انتقد كرومر مبدأ القصاص فى الاسلام ، ونعى عليه أنه يأمر المسلمين بالانتقام لانفسهم عينا بعين وسنا بسن .

والحقيقة أن الاسلام يحرص على حفظ الامن والحدود والقصاص ، فيلزم كل انسان حده ، فلا يتجاوزه . ولو ترك كل انسان وهواه ، يضرب هذا ويقتل ذاك ، ويسرق مال الآخر بلا حساب ، لاختلط الحابل بالنابل ، وضاعت الحقوق ، واستبد القوى بالضعيف .

واننا لنعجب لقوم يرون القذى فى أعين غيرهم ، ولا يرونه فى عيونهم ، فكأن ما تفعله بريطانيا وسائر دول أوربا من قتل الشعوب والتنكيل بها ، أمر مغتفر ، وما أمر به الاسلام من العدل فى القصاص من الجناة ليرتدعوا ، ويعتبر بهم غيرهم أمر غير مقبول .

على أن القصاص فى الاسلام غير متروك لافراد الامة ، بل لولى الامر . وهو يقتص من الجانى بمثل جنايته ، ولا يجوز له أن يجاوز الحد . يقول تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فاجره على الله . ان الله لايحب الظالمين ». فأول الآية تعلم الحاكم كيفية القصاص ، والحكم بين الناس ، ووسطها يعلم المجنى عليه أنه ان عفا عن الجانى وأصلح ما بينهما من الاحقاد بالمن عليه بالعفو ، فله الثواب الجزيل . وختامها يرشد الامة عامة ، والحكام خاصة الى أن الله يكره الظلم فى الحكم ، والتعدى على الغير .

واذا عيب على الاسلام قسوته فى الحدود ، مثل رجم الزانى أو جلده ، فان ذلك موجود فى شريعة التوراة . كما أن تلك الجريمة تسبب من الشرور والمفاسد مالا يحتاج الى مناقشة . كما أن ثبوتها فى الاسلام ليس بالامر الهين . ولذلك لم يؤثر أنه ثبت وقوعها الا نادرا .

وقد أوجب الاسلام على الحاكم أن يعظ المدعى والشهود ويذكرهم بشدة عذاب الآخرة اذا جاءت شهادتهم على غير وجهها .

ولا يجوز لكرومر أن يتحدث عن قسوة الحدود فى الاسلام ، ولا تزال دماء ضحاياه من أبرياء دنشواى باقية ، لم تجف بعد مع أنهم لم يقوموا الا بالدفاع عن حقوقهم ، ولم يسفكوا دما . وينبغى كذلك ألا ينسى ما فعله مواطنوه الانجليز بالدراويش فى السودان ، وبالبوير فى الترنسفال ، وما فعلوه الفرنسيون فى شمال افريقيا بلا وجه حق ، ودون ما داع من دواعى القصاص .

الرق فى السلام :

نعى كرومر على الاسلام اباحته الرق ، مع أنه كان موجودا قبل ظهور الاسلام ، دون أن يحرمه دين من الاديان . الا أن الاسلام انفرد باقفال أكثر أبوابه . وسن النظم التى تدعو الى حسن معاملة الرقيق ، وجعل عتق الارقاء مكفرا لكثير من الذنوب ، وحث الاغنياء على شراء الارقاء وعتقهم ، وخصص سهما من مال الصدقة يصرف فى سبيل تحريرهم .

ولم يكن للاسترقاق عن الوثنيين واليهود والمسيحيين نظام ولا قواعد . فكانوا يختطفون الناس ويعاملونهم بأفظع أنواع القسوة والاستعباد . فلما جاء الاسلام أصلح من حال الارقاء .

ومما أحدثته الشريعة الاسلامية فى هذا المجال ، أنها جعلت الرق يسقط عن الرقيق بمجرد دعواه الحرية متى اثبت ذلك ، وعجز مالكه عن اثبات حق ملكه ، كما حصر أبواب الاسترقاق فى أضيق نطاق ، فلا يثبت الرق الا فى أسرى حرب شرعية مع قوم صارحونا بالعداوة ، اذ رأى الخليفة أن المصلحة فى استرقاقهم .

وقد أوصى الرسول بالارقاء فقال : « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم . اطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون . فما أحببتم فامسكوه ، وما كرهتم فبيعوا . ولا تعذبوا خلق الله . فان الله ملككم اياهم ، ولو شاء لملكهم اياكم) .

المرأة فى الاسلام :

ادعى كرومر أن الاسلام حط من مركز المرأة ، وأنه تضمن شرائع عن علاقات الرجال بالنساء تناقض روح العصر ، كما عاب عليه اباحته تعدد الزوجات والطلاق .

ولقد كانت المرأة تعانى أشد الهوان قبل الاسلام ، حتى بعث النبى ، فسعى الى تحريرها من العبودية المطلقة ، ودعا الى تكريمها . فقال : « خيركم خيركم لنسائه . وأنا خيركم لنسائى » وأوجب الله على الزوج نحو زوجته حسن المعاملة واحتمال الاذى منها فقال : « وعاشروهن بالمعروف . فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

وكان العرب لا يورثون النساء ، ففرض الاسلام لهن نصيبا فى الارث . الا أنه لما كان الرجل أكثر مصرفا وأزيد احتياجا للمال ، لانه رئيس العائلة المطالب بالانفاق عليها ، فقد جعل نصيبه ضعف نصيب المرأة .

أما عن تعدد الزوجات ، فقد كان ذلك مباحا بلا حدود قبل الاسلام . وعندما أشرق نوره ، عمل على تقييده مع اشتراط العدل عند التعدد ، بان يساوى بينهن فى المأكل والملبس والمسكن والمبيت .

وقد أباحت الشريعة للمرأة أن تشترط على زوجها عند العقد ألا يتزوج عليها . وهذا الشرط ليس ضروريا الا فى البلاد التى من عادة أهلها التزوج على نسائهم أما فى غيرها من

البلاد التى لم تجر فيها تلك العادة ، فلا يسوغ للرجـــل أن يتزوج على زوجته .

وللشريعة فى اباحة التعدد بشرطه ، حكمة عمرانية أخلاقية، وهو أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال قطعا ، لان الرجال معرضون للحروب والمشاق . واذا أرغم الرجال على التزوج من واحدة ، بقى عدد كثير من النساء بلا أزواج . وذلك ما قد يفتح باب العلاقات المحرمة ، اما لكسب نفقة ، أو لقضاء شهوة وقد عرف فائدة التعدد كثير من المفكرين الاوروبيين ، فطالبوا باباحته . ومنهم الفيلسوف الالمانى الشهير (آرثرشوبنهور) الذى قال فى رسالته (كلمة عن النساء) :

« لاتعدم امراة من الامم التى تجيز تعدد الزوجات زوجـــا يتكفل بشئونها . والمتزوجات عنـدنا نفر قليـــل . وغيرهن لايحصين عددا ، فتراهن بغير كفيل ، بين بكر من الطبقـات العليا قد شاخت ، وهى هائمة متحسرة ، ومخلوقات ضعيفة من الطبقات السفلى ، يتجشمن الصعاب ، ويتحملن مشـــاق الاعمال ، وربما ابتذلن فيعشن تعيسات »

وتحدث ذلك الفيلسوف عن نتائج تقييد الزواج ، وما ترتب عليه من اتخاذ العشيقات ، فقال : « على أنه من العبث الجدال فى أن تعدد الزوجات مادام منتشرا بيننا ، لاينقصه غير قانون ونظام » .

أما عن اباحة الاسلام الطلاق ، فقد كان مباحا قبله أيضا بلا حدود . حتى جعل له الاسلام حدا ونظاما ، تكون معه المرأة آمنة من سيطرة الرجل ، فمتى جاوز الحد ، كان للمرأة أن تختار زوجا غيره ، فحصر الطلاق فى دفعتين ، يباح للرجـــل فيهما ان يراجعها ، قبل أن تنقضى عدتها ، فان جاوزهما الى الثالثة ، بانت منه بينونة لارجعة بعدها . ونهى الاسلام عن الطلاق بلا سبب معقول .

ومن فوائد الطلاق اراحة كل من الزوجين اذا تعذر اتفاقهما ، أما اذا كان قصارى مابينهما مجرد نفور يمكن اصلاحه ، فيجب على الزوج أن يتروى قبل أن يوقع الطلاق ، فاذا طلقها فى حالة غضب شديد ، فلا ينفذ طلاقه .

أما عن الحجاب فقد كان متبعا أيضا عند مختلف الامم من قبل ، حتى فى أوروبا نفسها ، التى لم تبدأ فى التخفف منه الا فى القرن الثالث عشر . ولذلك فالحجاب ليس من مخترعات الاسلام ، كما أنه بشكله الحالى لا دليل عليه فى القرآن ولا فى السنة الصحيحة ، بل اقتبسه المسلمون ممن يجاورهم من الامم الاخرى .

والحجاب الشرعى هو ستر كل أجزاء المرأة ماعدا وجههـــا ويديها ، وأما ما نشأ بعد الصدر الاول من ستر الوجه واليدين فليس مما تأمر به الشريعة ، وانما اقتضته الظروف والمصلحة، فافتى بعض الفقهاء بانه لايباح الكشف الا مع أمن الفتنة .

وعلى الرغم من ذلك لم يكن الحجاب مانعا من تعليم المرأة المسلمة وارتقائها . وأما الدعوى بان الحجاب يكون سببا لعدم اتفاق الزوجين ، وداعيا لكثرة الطلاق فهى ساقطة . وذلك

ان الاسلام يبيح للرجل أن ينظر الى المرأة قبل العقـد . ومع ذلك فان الطلاق فى أمريكا وأوربا منتشر انتشارا هائلا ، أكثر من انتشاره بين المسلمين ، مع أن المرأة عندهم غير محجبة، ومع أنهم يخالطونها مخالطة مفرطة .

وقد أوجب الاسلام على المرأة أن تطيع زوجها الا اذا حـال بينها وبين طلب العلم ، فانها لاتطيعه . ونظن أن هذا الحق لم تمنحه أوروبا للمرأة الغربية على شدة تمسكها بمساواتهـا بالرجل . فأين هذا من قول بولس الرسول مخاطبا (تيموثاوس) « لست آذن للمرأة أن تعلم ، ولا تتسلط على الرجل . بـل تكون فى سكوت دائم ، لان آدم جبل أولا ثم حواء »

خاتمة الكتاب :

الدعوة حياة الاديان . ولا قيام للدين الا بالدعوة اليـه ، وبث مبادئه بين الناس الا أن حمل الناس جميعـــا على دين واحد ضرب من المحال ، لا يستطيعه البشر ، ولو أوتوا من العلم والعقل ، وبراعة القلم ، وذلاقة اللسان مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . اذ الاختلاف من سنن الله فى الاكوان « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » .

واذا كانت الدعوة روح الاديان ، كان للدعوة شروطا وآدابا وأركانا ، فمن نصب نفسه للدعوة والارشاد ، ولم يراع تلك القواعد ، كان كمن سعى الى معمعة القتال أعزل بلا سلاح .

يقول تعالى : « أدع الى ســـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » .

وقال الرسول : « ومن أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف » أى أن من نصب نفسه لوعظ الناس وارشادهم وانتقاد عوائدهم وأخلاقهم فليستعمل التؤدة والتأنى والرفق ، فلا يتهور بلسانه أو قلمه ، بل يجعل الحكمة فى النصيحة نصب عينيه ، فـان فعل غير ذلك فقد أضاع المقصود وحرم النتيجة .

ودعوة المرء الى دين ، يكفى أن تكون بمجرد بيان فضائله ، واظهار الادلة القاطعة على صحته ، وتفضيله على سواه من غير أن يتعرض للطعن فى دين الغير وسلبه فضائله .

ومع ذلك يوجد عقلاء من الاوروبيين أبانوا لقومهم خطأهم ، وجهلهم بالاسلام . الا أن صوتهم لم يزل ضعيفا ، ونور أقلامهم لم يزل ضئيلا بالنسبة لاعداء الاسلام ، غير أنه لابد أن يقوى هذا الصوت ، ويعم ذلك النور ، ولسوف يكون للاسلام الشأن الارفع فى نفوس العامة والخاصة ، ولابد أن يظهر على الدين كله ويعم الكون بأسره وان الحال يشير بأن المستقبل للاسلام كما قال العلامة مرجليون .

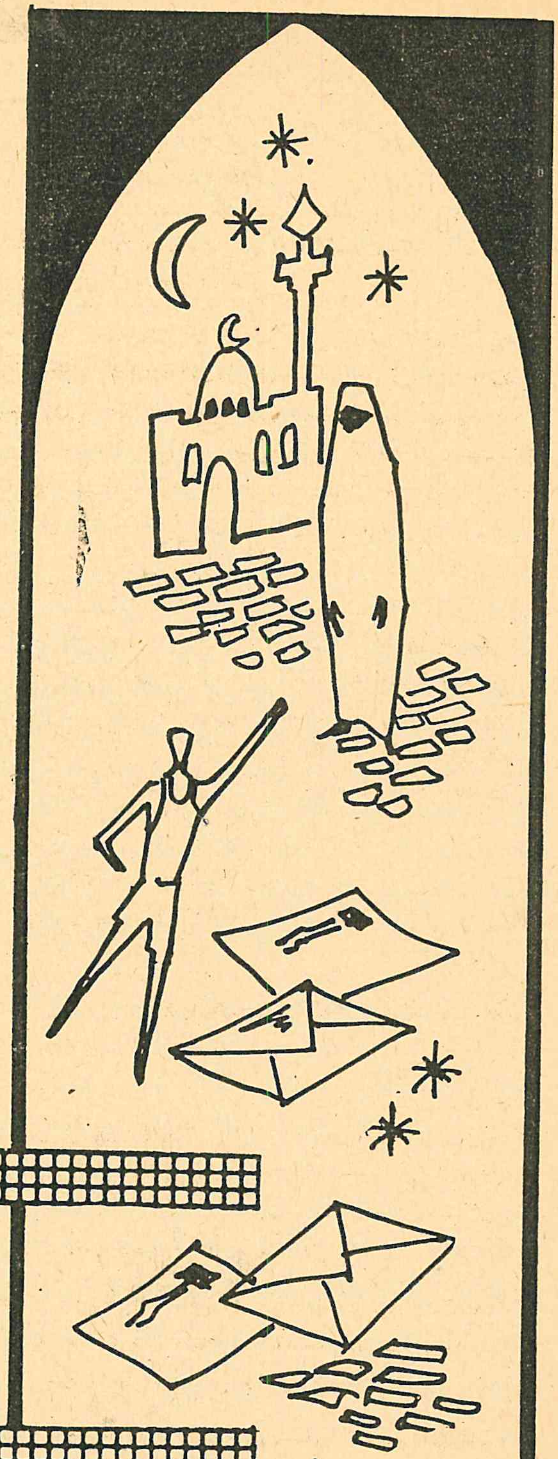

الإفتاء • المرأة المسلمة • الرياضة

بريد القراء • بريد التعارف

أنت تسأل

والشيخ يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ حسن مأمون

س ١ :

من المواطن محمد عبد الفتاح الكاشف ـ المدرس بشباس عمير ـ كفر الشيخ :

يسأل عن واجب المسلم نحو البيت المقدس ؟

الجواب :

البيت المقدس أو المسجد الأقصى بالقدس بأرض فلسطين العربية المسلمة اعتدى على قدسيته اليهود الصهيونيون الذين احتلوا أرضا اسلامية عربية وشردوا أهلها وعاثوا فيها فسادا وافسادا والاسلام هو دين السلام ، كما شرع القتال دفاعا عن الدين وتثبيتا لدعوته فقد شرعه كذلك دفاعا عن أرض المسلمين ودفاعا للعدوان عليها ، قال تعالى : ((**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغيرحق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**)) .

فواجب المسلمين نحو بيت المقدس أولى القبلتين وثانى الحرمين ومسرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الجهاد بالنفس والمال والكلمة جهادا مقدسا لانقاذ المسجد الأقصى من براثن الصهيونية وتطهير بلاد المسلمين من رجسهم وانتزاع حقنا الذى اغتصبوه بكل الوسائل السلمية أو الحربية حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، قال تعالى : ((**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجدالحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين**)) .

وقد شاءت حكمة الله ـ سبحانه ـ أن يربط بين أول بيت وضع للناس بمكة المكرمة وبين المسجد الأقصى بالشام فأسرى برسول الله ـ صلى الله عليه وسم ـ من المسجد الحرام الى المسجد

الأقصى وجعل سبحانه المسجد الأقصى بداية عروج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الملأ الأعلى ليريه من آيات ربه الكبرى .

قال تعالى : ((**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**)) . فكان ذلك تذكيرا للمسلمين على مدى الأزمان ـ لتكون نظرتهم الى المسجد الأقصى هى نظرتهم الى المسجد الحرام فيهبوا للدفاع عنه وعن كل شبر من أرض المسلمين عدا عليها الأعداء ، قال صلى الله عليه وسلم : ((**اذا ديست أرض المسلمين فالجهاد فريضة على كل مسلم ومسلمة**)) .

س ٢ :

من بالجودى عمار ـ من الجزائر

يسأل عن حكم الاسلام فى المرأة التى تلبس (المينى جيب) الملابس القصيرة ، واذا كان حراما فهل معنى هذا أن حوالى مائة مليون من النساء الاسلاميات فى العالم خرجن عن الدين الاسلامى أم لا ؟

الجواب :

الملابس الاسلامية للمرأة حددها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ((**يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**)) .

وقد حرم الاسلام على المرأة أن تظهر شيئا من جسمها الا لمن ورد فى الآية الكريمة : ((**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**)) .

فارتداء الملابس القصيرة التى تسمى « **بالمينى جيب** » والتى تكشف عما حرم الله كشفه عصيان لله ومخالفة لتعاليم الاسلام ولا يخفف من هذا الوزر ارتداء النساء جميعا لهذه الأزياء . ومن الواجب على نسائنا المسلمات مراعاة تعاليم الاسلام وعدم الجرى وراء التقاليع الغريبة على ديننا وتقاليدنا . والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

س ٣ :

ومن السائل نفسه :

يقول : ان أمه ماتت وهو فى سنته الأولى من الميلاد وكفلته جدته وتزوج أبوه بامرأة أخرى أنجبت أخوة له ، وكان المولود الثانى طفلة رضعت مع ابنة عمه وقد كبر وبلغ مبلغ الزواج ويرغب فى أن يتزوج بابنة عمه ، ويسأل ان كانت تجوز له أم لا ؟

الجواب :

لم يبين السائل من التى أرضعت ابنة عمه التى يريد الزواج منها هل هى زوجة ابيه ام غيرها ؟ فان كانت المرضعة ليست زوجة أبيه فليست هناك علاقة محرمة من جهة الرضاع بين السائل وبين ابنة عمه لأن اللبن الذى رضعته مع أخته لبن أجنبى عنها فلم يوجد ما يمنع زواجه بابنة عمه .

أما اذا كانت المرضعة لابنة عمه هى زوجة أبيه فاللبن هنا هو لبن الأب .. وابنة عمه حينئذ هى أخته من أبيه فيحرم عليه الزواج بها لقوله صلى الله عليه وسلم : ((**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**)) **وهذا ما يسمى فى اصطلاح الفقهاء بلبن الفحل وهو محرم عند جمهور الفقهاء كما ذكرنا . وهناك من الصحابة والتابعين من قال بعدم تحريم لبن الفحل .**

س ٤ :

من : م.ص.ف. ـ من الدقهلية :

يقول انه طالب بالمدارس الثانوية ووالده تاجر حبوب وهو الذى يقوم بالعمل نيابة عن أبيه الذى لا يعمل الا نادرا وأكثر وقته خارج القرية لشراء

بضاعة للمحل ، ويقول ان والده قد لا يوافق على اتمام تعليمه وانه لذلك يقترح أخذ قروش معدودة ثلاثة أو خمسة كل يوم من غير علم والده من ثمن ما يبيعه ليحفظه للمستقبل وقد أخذ فعلا ما يقرب من مائة وخمسين قرشا وهو لا يتصرف فى هذا المبلغ الا للضرورة محتفظا به لتعليمه مستقبلا ولو علم والـده بذلك فانه سيغضب ولن يرضى أبدا عن هذا التصرف ويسأل عن الحكم الشرعى فى ذلك ؟ واذا كان هذا حراما فكيف يتصرف فيما أخذه ؟

الجواب :

قال تعالى : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم** » وما دام عنصر الرضا قد انتفى فى هذه الحادثة فلا يحل للسائل مطلقا أن يأخذ هذا المبلغ مهما كان زهيدا ومهما كانت الدوافع اليه لأنه مال أبيه وهو أمين عليه وتصرفه على هذا الوضع خيانة للأمانة والله تعالى يأمر برد الأمانات الى أهلها . والاسلام جعل الخيانة من آيات النفاق ـ قال تعالى : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها** » وقال صلى الله عليه وسلم « **آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان** .

وواجب السائل أن يقلع فورا عن هذه المعصية التى يعصى بها ربه ويعق بها والده والعقوق من أكبر الكبائر بعد الاشراك بالله وعليه ابراء لذمته أن يرد المبلغ الذى اختلسه من مال أبيه الى ثمن البضائع التى يبيعها كل يوم واذا خشى أن ينكشف أمره فلا مانع من أن يدفع كل يوم الى ثمن المبيع مقدارا مناسبا ويستمر على دفع المقدار حتى يتم دفع ما عليه لوالده ثم ليستغفر الله ويتوب اليه رجاء أن يغفر الله له ذنبه على أن لا يعود الى ذلك أبدا .

س ٥ : من دكتور رمضان شحاته رمضان بالمنطقة الطبية بالوادى الجديد .. وآخرين .. يسألون عن حكم أرباح صندوق التوفير ؟

الجواب : كثيرا ما سئلت هذا السؤال وأجبت مرارا بان أرباح صندوق التوفير ربا ، **وقد احل الله البيع وحرم الربا** . وليس معنى ذلك أن يمتنع الناس عن ايداع أموالهم فى صندوق التوفير بل الأجدى لهم وللمجتمع أن يودعوا أموالهم بلا أرباح ـ وفى ذلك صيانة الصندوق للاموال من أن تمتد اليها أيدى العابثين ثم هو تعاون من المودع ومساهمة منه فى المشروعات الوطنية التى تستغل فيها أموال المودعين فى صندوق التوفير. قال تعالى (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) وقال صلى الله عليه وسلم (**الناس بخير** ما تعاونوا) .

س ٦ : من مهندس زراعى : محمد منطاش أبو الفتوح ـ المنصورة ـ ميت مزاح .. يسأل عن حكم الفائدة التى تحصل على القروض (كسلفة الشهرين) التى يقترضها الموظفون من البنوك والتى تبلغ كما يقول ٦ ٪ بما فيها رسوم تحويل المرتب وخلافه ؟

الجواب : ما يؤخذ من رسوم تحويل المرتب الى البنك أجر عمل لا اثم فيه ، وأما ما يؤخذ كفائدة على القروض والسلف أيا كان نوعها من فرد أو هيئة أو مؤسسة **فهو ربا يحرم التعامل به** سواء على المقرض أو المقترض . وليس هناك من الأسباب ما يرفع الاثم عن المقرض بالفائدة واما المقترض فقد ترفع الضرورة الملجئة وزر هذا الذنب الذى يقع فيه (**فان الضرورات تبيح المحظورات**) غير أن الضرورة تقدر بقدرها وقد قرر ذلك المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية اذ نص فى قراراته على ما يلى :

١) الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الانتاجى لان نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين .

٢) كثير الربا وقليله حرام كما يشير الى ذلك الفهم الصحيح فى قوله تعالى (**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة**) •

٣) الاقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع اثمه الا اذا دعت اليه الضرورة وكل امرىء متروك لدينه فى تقدير ضرورته •

س ٧ من نفس السائل :

يقول ان السلف النقدية والعينية التى يصرفها المزارعون من الجمعيات التعاونية الزراعية تحصل عليها ما يسمى (عمولة تحصيل - فوائد تأخير - نولون - عملات أخرى) فهل هذه كلها ربا وهل على الموظف القائم بهذا العمل اثم فى حالة ما اذا كانت ربا •

الجواب : لا يعتبر ربا من هذه المسميات المذكورة فى السؤال الا ما يؤخذ على أنه فوائد على السلف فان الفائدة على القروض ربا - واما العمولة والنولون وما شابههما فذلك أجر عمل وضرائب والأجور والضرائب لا ربا فيها •

ولا شىء على الموظف الذى يقوم بتحصيل هذه المبالغ على اختلاف أنواعها لأنه مأمور بذلك وهو بحكم عمله مضطر للقيام به وذلك يدخل فى باب الضرورات والضرورات تبيح المحظورات - والله أعلم

س ٨ : من محمد أحمد عيسى تعاون غزل المحلة منسوجات (أ) •

أرسل له رد خاص بالبريد •

س ٩ : من محمد محيى الدين حسن الضبعة بطمايوش مركز بوش بنى سويف •• يسأل عن الرأى فى امرأة غاب زوجها وانقطع عنها منذ معارك يونيو الماضى وهو موظف مدنى بعيد عن القوات المسلحة ولا ترد عنه أى اخبار الى الآن • هل تورث تركته ، وهل تعتد عدة الوفاة أم عدة الطلاق ؟ •

الجواب : هذا موضوع قضائى والفصل فيه لمحاكم الأحوال الشخصية - وقد نصت المادة (٢١) من القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فى المفقود على أنه يحكم بموت المفقود الذى يغلب عليه الهلاك بعد أربع سنين من تاريخ فقده • واما فى جميع الأحوال الأخرى فيفوض أمر المدة التى يحكم بموت المفقود بعدها الى القاضى وذلك كله بعد التحرى عنه بجميع الطرق الممكنة الموصلة الى معرفة ان كان المفقود حيا أو ميتا •

ونصت المادة ٢٢ من القانون المذكور على أنه بعد الحكم بموت المفقود بالصفة المبينة فى المادة السابقة تعتد زوجته عدة الوفاة وتقسم تركته بين ورثته الموجودين وقت الحكم وقد بينا ذلك بافاضة فى ردنا على السؤال العاشر من فتاوى مجلة منبر الاسلام عدد شهر رمضان المعظم سنة ١٣٨٨ هـ •

س ١٠ : من عبيد حماد محمد اسماعيل مدرس - دير مواس - الرحمانية يقول : أنه شاب فى الثالثة والعشرين وغير معصوم من أعمال الشباب وبعض الأهالى يقدمونه ليصلى بهم اماما فهل يصلى اماما أم يمتنع وما رأى الشارع فى ذلك ؟

الجواب : لأمامة الصلاة شروط منصوص عليها فى كتب الفقه فاذا توفرت شروط الامامة فلا مانع من أن تصلى اماما وامامتك صحيحة ولا يبطلها ما تقوله من أنك غير معصوم من أعمال الشباب فان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (**صلوا خلف كل بار وفاجر**) • وأن امامتك للناس ومداومتك عليها ومحافظتك على الصلاة فى أوقاتها وبجماعة كفيل باذن الله تعالى بأن يردك الى الطريق المستقيم ويحول بينك وبين انحرافات الشباب قال تعالى (**ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) •

المرأة والجهاد فى الإسلام

ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى وأعظم القوى الدافعة ، كما أنها تقويها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات ، وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات واذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فان الحوافز الروحية والمنبثقة من عقائدنا الروحيه هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم .

وعقيدتنا الروحية نستمدها من القرآن الكريم . فهى عقيدة الجهاد فى سبيل الله . وهى عقيدة ليس هناك أعظم منها ، ولا أشرف منها . فهى عقيدة كتب الله تعالى لها النصر الأكيد قال تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ومعناها أن الله تعالى يأمركم بالجهاد وأنه اختاركم لذلك (اجتباكم) تعنى اختاركم ، انظروا الى المعانى العظيمة الرائعة التى تنطوى عليها هذه الآية الكريمة والتى تشكل أقوى عقيدة ، على الاطلاق .

فالجهادفى سبيل الله فرض على هذه الأمة لاعلاء كلمة الله وصيانة العزة للأمة المحمدية و (سبيل الله) هو الغاية من هذا الجهاد ، اى أنه لا ينطوى على اعتداء أو بغى أو فساد فى الأرض ولكنه للقيم الغالية والمبادىء السامية النبيلة، كالدفاع عن الوطن ، ورد المعتدى عنه ، والدفاع عن العرض وعن النفس وعن المال وعن الحق ونصرة المظلوم ورد الحقوق المغتصبة الى أصحابها (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت)

اختار الله تعالى أمتنا للجهاد فى سبيله ولا يصح أن يخفى علينا مغزى الاختيار ففيه تكريم وتشريف لهذه الأمة على

سائر الأمم . ويتطلب من جانبنا الالتزام وتقدير هذه المسئوليه وحمل هذه الأمانة والقيام بتبعاتها على أكمل وجه . فهناك فرق بين ان تقول لشخص ان مهمتك كذا وكذا .. وبين أن تقول له (ان مهمتك كذا وكذا وأنا اخترتك لهذا) حيث يتضح الالزام ويتأكد كما هو ظاهر من الجملة الثانية .

فالله تعالى فى هذه الآية الكريمة أمرنا بالجهاد فى سبيله وجعل الجهاد هو الوظيفة الشريفة التى اختارها لنا . فهل هناك عقيدة نتخذها لنا اقوى من عقيدة الجهاد فى سبيل الله ؟

وهل هناك قوة معنوية دافعة أقوى من صيحة التكبير (الله أكبر) تملأ قلوبنا وأقوى من أن نعتبر زحفنا لطرد العدو زحفا مقدسا أوأن نعتبر ايماننا بعدالة قضيتنا وثقتنا فى نصر الله هو غايتنا (وان جندنا لهم لغالبون)

« وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم »

هذا ما جاء فى القرآن الكريم على لسان أشرف المرسلين . وهو يعرفنا أبعاد الجهاد الكامله وان الجهاد ليس فقط بالقتال. بل هو يتسع حتى يشمل النفس بعواطفها ومشاعرها ومعنوياتها. والمال باعتباره القوة الاقتصادية التى تهىء السلاح والمعدات

وكذلك علينا ان ندرك أن الجهاد بالنفس لايقتصر على بذل الدم والشهادة ولكن الجهاد بالنفس يكون عن طريق تصفيتها وتطهيرها بالخير والفضيلة والعقيدة والايمان واليقين .

والجهاد مقرون بالايمان فلا يكاد القرآن الكريم يتحدث عن الجهاد الا ويشير الى الايمان (ان الله يدافع عن الذين آمنوا أن الله لا يحب كل خوان كفور) (أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه)

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (لكل دين رهبانية ورهبانية أمتى فى الجهاد) فالمجاهد هنا ينقطع عن أهله وعن كل أسباب الحياة ليتقدم الى الجهاد فى سبيل الله فرهبانية الاسلام بالجهاد رهبانية ايجابية ليدافع عن وطنه وعن مواطنيه وعن الشرف والحق والعدل .. وكذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام ..

« رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها . والروحة يروحها العبد - فى الجهاد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها »

انظروا كيف كرم الله هذه الأمة أيضا بأن جعلها فى خير منزله بين الأمم فى قوله تعالى - (كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)

وان تاريخ أمتنا ملىء بصفحات كفاح مرير وجهاد طويل وفى كل مراحل هذا التاريخ الاسلامى البعيد لم تكن المرأة بعيدة عن ميدان الجهاد . ففى فجر الاسلام .

وفى حياة الرسول حملت السيف وشاركت فى الجهاد فى سبيل الله وقاتلت وقتلت وفى جميع المراحل التاريخية التالية شاركت فى حمل السلاح والاستشهاد فى سبيل الحق والوطن وشاركت فى ميادين الخدمة الاجتماعية والتوعيه والدفاع والمقاومه ..

وأثبتت وجودها دائما فى ميدان الجهاد بالروح والجسد والقلب والفكر .. وسجل التاريخ للمرأة المسلمة من البطولات والتضحيات ما يجل عن الحصر .

لذا نحن نتساءل ؟

هل الجهاد فى سبيل الله كان فريضة على المرأة مثلما فرض على الرجل ؟ وهل هى ملزمه بالجهاد فرضا أم تطوعا ؟ ..

ولذلك كان لقائى مع فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى رئيس لجنة الفتوى بالازهر الشريف وكان رد سيادته على سؤالى هذا بالآتى ..

الاسلام لم يلق على المرأة مبدئيا واجب الجهاد انما عند الحاجة اليها فقط فيكون الجهاد بحاجة الى انضمامها الى صفوف الرجال فى حدود امكانيتها والمرأة لها تاريخ فى هذا القبيل . فقد كان النساء فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يشتركن مع الجيش فى علاج الجرحى وفى موافاتهم بسقى الماء والخدمات التى يحتاجون اليها حتى يكون مجهودها مجهودا ايجابيا بجانب مواقف الرجال وقد كان بعض النساء فى غزوة أحد يدافعن دفاعا مجيدا بالمقاومه الفعاله وعلى سبيل المثال نذكر واحده كانت تسمى (نسيبه بنت كعب)

فهذه السيدة كانت تقف بجانب الرسول عليه الصلاة والسلام حينما فر كثير من الرجال فى اول الهزيمة التى حدثت سنة الخلل الذى طرأ فى صفوف الرجال وكان كثير من النساء الأخريات يقفن بالقرب من الصفوف يحمسن الرجال ويشجعنهم بالاناشيد والتأييد وكان هذا مما كان له أثرا بارزا فى انتصار المهاجرين المسلمين ونحن فى هذه الظروف التى تتألف فيها قوى الاعداء ويشترك معهم فيها نساءهم نكون أشد حاجة الى انضمام القادرات من النساء الى مؤازرة الرجال بما يستطعن من أعمال تناسبهن وهذا يشمل الجهود الجسمانية والمالية والأدبية مثل عقد الندوات واصدار قرارات ومناشدة الجيش ان يستبسل فى سبيل الله مع مراعاة الاحتفاظ بكرامة المرأة الى الحد الذى لا يثير حولها شبهات تمس كرامتها حتى يكون الجهاد اسلاميا صحيحا .

وقد سألت سيادته هل هناك نصوص قرآنيه تطالب المرأة بالجهاد ؟ أجاب ..

عندما قال الله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله ..

فان الله سبحانه وتعالى لم يحدد ذكرا أو أنثى انما قصد المسلمين جميعا ذكورا واناثا .. والمرأة المسلمه ينطبق عليها كل واجبات وفرائض الدين الاسلامى مثلها مثل الرجل تماما .

وتوجهت بعد ذلك الى فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة مدير مجلة الازهر لسؤاله عن حكم الشرع فى جهاد المرأة . فقال سيادته ؟ ..

اذا احتل العدو جزءا من أرض المسلمين أو أعتدى على بعضها فانه يتعين على كل مسلم ذكرا كان أو أنثى كبيرا أو صغيرا ان ينهضوا جميعا لرده ودفع عدوانه . وهذا هو الحكم الشرعى وهو واجب متعين على كل مسلم ومسلمة ويتعين بدون أمر الامام وبدون اذن الامام اى لا يتوقف ذلك على اذن أو أمر بل هو واجب على الجميع من تلقاء أنفسهم ان يجاهدوا فى سبيل الله والحكم الشرعى دائم فى الماضى والحاضر ..

واستطرد سيادته قائلا ومن ألمع الأسماء التى ظهرت بالتاريخ الاسلامى وكان لها دور فى خدمة الدعوة والجهاد فى سبيلها .

١ ـ خديجة بنت خويلد زوجة النبى صلى الله عليه وسلم .

فقد كانت عونه فى كل ما كان ينهض به من أعباء وهى التى اسكنت روحه وبشرته بالنبوة فى أول عهده بالوحى فقالت له وقد سمعت منه قصته مع جبريل « ابشر يابن العم واثبت فوالذى نفس خديجه بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمه » . وقد حزن النبى عام وفاتها حزنا شديدا وظل يذكرها بعد موتها طيلة حياته .

٢ ـ أسماء بنت أبى بكر :

كانت تذهب الى النبى والى أبيها وهما فى الغار وتحمل اليهما الزاد واخبار المشركين وقد سميت ذات النطاقين لأنها شقت نطاقها (حزامها) تربط بأحدهما الطعام وبالثانى السقاء

٣ ـ صفيه بنت عبد المطلب .. عمة النبى عليه الصلاة والسلام :

كانت مع المسلمين فى حصن بالمدينة يواجهون الأحزاب خارجه . وقد رأت يهوديا يطوف حول هذا الحصن فنزلت اليه وقتلته بسيفها .

٤ ـ نسيبه بنت كعب :

خرجت فى جيش المسلمين يوم احد . تسقى الظمىء . وتأسوا الجرحى ولما انهزم المسلمون وفروا الا عشرة وقفوا حول الرسول عليه الصلاة والسلام يدافعون عنه . حملت سيفها وأخذت تصول وتجول وتقتل من يقترب من الرسول .

وقد قال عليه الصلاة والسلام فى ذلك .

« ما التفت يمينا وشمالا الا وأنا أراها تقاتل دونى » وقد أصيبت فى هذا اليوم بثلاثه عشر جرحا وقتلت من جرح ابنها وهو يقاتل .

٥ ـ رفيقة بنت صيفى :

كانت عجوزا جاوزت المائة عام من عمرها حين علمت بائتمار قريش لقتل النبى عليه الصلاة والسلام . فنقلت الخبر اليه واستطاعت ان تنفذ الى المتآمرين وتعرف ما اتفقوا عليه . وابلغت الرسول به .

٦ ـ خوله بنت الأزور .

أسر أخوها فى جيش الروم فتلثمت وارتدت زى الرجال واندفعت مع جيش المسلمين تقاتل قتالا أذهل الجميع وقتلت من الروم عددا كبيرا ولم تزل تجاهد حتى أعادت أخيها من الأسر .

وبعد ففى ظروف الوطن العربى الراهنة لاشك أن المرأة المسلمة تواجه مرحلة امتحان عسيرة عليها أن تثبت جدارتها فيها وأن تعتز بتراث قومها وتضيف اليه من الامجاد مثلما أضاف أسلافها من المجاهدات اللائى ضربن أروع الأمثلة لصمودهن فى ميدان الجهاد فى سبيل الله .

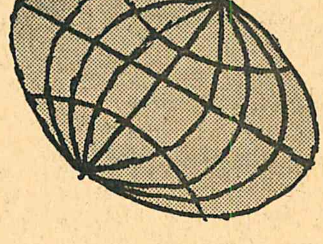

مستقبل الشباب فى العالم

الأستاذ ناصف سليم

كان أول ما تردد على أسماعنا فى السنوات الأولى لعهد الطلب .. أبيات وردت فى كتاب النحو تتحدث عن الشباب :

عريت من الشباب وكنت غضا
كما يعرى من الورق القضيب
الا ليت الشباب يعود يوما
فأخبره بما فعل المشيب !

ولم يكن المقصود من ذكر البيتين ، هو الحث على الاستفادة من فترة الشباب ، باعتبار أن هذه الفترة ربيع العمر وعهد الفتوة والصحة ومهد الآمال البسامة .. فالتخطيط لهذه المرحلة منذ ربع قرن لم يكن موجودا .. ورعاية الشباب كلمة لم تعرف الا منذ عهد قريب فى بلادنا .. ولكن المقصود ، من ذكرها هو الاستشهاد بالبيت الأخير على التمنى (بليت) وكفى .. ولم يكن مطلوبا منا أكثر من معرفة ذلك !!

والحديث عن الشباب فى الحقيقة ، ليس من ظواهر هذا العصر .. بل هو حديث كل عصر ... حديث قديم يردده الانسان كلما تقدمت به السنون .. يذكره ليمتع نفسه بأيام خلت ، وبذكريات عزيزة مضت .. كالشمس لاتعرف لذة دفئها الا حين تغيب ويشتد البرد .. وكالصحة ، لايعرف قيمتها الا حين تزول ، ولا يعرف أنها تاج على رؤوس الأصحاء الا المرضى كما يقولون :

.. وكان المتحدثون عن الشباب قديما صادقين فى التعبير حين يقولون :

لاتكذبن فما الدنيا بأجمعها
من الشباب بيوم واحد بدل
شرخ الشباب لقد أبديت لى أسفا
ما جد ذكرك الا جد لى شغل
كفاك ياشيب دنيا عند غانية
وبالشباب شفيعا أيها الرجل ..

مجرد أحاسيس وانفعالات ، وعواطف ، لا تؤثر فى الحاضر ، ولا تساعد فى بناء المستقبل ..

فالحديث عن الشباب فى عصر وصل فيه الانسان الى القمر ورآه بالعين المجردة ، يختلف عن أحاديث قيلت للتسلية ، والتحسر على مافات .. فالعهد عهد تخطيط وتنفيذ سليم يتبعه .. لأن الانسان لابد أن يعطى للحياة كل ما يستطيع فى الوقت الذى تتوفر له فيه القدرة والحيوية والنشاط .. ألم يقل الشاعر بأن الدنيا بأجمعها لاتساوى يوما واحدا من أيام الشباب .. فكيف نستطيع أن نجعل الشباب يعطى ويبنى .. ؟ وهل شبابنا قادر على أن يؤدى رسالته .. شباب الأمة العربية وشباب افريقيا بالذات

هذه هى الاسئلة التى تحتاج الى اجابات دقيقة محددة ، نستعين فيها بذكر أمثلة من الواقع :

* امكانيات الشباب المسلم :

الواقع أن الشباب المسلم قادر على أن يعطى اذا تعهدناه بالتربية السليمة .. فى الوقت المناسب .. أعنى اذا لم نتركه يتغذى على مائدة التقليد .. فانه حين يقلد الشباب الغربى ، نجده يقلده فى المساوىء لا فى المحاسن .. يتذكر جيدا أنه يرقص ،ويشرب الخمر ، ويسهر ليلة الأحد .. حتى الصباح وبين ذراعيه فتاته .. وينسى أنه أمضى ستة أيام فى عمل متواصل ، لم يتخلف لحظة ، ولم يؤخر عمل يومه الى غده .. ولم يغش ، ولم يكذب .

..قد يقول قائل من هواة التقليد :

فاذا أديت عملى على الوجه الأكمل .. هل يكون على لوم بعد ذلك ان فعلت ما أريد ؟؟

وهنا ندرك أهمية التوعية الدينية فى اعادة أمثال هؤلاء الى صوابهم .. فالاسلام الذى طلب من أتباعه ان تكون لهم شخصيتهم المستقلة ، وطلب منهم أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم لتعاليمه .. قال لهم :

وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا »

والرسول الكريم يقول لنا جميعا :

(ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وتلك)

وليس معنى الأخذ من الدنيا أن نأخذ ما يهلك الصحة والبدن . وأن نسير فى الطريق الذى يؤدى الى هتك الأعراض ، والاساءة الى الغير بأية صورة من الصور .. فالقاعدة التى وضعها الرسول عليه الصلاة والسلام تحدد لنا ما نأخذ وماندع فى اطار قوله :

(لاضرر .. ولا ضرار)

لاضرر للنفس .. ولا للغير على السواء .

ويدلنا الواقع أن الشباب الذى سار فى حياته أخذا بمبادىء الاسلام فاق غيره من الشباب فى مختلف شئون الحياة .. وأن الشباب الذى اعتبر هواة التقليد قدوة ، ليس بالشباب القادر على السيادة وامتلاك زمام الأمور فى أمته ، بدليل ما نلحظه من اضطراب فى سياسات الأمم المتقدمة برغم استعانتها بالشباب ..

*** تخطيط الغير لا يكفينا :**

(ومن هنا يتأكد لنا ان تخطيط الغير اذا نقل الينا بحذافيره ، لايكفى لاعداد شبابنا ، وان توفرت لنا امكانيات تنفيذه ، فالعبرة فى تربية الشباب ليست بالامكانيات المادية ، ولكن بالأسلوب الذى يساير العقل والتطور ، ويصبح مقبولا لدى الشباب ... ولم نجد تخطيطا يخلو من المتناقضات ، ويوافق **طبيعة الانسان ، غير التخطيط الذى يتفق مع تعاليم الدين ، ويلزم به الاسلام .**

نرى مثلا بعض الدول حين تحاول دعوة شبابها للاشتراك فى المعسكرات تقوم باغرائه بوسائل لاتتفق وتعاليم الاسلام ، أو تقاليد البلاد .. فهى تسمح بالاختلاط فى المعسكرات ، وكما أغرت الشباب بالحضور لوجود فتيات .. أغرت الفتيات بالحضور لوجود شبان ، وهكذا .. حتى سمعنا فى الأسبوع الماضى أن ناديا فى المانيا الغربية ساءت حالته الاقتصادية بسبب ضآلة الايراد فى مباريات كرة القدم فابتكر وسيلة .. تغرى بمشاهدة المباريات وان هزل مستواها الفنى .. هذه الوسيلة جاءت فى اعلان يقول :

(قررت ادارة النادى السماح بدخول الفتيات مجانا لمبارياته .. بشرط واحد ، هو أن يكون مع كل فتاة فتى يقوم هو وحده بدفع ثمن تذكرته)

وبهذه الوسيلة تضمن ادارة النادى أن يشهد المباريات عدد كبير .. نصفه هو الذى سيقوم بدفع الايراد والنصف الأخر هو الوسيلة المغرية بحضور المباريات ..

(اما عندنا ، فالاسلام يضع قواعد عامة لاعداد **الشباب ليس منها استغلال الغريزة الجنسية فى أى مشروع اقتصادى .. بل منها توعيته لكى يأخذ ما يفيده ويترك ما يضره .. وليس صحيحا أن الاسلام دين يدعو الى الأخوة فحسب ، وأن الالتزام بمبادئه مدعاة للاكتئاب والتزمت .. فالمتدبر لايات القرآن الكريم يجدها تحدثت كثيرا عن الدنيا ، وكيف نسعد بها .. وأوضح مثل لذلك قوله تعالى :**

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم)

هكذا يكافىء الله سبحانه وتعالى المؤمن العامل بالاستخلاف فى الأرض .. فشتان بين هذا المعنى الواضح ، وبين الادعاء الذى يقول : بان الاسلام دين فقر .. وتجنب لمباهج الحياة !

*** المستقبل لشبابنا :**

واليوم نرى أن كل تنظيمات الشباب فى العالم لم تنجح فى أداء رسالتها ، على الأقل فى دعم السلام وتهيئة حياة الاستقرار للشعوب .. وما من دولة الآن الا وتجد فى شبابها عقبة فى طريق مستقبلها .. للاندفاع ، والتصرف وفق أهواء النفوس ..

ومحاولة الكسب العاجل فى معظم الأحيان والتقليد الأعمى .. دون دراسة وتعقل وأصبح القلق سمة من سمات الشباب فى هذا العصر .. فى كل دولة متقدمة أو نامية أو متخلفة .. !

فهل آن للشعوب الاسلامية والأفريقية ان تدرك الآن أن الاسلام وحده قادر بما اشتمل عليه من قواعد اعداد الشباب ونظم الحكم أن يهيء الاستقرار النفسى لرجال المستقبل ، وأن يجعل قيادته سهلة نحو استغلاله فى المعارك القومية ، والبناء

(اننى أعتقد ان انتشار الاسلام الان على قاعدة عريضة من العالم يمكنه اذا أحسنا عرضه من أن يكون اداة الاصلاح ، والانقاذ .. خاصة فى أفريقيا التى أصبح شبابها حائرا مضطربا بين تقاليد البيئة والتقاليد الدخيلة عليه .. واذا كانت العهود الماضية قد خلت من نشاط للشباب الأفريقى الذى تحرر أخيرا ، فان الأيام القادمة ستكون حافلة بمواقف عظيمة للشباب فى كل بلد افريقى .. وهذا الشباب هو الذى يتطلع اليوم الى الاسلام ليأخذ منه بعد ان جرب غيره من نظم وسار وفق عادات لم توصله الى هدف نبيل . وقد شاهدت بنفسى شبابا مسلما **من معظم الدول الأفريقية فى دورة افريقيا الرياضية بالكنغو برازافيل ، وفى غانا ، وفى نيجيريا ، ورأيت كيف يتلمسون المعرفة .. وكيف يبحثون عن كل كتاب جديد فى الاسلام — وكل ما يعرض عليهم منه جديد من وجهة نظرهم .. هذا الشباب الذى أصبح نموذجا فريدا بين أقرانه فى السلوك والمعاملة هو خير وسيلة للدعوة الى الاسلام .. وهو أشد حاجة من غيره الى التغذية الفكرية الاسلامية .. فى كل وقت .. ويجب ان يوضع فى الاعتبار ، انه ليس كل مسلم بقادر على أن ينفر الى القاهرة لينفقه فى الدين .. وهنا تصبح مهمتنا أن نسعى اليه وأن نقترب منه ، بفكرنا .. ونتصل به بقلوبنا .. (وأن هذه أمتكم أمة واحدة .. وأنا ربكم فاتقون)**

بم نتغلب على الأعداء ؟؟

ومن المهام التى ندب اليها (خالد بن الوليد) — رضي الله عنه — فى حياة النبى (صلى الله عليه وسلم) مهمة يمتزج فيها الشك بالامن ، والرفق بالشدة ، والترغيب بالترهيب ، لانها بعثة الى أناس غلابين مجتمعى الرأى اولى عصبة وبأس وحنكة ، ولهم سمة يخالفون بها سمة العرب فى معظم انحاء الجزيرة وهم بنو الحارث بن كعب بنجران .

أرسله اليهم وأمره أن يدعوهم الى الاسلام ثلاثة ايام ، فان استجابوا قبل منهم وان لم يفعلوا فله أن يقاتلهم . فخرج اليهم وبعث الركبان فيهم يبشرون بالدين الجديد ، ويبصرونهم بفضائله وأحكامه ، فاستجابوا له ودخلوا فيما دعوا اليه . وأقبل وفد من عظمائهم على النبى — بأمره عليه الصلاة والسلام — فقال حين رآهم : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند) قيل يا رسول الله : هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب . ثم سلموا ونطقوا بالشهادتين ، فقال لهم (صلوات الله وسلامه عليه) : انتم الذين اذا زجروا استقدموا ؟ وأعادها ثلاثا وهم لا يجيبون فلما أعادها الرابعة قال زعيمهم يزيد بن عبد المدان — وفيه شرس وخيلاء — : نعم يا رسول الله ! نحن الذين اذا زجروا استقدموا ؛ وكررها أربعا . فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : لو أن خالدا لم يكتب لى انكم اسلمتم ولم تقاتلوا لالقيت رؤسكم تحت أقدامكم . فانطلق ابن عبد المدان يقول : اما والله ماحمدناك ولا حمدنا خالدا . قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ! قال : صدقتم . ثم سألهم . بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا متغضبين : لم نكن نغلب أحدا . قال : بلى ! كنتم تغلبون من قاتلكم . فعادوا يقولون : (كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله حيث كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحدا بظلم) .

مع القراء

اعداد فؤاد هيبة

عزيزى القارىء ..

هل أتاك حديث عصابة صهيون ؟.. انه لحديث الافك والطغيان تفوهت به أفواه الشرك والضلال ، وتلقفته أجهزة المسخ والبهتان أخذت تلوح به للامة العربية أمة الحق والنضال ، متوهمة أنها قادرة على انتهاج سياسة الضغط والارهاب « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا » انهم انما يعيشون فى تيه أجدادهم متناسين مجد الأمة العربية وفضلها على الانسانية قاطبة ، وانهم والله لنادمون ، وانا باذن الله لمنتصرون ، وبفضل اتباع تعاليم العزيز الحكيم والسير على طريق رسول الهدى ونبى الجهاد بالغفون ما وعدنا القرآن الكريم من فتح مبين « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » .

وهو الفتح الذى تخر له الجبابرة ساجدين وتهنأ فى رحابة سماحته السمحاء ورحابته الفيحاء شعوب طالما سعدت فى ظل عدالة الامة الاسلامية بكل تكريم وتقدير أذهل أكثر المستشرقين تعصبا وأفحم بالدليل العملى كل من حاولوا أن يتقولوه على سماحة الاسلام لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وكان انتشار الاسلام عن طريق الدعوة الحسنة والكلمة الطيبة فضلا عن سعى القواد الفاتحين الغازين الى الدخول فى الدين الاسلامى افواجا ، ويقتضينا هذا بالاصالة نحن ابناء الامة العربية حملة لواء الاسلام حشد كل طاقتنا الروحية والمادية لنصرة كلمة الحق واعلاء شأنها ايمانا منا برسالتنا الخالدة وما لنا من ماض مجيد يتطلب منا .. فى حاضرنا بذل كل غال ونفيس حفاظا عليه وسعيا الى مستقبل أفضل نحن له أهل ، وبه أجدر (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) .

رسالة الجزائر .. وتحرير فلسطين

فى رسالة كلها ايمان بانتصار الأمة العربية على عبدة العجل ، دعاة الحرب اذا ما عقدت العزم ، وأعدت العدة واتخذت من الكفاح سبيلا والاعتصام بحبل الله غاية لا وسيلة يحدثنا المناضل الجزائرى محمد عيسى شيبان قائلا ..

(تحية طيبة أبعث بها من صميم أعماق قلب مواطن عربى الى أبناء الامة العربية ، ينهج لسانه بالثناء على بطولاتهم مبتهلا الى المولى العلى القدير أن يحقق لنا بالوحدة كل عزة وسؤدد تحت ظل الحرية والاخلاص حتى ينعم الله علينا بالانتصار على عدونا المشترك الذى صنعه المستعمر ليكون خنجرا فى قلب أمتنا العربية الباسلة .. ولذلك يجب على العرب من المحيط الى الخليج أن يكونوا على علم بأن اسرئيل لاتتخلى عن فلسطين الا باللغة التى لاتعرف الا اياها وهى لغة الحديد والنار وأن نتذكر قول الشاعر :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر

الى أن قال :

والعن من لا يماشى الزمان
ويقنع بالعيش عيش الحجر

***

احموا بالدماء وطنا ودينا

من وحى المعركة جاء نظم السيد أنور اسماعيل سعيد على بعابدين نداء صادقا تحمل فى نبراته الايمان وفى مضمونه الاصرار حيث يقول ..

بنى وطنى (كونوا بالنصر آملينا)
وغدا تدخلون دياركم آمنينا
وتعودون لأمكم بالحب مقبلينا
وتكونوا لبنود النصر رافعينا
واحموا بالدماء وطنا ودينا
والله ينصركم نصرا مبينا
اجدادكم قد هزموا الصليبينا
فسلوا التاريخ عنهموا وحطينا
ومضى على الطريق للنصر جمال
ونحن على نفس الطريق مترسمينا
بدماء الشهداء يحرر امة
سنظل لمجدها المخلد حافظينا

***

تفسير القرآن الكريم ورسائل القراء

تفسير القرآن الكريم ورسائل القراء :

كان للخطوة المباركة التى أقدمت عليها مجلة منبر الاسلام بتقديم تفسير سور القرآن الكريم شهريا أبلغ الاثر فى نفوس القراء فما أن صدر عدد شوال حاملا الى القراء تفسير سورتى الفاتحة والبقرة حتى انهالت الرسائل على ادارة المجلة تبارك هذا العمل الجليل وترجو له الاستمرار حتى منتهاه ، والمجلة اذ تؤكد للسادة القراء عزمها على ذلك تشير الى نموذج من هذه الرسائل التى تؤكد فى وضوح جلى أبعاد أصالة العقيدة الاسلامية لدى أمتنا العربية .

فمن مدينة الأوقاف بالدقى يقول السيد محمد سيد احمد عيد « لقد استقبلنا هدية شهر شوال فرحين مغتبطين بهذا التفسير الميسر لسورتى فاتحة الكتاب والبقرة واستبشرنا بوعدكم أن نتلقى سائر تفسير القرآن الكريم ، والله أسأل أن يجزيكم عن كتابه وعن المهتدين بنوره خير الجزاء وأن يزيدكم توفيقا لما يحبه ويرضاه » .

ويقول السيد محمد ياسين بعزبة بريل مركز منوف .. وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

أشكركم على ما تقدموه لقراء المجلة من هدية شريفة ألا وهى تفسير القرآن الكريم والذى أرجو أن يكتمل فى أقرب وقت ممكن وشكرا .

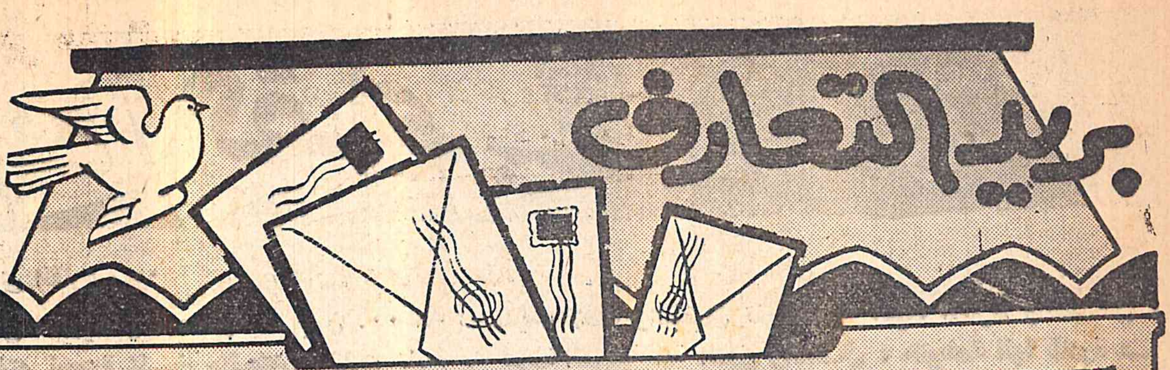

الاسم : أحمد قاسم البردولى

البلد : البحرين

السن : ٢٠ سنة

المهنة : طالب

الهواية : القراءة والاطلاع وتبادل الصور

العنوان : شارع المعارف القصيبية بجوار مديرية التربية والتعليم ـ البحرين

الاسم : محمد أحمد عنبر

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٦ سنة

المهنة : طالب

الهواية : المراسلة وجمع الطوابع والمناظر الطبيعية ·

العنوان : القاهرة شارع شلبى عطفة طه على رقم ٤

الاسم : ابراهيم سيد حمدى

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ٢٢ سنة

المهنة : محاسب بشركة المحاريث والهندسة

الهواية : جمع الطوابع ، تبادل الهوايات والزيارات ·

العنوان : ٤ شارع الخليفة المأمون ـ منشية البكرى ـ القاهرة

الاسم : عبد اللطيف عبد الرحمن

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ٢٠ سنة

المهنة : طالب جامعى

الهواية : المراسلة وتبادل الصور

العنوان : القاهرة كلية الهندسة جامعة عين شمس

الاسم : سعيد كنجوع

البلد : الجزائر

السن : ١١ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : المراسلة وتبادل الصور والآراء وجمع المناظر الطبيعية

العنوان : شارع أحمد أديم رقم ٤٩ يلكور الجزائر ·

الاسم : محمد حسن السيد

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : جمع الطوابع والرسم والقراء

العنوان : الاسكندرية العصافرة القبلية بجوار كشك النور

اقرأ فى هذا العدد

صفحة من كتاب دعاء الثورة للسيد حسين الشافعى ٤
حديث مع سفير افغانستان فى القاهرة ٦
.. تابع الباب الثالث : من الجهر بالدعوة الى وفاة أبى طالب وخديجة ٩

باب السنة النبوية الشريفة ..
التشريع الفقه الابحاث
الدراسات الصوفية فى الاسلام

الانسان والقرآن والملائكة ... ... الاستاذ أحمد حسين ١٤
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ... ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ٢٢
قاض عظيم ... ... الدكتور أحمد الحوفى ٢٦
سبيل الله ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ... ٢٩
الاعجاز التشريعى فى القرآن ... ... المستشار على على منصور ٣٣
براعة الاستهلال فى فواتح سور القرآن ... فضيلة الشيخ عبد الغنى الراجحى ... ٣٧
من الاشباه والنظائر فى القرآن الكريم ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ٤١
المجتمع الاسلامى ومشكلات المال ... ... الدكتور أحمد شلبى ٤٥
درجة الجهاد فى الاسلام ... ... فضيلة الشيخ محمد الطاهر زاهر ٤٨
الشريعة الاسلامية والاخلاق ... ... المستشار محمد خاطر ٥١
القرآن حياة وعصمة ... ... فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ٥٣
ابطال وشهداء ... ... الاستاذ أحمد وافى ٥٧
دور المرأة فى النضال العربى ... ... فضيلة الشيخ محمد زكريا البرديسى ... ٦٤
بنو اسرائيل فى ميزان القرآن ... ... الاستاذ البهى الخولى ٦٦
اليهود من كتابهم المقدس أعداء الانسانية ... فضيلة الشيخ كمال أحمد عون ٧١
الصوفية فى الهامهم ... ... الاستاذ حسن كامل الملطاوى ٧٥
التصوف فى الاسلام ... ... الاستاذ طه سيف النصر ٨٢
دور المرأة فى الدفاع المدنى ... ... فضيلة الشيخ عبد الله المشد ٨٤
فضيلة التقوى والورع ... ... الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى ٨٧
الرجوع الى الله ... ... فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى ... ٨٩
صفقة رابحة ... ... فضيلة الشيخ عبدالعزيز قنديل ٩٢
الدين حياة الامة ... ... الاستاذ محمودأبو الفيض المنوفى ... ٩٤
الاسلام لايحرم الزينة والتمتع بالطيبات ... سماحة مبشر الطرازى الحسينى ٩٦
من أخلاق الاسلام السكينة ... ... الدكتور أحمد الشرباصى ٩٩
مع الايمان بالله ودلائل وجوده ... ... الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب ... ١٠٣
الجريمة والعقاب بين الشريعة والقانون ... الاستاذ عبد الخالق النواوى ١٠٦
من أساليب القرآن فى محاربة الانانية ... الاستاذ عبد الودود محمد طه ١٠٨
آمين للقرطبى ... ... الاستاذ محمد فاوى عسر ١١٠
الدين والسلوك الاجتماعى ... ... الاستاذ محمد كمال الدين ١١٢

باب الحج

ذو العقدة شهر الفتح ... ... فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم ١١٦
بين يدى الحج الى بيت الله الحرام ... ... فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى ١٢٠
اسرار الحج ومقاصده ... ... فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت ١٢٤
تاريخ الاشهر الحرم ... ... الاستاذ حسن الشيخة ١٢٩

التاريخ الاسلامى

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ... ... دكتورة عنايات الطحاوى ١٣٢
قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها ... ... الاستاذ عثمان عبد السميع العدل ١٣٨
أضواء على التاريخ الاسلامى ... ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ١٤١

صفحة

فكر وفن

الاسلام الخالد والاشتراكية ... ... الاستاذ عبد المنعم حمادة ١٤٤
كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري . المستشار عبد الستار آدم ١٤٩
الشباب والمسيرة الطويلة ... ... الاستاذ عبد الحكيم النجار ١٥١
من معالم حكم الخلفاء الاول ... ... الاستاذ صلاح عزام ١٥٣
رجال صنعوا التاريخ ... ... الاستاذ محمود الهجرسى ١٥٥
وحدة التشريع والقضاء فى البلاد العربية .. الاستاذ محمود كمال ١٥٧
الجنة فى شرح عقيدة اهل الجنة ... ... فضيلة الشيخ محمود خليل الخطيب ... ١٦٠
عبد الناصر صانع السلام ... ... الاستاذ كامل عبد المجيد ١٦٢
قطوف ... ... الاستاذ على الجندى ١٦٤
دين ودنيا ... ... الاستاذ محمد المتولى النظامى ١٦٦
سلسلة أعرف عدوك ... ... الاستاذ اسماعيل السوسى ١٦٩
التعاون عنصر بناء ... ... الاستاذ عبد المغنى المنشاوى ١٧٣
مواقف خالدة فى تاريخ الاسلام ... ... الاستاذ عبد العال شعيب ١٧٥
من التراث الفنى الاسلامى ... ... الدكتور حسن الباشا ١٧٧
الحافظ الامين (قصة تمثيلية) ... ... الاستاذ الكبير على أحمد باكثير ١٨٢
من وحى النبوة ... ... الشاعر أحمد عثمان المراغى ١٨٦
الجهـاد ... ... الشاعر محمد حليم حامد غالى ١٨٨
سجدة قلب ... ... الشاعر عبد الله شمس الدين ١٨٩
وحب البيت يولعه ... ... الشاعر محمود جبر ١٩٠
صوت من القناة ... ... الشاعرة روحية القلينى ١٩٢
مناجاة ... ... الشاعر احمد عمر هاشم ١٩٣
من مآثر الاسلام ... ... الاستاذ حسين السكرى ١٩٤
الناصر يثأر للاسلام .. .. الاستاذ على الجمبلاطى ١٩٥
المال بين النعمة والنقمة ... ... الاستاذ منصور نسيم ١٩٧
وحدة الامة على قيثارة اقبال ... ... الاستاذ عبد العليم المهدى ١٩٩

باب العلم

دلائل الحق فى عظمة الوجود ... ... الدكتور عزت خيرى ٢٠٢

الخلفاء الراشدون واعلام الاسلام

ابن جرير الطبرى ... ... الاستاذ الرفاعى الباز ٢٠٨
على بن الجهم ... ... الاستاذ عبده بدوى ٢٠٩
يحيى بن معين البغدادى ... ... فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق ... ٢١١
الامام الالوسى .. .. الاستاذ أنور الجندى ٢١٢
الامام محمد عبده ... ... الاستاذ عبد السيع البطل ٢١٤

المكتبة الاسلامية

المخطوطات النفسة الغالية ... ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى .. ٢١٨
من ذخائر السيد عبد الرحيم القناوى ... ... الاستاذ عبد السلام القوصى ٢٢٠
العقد النفيس للامام أحمد بن ادريس ... ... عرض وتلخيص محمد بدرالدين سالم . ٢٢٤
الاسلام دين الهداية والاصلاح ... ... عرض وتلخيص محمد بهى الدين سالم ... ٢٢٧
الاسلام روح المدنية ... ... عرض وتلخيص ابراهيم الفحام ٢٢٩

الافتاء ـ المرأة المسلمة
الرياضة ـ القراء ـ التعارف

أنت تسأل والمفتى يجيب ... ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون ٢٣٤
المرأة المسلمة ... ... اعداد نجاة الزنيرى ٢٣٨
مستقبل الشباب فى العالم وافريقيا ... ... الاستاذ ناصف سليم ٢٤١
بريد القراء ... ... اعداد فؤاد هيبة ٢٤٥
التعـارف ٢٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية فى قارتى افريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن: بيع

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم

٤٤ اسطوانة

سرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

بترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادى	٣٢٢	١٩

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة

سرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

بترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
الثمن :	١٥٠	٣٥

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

المجموعة تحتوى على ٧ سبع اسطوانات

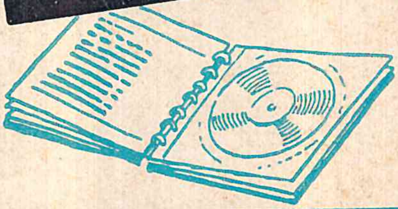

الاسطوانة الأولى
شاملة للأذان
الاسطوانة الثانية
تشمل كيفية الوضوء
والخمس الاسطوانات الأخرى
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس
وأمام كل اسطوانة
كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة والصورة

الثمن ٥٠ خمسون قرشا

مواعيد البيع
من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ مساء
ومن الساعة ٥ مساء إلى الساعة ٩ مساء
ماعدا أيام الجمع والعطلات الرسمية

العنوان
القاهرة : مخازن القرآن المرتل ٧٦ شارع الجمهورية ت ٩١١٧٠٨
الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ ش سعد زغلول ت ٢٨٦٦٢